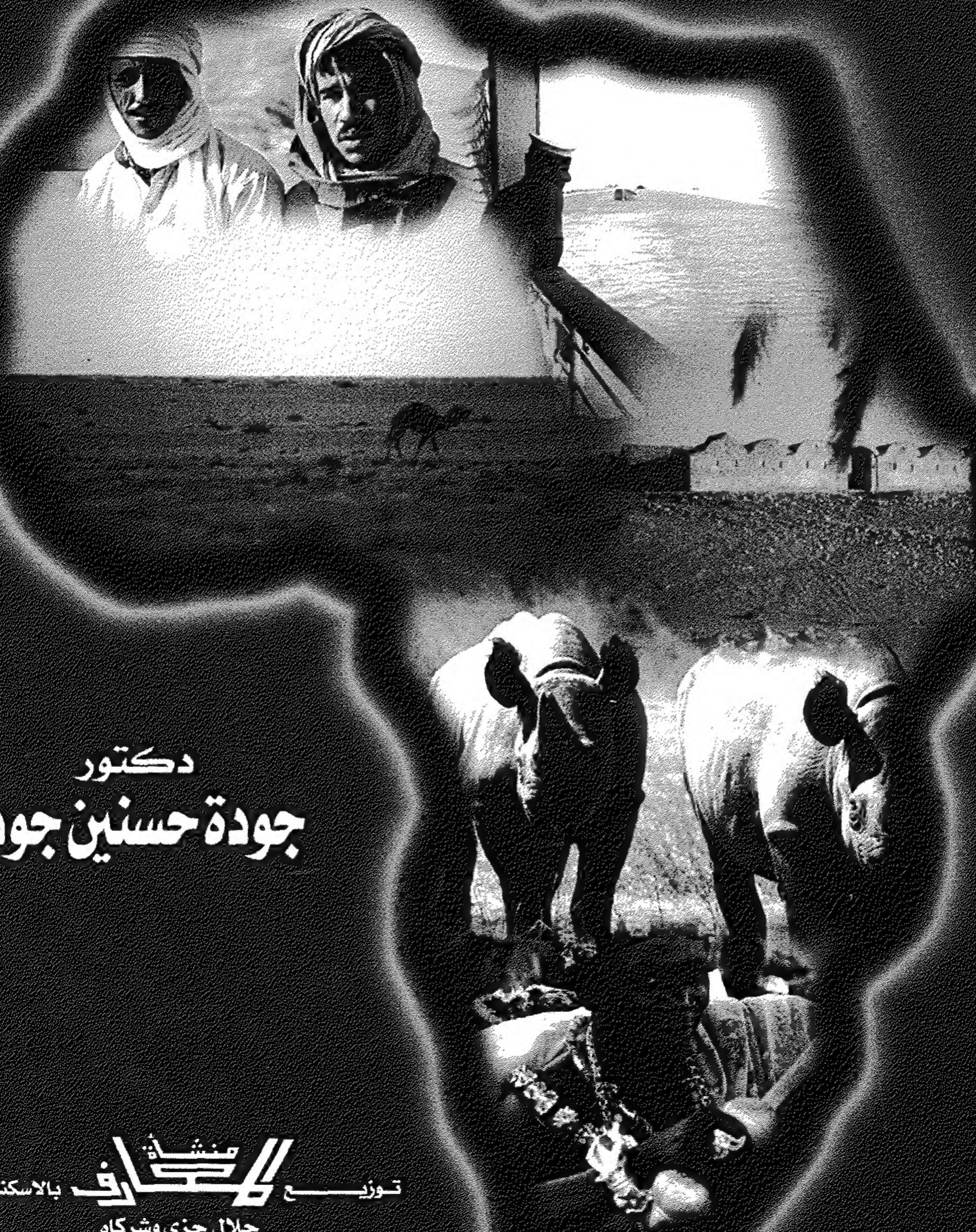


جغرافية أفريقيا الإقليمية



دكتور
جودة حسنين جودة

توزيع منشأة
بالاسكندرية جلال حذى وشركاه

جُغْرَافِيَا فِرْقِيَا الْإِفْلَمِيَّة

دكتور

جودة حسنين جودة

أستاذ الجغرافيا الطبيعية . ورئيس قسم الجغرافيا
عميد كلية الآداب سابقاً - جامعة الإسكندرية

الطبعة التاسعة

١٩٩٦

الناشر ~~المكتبة~~ ^{مكتبة} ~~الكتاب~~ ^{الكتاب} ~~في~~ ^{في} ~~الإسكندرية~~ ^{الإسكندرية} -
جلال حنزي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ رَحِيهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا
وَمَرَعَهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَهَا ۝ مَتَكَلِّمًا
لَكُمْ وَلَانْغَامِكُمْ ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

(الآة ٣-٢١-٢٢-٢٣ سورة النازعات)

إلهدراء

اليه ...

في أكرم جوار

المقدمة

ما تزال الحياة تسير فوق أجزاء من قارة أفريقيا سيرها الطبيعي منذ قرون ، وتشهد أجزاء أخرى تحولات سريعة مدهشة . وقد ارتبطت أفريقيا منذ بداية الخمسينات « برياح التغيير » . وهي عبارة أطلقها المرحوم هارولد ماكميلان ، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ، ليعبر بها عن التغييرات السريعة التي انتابت القارة . وقد انصبَّ التغيير أساسا على الخريطة السياسية ، وبدأ بشمال أفريقيا حين استقلت ليبيا في عام ١٩٥١ . ومن الشمال ، وفي أعقاب الثورة المصرية في يوليو ١٩٥٢ ، ويفضلها ، هبَّت « رياح التغيير » عاصفة صوب الجنوب ، حاملة معها روح القومية ، وباعثة حب الحرية والاستقلال .

في عام ١٩٤٥ لم يكن بالقارة كلها سوى أربع دول مستقلة هي : مصر ، وإثيوبيا ، وليبيريا ، وجنوب أفريقيا . والأخيرة خلقت في عام ١٩١٠ ، على أنقاض جمهوريتين للبوهر ، ومستعمرتين بريطانيتين ، على غير رضى من أهل البلاد الأفارقة . وفي عام ١٩٥٦ استقلت السودان والمغرب وتونس . وفي خلال عشر سنوات تالية حتى عام ١٩٦٦ ، ظهرت على خريطة أفريقيا السياسية ثلاث وثلاثون دولة مستقلة .

والآن قد استقلت كل الأراضي الأفريقية ، ولم يبق منها سوى أرض صحراوية ، في غرب الشمال ، محل نزاع بين دولتين عربيتين ، وأرض في الجنوب تحكمها أقلية بيضاء ، تتخذ من بريتوريا عاصمة لها ، وتتحكم في أرض ناميبيا . وفي معظم الحالات كان تسليم السلطة يتم بهدوء ، ويلتون إراقة دماء ، وبلا أحداث جسام . لكن في الكنفو (زائير) ، اقتضى الأمر القضاء على حركات انفصالية ، ألحقت الضرر البالغ باقتصاد الدولة الوليدة . فقد نركتها بلجيكا في حالة فوضى تامة . لم يكن بالبلد ضابط أمن أفريقي واحد ، ولم يكن بها من أنائها طبيب ، ولا محام ، ولا مهندس ، ولا موظف شغل

منصبا في خدمة مدنية . وتعددت القيادات ، والتدخلات من داخل أفريقيا ومن خارجها ، وعمت الفوضى ، وتفشت المجاعة في أرجاء الدولة

ولم تكن الصورة هكذا قائمة دائما في كل أنحاء أفريقيا المحررة . فقد ترك الاستعمار آثار طيبة في مجال النقل والمواصلات ، وفي أعمال التعدين ، ومشاريع الصناعة ، وإنشاء المدن ، ومعاهد العلم ، ودور العبادة ، كما ترك لفته ، ونظما سياسية وتشريعية ، وتعليمية ، ما يزال معمولاً بها في كثير من دول أفريقيا المستقلة .

وقد صاحب التحرير السياسي ، تغييرات اجتماعية مهمة ، لكنها تتم ببطء . ومثلها التحولات الاقتصادية التي تمس الحاجة إليها ، في محاولة لرفع مستويات المعيشة المتدنية . وهناك أشكال عديدة للإثراء ، تأخذ بها مختلف الدول ، لكن درجة النمو غير متكافئة . وما يزال عدد كبير من أقطار القارة يدخل ضمن إطار « الدول المتخلفة » ، وقليل منها ينضوي في مجموعة « الدول النامية » . ومع هذا فأعمار الدول لا تُقاس بالسنين . ولا شك أن في المستقبل الكثير مما يهيج قلوب الأفارقة العاملين المجتهدين .

وقد كُتب الكثير عن التحول و« رياح التغيير » في أفريقيا من وجهة نظر الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاقتصادية . وظهر عدد من الكتب في جغرافية القارة ، تعالج الأنماط المكانية من الوجهتين الطبيعية والبشرية ، والعلاقات والتأثيرات المتبادلة بينهما . ونُشرت مؤلفات تتوسط هذا وذاك ، تهدف إلى إبراز التغييرات في الأنماط الجغرافية التي برزت خلال السنين الأخيرة ، أو الأنماط الجغرافية للتغير الاقتصادي الحديث والجاري .

وكتابنا هذا في « جغرافية أفريقيا الإقليمية » يأخذ بهذا كله ، سواء في قسمه الأول ، الذي يعالج الجغرافيا العامة للقارة ، أو في قسمه الثاني ، الذي يدرس دولا مختارة من مختلف أقاليمها الطبيعية .

وإنني إذ أقدم هذا الجهد لزملائي وتلاميذي ، لأرجو لهم به النفع . والله وليّ التوفيق

جودة حسير جودة

بيروت في أول ديسمبر عام ١٩٨٠

مقدمة

هذه الطبعة الجديدة (١٩٩٨)

هي العاشرة منذ أن صدر الكتاب لأول مرة في عام ١٩٨٠. وقد تناولها القلم بالتنقيح والتعديل، وتم تجديد جميع الإحصائيات والوصول بها إلى نهاية عام ١٩٩٥.

كما وقد راجع المؤلف كل معلومات الكتاب في ضوء ما استجد من تطورات في مختلف أفرع الجغرافيا مطبقة على جغرافية أفريقيا، التي تتميز بالتغير السريع، سواء على مستوى القارة، أو على مستوى وحداتها السياسية.

وقد حرصت في هذه الطبعة على الإيجاز ما أمكن، دون إخلال بالمحتوى العلمي الدسم، الذي عهده القراء الأفاضل في مؤلفاتي، وذلك تمشياً مع نظام الفترات الدراسية الذي تأخذ به جامعات وطننا العربي.

وانني لأرجو أن يحقق كتاب « جغرافية أفريقيا الإقليمية » بطبعته العاشرة الجديدة، للقراء في أقطار العرب، ما يصبون إليه من نفع وفائدة.

والله ولي التوفيق،،

الاستاذة في يناير ١٩٩٨

أ. د. جودة حسنين جودة

القسم الأول

الدراسة العامة لأفريقيّا

الفصل الاول

افريقيا في التاريخ

الفصل الأول

أفريقيا في التاريخ

أفريقيا هي الوطن الأصلي للإنسان على ما يبدو ، وهضبة إثيوبيا هي إحدى مراكز العالم الثلاثة التي زرعت البذور ، والحضارة المصرية ازدهرت في الشمال ، وعمر الزنوج الأفريقيون قارات العالم الجديد .

ورغم ما اكتنف القارة من معوقات المجتمعات المشاعة المحدودة ، والعزلة الطبيعية ، والتمزق الذي سببه تجارة الرقيق ، فإن أفريقيا قد استيقظت . وقد انتهى زمن الاستعمار أو كاد ، وأصبحنا نرى التغيرات الكبيرة في كل مكان . وستسهم الطاقة الكهرومائية و الطاقة الذرية في إنماء الصناعة في أفريقيا التي تعتبر موطننا لكثير من المعادن . وما من شك في أن القضاء على ذبابة تسي تسي ، التي تضررت بها أفريقيا ، والسيطرة الكاملة على بعوضة الملاريا سيؤدي إلى نمو سريع للسكان ، وإلى تكثيف العمران ، وتحسين الزراعة وتربية الماشية . وسنفتح إمكانات النمو هذه من خلال عرضنا اللاحق لتاريخ القارة ، وجغرافيتها الطبيعية ، وشعوبها وأساليب حياتهم .

الإمبراطوريات القديمة في شمال أفريقيا

مصر القديمة كانت إحدى إمبراطوريات العالم شبه المداري التي نمت وازدهرت على طول الأنهار ، وإن اختلفت عنها في أن مصدر المياه اللازمة لزراعة القمح بها كان في هضبة إثيوبيا . ومصر كانت أول قطر كبير في العالم القديم يتحد تحت لواء حاكم واحد ، وحقت هذه الوحدة في عام ٣١٨٨ ق.م. وقد حمت الصحراء مصر لأمد طويل ، بينما كان النيل يغذي

أرضها بالخصوبة المتجددة والماء النмир . وكانت فروع دلتا النيل بمثابة مخارج لساحل قصير سهل الحماية على البحر المتوسط ذي الأهمية التجارية العظيمة .

وقد كان الفينيقيون والقرطاجنيون واليونانيون يعتمدون اعتمادا كاملا على البحر ، وتحددت مراكز عمرانهم في مدن الساحل بشمال أفريقيا ، ولم يكن لهم أي تأثير آخر على القارة ، وكانت معظم مراكز عمران أفريقيا الرومانية فيما يُسمى الآن بالجزائر وتونس ، هذا على الرغم من أن الحكم الروماني حين بلغ أوجه في القرن الثالث الميلادي امتدت سيطرته من جنوب غرب مراكش على امتداد الساحل الشمالي الأفريقي كله وعلى طول نهر النيل جنوبا إلى الجندل الأول . وقد كان شمال أفريقيا لكل هذه الحضارات القديمة بمثابة نطاق يتمتع بمناخ البحر المتوسط ، ومخرج للتجار والمهاجرين ، ومصدر للموارد الغذائية . وقد طوّر الرومان وسائل الري ، وتجددت بعض مشروعاتهم للاستخدام الحديث . وكانت الصحراء بمثابة حدّ للإمبراطورية الرومانية ، وباقي أفريقيا خارج اهتماماتها .

العرب والإسلام

غزا العرب أفريقيا في القرن السابع الميلادي ، فأحدثوا تغييرا جذريا وعميقا في كثير من أنحاء القارة ظل حتى وقتنا الحاضر ، فقد أدخلوا إليها الإسلام والشريعة الإسلامية ، وفن المعمار العربي والزخرفة ، والفكر والثقافة الإسلامية . وقد حل الإسلام كلية محل المسيحية في كل من مصر والسودان ، وأصبح سائدا في كل شمال أفريقيا ، وساحل أفريقيا الشرقي ، وفي معظم الأراضي الجافة وشبه الجافة الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى ، حيث وصل عن طريق تجار قوافل الإبل ومن معهم من رجال الدين . وقد دخل الجمل إلى شمال أفريقيا حوالي القرن الرابع الميلادي ، وكان هذا الحيوان الشهير سببا في إحداث علامة أخرى تاريخية كبرى ، وهي عبور الصحراء . ولم يبق من شعوب أفريقيا على غير الإسلام سوى جماعات صغيرة في مساحات منعزلة من أرض القارة ، مثل جماعة المسيحيين الأقباط الذين احتموا في القلاع والحصون

وهرامن هعبة إثيوبيا البحرية الشديدة الإنحدار ، ومثل سكان هضبة جوس Jos في شمال نيجيريا ، وكذلك سكان الغابات .

الدول القديمة في داخلية غرب أفريقيا

لقد نمت دول حول أعالي وأواسط نهر النيجر ، وبين هذا النهر وبحيرة تشاد ، وذلك حوالي نفس زمن التحركات العربية الإسلامية في أفريقيا . ويبدو أن الذين أسسوها هم شعوب تتكلم الحامية وفدت من شمال شرق أفريقيا ، وجلبت معها الإبل ، والخيل والحمير . ففي مثل هذه البقاع التي تتميز ببيئات الغابات المكشوفة أو السفانا التي تخلو من ذباب تسي تسي ، يمكن تربية الإبل وزراعة الحبوب . وقد سهّل وجود الحيوانات والأنهار الصالحة للملاحة اتساع رقعة السلطة والتجارة . وكان العامل الطبيعي المتحكم الرئيسي هو الماء ، وتحددت التخوم الجنوبية لتلك الدول بحدود تواجد ذباب تسي تسي والغابة .

فلقد بلغت غانا (وهي ليست غانا بتخومها الحديثة) أوج مجدها حوالي ١٠٠٠ م ، وكانت عاصمتها كومبي صالح Koumbi Saleh التي تقع على بعد ٣٣٠ كم شمال الشمال الشرقي من باماكو (مالي) . وقد حلت دولة مالي محل غانا فيما بعد ، وحدودها تتفق إلى حد كبير مع حدود الدولة الحالية . وقد بلغت مالي القديمة أوج عظمتها في القرن الرابع عشر الميلادي ، وشملت ممتلكاتها تمبوكتو Timbuktu وجاو Gao . وقد نشأت دولة سنغاي Songhai في البداية في جاو في القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم غزت تمبوكتو عام ١٤٦٨ م ، ووصلت إلى السنغال في عام ١٥١٢ م . وقد تحرك كثير من شعب مالي نحو سواحل ما يُسمى حاليا بغامبيا وغينيا البرتغالية وغينيا وسيراليون حاملين معهم معرفة زراعة القطن والأرز . وفي عام ١٥٩١ عبر الصحراء جيش مراكشي مكون من ٤٠٠٠ مقاتل واحتل سنغاي . وإلى الجنوب من ذلك كانت تقع دول صغيرة زنجية غير إسلامية هي أواجادوجو Ouagadougou ، وياتينجا Yaten-ga وفاداجورما Fada N'Gourma (فولتا العليا) ، ثم دولتا الهوسا Hausa وبورنو Bornu الإسلاميتين فيما يُسمى الآن شمال نيجيريا .

التجارة عبر الصحراء

كانت التجارة عبر الصحراء بمثابة شريان الحياة لهذه الدول جميعا ، وللمدن الشهيرة مثل تمبكتو وجاو وكانو التي كانت محطات نهائية شهيرة لطرق القوافل . وكانت تلك الدول تتلقى عن طريق القوافل السلع الأوروبية التي يحصل عليها عرب شمال أفريقيا من دول مثل جمهوريتي جنوه والبندقية ، والملح من الصحراء الكبرى . وتعود القوافل من دول غربي أفريقيا بالذهب الذي كان يوجد في بامبوك Bambouk فيما بين بافنج Bafing وفاليمي Falémé من روافد السنغال العليا ، وجلود الماعز والأغنام . ومن تخوم الغابات كان يأتي الذهب والعاج والتوابل ثم العبيد .

كان الرق معروفا في أفريقيا ، بل كان استرقاق الزنوج شائعا في مصر القديمة ، لكن الشيء الجديد هو اتساع وكبر حجم تجارة الرقيق التي كان يقوم بها العرب في شمال وغرب ووسط وشرق أفريقيا ، التي استمرت قرابة ١٠٠٠ سنة . وكان العبيد يؤخذون إلى آسيا ، بل وحتى إلى أيريا حيث زُرعت فكرة الرق ، التي ما لبثت أن نمت وتضخمت في تجارة الرق الأوروبية الهائلة التي دامت أكثر من ثلاثة قرون .

دول أفريقية أخرى

بعد الغزوة المراكشية لسنغاي ، لم يبق في غرب أفريقيا دولة كبيرة ، على الرغم من ظهور دول صغيرة في الأراضي الغاية مثل أشانتي Ashanti وداهومي Dahomy وأويو Oyo وبنين Benin . أما في شرق أفريقيا فكانت توجد أيضا دول كثيرة ، مثل كتوارا Kitwara (من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر) فيما يُسمى الآن أوغندا ، التي حلت محلها فيما بعد ممالك بنيورو Bunuoro وبوجندا Buganda وتورو Toro ويسوجا Busoga التي ما تزال قوية ، ومثلها رواندا Rwanda وبوروندي Burundi في جنوبها . ومن بين دول وسط أفريقيا نذكر مونوموتابا Monomotapa ، جنوب نهر زمبيزي ، كانت مشهورة باستخراج الذهب ؛ ودولة لوبا Luba ، التي كانت مهمة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر فيما يُسمى الآن كاتانجا Katanga ؛

وحول الكونغو الأدنى دولة تسمى بنفس الاسم « كونغو » Congo . وقد نزع من دول وسط أفريقيا هجرات البانتو Bantu الضخمة إلى جنوب أفريقيا فيما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر .

الطريق البحري البرتغالي إلى آسيا

لقد كانت سيطرة العرب ومن بعدهم الأتراك العثمانيين على شمال أفريقيا مانعا للأوروبيين من تجارة العبور الصحراوية ومن شمال وشرق أفريقيا ، ومن معظم الطرق البرية إلى آسيا . هذا ، فقد كان ذلك حافزا لاكتشاف طريق بحري حول أفريقيا للوصول إلى آسيا الغنية بتجاريتها . وخلال القسم الأخير من القرن الخامس عشر كان البرتغاليون وغيرهم من رواد البحر يتقدمون بخطى ثابتة ومستمرة على امتداد السواحل الأفريقية ، إلى أن أبحر فاسكو داجاما Vasco da Gama حول الرأس في عام ١٤٩٧ ، إلى ساحل أفريقيا الشرقي حيث وصل إلى مدن تتاجر مع شبه الجزيرة العربية وفارس والهند والصين ، وواصل إبحاره إلى الهند .

وكانت أهمية أفريقيا للأوروبيين في البداية ترجع إلى ارتباطها بأهمية آسيا . وقد أسس البرتغاليون الحصون والقلاع على السواحل الأفريقية للدفاع عن تجارتهم الآسيوية . وما لبث الهولنديون أن هزموا البرتغاليين في معظم آسيا ؛ وقل استخدام قلاع البرتغاليين على الساحل الأفريقي ، وأصبحت معظم تجارة شرق أفريقيا تمر إلى عرب عُمان . واستخدم الهولنديون خليج تيبول Table Bay كمحطة تموينية لسفنهم وأسسوا مركزا عمرانيا في عام ١٦٥٢ . واستخدم الإنجليز في البداية سانت هيلينا St. Helena التي احتلوها في عام ١٦٥٩ ، لكنهم فيما بعد فضلوا عليها مدينة الرأس Cap Town بعد احتلالها في عام ١٨٠٦ . وفي الغرب استخدم الفرنسيون جوري Gorée ، غربي دكار ، عند أقصى نقطة في غربي أفريقيا ، التي احتلوها في عام ١٦٥٨ . وفي الشرق احتلوا رونيون Réunion في عام ١٦٤٩ ، وبعد ذلك استولوا على موريتيوس Mauritius ، حيث كان الهولنديين قبل ذلك ميناء ، وما لبث الإنجليز أن أجلوا الفرنسيين عنها واحتلوها .

تجارة الرقيق الأوربية في أفريقيا

كان الاتجار مع آسيا حيث الحضارات المتقدمة أهم وأكثر ربحا من أفريقيا ، التي كانت تحوي الكثير من الصعوبات الطبيعية وغير الطبيعية . وقد تحدت المراكز الأفريقية لتجارة أفريقيا وحدها في المواقع التي يمكن فيها الحصول على سلع مندمجة وعالية القيمة . وأقدم مركز لذلك كان حصن إلmina الذي ما زال موجودا بحالة جيدة مثل غيره من حصون وقلاع ساحل غانا . وقد سُمي بهذا الاسم لأنه كان من المفروض وقوعه بجوار منجم ذهب ؛ وفي الحقيقة كان الأفريقيون يجلبون الذهب من مناجم متعددة بعضها قريب والآخر بعيد .

وجاء الوقت الذي فيه أصبح العبيد يمثلون أهم صادرات أفريقيا ، واستمر الحال كذلك لما يزيد على ثلاثة قرون . وشيدت الحصون على طول سواحل غرب أفريقيا وأنجولا ، في البداية بواسطة البرتغاليين (في ساحل أنجولا) وفيما بعد بواسطة الهولنديين والإنجليز والفرنسيين والسويديين والدنمركيين وغيرهم على امتداد ما أصبح يُسمى فيما بعد بساحل الذهب . فهنا كان يوجد مصدر وفير للعبيد (وكذلك للذهب) من داخل أرض الأشانتي Ashanti ، وهنا كانت تسود أفضل الظروف المناخية في ساحل غينيا ، كما وتبرز رؤوس أرضية في المحيط كانت صالحة لحماية القلاع وكملاجيء للسفن ، بالإضافة إلى توفر المياه العذبة .

وقد عجل مقدم الأوربيين لساحل غينيا بتدهور التجارة عبر الصحراء وأقول نجمها الذي بدأه مجيء الأتراك العثمانيين إلى شمال أفريقيا والاحتلال المراكشي لدولة سنغاي . وقد نمت التجارة بسرعة بين دول الأراضي الغاية الصاعدة والحصون الأوربية على الساحل ، وبالتالي تحولت الإمدادات والتجارة عن الطريق الصحراوي الذي تعطل بالفعل . وقد نمت التجارة البحرية منذ ذلك الوقت ، وانتعشت المناطق الساحلية على حساب الداخل ، إلى أن أصاب الداخل بعض الانتعاش في القرن العشرين عن طريق السكك الحديدية .

لقد كانت تجارة الرقيق الأوربية أفدح محنة أصابت القارة الأفريقية . وكما

حدث في زمن ماضى حين أنشئت القلاع على الجزر أو على الساحل لتأمين الحماية لتجارة آسيا المربحة ، أصبحت تستخدم تلك القلاع وغيرها لخدمة تجارة الرقيق ، وهذه المرة لصالح الأمريكتين ، فضلا عن تجارة الرق العربية إلى آسيا التي سبقت الإشارة إليها . وقد قُدر عدد العبيد الذين أخذوا من حوض الكونغو بما يزيد على ١٣,٢٥ مليون ، وإذا صحَّ هذا ، فإن عددا يتراوح بين ٣٠ - ٣٥ مليون زنجي قد أخذوا قسرا كعبيد ، رغم أن عددا لا يستهان به منهم قد ماتوا في الطريق قبل أن يبلغوا الوطن الجديد .

وفي أثناء قرون شيوع تجارة الرقيق الأوربية تحللت دول أفريقيا نتيجة أسر حكامها السياسيين وقادتها الدينيين وتشتت شعوبها . وقد تحطمت دول بأسرها ، مثل دولة الكونغو بواسطة البرتغاليين في عام ١٦٦٥ . وقد غدت طرق التجارة غير آمنة ، و أدت تكلفة النقل بالنسبة للمراكز البعيدة والمنعزلة بصرف النظر عن ملاءمتها للزراعة أو الاستقرار . وما تزال نظرة الشك والحذر من الأوربيين واضحة لدى الأفارقة حتى وقتنا الحاضر .

لقد أفقرت أراضي شاسعة من سكانها أو كادت ، مثل النطاق الأوسط من غرب أفريقيا ومعظم غرب وسط أفريقيا ، رغم أن الظروف الطبيعية قد أبقت على بعض مساحات قليلة السكان . وقد كان ينشأ عن تناقص عدد السكان انتشار ذبابة تسي تسي ، لأنه لم يبق سوى عدد قليل من السكان القادرين جسمانيا على إزالة النباتات التي تؤوي هذه الذبابة .

ومن الوجهة الزراعية ، ربحت أفريقيا شيئا من تجارة الرقيق . فلم يجد البرتغاليون سوى قليل من المحاصيل الوطنية التي يمكن حفظها لتغذية الرقيق أثناء رحلتهم الطويلة إلى الأمريكتين ؛ هذا فقد أدخلوا إلى أفريقيا الكسافا Cassava (مانيوك Manioc) ، والبطاطا والبقول السوداني ، والذرة ، وأنواعا من البقول والفلفل من الأمريكتين ؛ كما أدخل العرب ، وكذلك الحجاج الأفارقة العائدون ، اليام (نبات من نوع البطاطا) الآسيوي ، والموز ، والبسلة وقصب السكر . وكثير من هذه المحاصيل قد أصبح ذا أهمية أساسية

لأفريقيا ، من ذلك الكسافا الواسعة الانتشار كمحصول غذائي ، والفول السوداني الذي يعتبر محصولاً مهماً كغذاء وللتصدير بالنسبة للمناطق الجافة الأفريقية .

أصداء تجارة الرقيق في أوروبا

في عام ١٧٧٢ صدر حكم القضاء بأن الرق محرم في المملكة المتحدة ، وتنفيذاً له صار العبيد السابقون معدمين وبلا مأوى . وبعد ذلك بقليل جاءت المشكلة الكبرى الخاصة بتوطين العبيد الذين حاربوا مع بريطانيا في حرب الاستقلال الأمريكية ، والذين تركوا في حالة بؤس في بريطانيا أو نيفاسكوشيا . وفي عام ١٧٨٧ اختيرت شبه جزيرة سيراليون لاستيطان أول مجموعة جاءت من إنجلترا ؛ تلتها مجموعة ثانية جاءت من نيفاسكوشيا في عام ١٧٩٢ حين أطلق على هذا المستقر الجدد اسم المدينة الحرة Freetown . وقد ورد إلى المدينة فيما بعد مجموعة ثالثة من جمايكا .

وفي عام ١٨٠٧ ألغت بريطانيا تجارة الرقيق ، وأمرت أسطولها بالبحث عن سفن الرقيق وأسرها . وأنشأت قواعد في فري تاون وباتورست Bathurst (غمبيا) وعلى جزيرة فرناندويو Fernando Po التي استأجرتها من الأسبان . وقد وصل إلى هذه القواعد (خاصة فري تاون) مئات كثيرة من العبيد من السفن المأسورة .

وفي عام ١٨٢٢ أنشأت جمعية الاستيطان الأمريكية مراكز لاستقبال واستقرار العبيد الأمريكيين السابقين على امتداد الساحل إلى الجنوب الشرقي من سيراليون . وفي عام ١٨٤٧ أعلنت تلك المستوطنات استقلالها باسم ليبيريا ، واختارت شعاراً وطنياً لها « حب الحرية أحضرنا هنا The Love of Liberty Brought Us Here » . وكان الأسطول الفرنسي هو الآخر نشيطاً عند سواحل جابون وخارجها ، وكان يأتي بالعبيد المحررين من السفن المأسورة للاستقرار في ليرفيل Libre ville .

وقد نما مجتمع خليط (خلاسي Creole) في كل من مراكز

الاستقرار هذه ، وفي غيرها من المراكز التي استقر فيها عبيد محررون مثل سان لويس St. Louis (سنجال) ، أويدا Ouidah (داهومي) ولاجوس ، أو على الجزر مثل فرناندو بو ، ساونوم Sao Tome ، بريسب Principe ، كوموروس Comoros ، رونيون Réunion ، موريتيوس Mauritius وسيشيل Seychelles ، حيث حرروا فيما بعد من العمل في المزارع . وتعبيره خلاسي Creole له معاني متباينة في أجزاء مختلفة من أفريقيا وباقي العالم فهو يستخدم في غرب أفريقيا لوصف جماعة أو فرد من نسل رقيق سابقين من أصول متباينة . وقد يدخل في تكوين هذه الجماعة أو الفرد مزيج أوروبي أو آسيوي كما يتميز بكثير من مظاهر الحضارة الأوربية ، ويشيع هذا المعنى للتعبير المشار إليه خارج أفريقيا أيضا . ويطلق اللفظ أيضا على لهجات انجليزية تتكلمها تلك الجماعات أو غيرهم ونظرا لأن هذه الجماعات قد أخذت بأسباب الحضارة الأوربية ، فإنهم كانوا مبرزين في مختلف الحرف ، وإن كان ذلك قد أحدث انقساما وفرقة بينهم وبين الأفريقيين الخالصاء ، كما في سيراليون وليبيريا وجابون ، وهو شرح يجري رآبه حاليا .

كشف أفريقيا

لقد أحدث إلغاء تجارة الرقيق والرق فجوة اقتصادية إلى أن تطورت ونمت التجارة المشروعة . ففي غرب ووسط غرب أفريقيا حلت تجارة زيت النخيل والعاج والمطاط الطبيعي محل تجارة الرقيق . وفي جنوب ووسط وشرق أفريقيا لم يظهر شيء جديد يمكن إنقاؤه فيما عدا الاستقرار الأوروبي . فقد أمكن الحصول على عمالة بعقود من الهند والصير للعمل في المزارع ، وبالتالي بدأ تغير التركيب السكاني ، كما تعدلت ملكية الأرض والنظم المحصولية .

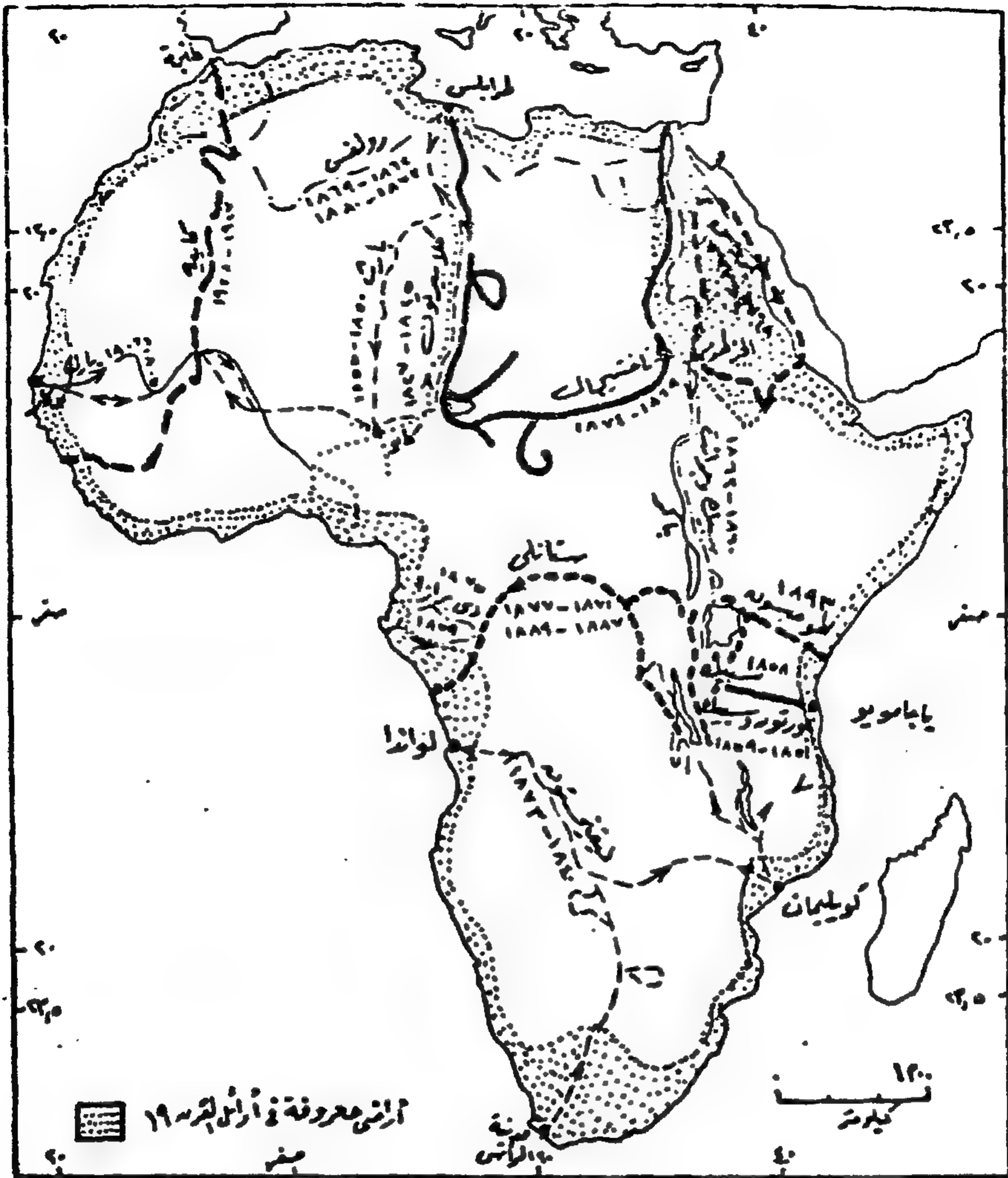
وقد شجع الأوربيين على زيادة الاهتمام بأفريقيا أمور عدة أهمها ، الحركة لإلغاء الرق وتجارة الرقيق ، وقيام الحكومات الديمقراطية وازدياد التعليم في غرب أوربا ، ونمو السفن التجارية ، خاصة أن أفريقيا هي أقل القارات المأهولة بالسكان حظوة بالمعرفة رغم أنها أقربها إلى أكثر القارات نموا وتقدما .

وكانت الاكتشافات الأوربية كثيرة فيما بين عامي ١٧٨٨ و ١٨٩٠ ، لكنها

تعددت على الخصوص فيما بين ١٨٥٠ و ١٨٧٧ . فقد وجّه بعض الرحالة اهتمامهم لاكتشاف مجاري الأنهار ، من بينهم مونجو بارك Mungo Park الذي قام برحلات فيما بين ١٧٩٥ - ١٧٩٧ وبين ١٨٠٥ - ١٨٠٦ على امتداد مجرى النيجر . بينما شغلت منابع النيل اهتمام بورتون Burton ١٨٥٤ - ١٨٥٥ ، وبورتون وسبيك Speke ١٨٥٧ - ١٨٥٩ ، وسبيك وجرانت Grant ١٨٦٠ - ١٨٦٣ ، وبيكر Baker ١٨٦٢ ، بينما اهتم ستانلي Stanley بنهر الكونغو ، فقام برحلاته الاكتشافية على امتداد مجراه فيما بين ١٨٧٤ و ١٨٧٧ . وقد عبر مكتشفون آخرون الصحراء الكبرى مثل اسكندر لينج Alexander Laing ١٨٢٣ - ١٨٢٦ ، وريني كايه René Caillé ١٨٢٧ - ١٨٢٩ ، وهانريش بارث Heinrich Barth ١٨٥٠ - ١٨٥٦ ، ووصلوا جميعا إلى نهر النيجر ، ومدينة تمبوكتو وغيرها من المدن التي اشتهرت في تجارة عبور الصحراء ، وقد كان ديفيد ليفنجستون David Livingstone أشهر الرحالة في بريطانيا فقد قام برحلات متعددة طويلة الأمد في أنحاء القارة فيما بين ١٨٤١ - ١٨٥٦ ، ثم فيما بين ١٨٥٨ - ١٨٦٤ وأخيرا فيما بين ١٨٦٦ - ١٨٧٣ ، وعمل على إيقاف تجارة الرقيق والرق ، ورغب في رسم الخرائط لنهر الزمبيزي وأعالي النيل ، وبذل جهده لكي يلفت نظر البريطانيين للحالة التعمسة التي كانت تحياها الشعوب الأفريقية حينذاك .

الاستعمار الأوربي

كانت الأسباب التي أدت إلى الاحتلال الأوربي لأفريقيا متباينة ومعقدة . فكثير من المراكز الأوربية في أفريقيا ترجع في نشأتها لأسباب تختص بالتجارة وخطوط الملاحة البحرية إلى آسيا ، أو لاستخدامها كقواعد لتجارة الرقيق ، أو كمواطن استقرار للعبيد المحرّرين ، ثم مراكز الهولنديين الأقدم من ذلك في مستعمرة الرأس Cape Colony ، ومستعمرات الفرنسيين في الجزائر خلال القرن التاسع عشر . كما وُشئت مراكز جديدة ، قليلة العدد نوعا ، لتجارة زيت النخيل مثل مستعمرة كالابار Calabar : وفي بعض الحالات حدث الاحتلال الأوربي لحماية العبيد المحرّرين مثل مستعمرة سيراليون ، أو لكي



شكل (١) : كشف أفريقيا

يضع نهاية لتجارة الرقيق ! مثل مستعمرة لاجوس ومستعمرات عديدة في شرق أفريقيا .

وفي جهات أخرى كان الاستعمار من أجل إثبات المكانة ، وهذا واضح بالنسبة لفرنسا التي أرادت استرداد هيبتها التي فقدتها في الحرب الفرنسية البروسية ١٨٧٠ - ١٨٧١ . وفي أماكن أخرى كان الاستعمار البريطاني لأجزاء

لمنع وعرقلة التوسعات الاستعمارية الأخرى (محمية سيراليون ، وساحل الذهب ، والتخوم الشمالية Northern Territories ، وشمال نيجيريا) .

ولقد كان للأسباب الاقتصادية أهميتها في أفريقيا الوسطى البريطانية ، فبحث الاستعمار عن المعادن وإمكانيات الاستيطان الأوروبي . وقد كانت الاعتبارات الاستراتيجية ذات أهمية رئيسية في استعمار كل أراضي شمال أفريقيا ، وفي منطقة داكار ، ومدينة الرأس ودييجو سوريز Diego Suaurez وجيبوتي . وغالبا ما كانت تجتمع عدّة من الأسباب السالفة للاستعمار ، بينما أدت التجارة في حالات أخرى إلى التدخل ثم السيطرة السياسية ، وذلك عن طريق إقحام المنافسة والحزازات القبلية كما حدث في ساحل الذهب .

وفي مؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) اتفق على إعلان الاحتلال وتحديد المستعمرات ، وبذلك انتهى عهد « تحاطف أفريقيا » واكتملت الخريطة السياسية الاستعمارية للقارة ؛ ففي خلال الخمس سنوات اللاحقة كانت كل القارة تقريبا ترزح تحت نير الاستعمار الأوروبي . وأصبح العهد الطويل الذي كانت فيه المراكز الأفريقية مجرد قلاع وحصون لتأمين سلامة التجارة مع آسيا والأمريكتين جزء من التاريخ . وحين ثبتت أقدام الاستعمار في القارة استخدم الأنهار للنقل ، وأدخل السكك الحديدية ، وشق الطرق لخدمة مصالحه .

وبذلك دخل التأثير الأوربي والمسيحي لأفريقيا الإسلامية العربية . وجاءت التخوم الاستعمارية لتغطي مجموعات متناقضة من الوحدات السياسية المحلية التي سادتها سياسات متباينة ومتضاربة .

ولقد حدث قتال في أفريقيا خلال الحربين العالميتين . وكان من أهم نتائج الحرب الأولى أن أصبحت المستعمرات الألمانية السابقة تحت الانتداب ، تشرف عليها إدارة دولية . وقد اتسعت صفة الإدارة الدولية بنظام الوصاية عقب الحرب العالمية الثانية . ولقد كان للحرب الأخيرة آثار عميقة على أفريقيا . فكثير من الأفريقيين حاربوا في آسيا وفي أوروبا ، وعادوا بأفكار عن الرضوية وضد التفرقة العنصرية . وقد عزز هذه الأفكار « ميثاق الأطلسي » وتأسيس « الأمم

المتحدة » ومع ازدياد التعليم ، ازداد الشعور الوطني ، ومع ارتفاع أثمان المواد الخام أصبح الاستقلال الاقتصادي أيضا في الإمكان .

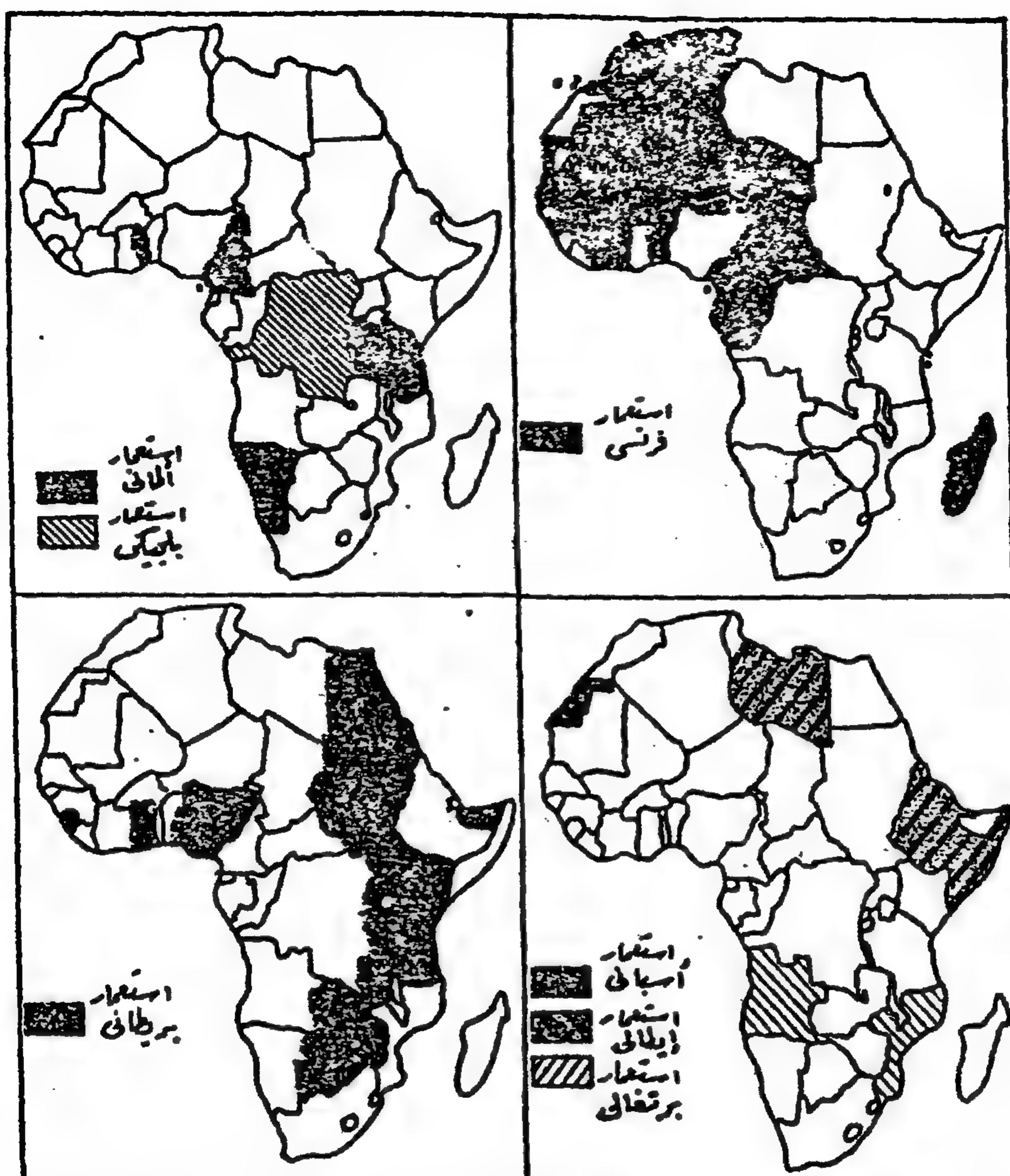
وحتى عام ١٩٥٥ كانت أفريقيا في معظمها مستعمرة . وبنهاية الستينات ، أصبحت أفريقيا في معظمها حرة مستقلة ، أي بعد عقد ونصف من استقلال دول جنوبي وجنوبي شرقي آسيا الأعرق منها والأكثر تقدما من الوجهتين السياسية والاقتصادية .

وعلى عكس الدول الآسيوية ، وأقطار الأمريكتين ، فقد حصلت معظم دول أفريقيا على استقلالها دون إراقة دماء كثيرة ، باستثناء الكونغو التي سادتها الحرب الأهلية فترة من أجل حماية وحدتها ، وذلك في الفترة التي تلت استقلالها

الاستيطان الأوربي في أفريقيا

كانت المستوطنة الهولندية في مدينة الرأس Cape Town التي أنشئت في عام ١٦٥٢ أولى الممتلكات الأوربية في أفريقيا بغرض الاستيطان الأوربي منذ العهد الروماني . ومن أواخر القرن الثامن عشر كان الهولنديون قد أدركوا نهر الأورانج في الشمال الغربي ، ووصلوا إلى نهر جريت فيش Great Fish في الشرق ، ونالوا إقليم الكارو الكبير Great Karoo وما وراءه في الوسط . وتقدم الهوجنوت Huguenots وتوغلوا في الأراضي المضروسة الجافة ، وتزايد النزاع والصدام بينهم وبين قبائل البانتو Bantu التي كانت تتحرك جنوبا .

وقد استولى البريطانيون على مستعمرة الكاب في عام ١٨٠٦ . واضطر الأفارقة الهولنديون للرحيل بعيدا عن الإنجليز الذين يختلفون عنهم في الأفكار السياسية والاجتماعية والمعتقدات الدينية . وضم الإنجليز أجزاء كثيرة من أراضيهم في عام ١٨٣٦ ثم استولوا على ناتال في عام ١٨٤٤ . وتأسست الترنسفال Transvaal ودولة أورانج الحرة Orange Free State ومعظم سكانها من الأفريقيين ، فيما بين أراضي البانتو من جهة والمستوطنين الإنجليز من جهة أخرى



شكل (٢) : الممتلكات الاستعمارية في أفريقيا

وفي الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ازداد الاستيطان الأوروبي في الجزائر ، وفي فترة التحول إلى القرن العشرين وبعدها كثر في روديسيا الجنوبية وتنجانيقا ، وفي القرن العشرين نما في أنجولا وموزمبيق وكينيا ومراكش وليبيا . وفي كل هذه الأقطار نشأت المشكلات لأن الأوروبيين كانوا يستحوذون على أصح الأراضي وأكثرها خصوبة وإنتاجا . بينما كان الفلاحون الأفريقيون يتكدسون في

الأراضي المجذبة الغير صحية ، أو التي صارت إلى تلك الحال بسبب التجمع والاحتفاظ العمراني كما في كثير من ملاجئ جنوب أفريقيا . والأمطار عادة تكون متذبذبة في تلك الأراضي والملاجئ الصعبة الفلح ، ولهذا كان لا بد من أن تتخلف اقتصاديا واجتماعيا . وقد أدى الاستيطان الأوربي إلى مشكلات دستورية عويصة عند استقلال كل من كينيا والجزائر . وفي كثير من الأقطار الأفريقية تبقى المشكلات الجنسية دون حل .

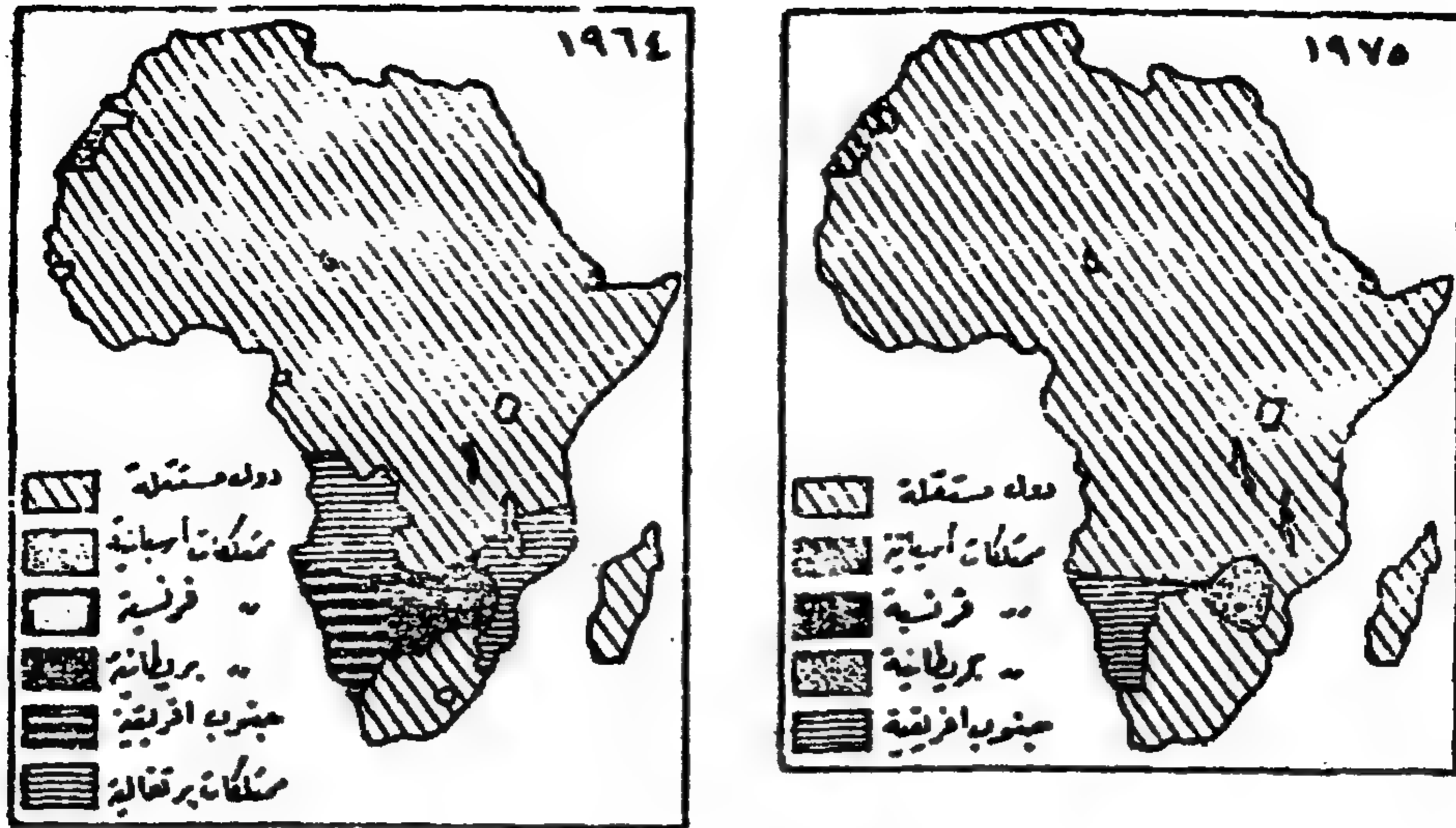
أفريقيا المعاصرة

استفادت أفريقيا من عديد من الاختراعات في خلال القرن الماضي وهذا القرن العشرين . فقد تم تزويدها بخطوط حديدية ، وطرق برية وجوية . كما وأن الاتصالات التليفونية والبرقية قد سهلت الإدارة عبر مسافات كبيرة وأراضي وعرة . وقد أمكن بناء العمارات العالية والمباني الشاهقة باستخدام الحديد والاسمنت في قارة تفتقر إلى مواد البناء . وباستخدام الكهرباء والطاقة الذرية أصبح التصنيع ممكنا في أفريقيا الفقيرة في الفحم ، والتي لا تتميز بالغنى الكبير في البترول . وتحوي أفريقيا أعظم احتياطي في العالم من القوى الكهربائية المائية ، ويقال إن ما بنهر الكونغو الأدنى من إمكانات قوى كهرومائية يفوق كل ما استغل منها في الولايات المتحدة الأمريكية . وقد آمن طب المناطق الحارة وتجميد الطعام حياة من يملك المعرفة والمال ، ويمكن للكهرباء الرخيصة أن تساعد في نشر تكييف الهواء على نطاق واسع ، ومن ثم تساهم في ازدياد قدرة الإنسان على النشاط والعمل .

وكما سبق أن أشرنا فإنه على الرغم من أن أفريقيا هي ، على ما يبدو ، الوطن الأصلي للإنسان ، وأنها أقرب القارات إلى أكثرها وأعرقها تقدما ونموا وهما قارتي آسيا وأوروبا ، فإنها بقيت أكثر القارات المعمورة تخلفا ، وذلك بسبب انعزالها التاريخي والصعوبات الطبيعية الجسيمة . وتستفيد أفريقيا الآن من قربها بأوروبا في تصدير حاصلاتها المدارية وإنتاجها المعدني ، وتتضح هذه الميزة حاليا بالنسبة لشمال أفريقيا الذي يصدر الغاز الطبيعي إليها . والسؤال الآن هل



شكل (٣) : تغير خريطة أفريقيا



شكل (٤) : تغير خريطة أفريقيا

يمكن لأفريقيا أن تصل إلى مستوى النمو الزراعي الكثيف كما في أراضي آسيا الموسمية ، وأن تتوسع وتنمو بنفس القدر صناعيا ؟ لقد نشأت دول عديدة مستقلة متجاورة تقابل تحديات سياسية صعبة ، وتواجه تحديات اقتصادية واجتماعية أصعب .

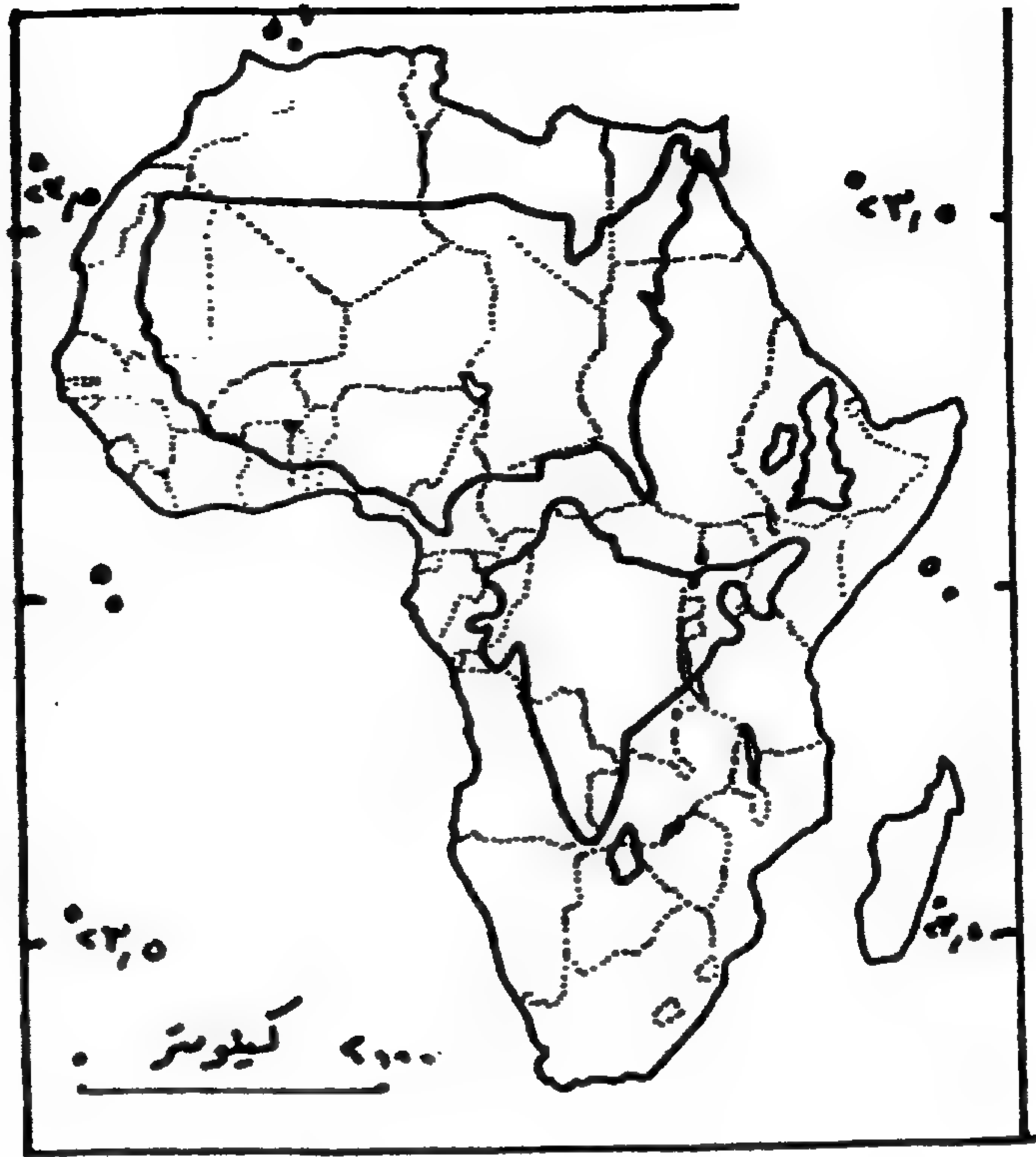
الفصل الثاني

البناء الجيولوجي ومظاهر السطح

أفريقيا هي ثانية قارات العالم بعد آسيا في المساحة (مساحة آسيا ١٧ مليون ميل مربع أو ٤٤ مليون كيلو متر مربع) فمساحتها تبلغ ١١.٧ مليون ميل مربع أو ٣٠.٣ مليون كيلو متر مربع ، أي نحو ٢٠٪ من مساحة الكرة الأرضية ، ونحو ثلاثة أمثال مساحة أوروبا (٤ مليون ميل مربع أو ١٠ مليون كيلو متر مربع) ، وأكبر من مساحة أمريكا الشمالية (٨ مليون ميل مربع أو ٢٠ مليون كيلو متر مربع) . وتتميز القارة بالاندماج وتخلو من أشباه الجزر والخلجان الكبيرة . وهي تمتد نحو ٨٠٠٠ كيلومتر (٥٠٠٠ ميل) ، من الشمال إلى الجنوب ، ونفس المسافة من الشرق إلى الغرب . وينعكس كبر مساحة القارة على عظم مساحة وحداتها السياسية التي تعتبر من أكبر الدول مساحة في العالم . مثال ذلك السودان الذي تبلغ مساحته نحو مليون ميل^٢ أي أربعة أمثال ونصف مساحة فرنسا ، أو أكثر من عشرة أمثال المملكة المتحدة . ويمثل السودان في المساحة كل من الجزائر وزائير . وتبلغ مساحة ذلك الجزء من القارة الذي يقع إلى الجنوب من مدار الجدي ، والذي يبدو صغيرا على خريطة أفريقيا نحو ١,٨١٣,٠٠٠ كيلو متر^٢ (٧٠٠,٠٠٠ ميل^٢) ، ويشمل أراضي جمهورية جنوب أفريقيا .

والمساحة الواقعة إلى الشمال من مدار السرطان أكبر من ذلك بكثير ، نظرا لأنها تتسع كثيرا في اتجاه شرقي عربي ، وتتميز القارة بتوازن دوائر عرضها

شكل (٦)
مساحة أفريقيا
(قارن مساحة كل
من الولايات المتحدة
الأمريكية ، والهند ،
والمملكة المتحدة) .



على كلا جانبي دائرة الاستواء ، فهي تمتد شمالا إلى دائرة عرض ٣٧° ، وجنوبا إلى دائرة عرض ٣٥° ، لهذا فإن قسما كبيرا منها يقع فيما بين المدارين . وهي تتميز أيضا باتساع مساحة الصحراء الحارة في نصف الكرة الشمالي ، التي تنشر الظروف المدارية فوق مساحة شاسعة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر ، ولهذا فإن أحوال الجو المعتدلة تنحصر في أقاصي القارة الشمالية والجنوبية .

وينحصر وجود سلاسل الجبال الكبيرة في الشمال وفي الجنوب ، وتسود معظم القارة سطوح منبسطة نسبيا ، كل ذلك ، بالإضافة إلى موقعها المداري ، يؤدي إلى شيوع توزيع أنماط مناخية ونباتية بسيطة ، تبدأ بالنظام الاستوائي إلى المداري المطر فالمداري الجاف (الصحراوي) ثم إلى النمط شبه المداري أو المعتدل . ونظراً لاتساع التباين في ظروف المناخ والنبات ، فإننا سنجد الاستجابات البشرية ، كما يمكن أن نتوقع ، بالتالي متباينة ومتنوعة وفيما يلي عرض لمميزات البيئة الطبيعية في أفريقيا التي كان على الإنسان الأفريقي التعامل معها ، وشرح للطرق التي أمكنه بواسطتها إحداث تعديلات في تلك البيئة

التاريخ والبناء الجيولوجي

يعتبر البناء الجيولوجي لأفريقيا بسيطا نسبيا ، من عدة اعتبارات ، بالمقارنة بغيره من القارات الأخرى . فقد بقي معظم القارة كتلة راسخة صلبة منذ عصور ما قبل الكامبري ، وهذا فإن الصخور الحديثة التي أصابها الالتواء الشديد لا توجد إلا في هوامشها الشمالية والجنوبية . وبناء « مركب الركيزة Basement Complex » . وهو التعبير الذي يطلق غالبا على صخور الكتلة الصلبة الأركية ، معقّد إلى حد كبير . ولا يعني دراسة تفاصيل التراكيب الصخرية القديمة هذه إلا بمقدار ما تفيد في تفهم وتفسير ظواهر السطح ، أو وجود الرواسب المعدنية ذات القيمة الاقتصادية . والصخور هي من نوع الصخور النارية والمتحولة ، وتمكن مشاهدتها ظاهرة في أماكن مبعثرة فوق معظم سطح القارة .

وهناك مجموعة أخرى من صخور ما قبل الكامبري ، أحدث عهدا من الصخور الأركية ، تتركب أساسا من رواسب لم تتأثر كثيرا بالحرارة والضغط اللذين تعرضت لهما الصخور في فترات الحركات الأرضية العنيفة . وتقع هذه الصخور فوق هامة المركب الأركي ، وهي ذات أهمية اقتصادية كبيرة لأنها تحوي بعضا من أغنى الرواسب المعدنية في أفريقيا ، من بينها الذهب في جنوب أفريقيا ، والنحاس في روديسيا الشمالية وفي زائير

وفي بعض أجزاء القارة يصعب تمييز الصخور التابعة لما قبل الكامبري الأعلى من صخور الزمن الأول الأسفل التي تليها ، خصوصا في الجنوب وتبدو مكاشف الصخور الكامبرية بكثرة في الصحراء الكبرى والأراضي المحيطة بها ، وهي رغم قدمها لم تتأثر كثيرا بعمليات الالتواء . وقد أمكن التعرف في القسم الشمالي من القارة على تعاقب عادي من الصخور التابعة للعصر الكامبري حتى العصر الفحمي ، أما في الجنوب ، فالوضع مختلف . فعلى امتداد الهامش الجنوبي لأفريقيا توجد سلاسل الكاب الإلتوائية Cape Fold Ranges ، وهي سلسلة من الجبال الإلتوائية المثالية ، تتركب من حجر رملي وكوارتزيت



شكل (٧) : جيولوجية أفريقيا

بحري ، تنتمي جميعا للعصرين السيلوري والديفوني . وهذه هي الجبال الإلتوائية الوحيدة التي تتركب من صخور تنتمي للزمن الأول في كل القارة ، وتبدو أكثر صلة وارتباطا بالتواءات مماثلة في البرازيل وأستراليا عنها بأي جزء آخر في أفريقيا . وامتداد الالتواءات مواز لحافة الكتلة إلى الشمال منها ، مما يدل على انها قد دومت وتشتت قبالة الكتلة ، رغم أن السب في التجعد غير معروف حاليا

ويتمثل العصر الفحمي في جنوب أفريقيا في مساحات شاسعة من صخور منتظمة لم يعثر بها الاضطراب ، وتتكون في معظمها من صخور رملية ، مثالية للرواسب القارية ، تكونت على سطح القارة وليس في البحر وتغطي هذه الصخور أكثر من نصف جنوب أفريقيا ، وتنتشر شمالا حتى حوض الكونغو وهي تمثل الطبقات السفلى من سلسلة الكارو Karoo ، التي تتضمن صخورا من العصرين البرمي والترياسي ، وتدل على أن الظروف القارية سادت جزءا عظيما من القارة أثناء معظم هذين العصرين . وتحوي هذه الصخور رواسب الفحم الرئيسية الوحيدة في القارة التي توجد في جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية ، ويدل هذا على شيوع المستنقعات في فترات من العصرين .

والعصر الترياسي في الصحراء الكبرى بحيري الرواسب في معظمه ، ويشتمل على رواسب من الملح والجبس ، وهي مثالية للتصريف المائي الداخلي تحت ظروف مناخية جافة . ولا توجد رواسب بحرية حقيقية فيما بعد العصر الديفوني وحتى العصر الجوراسي ، حينما نجد رواسب بحرية مرة أخرى . وهذه ينحصر وجودها في الهوامش الشمالية للقارة ، وفي الساحل الشرقي من الصومال إلى تنجانيقا ، وإلى مدغشقر . وينعدم وجود هذه الرواسب الآن فوق سطح الكتلة الأفريقية ، فكلها تتواجد على هوامشها . وظاهرة التوزيع الهامشي للطبقات البحرية تؤكد أيضا في العصر الكريتاسي وفي عصور الزمن الثالث ، إذ تتواجد أشرطة ضيقة من تلك الصخور حول هوامش القارة ، وإن كانت تنمو وتعتظم في الشرق وفي الشمال حيث تتكون منها مرتفعات أطلس الالتوائية . وأحيانا تظهر ممتدة على طول الأودية الرئيسية ، وأبرز مثال لذلك منخفض النيجر - بنوي Niger-Benue في غرب أفريقيا .

وفي الداخل نجد جميع الرواسب ابتداء من العصر الكريتاسي قارية الأصل ، تراكمت هناك إما في بحيرات داخلية ضحلة أو تتركب من رمال هوائية النشأة . ومثال للرواسب الهوائية رمال كلهاري في الجنوب ، التي ثبت معظمها بالنباتات ، ورمال الصحراء الكبرى المتحركة في كثير من البقاع .

من هذا نرى أن أفريقيا أساسا كتلة صلبة تتكون من صخور قديمة ،

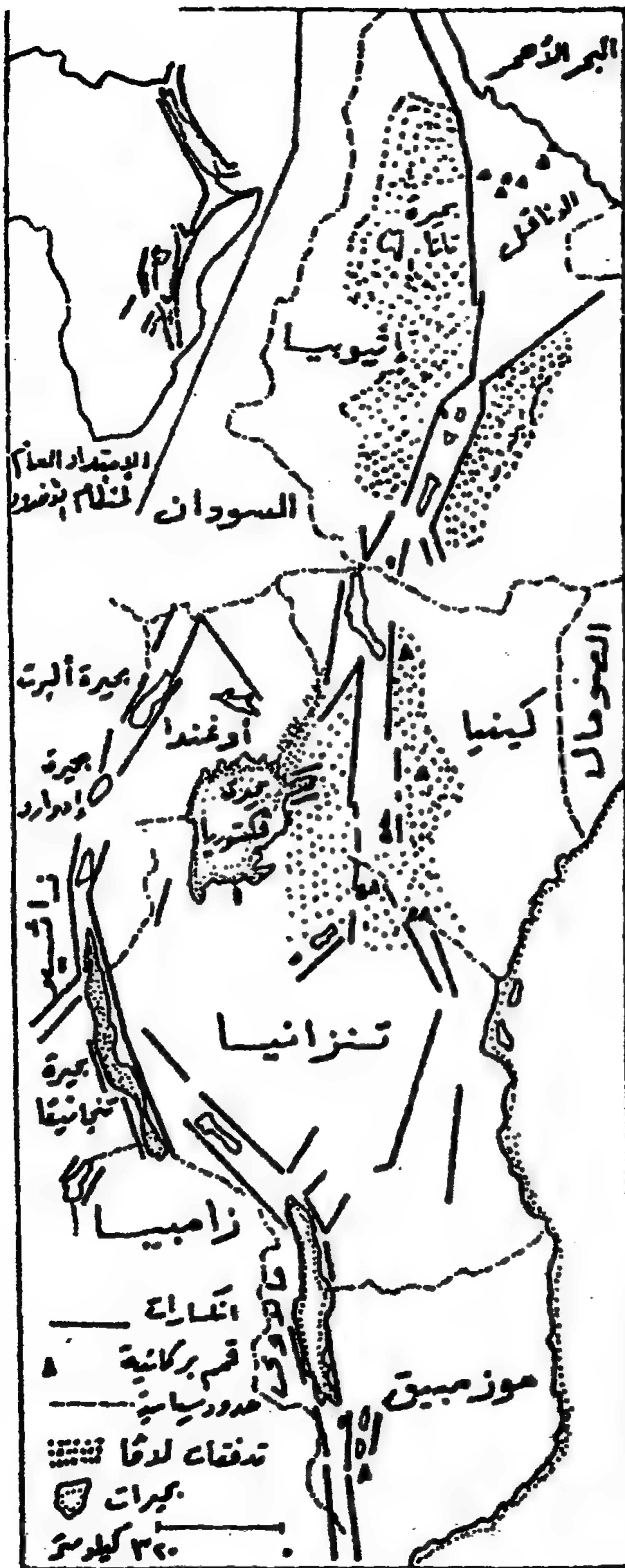
تظهر فوق سطح جزء عظيم من القارة. وكثير من سطح انكتلة مغطى بغطاء رقيق من الصخور الأحدث ، عادة ما يكون رقيقا جدا ، ويتباين في العمر ابتداء من أواخر عصر ما قبل الكامبري حتى العصر الحديث وقد تكونت الغالبية العظمى من الرواسب تحت ظروف قارية ، مما يدل على أن أفريقيا قد احتفظت بطبيعتها القارية على امتداد معظم الزمن الجيولوجي . وحول هوامش انقارة توجد الرواسب البحرية الأحدث من العصر اندينوني ، ولا يوجد من بينها ما هو أقدم من الجوراسي .

وتبدو هذه الصورة الجيولوجية لأفريقيا مبسطة إلى حد كبير ، وما زال هناك الكثير في جيولوجية أفريقيا يتطلب الدراسة والاكتشاف ، وتبقى نقطة تنبغي الإشارة إليها . فعلى الرغم من أن الحركات الالتوائية كانت قليلة ، إلا أن الحركات الرأسية قد أصابت الكتلة ، وأدت إلى تقوسها ، وهذا التقوس أدى بدوره إلى تكوين بعض من الأحواض الرئيسية في أفريقيا ، كما أدى في أجزاء أخرى منها إلى انكسارات أو عيوب ؛ وتتمثل الأخيرة في سلسلة من الأودية الأخدودية الضخمة ، التي تمتد من قرب مصب الزمبيزي صوب الشمال خلال شرق أفريقيا ، وتستمر في البحر الأحمر شمالا حتى وادي الأردن .

الأخدود الأفريقي العظيم :

يدل عظم امتداد هذا الأخدود على ضخامة العملية التكتونية التي أنشأته وعنقوانها . فالمسافة بين بيرا Beira ، قرب نهاية الأخدود الجنوبية ، والنهية الشمالية للبحر الأحمر تصل إلى نحو ٥٦٠٠ كيلومتر (٣٥٠٠ ميل) ، ناهيك عن باقي امتداد الأخدود في الأردن ولبنان حتى شمالي سوريا عند مشارف مرتفعات طوروس .

وقد نشر جريجوري J.W. Gregory دراسته عن الأخدود في عام ١٩٢١ ، ولاحظ أن الأودية الأخدودية التابعة للنظام تقطع بعضا من أعلى أجزاء الكتلة الأفريقية التي كانت قد تقوست إلى أعلى في نفس الوقت الذي فيه تقوست أحواض معينة إلى أسفل . واعتقد أن هذا التقوس المحدب قد

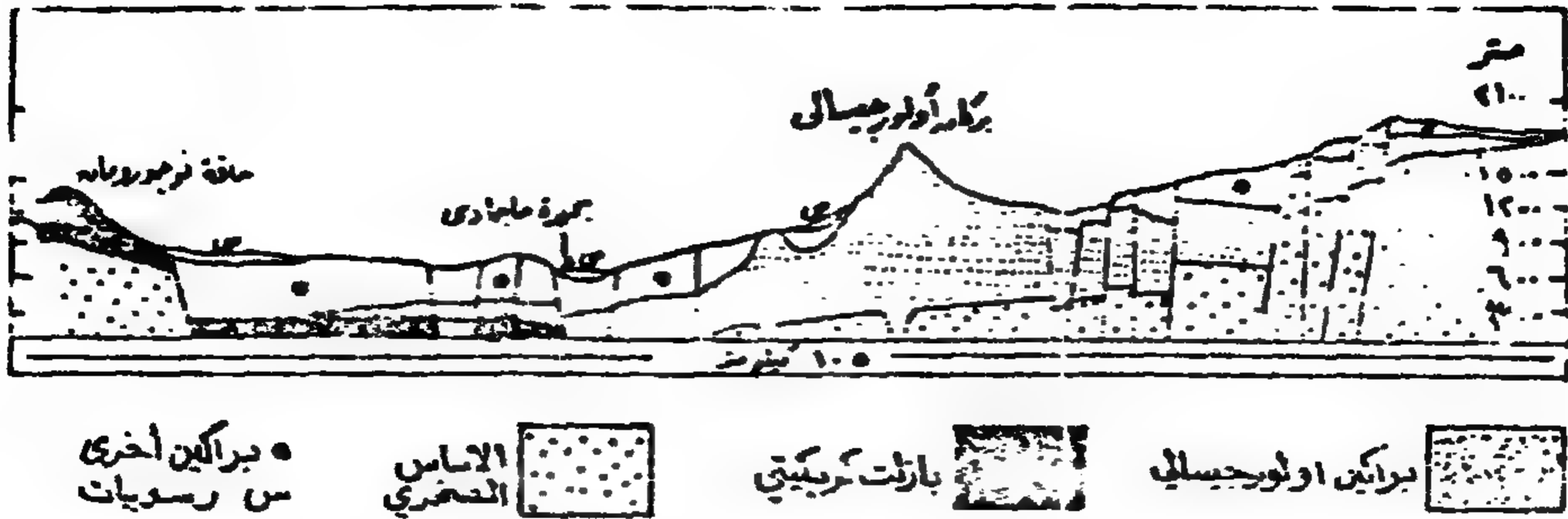


شكل (٨)
الأخدود الأفريقي العظيم

حدث نتيجة لضغط جانبي ، ورجح حدوثه أثناء العصر الكريتاسي ، ورأى أنه المسئول أيضا عن تكوين مضيق موزمبيق Mosambique Channel ، وبالتالي عن تكوين رواسب الكريتاسي البحرية في سواحل مدغشقر وموزمبيق . وتلى ذلك كما رجح جريجوري ، هبوط أرض المحيط الهندي ، ومن ثم خف الضغط الجانبي الذي كانت تعاني منه أفريقيا . وقد أدى هذا ، في رأيه ، إلى تهديم الأجزاء المركزية من المناطق ذات التقوس المحدب في شرق أفريقيا مكونة للأودية الأخدودية .

وقد استمر نشاط الانكسارات حتى أواخر الكريتاسي وأوائل الزمن الأول ، وترتب عليه نشاط بركاني على طول نطاق الأخدود من البحر الأحمر حتى ملاوي (نياسالاند) ، أدى إلى إخراج تدفقات اللاوا الفسيحة التي عُرف بها الزمن الثالث في تلك المناطق . وهي تعاصر غطاءات اللاوا المماثلة في جهات أخرى من العالم كهضبة الدكن في الهند . وهذه وتلك انبثقت في الوقت الذي فيه كانت الطبقات الصخرية تلتوي مكونة لمرتفعات الالب في أوربا ، والهيماالايا في آسيا ، ونطاق الالتواءات الحديثة في أفريقيا المعروف بـ جبال أطلس . ولهذا يبدو معقولا أن لا نبحث عن الأسباب المسؤولة عن تكوين الأودية الأخدودية فحسب ، وإنما أيضا عن مختلف الظواهر الضخمة من نفس العمر .

وجوهر نظرية جريجوري أن الأخدود قد نشأ نتيجة شد في القشرة الأرضية الأفريقية ، تسبب في تكسر الصخور وهبوطها فتكون الأخدود . وقد وجدت هذه النظرية اعتراضات من أكثر من باحث ، من بينهم هولمز Holmes الذي عرض آراء أكثر من غيرها وضوحا . فهو يرى أن الأخدود تكون نتيجة لضغط القشرة الصخرية التي نشأت عنها انكسارات زاحفة Thrust Faults . وتبعا للنظرية ، فإن الكتلة العليا تزحف وتركب فوق الكتلة السفلى ، ومن ثم تضغطها في الأرض . ويؤدي هذا إلى إنشاء انكسار زاحف آخر مواز للأول ، ولكنه يزحف تجاهه . ومن ثم فإننا سنجد كتلتين زاحفتين علويتين تواجهان بعضهما عبر أرض واد تكون بواسطة كتلة واحدة هي التي تحمل ثقل الكتلتين



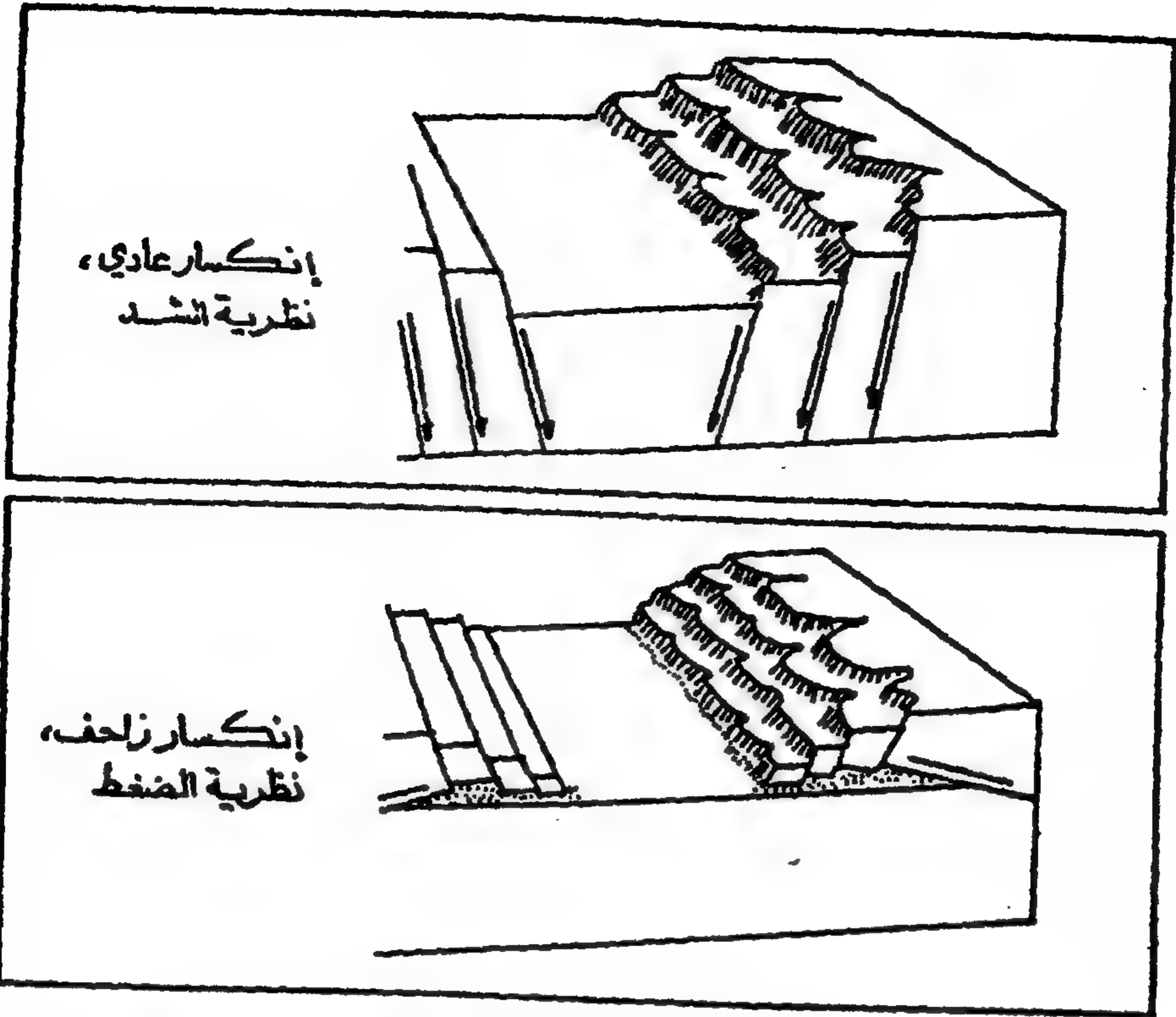
شكل (٩) : قطاع عرضي للأخدود الأفريقي العظيم على امتداد دائرة العرض ١٤° جنوباً

الزاحفتين العلويتين ، وهذه الكتلة تهبط تدريجياً حتى تستعيد الأرض تعادلها التوازي مرة أخرى .

والنظريتان رغم أنها على النقيض من بعضهما ، إلا أن مفاهيمهما تبدو بسيطة . وقد دلت الأبحاث التي أجريت والخرائط الجيولوجية التي رسمت لأفريقيا ابتداء من عام ١٩٤٥ أن آيا من النظريتين لا تفي بتفسير الظاهرة . فبينما كان الاعتقاد السائد أن الأخدود قد نشأ في نهاية العصر الكريتاسي ، تبين أنه أقدم من ذلك بكثير ، ذلك أن الأخدود يتبع خط عيوب وانكسارات نشأت في عصور ما قبل الكامبري ؛ وأن عمليات التكسر التي حدثت في الكريتاسي والزمن الثالث ما هي إلا مرحلة من مراحل نمو وتطور هذا الأخدود . وبحسب ما يري ديكسي Dixy ، الذي ظهرت أبحاثه عن الأخدود في عام ١٩٥٦ ، يبدو أن حركات التخذد في الكريتاسي وما تلاه من عصر هي نتيجة للشد ، وأن عمليات الضغط هي التي تسببت في العيوب والانكسارات الأخدودية الأقدم . ويعتقد ديكسي Dixy وغيره من المتخصصين ، وكذلك جريجوري ، أن الحركات الرأسية المسؤولة عن نشأة تراكيب « الأحواض والضيهور » في أفريقيا هي بمثابة مفتاح لكل المشكلة ، ولكن حتى الآن لم تظهر نظرية ذات مفاهيم كافية لتفسير هذه الحركات .

ارتباط تكوين الأخدود بنشأة القارة

هناك مجموعة من النظريات تغزو نشأة الأخدود لتحرك الكتل القارية أفقياً



شكل (١٠) : النظريات الخاصة بكيفية تكوين الأخدود الأفريقي العظيم

« الترحزح القاري » . إذ يعتقد أن قشرة الأرض تتكون من طبقتين متميزتين : طبقة سفلى كثيفة نسبياً هي طبقة السيليا ، وطبقة عليا أخف وأقل كثافة وهي السيلال . وتتكون الكتل القارية من مادة السيلال ، ويقل وجودها في القيعان المحيطية ، ولهذا يمكن القول بأن الكتل القارية تطفو فوق السيليا . وإذا ما كان هذا القول مقبولا ، فإنه من الممكن أن تتحرك الكتل القارية جانبياً .

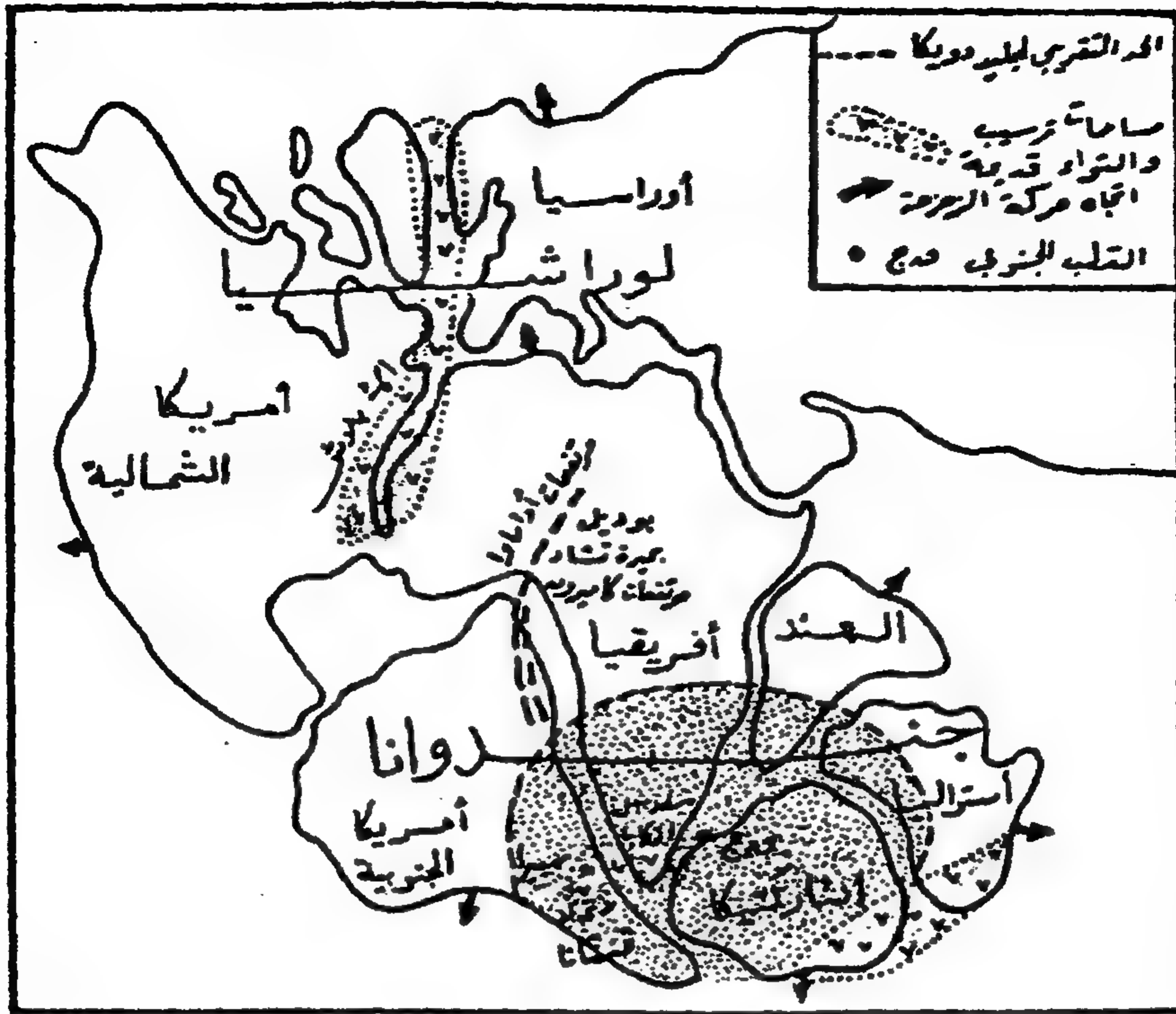
وفي عام ١٩١٠ أدلى فيجنر Wegener بشواهد لتدعيم نظريته القائلة بأن كل القارات قد اشتقت أصلاً من قارة ابتدائية واحدة هي بانجايا Pangaea وقد حاول إعادة تركيب توزيع الكتل القارية في عصور مختلفة بناء على التشابه في شكل السواحل المتقابلة على جانبي المحيط الأطلسي . وعزز هذا عن طريق التطابق في التراكيب الصخرية في كل من أمريكا الجنوبية وجنوب

أفريقيا ، مثال ذلك سلاسل الكاب الالتوائية في أفريقيا الجنوبية تماثل في نوع الصخر وطبيعة البناء مسيرات محافظة بونس أيريس في الأرجنتين .

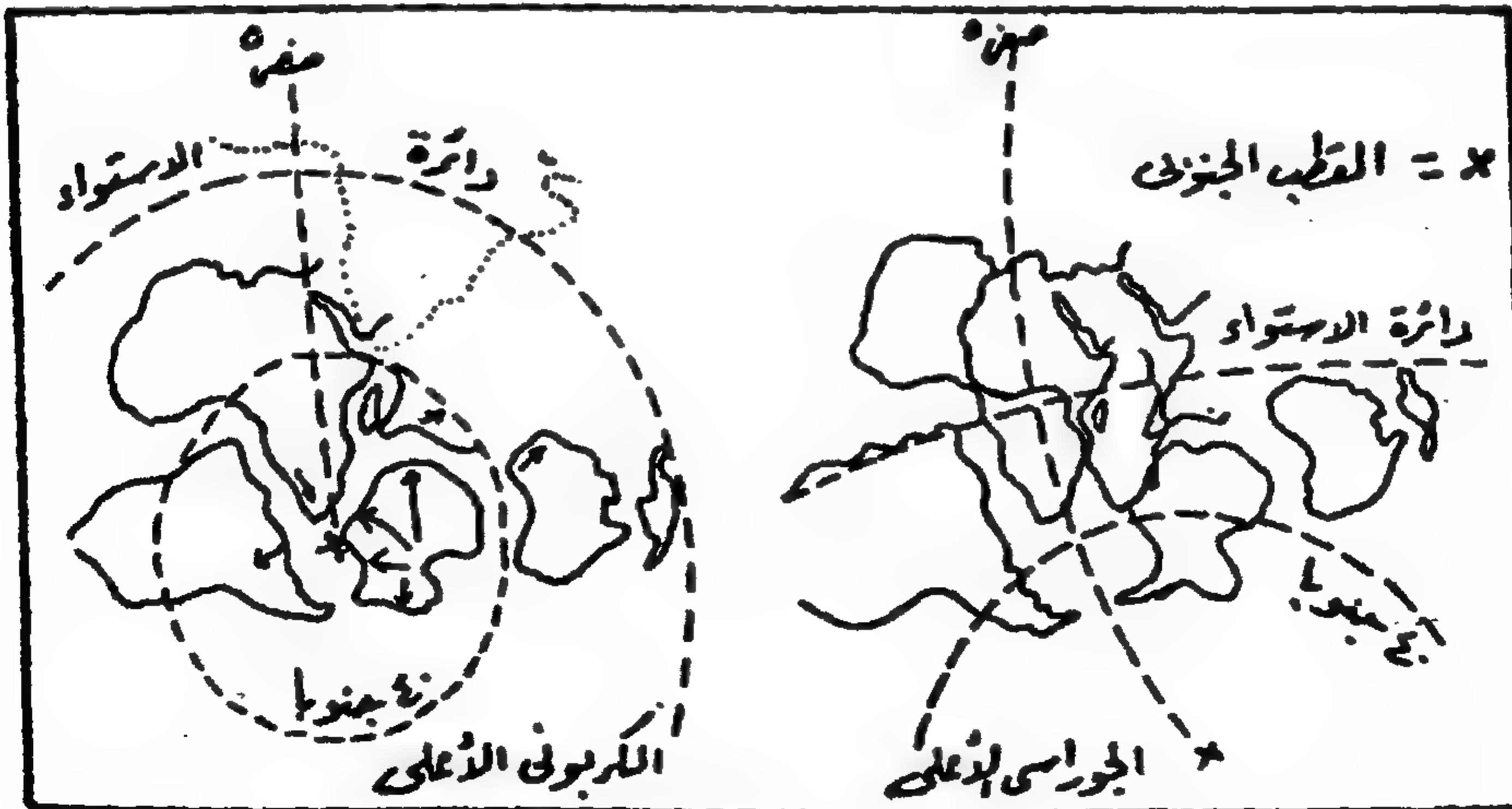
وهناك كثير من العيوب في نظرية فيجنر ، لكن الفكرة الأساسية سليمة ، قد قبلها الفكر الجيولوجي الحديث وأهميتها في موضوعنا هذا أن فيجنر ، في الوقت الذي فيه يعضد الرأي القائل بتكوين الأخدود عن طريق الشد ، فإنه عمق ووسع الفكرة بأن ربط التخديد بتحطيم قارة بنجاليا . وإذا ما صح هذا فإن أخدود شرقي أفريقيا ما يزال يتسع ، وفي خلال بضعة ملايين من السنين قد يصبح الأخدود نطاقا بحريا يفصل أجزاء من شرقي أفريقيا عن باقي القارة .

وقد جمع دي توات Du Toit ، في مؤلفه « قاراتنا الجواله » الذي نشر في عام ١٩٣٧ ، شواهد جديدة تعزز النظرية ، كما قوم الأفكار السابقة . وقد افترض قارتين ابتدائيتين ، بدلا من واحدة ، قارة لوراسيا Laurasia ، التي تحطمت وكونت ما يعرف الآن بأمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا ؛ وقارة جندوانا Gondwana ، التي تمزقت وانفصلت إلى أمريكا الجنوبية وأفريقيا والهند وأستراليا وأنتاركتيكا . وتبعاً لذلك فإن أفريقيا كانت الكتلة المركزية لقارة جندوانا التي فقدت أجزاءها الأخرى ابتداء من العصر البرمي وما تلاه ، تلك الأجزاء التي تحركت لتستقر في مواقعها الحالية . وقد طور هذه النظرية بحاث آخرون منهم كنج King ، وعززها بكثير من الأدلة الجديدة . ويرى كنج أن الموقع المركزي لأفريقيا بالنسبة لقارة جندوانا مهم ، نظرا لأنه يفسر الطبيعة القارية لمعظم الصخور التي تتركب منها القارة ، وهو أيضا مهم بالنسبة لآراء كنج الخاصة بدورات التعرية الرئيسية في أفريقيا .

وهناك من الجيولوجيين من يرفض الزحزحة القارية ، ويفضلون الأخذ بمبدأ الحركات الرأسية ، رغم كثرة الأدلة والشواهد التي تسند نظرية الزحزحة . وتنصب معظم اعتراضاتهم على حقيقة أن أنصار نظرية الزحزحة لم يتمكنوا من تقديم التفسير الكافي لمسيات وقوى الزحزحة القارية ، رغم أن جهلنا بها لا يفي وجودها .



شكل (١١): الكتل القارية القديمة كما رسمها كل من فيجنر ودي توات



شكل (١٢): قارة جندوانا في الكريوني الأعلى والجوراسي الأعلى

ورغم هذا ، فإن دلائل صحة نظرية الزحزحة القارية تزداد باستمرار ، فقد أشار الباحث إلى تشابه مختلف الظروف المناخية التي سادت بعض المناطق قديماً ، مثل ذلك ، سلسلة رواسب الكارو Karoo في أفريقيا الجنوبية ، التي تبين بوضوح أن أفريقيا الجنوبية قد عانت عصراً جليدياً في العصر الكربوني وهناك صخور جليدية مماثلة عثر عليها في أفند وأستراليا وأمريكا الجنوبية وأنتاركتيكا ، وكلها متعاصرة ، ودليل آخر أنه قد عثر على مظاهر للنحت الجليدي على الأسطح الصخرية التي يتركز عليها التلايت (الصخر الجليدي) تشير طبيعتها واتجاهاتها على أن الجليد في مرحلة معينة قد انتشر فوق القارة الحالية من مركز رئيسي كان يقع جنوبي ناتال الحالية . ولا يُعقل أن يتشرب مثل هذا الجليد من موقع آخر في جندوانا غير هذا الموقع . وهناك شواهد أخرى معززة للنظرية تختص بالصفات المغناطيسية للصخور ، ما تزال في مراحل التطوير والنمو .

ومع هذا فإنه يستحيل تأكيد العلاقة بين أهدود شرق أفريقيا والزحزحة القارية ، وتخطيم جندوانا ، رغم أن كثيراً من قطاعات السواحل الأفريقية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعيوب

نظم الجبال الالتوائية :

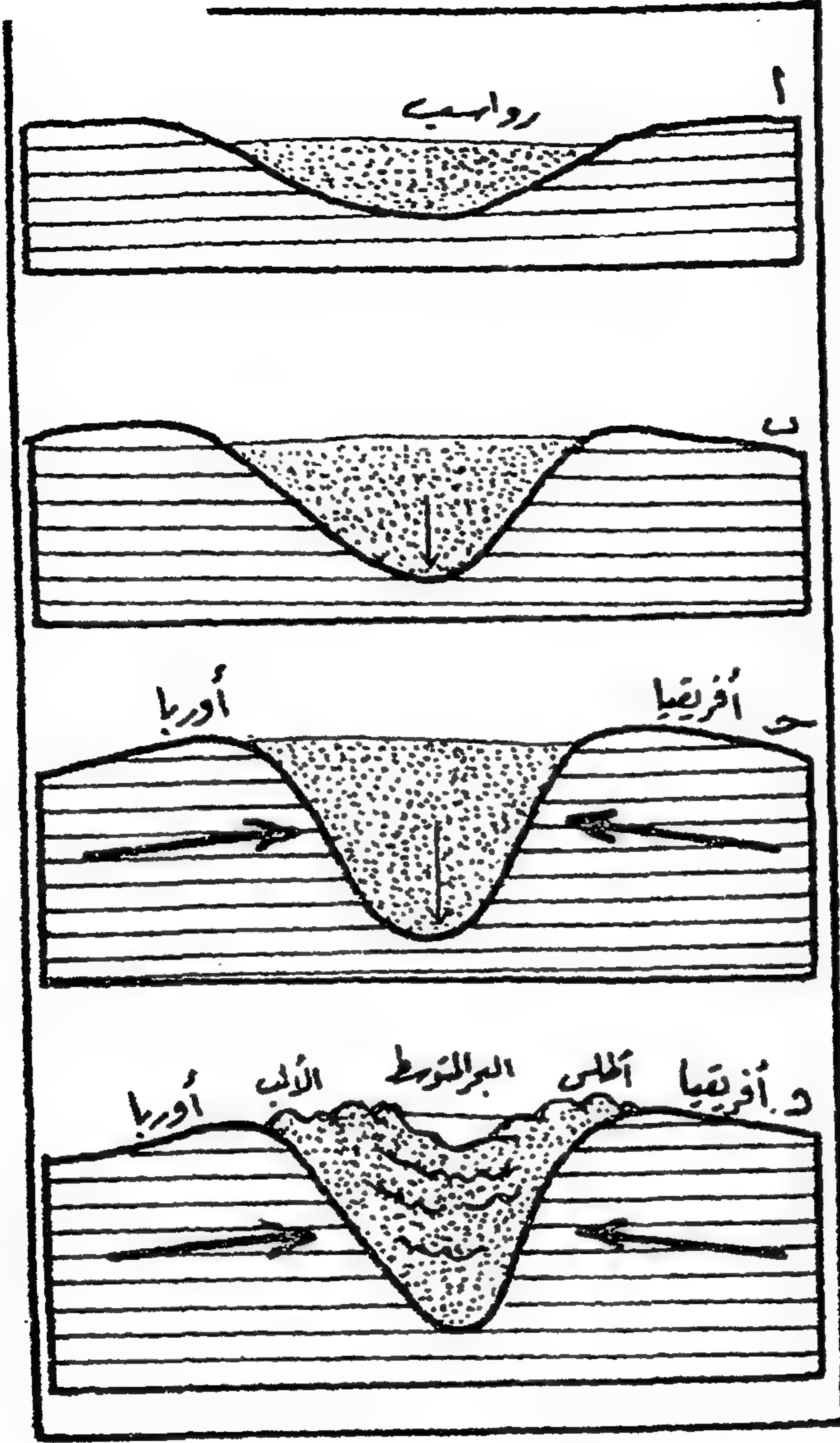
عانت القارة الأفريقية ، كما أسلفنا ، من الانكسارات وأشكال حركات الرفع والتقوس والتحدب على نطاق واسع . كما تحوي القارة تراكيب أخرى مختلفة في هوامشها الشمالية والجنوبية . ففي الشمال الغربي تمتد جبال أطلس الالتوائية لمسافة ١٥٠٠ ميل (٢٤٠٠ كم) من جنوبي مراكش حتى تونس ، وتشمخ فيها قمم تصل إلى إرتفاع ١٣٠٠٠ قدم (حوالي ٣٩٤٠ متراً) . وتقع منطقة أطلس أساساً بين البحر المتوسط ، الذي يمثل كتلة أرضية قديمة غارقة ، بقيت أجزاء منها بارزة في وقتنا الحالي مثل كورسيقا وسردينيا ، والدرع القاري الأفريقي وفيما بين هاتين الكتلتين كان يمتد بحر جيولوجي قديم ذو أبعاد متفاوتة ، يعرف ببحر تيش ، منذ العصر الجوراسي ، وفيه تراكمت الرواسب

بسمت عظيم ، ومنها الرواسب المكونة لصخور جييرية مندوجة . وقد حدث التواء ورفع هذه الطبقات الرسوبية ، ومنها الأجزاء الالتوائية المكونة للأطلس ، نتيجة للضغط اذائلة التي عانتها من تحرك الكتلتين تجاه بعضهما . وقد حدث الالتواء والرفع الرئيسي في أواسط الزمن الثالث . ونظراً لأن معظم قوى الدفع والرفع قد أتت من جهة الشمال ، فإن أعظم وأكثف الالتواء يتمثل في الريف Rif تلك الجبال التي تحاذي البحر المتوسط حالياً . وبالاتجاه جنوباً نرى الالتواءات أقل كثافة سواء في أطلس العالية High Atlas أو في أطلس الصحراء نظراً لأن الصخور الرسوبية هناك تتركز على الكتلة الأفريقية .

وفي أفريقيا الجنوبية تمتد سلاسل الكاب ، وهي كما أشرنا ، ذات تركيب التواثي ، وإن كانت أقل تعقيداً ، وأقدم عمراً من جبال أطلس . وتصل أقصى ارتفاعاتها إلى ٨٠٠٠ قدم (٢٤٢٥ متراً) . وتتبع الالتواءات اتجاهين مختلفين : اتجاهاً شمالياً جنوبياً في غربي محافظة الكاب ، واتجهاً شرقياً غربياً على طول الساحل الجنوبي . وفي منطقة جبال نهر هيكس Hex River Mount يتقاطع الاتجاهان ، وبالتالي تنشأ تراكيب معقدة محلياً . وقد حدث معظم الالتواء هنا في أواخر الترياسي ، ويفترض أن قوى الدفع والضغط قد أتت من جزء من قارة جندوانا كان يقع آنذاك في الجنوب

مظاهر السطح

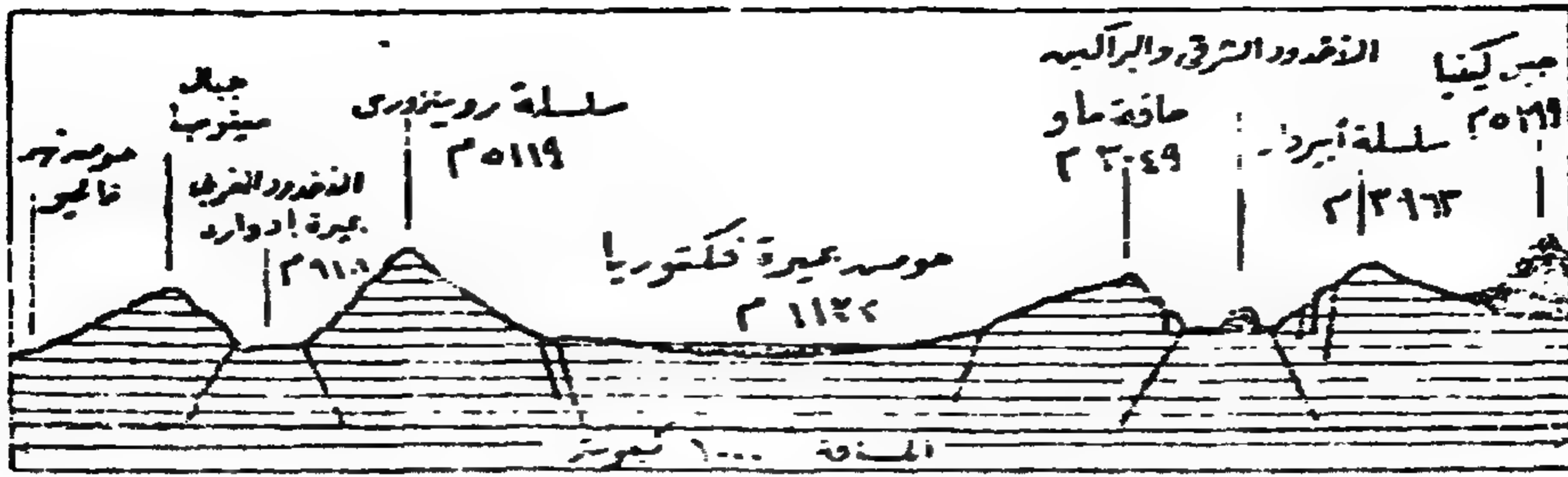
رغم أن أفريقيا جنوب جبال أطلس تفتقر إلى وجود المرتفعات الالتوائية ، فإن بها قمماً ومضاباً عالية . فهناك خمس مناطق متميزة في القارة خارج نطاق أطلس ، حيث ترتفع الأرض لأكثر من ٣٠٣٠ م . ففي الصحراء الكبرى ترتفع كتلة تبستي Tibesti إلى علو ٣٣٩٥ م ، وإلى الجنوب الغربي منها ، في السودان ، يصل ارتفاع كتلة دارفور إلى ٣٢٥٢ م . وشمم تبستي العالية هي قمم بركانية ساكنة . وفي كثير من أجزاء أفريقيا تجد بالمثل أن النشاط البركاني كان مستولاً عن تراكم العديد من القمم الجبلية العالية . من ذلك جبل كمرون Came-roon Mount (١٣٣٥٠ قدم = ٤٠٤٦ متراً) فهو مخروط بركاني يُظهر أحياناً



شكل (١٣)
كيفية نشأة وتكوين
الجبال الإلتوائية
الحديثة في شمال
غرب أفريقيا
(مرتفعات أطلس)

علامات نشاط ، ومن العلو بحيث تكسوه الثلوج في بعض الأحيان . وتشمخ
الصخور البركانية في هضبة إثيوبيا أحيانا إلى إرتفاع ٤٥٤٥ مترا .

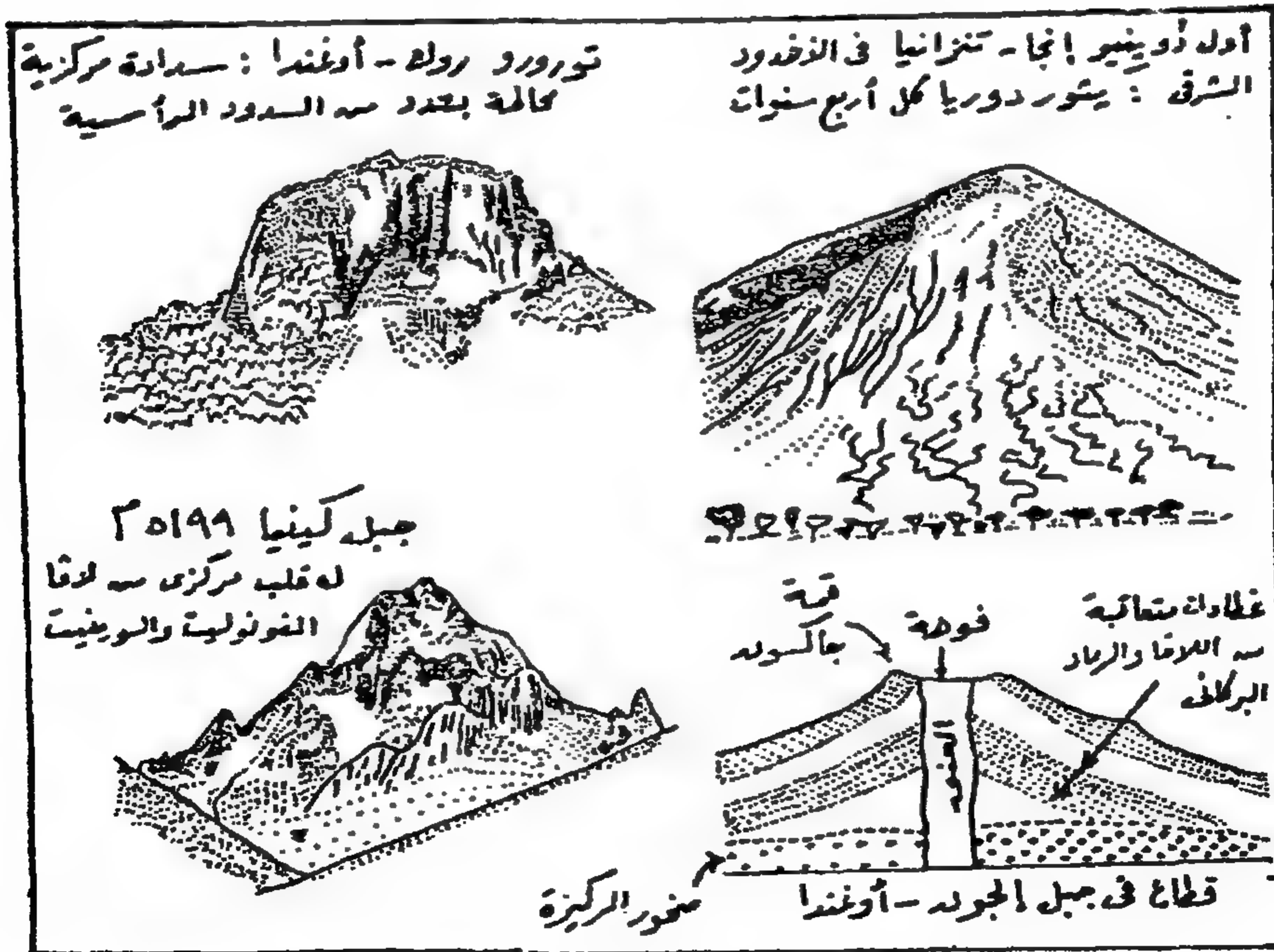
وحيثما نواصل جنوبا ونصل إلى أفريقيا الشرقية نجد أكثر من ست كتل
جبلية ترتبط بالاختدود وتعلو إلى أكثر من ٣٩٤٠ مترا ، منها أربع بركانية
النشأة ، وواحدة وهي كلمنجارو Kilimanjaro ، أعلى قمة في أفريقيا ،



شكل (١٤) : قطاع عرضي من شرق زائير إلى غرب كينيا

ارتفاعها ٥٨٦١ متراً، ويبلغ ارتفاع جبل كينيا البركاني ٥١٦٤ م ، وجبل إلجون Elgon البركاني ٤٢٩٦ م . وفي ليسوتو Lesotho حيث تتوج لافا الكارو حافة جبل دراكتزبيرج Drakensberg يصل الارتفاع إلى ١١٤٢٥ قلم (٣٤٦١ متراً) .

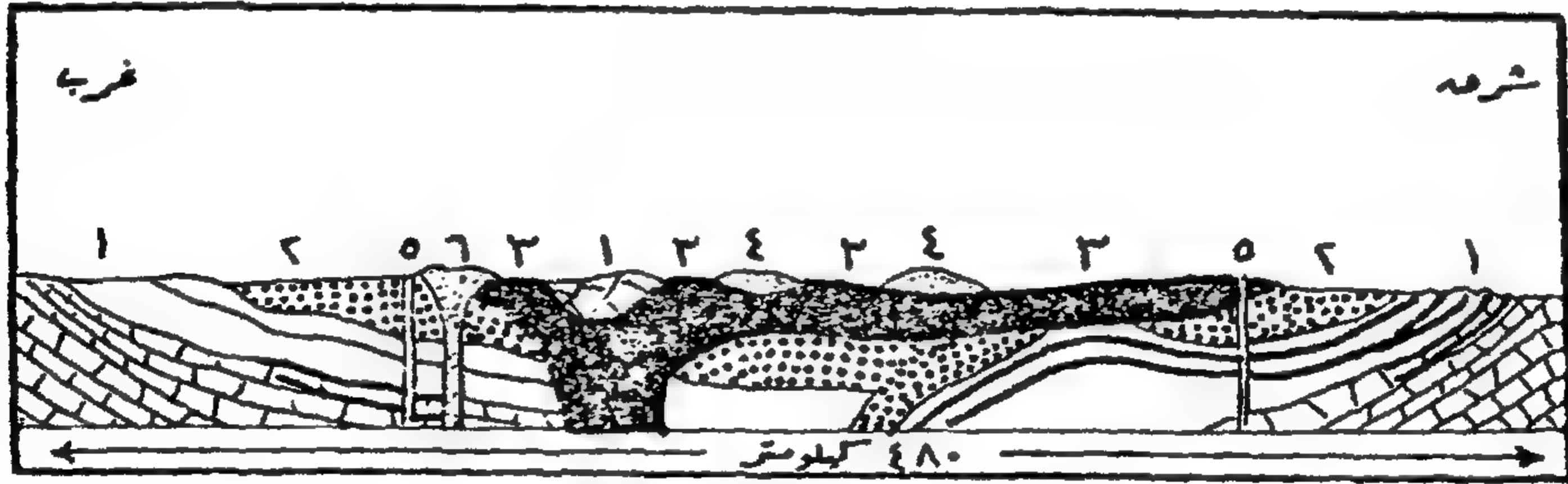
من هذا نرى أن إضافات النشاط البركاني إلى مورفولوجية أفريقيا كثيرة



شكل (١٥) : بعض الأشكال البركانية في شرق أفريقيا

وكبيرة . ومع هذا فهناك بعض الجبال العالية من أصل غير مركاني ، منها أطلس العالية (الارتفاع الأقصى ٤١٤٠ مترا) ، وفي منطقة الأودية الأخذودية مثل جبل روينزوري Ruwenzori (٥٠٩٠ متر) حيث عملت الحركات الأرضية على دفع أجزاء من كتلة القارة الى ارتفاعات كبيرة (جبال انكسارية قافزة) . وينبغي أن نشير إلى أن المخروطات البركانية أو الالافية في شرق وجنوب أفريقيا تتركز على أجزاء مرتفعة نسبياً من الكتلة أو الدرغ الأفريقي ، فتاعدة جبل كليمانجارو مثلاً تتركز على اخضبة الأفريقية الشرقية على ارتفاع يناهز ١٥٠٠ متر ..

ويتكون معظم أفريقيا من هضاب ، مشهورة باتساعها وتناسقها في الارتفاع عبر مساحات ضخمة . ويقع حوالي ٦٢٪ من القارة فوق ارتفاع ٣٦٠ متر ، بينما يرتفع فوق هذا المستوى ما يقرب من ٨٠٪ من أرض القارة جنوبي دائرة الاستواء ، بينما تبلغ نسبة الأرض التي تعلو ٩٠٠ متر نحو ٤٧٪ . وتقع أعلى هضاب أفريقيا في شرق أفريقيا الجنوبية فيما بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ متر ، إذ



شكل (١٦) : أفريقيا الجنوبية : قطاع عبر مركب بوشفيلد bushveld البركاني

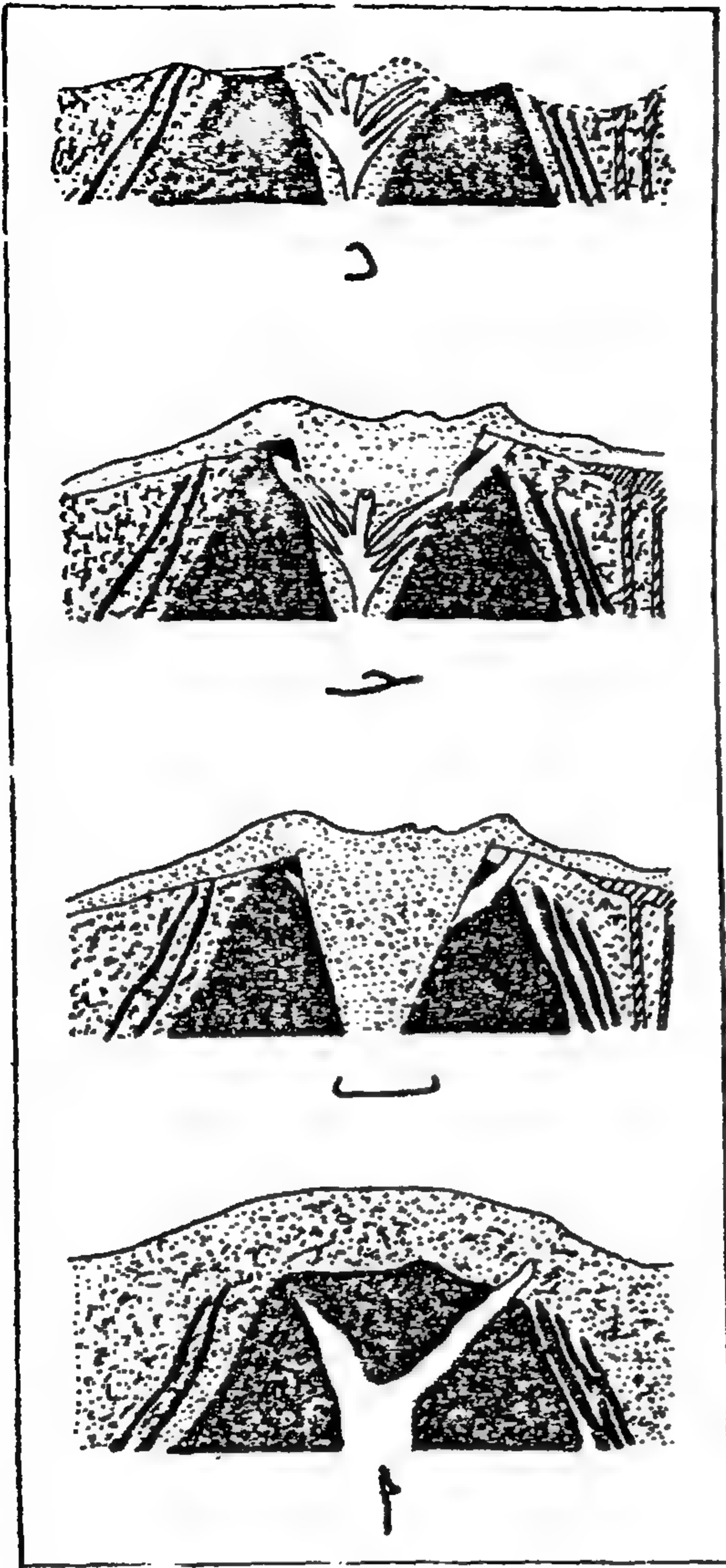
- ١ - رواسب الترسفال مع سدود أفقية من الدياباس Diabase
- ٢ - الانبثاقات الأولى من النوريت Norite
- ٣ - الانبثاقات الثانوية (الأحدث) من الجرانيت الأحمر .
- ٤ - لافا رويسيرج Rooiberg الحامضية (بقايا انبثاقات قديمة) .
- ٥ - أنابيب بركانية
- ٦ - طفوح بيلانسبيرج Pilansberg من اللافا والسينيت Syenite

تعلو الأرض في ليسوتو Lesotho (باسوتولاند Basutoland سابقا) إلى حافة دراكنزبيرج في روديسيا وزامبيا على ارتفاع ١٠٥٠ إلى ١٥٠٠ متر ، وفي كثير من أفريقيا الشرقية إلى ١٨٠٠ متر في مشارف الأودية الأخدودية . وفي الجانب الغربي المقابل للقارة يتراوح ارتفاع الجزء الأكبر من هضبة أنجولا بين ٩٠٠ و ١٥٠٠ متر .

وإلى الشمال من خط الاستواء تتناقص بصورة عامة مستويات الهضاب ، ففي معظم انحاء الأراضي التي كانت تعرف بأفريقيا الاستوائية الفرنسية يتراوح الارتفاع بين ٤٥٠ - ٩٠٠ متر ، وفي أفريقيا الغربية لا نجد هضابا يزيد ارتفاعها على ٦٠٠ متر إلا في أماكن محدودة ، والارتفاع الشائع بين ٣٠٠ - ٤٥٠ متر . ورغم أن الصحراء الكبرى ، هي في الواقع هضبة ، إلا أن ارتفاعها لا يزيد عن ٣٠٠ متر إلا نادراً ، وإلا حيث تقطعها كتل الحجر وتبستي العالية من غرب الشمال الغربي إلى شرق الجنوب الشرقي .

ولقد أدت عمليات الرفع غير المتناظرة والعيوب إلى تكوين ظاهرات رئيسية أخرى . فيتميز داخل أفريقيا بوجود عدد من الأحواض الضخمة تفصل بينها أراض مرتفعة أو هضاب ، تخططها عمليات الرفع والتكسير الأنفة الذكر ، وأصبحت تمثل مستودعات لمنتجات التعرية المنحوتة من المرتفعات المحيطة . وتباين أعمار هذه الأحواض كثيراً . مثال ذلك أن حوض الكونغو قد نشأ في الزمن الأول نتيجة لهبوط أرض ما قبل الكامبري ، والدليل على ذلك أنه يحوي رواسب من عمر الكارو ، ومثل هذا ينطبق على أحواض أخرى في جنوب أفريقيا . بينما نشأ حوض تشاد نتيجة لهبوط (تقوس مقعر) في الزمن الرابع .

ولمعظم هذه الأحواض منافذ محدودة جدا للبحر ، وتصريف أجزاء من كثير منها داخلي . فمخفض الجوف El Juf ، في غرب الصحراء ، يهبط في مركزه إلى أقل من ١٥٠ متر ، وهو في هذا الجزء جاف جدا ؛ وفي الجنوب ، ينبع النيجر الأعلى من مرتفعات غينيا Guinea ، وينجح بالكاد في الحفاظ على جريانه في الفصل الجاف حول الشية العظيمة قرب تمبوكتو ، قبل أن يصنع



شكل (١٧): كينيا : نشوء وتطور
مركب رانجوا Rangwa ومركان
كيسينجيري Kisingiri ، نيانزا
Nyanza ، غرب كينيا .

(أ) تقبب صخور ما قبل
الكمبري بواسطة انبثاق عملاق
من الصهير المكون أساساً من
السينيت ، ثم من البيوتيت .

(ب) ثوران انفجاري .
أزيلت مساحات كبيرة من
السينيت والبيوتيت وحلت محلها
لافا من نوع البريشيا التي توزعت
على السطح .

(ج) تداخل انفجاري
لأشرطة مخروطية ، وسدود
رأسية .

(د) تعرية إلى المستوى
الحالي ، وترسيب غطاء سميك
من الارسابات النهرية .

مخرجه في اتجاه جنوبي شرقي . وإذا ما استنينا ركنا صغيراً من حوض نشاد الذي
يصرف مياهه نهر بنوي Benue رافد النيجر ، فإن الحوض يعتبر ذا تصريف
داخلي ، رغم أن بحيرة تشاد لا تشغل مركز التصريف المائي ، نظراً لأنها
تصرف المياه جوفياً إلى واحات بوركو Borkou في الشمال الشرقي . وفي
جنوب أفريقيا تتكون أجزاء من صحراء كلهاري Kalahari من أحواض دات
تصريف داخلي . وتنصرف مياه نهر كوبانجو (Okovango) Cubanko وأنهار

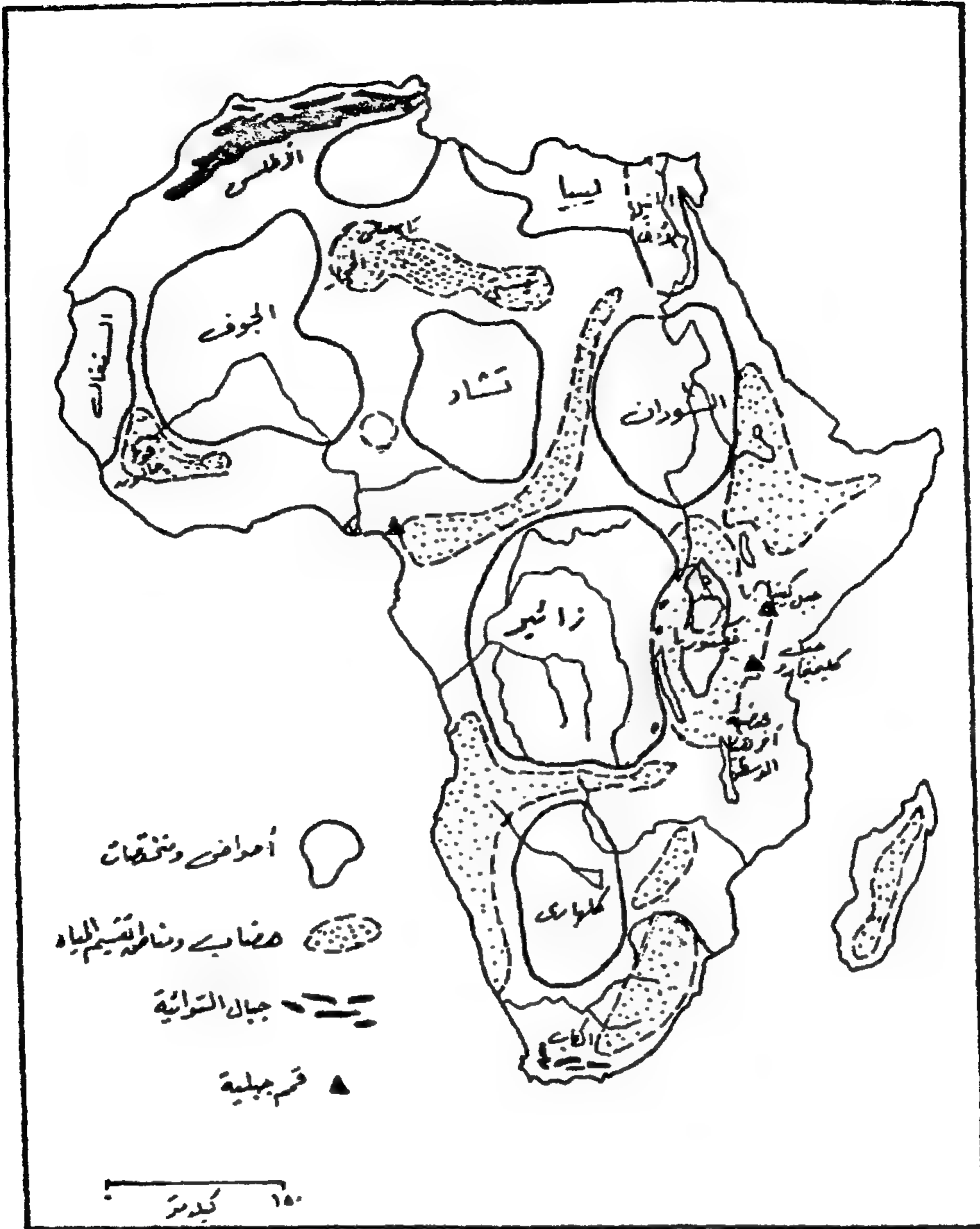
أخرى جنوباً إلى مستنقع أوكوفانجو Okovango . وعلى النقيض من هذه الأحواض ذات التصريف الداخلي ، يملك حوض الكونغو الغني بالمياه نظاماً نهرياً كاملاً في قلب القارة ، ويقع قاعه على منسوب يتراوح بين ٣٠٠ - ٤٥٠ متر فوق سطح البحر . ومع هذا فمخرجه إلى المحيط محدود جداً حيث يشق طريقه في هامش أخضبة .

ونظراً للطبيعة أخضبية التي تتسم بها القارة ، والانحدار النجائي في معظم الأجزاء من حافاتها إلى السواحل . فإن السهول الساحلية قليلة وضيقة . وحينما ننظر إلى الخريطة الجيولوجية نجد أن تلك السهول الساحلية تنطبق على المساحات التي تتكون من صخور تسمى للعصر الكريتاسي وللزمن الثالث حول هورس القارة . وهذا من شأنه أن يعضد الرأي القائل بأن أفريقيا كانت تمثل الكتلة المركزية في قارة جندوانا ، وعنها تفرخت الكتل القارية الأخرى بعيداً . وفي الوقت الذي فيه تحللت وتمزقت قارة جندوانا كانت قد نحتت وتحولت إلى سهل تحاتي ، ذلك السهل الذي كان أكثر ارتفاعاً في المركز . وبفقدان الكتل الهامشية بالترشح بقيت أفريقيا بسطحها المستوى والمرتفع نسبياً .

هذا ولم تستطع الأنهار الكبيرة في أفريقيا أن تبني سهولاً فيضية واسعة في مجاريها الدنيا ، نظراً لأن مجاريها إما خانقية أو غير متعادلة . والدلتا الوحيدة الكبيرة في أفريقيا هي دلتا النيجر التي تبلغ مساحتها نحو ٤١٦٠٠ كلم^٢ وينحصر وجود السهول الساحلية الحقيقية التي تشغل مساحات أكبر من هذه في الآتي : ١ - سهل موزمبيق ٢ - السهل الساحلي الصومالي وجزء من كينيا . ٣ - السهول الساحلية في موريتانيا والسنغال .

ولا تشغل دلتا النيل سوى مساحة ٢٦٠٠٠ كيلو متر مربع ، رغم أنها تعول نحو ٦٠٪ من سكان مصر .

وإذا ما استثنينا سواحل شمال غرب أفريقيا ، فإننا نجد خط الساحل الجنوبي لإقليم أطلس يكاد يخلو من التسنن ومن أشباه الجزر . ويبلغ طول خط الساحل الأفريقي ٢٧٢٠٠ كيلو متر ، بينما يبلغ نظيره الآسيوي ٥٧٦٠٠ كيلو



شكل (١٨) : تضاريس أفريقيا : الأحواض التركيبية ومناطق تقسيم المياه .

متر ، رغم أن مساحة آسيا قدر مساحة أفريقيا مرة ونصف مرة فقط . ولهذا فليس من المستغرب أن تتواجد صعوبات جمة في العثور على مواقع لمراعي جيدة ومحمية ، على نحو لا نجد له مثيلاً في أية قارة أخرى . وكثيراً ما نجد خط

شكل (١٩) : السهول والأراضي المرتفعة . يمكن القول بأن ثلث مساحة أفريقيا أراضي منخفضة . وهناك عدد من الأحواض التركيبية (شكل ١٩) يقع على منسوب مرتفع .



الساحل مستقيماً لا يقطعه مدخل أو خليج صغير لمئات الأميال . ومصببات الأنهار في القارة ، إما دلتاوية أو مسدودة بالحواجز الرملية . والمصب الوحيد الذي يشذ عن هذه القاعدة ، هو الكنغو ، فهو النهر الرئيسي الوحيد الذي يتصف مصبه بالمياه العميقة . وكثير من الموانئ الهامة في أفريقيا قد تكلف بناؤها نفقات باهظة نتيجة لعدم وجود مواقع شاطئية لمياه عميقة محمية طبيعياً . ومن الموانئ الصناعية تماماً في أفريقيا ميناء تاكورادي Takoradi وتيما Tema في غرب أفريقيا ؛ وصيانة ميناء بيرا Beira في موزمبيق مكلفة جداً .

وتبغني الإشارة أيضاً إلى أن الشرف القاري حول أفريقيا ضيق نسبياً ، وفي بعض الأماكن القليلة ينعدم وجوده تماماً . وخط العمق ١٠٠ قامة بحرية الذي يحاذي تقريباً حافة الشرف يمتد عادة على بعد ٢٤ - ٣٢ كيلو متر من الساحل ؛ وفي بعض النطاقات (تجاه أنجولا والصومال وجنوب ناتال على سبيل المثال) يقترب إلى مسافة كيلو متر فقط من الساحل . وهناك نطاقان فقط يتسع أمامهما الشرف القاري هما رأس أجيبولاس Cape Agulhas في أفريقيا الجنوبية ، حيث توجد حافة الشرف على عمق ١٣٠ قامة ، وتقع أقصى نقطة فيها على بعد ٢٠٨ كيلو متراً من الساحل ، وأمام سواحل ما كان يُسمى غينيا البرتغالية

والفرنسية ، حيث يصل أقصى الاتساع ١٩٢ كيلو متر إلى حط العمق ١٠٠ نامة . ويعني افتقار القارة إلى مساحات رفوف واسعة أن مصادر الغذاء للأسماك محدودة .

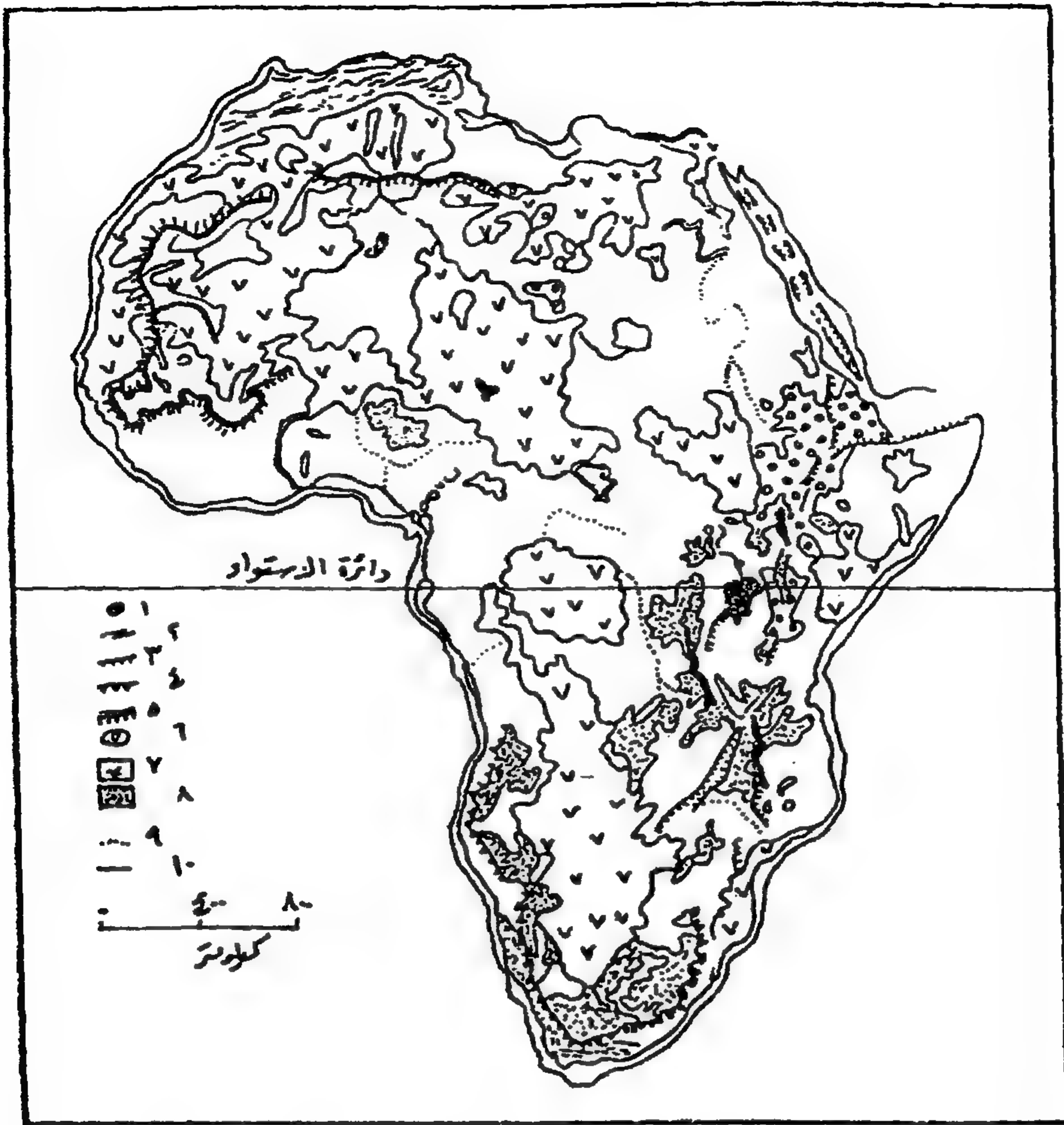
الأسطح التّحتانية والحافات

تعتبر ظاهرة الأسطح التّحتانية إحدى العناصر الهامة المميزة لمورفولوجية أفريقيا . وقد سبقت الإشارة عند مناقشة جيولوجية أفريقيا إلى وجود ثغرات في السجل الطبقي (الاستراتيجرافي) ، تلك الثغرات التي تمثل في الواقع فترات طويلة من الزمن خلالها كانت عوامل التعرية سائدة العمل فوق مساحات شاسعة . وفي غضون التاريخ الكلي لتطور أفريقيا تظهر مناسبات عدة استطاعت خلالها تلك العمليات التّحتانية أن تستمر في عملها بحيث أنتجت أسطحاً أو سهولاً ثمانية لا تظهر عليها تضاريس ذات بال . وتمثل هذه الأسطح التّحتانية النتاج النهائي لدورات تَحْتَانِيَّة . وهي كثيراً تحمل مجرد ارتباط صغير بالتراكيب الصخرية التي توجد أسفلها . فقد نَحَتَت الصخور المختلفة بلا تمييز . وتشتهر أفريقيا باتساع واكتمال شكل أسطحها التّحتانية ، تلك الأسطح التي تقع الآن على مناسيب مختلفة ، والتي تعطي المظهر الهضبي للقارة .

وقد ساعد على نشوء الأسطح التّحتانية بمظهرها هذا استقرار وثبات قاعدة ما قبل الكمبري ، التي وإن كانت قد تأثرت بحركات الرفع القارية (التقوس) إلا أنها لم تعان من عمليات الالتواء الحادة منذ عصر ما قبل الكمبري . وإذا ما استثنينا شمال أفريقيا الذي تأثر بفترات من الطغيان والإرساب البحري ، فإن القارة تكاد تخلو من الرواسب البحرية ، إلا في نطاقات محدودة على السواحل كما أسلفنا . ويمكن تمييز عدد من الأسطح التّحتانية القديمة العمر جداً ؛ ومنها أمثلة تعود إلى العصر الجوراسي ، ولم تغطها منذ ذلك العصر رواسب ذات انتشار واسع . وهناك من الأسطح التّحتانية القديمة ما تراكم فوقه غطاء من الرواسب الأحدث ، وهي الآن في مرحلة إخلائها من الرواسب عن طريق التعرية . ومن الممكن في بعض الحالات أن نتبع جانبياً الأسطح التي عرّتها التعرية إلى أن نصل إلى نقطة حيث يستين مستوى عدم التوافق الجيولوجي ، ومن ثم يمكن تقرير

أعمارها ؛ وفي حالات أخرى تتسبب الإزالة التامة للرواسب في صعوبة أو استحالة تمييز مثل هذه الأسطح التحتانية القديمة من الأسطح الأحدث منها عهدا .

وما يزال تمييز العمليات الدقيقة التي أدت إلى تكوين الأسطح التحتانية الفسيحة في أفريقيا (وفي غيرها من القارات) محل نقاش . ولا شك أنها عمليات تعرية ، ويبدو أنها ذات ارتباط كبير بنظم التصريف المائي . وعادة ما تفصل حافات صخرية هذه الأسطح عن بعضها ، تلك الحافات التي تتباين في ارتفاعها من ٣٠ متر إلى نحو ١٨٠٠ متر ، وتسهم هذه الحافات في إعطاء الشواهد البينة على أصل نشأة هذه الأسطح التي تفصل هي بينها . فعن طريق تعرية هذه الحافات وبالتالي تراجعها تزداد الأسطح اتساعا . ولقد تبدو هذه الحافات على الخرائط ذات المقياس الصغير كظواهرات مستقيمة ، ولكن بالنظر إليها عن قرب تبدو مكونة من سلسلة من المداخل التي تبدو بهيئة خنادق التي عن طريق تعميقها وتوسيعها يتم التراجع العام لواجهات الحافات . ويبدو أن السطح التحتاني بعد تكوينه يتوقف عند منسوب معين ، فالشواهد التي تدل على استمرار تخفيضه عن طريق التعرية قليلة . وآراء ديفيز الخاصة باستمرار نحت السهول التحتانية وتخفيض أسطحها غير مقبولة بصفة عامة . إذ حينما يتكون السطح ، لا توجد عملية تحتانية ذات نشاط يُلاحظ في تخفيض منسوبه ، وإنما من الممكن أن يتمزق نتيجة لتراجع الحافات التي تحف به ويتقطيعه بالخنادق التي تشقها الأنهار التي تجري به أو تعبره بسبب عمليات تجديد الشباب ؛ أو قد ينظمر ويُدفن تحت غطاء من الرواسب الأحدث . وتبعاً لذلك يُصبح ممكناً أن تتواجد مجموعة من الأسطح التحتانية في بيئة عانت من عمليات رفع متعاقبة ، كل منها يتم تخطيطه ببطء نتيجة لتراجع الحافة التي تفصله عن السطح التالي الأقل منه ارتفاعا ، ولكنه في نفس الوقت يحتفظ بسطحه الأصلي المشطوف . ويتباين حجم السهل التحتاني تبعاً لطول الزمن الذي تمّ خلاله تكوينه ؛ وبالتالي نرى أمثلة في أفريقيا لأسطح تحتانية عظيمة الاتساع ، وأخرى على النقيض مجرد أسطح حديثة القطع توجد في مجال الأجزاء الدنيا من الأودية النهرية الرئيسية ،



شكل (٢٠) : جيومورفولوجية أفريقيا

١ - بحيرات ، ٢ - جبال إلتوائية ، ٣ - انكسارات خاصة بنظام الوادي الأخدودي الشرقي ، ٤ - الحافة العظمى لأفريقيا الجنوبية ، ٥ - حافات تعرية في أفريقيا الشمالية ، ٦ - براكين ما بعد الجوراسي ، ٧ - رواسب الثالث والرابع ، ٨ - بقايا أسطح تحتية ، ٩ - أنهار رئيسية ، ١٠ - خط عمق ١٠٠ قامة .

تشهد على فترات توقف صغيرة فيما بين فترات تجديد الشباب النهرية . وتباين درجة تراجع الحافات المحيطة بالسهول التحتية ، وذلك يرجع إلى اختلاف بناء الصخور المحلية وصفات نمط التصريف المائي السائد .

وأعمار الأسطح التّحتيّة المختلفة في أفريقيا هي دائماً من الأمور التي تثير الكثير من النقاش . وفي قليل من الحالات قد نجد سطحا قد غُطي ، على سبيل المثال ، برواسب أحدث تحوي حفريّات أو بغطاء بركاني يمكن تأكيد عمره ، لكن مع هذا فلا يزال تحقيق الزمن الذي انقضى منذ إتمام تكوين السطح التّحتي وقبل تغطيته بهذا الغطاء الأحدث غير ممكن . ومع الصعوبات التي يجدها البحاث في التعرف على أعمار مختلف السهول التّحتيّة ، فإنه يمكن القول بأن توزيع الأسطح الرئيسيّة وأعمارها التقريبية قد أصبحت الآن واضحة إلى حد كبير .

فهناك أولاً سطح له أهمية خاصة في جنوب أفريقيا . وهو يعرف بـ سطح ما تحت الكارو Sub-Karoo Surface ، الذي يمثّل التعرية التدريجية لأجزاء كبيرة من مستوى عدم التوافق الطبقي عند قاعدة مركب الكارو . ونظراً لقدم هذا السطح فإنه عانى كثيراً من عمليات التحدّب والتقوس والميل في بعض الأماكن ، وأيضاً بالتكسر في فترة الكارو أو ما بعدها .

وقد ميز كنج L.C. King سطحا آخر سماه سطح جندوانا التّحتي ، وهو يرى أنه قد نُحت في وقت سابق لتمزق جندوانا وانشطارها . وهو يقع الآن على ارتفاع ١٢٠٠ متر وما فوق ذلك في جنوب أفريقيا . ويرى البعض تسميته بـ سطح أوائل الكريتاسي . وهناك أدلة تشير إلى وجود أكثر من سطح من نفس العمر ، وأخرى نشأت أثناء العصر الكريتاسي . أما السطح التّحتي الرئيسي الثالث فيسمى بالسطح الميوسيني الكبير Great Miocene Surface الذي يشهد بدورة تعرية طويلة الأمد نُحتت أجزاء عظيمة من سطح جندوانا . هذا السطح ، الذي يدعى أحياناً باسم السطح الأفريقي African Surface ، يتباين في ارتفاعه في جنوب أفريقيا بين ٦٠٠ متر قرب السواحل و١٥٠٠ متر في الداخل بسبب تأثره بالتقوس المحدّب . ويبقى السهل التّحتي في أواخر الزمن الثالث المسمى سطح نهاية الثالث End-Tertiary . ويمثّل دورة التعرية هذه تراجع شلالات فكتوريا في وادي الزمبيزي ، التي تنحت تراجعاً في السطح التّحتي الأفريقي (السطح الميوسيني الكبير) الأكثر ارتفاعاً . وقد تمت دراسة

دورات تعرية أحدث ، بليوسينية - بلايوسينية ، في الأجزاء الدنيا من أودية
أنهار القارة .

ويتناقص ارتفاع كل هذه الأسطح التحتاتية باستمرار كلما اتجهنا نحو شمال
أفريقيا . وفي نفس الوقت تتناقص الفروق الرأسية بينها ، لدرجة أننا حينما نصل
إلى الهوامش الجنوبية للصحراء الكبرى يصبح من المستحيل تمييزها عن
بعضها . وبالاتجاه شمالاً في الصحراء تختفي الأسطح التحتاتية تماماً أسفل
رواسب الكريتاسي أو الزمن الثالث . وتوضح هذه الحقائق أن قارة أفريقيا قد
تأثرت في جنوبها بعمليات الرفع أكثر من شمالها .

التصريف المائي

لقد حسب دي مارتون de Martonne نسب مساحات أنماط التصريف
النهري في أفريقيا ، فوجد أن ٤٨٪ من مساحة القارة تنصرف مياهه عن طريق
أنهار تنتهي إلى البحار المفتوحة والمحيطات ، فتصريفها خارجي ، وأن ٤٠٪ من
مساحة أفريقيا يتميز بتصريف سطحي غير منتظم (صحاري القارة) ، بينما
تنصرف مياه ١٢٪ من مساحة القارة داخليا في أحواض أو بحيرات مغلقة ليس
لها اتصال بالبحار .

ويلاحظ أنه من تلك المساحات ذات التصريف الخارجي ، نجد نسبة
كبيرة منها تتكون من أحواض ضحلة واسعة ذات قيعان مناسيبها بين
٣٠٠ - ٩٠٠ متر (١٠٠٠ - ٣٠٠٠ قدم) فوق البحر ، وتنصرف مياهها بمخارج
منفردة ، محدودة وضيقة حيث تشق مسالكها خلال هوامش أحواضها . ومخارج
هذه الأحواض تتمثل في أنهار أفريقيا العظمى وهي النيجر والكنغو والأورنج
والزمبيزي والنيل الأعلى . من هذا ترى أن التصريف المائي لأفريقيا يكتمل في
عدد قليل نسبيا من النظم النهرية ، كل منها كبير الحجم ، باستثناء هوامش
الهضبة حيث نرى بعضاً من أجزائها كثير المطر بدرجة تكفي لتكوين مجاري مائية
عديدة وقصيرة تجري متوازية مباشرة إلى المحيط .

وتتميز خطوط تقسيم المياه بين هذه الأحواض بأنها متعرجة ، وبأنها في كثير من المناطق قريبة جدا من السواحل . فتنقسم المياه بين المحيطين الهندي والهادي ، يقع على حافة من حافتي القارة ثم على الحافة الأخرى ، بمعنى أن نهرا ينبع من تقسيم المياه على الحافة الشرقية ويقطع الهضبة ويشق حافتها الغربية ليصب في المحيط الأطلسي ، كنهر الأورانج ، والعكس بالنسبة لنهر كالزمبيزي الذي يصب في المحيط الهندي نابعا من تقسيم المياه على هامش الهضبة الغربي . ويلاحظ أيضاً أن خطوط تقسيم المياه في كثير من الأماكن لا تسير مع ظاهرات تضاريسية واضحة .

وتلائم هذه الحقائق كلها فكرة تمزق قارة جندوانا ، نظراً لأنها تتناسب مع مفهوم تحوّل تلك القارة إلى سهل تحاتي ضخّم بوجود نظام تصريف مائي مكتمل خاص به ، فيه تشابك نظم أفرعه (أعضائه) الرئيسية عند نهاياتها الداخلية أو العليا . وقد أدى تمزق الكتل الهامشية لجندوانا وابتعادها عن الكتلة المركزية الأفريقية ما يلي :

١ - تجديد شباب المجاري المائية الموجودة ، ونشوء مجاري مائية هامشية جديدة .

٢ - تعبئة سريعة للهامش القاري الجديد .

٣ - رفع توازني عند حواف القارة نتيجة لإزالة كثير من المواد من تلك الحواف القارية .

وتبعاً لذلك فإن المجاري الدنيا للأنهار كانت تقطع مسالكها مجددا بشدة في الوقت الذي فيه كان سطح الأرض يرتفع لكي يغلق الأحواض ، وقد أنشأ هذا النحت الرأسي لمجاري تلك الأنهار المناضلة أودية عميقة ضيقة ، تتميز بوجود المساقط المائية والمسارح (المندفعات) خصوصاً في أجزائها القريبة من المصب في البحر ، نظراً لأن نقاط (رؤوس) تجديد الشباب بدأت تتراجع نحو المنبع . وفي نفس الوقت ما زلنا نرى المظهر الجيومورفولوجي الناضج في مناطق

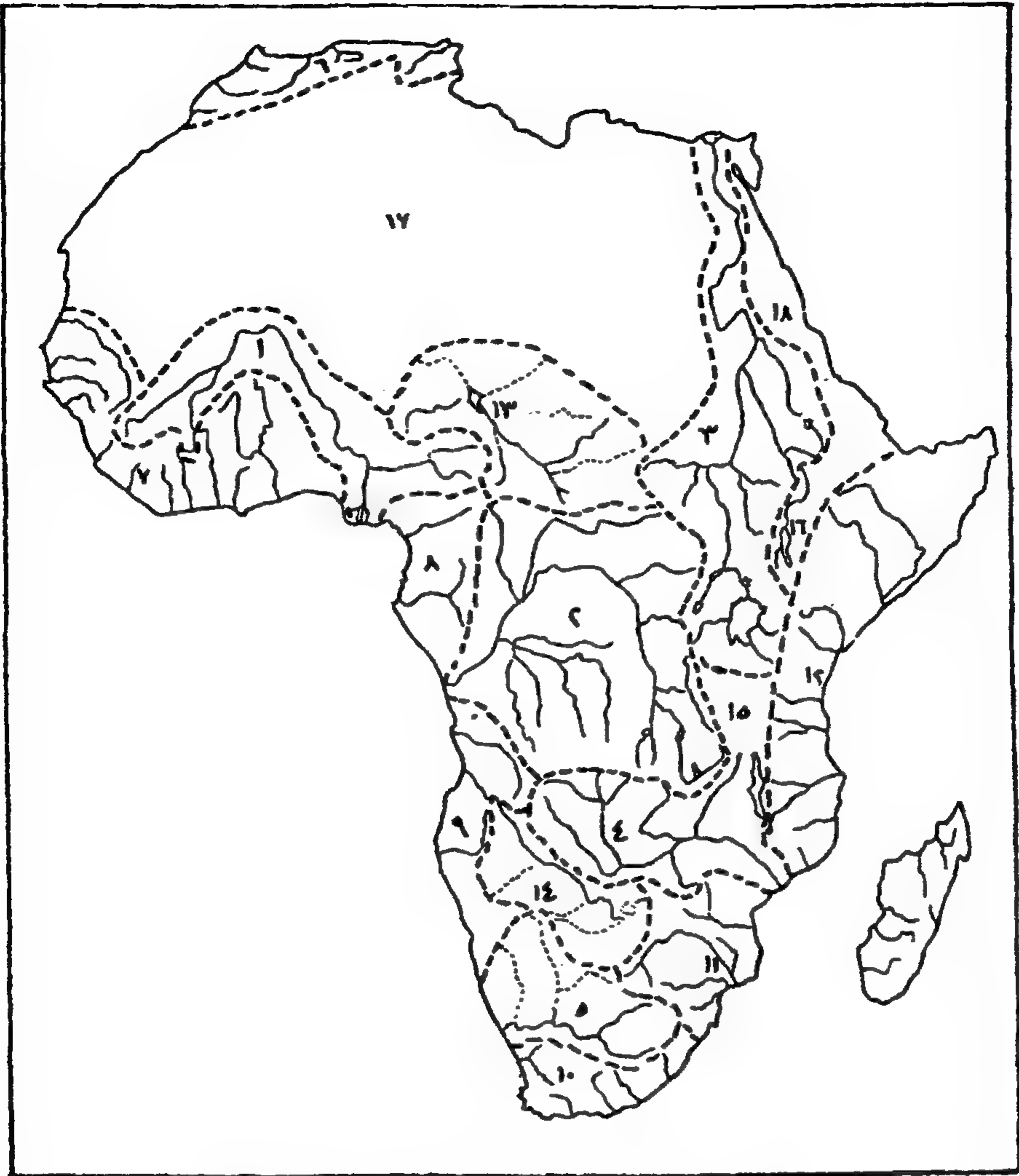
الأودية العليا الأصلية بعيدا عن نقاط التجديد ، ذلك المظهر الذي تعذل بتخفيض سطحه بعمليات التعرية النهرية .

والمساحات ذات التصريف المائي غير المنتظم هي الصحاري الأفريقية الحرة ، حيث التساقط الخالي غير كاف لقيام نظام تصريف مائي منتظم متكامل ، ولكن في الماضي مكنت الأمطار الساقطة إبان العصور المطيرة من إنشاء نظم تصريف مائي معقدة نراها الآن في الأودية الجافة .

أما أحواض التصريف المائي الداخلي الكبيرة فتتمثل في حوض بحيرة تشاد ، ومنخفض ماكاريكاري Makarikari المالح في بتشوانا لاند والأخدود الأفريقي الشرقي . ويرتبط تكوين الحوضين الأولين بنظام تكوين الأحواض بالتقوس الفسيح المقعر ؛ أما الأخير فهو نتاج الإنكسار الأخدودي .

ولعل أبرز ظاهرة طبيعية في القارة الأفريقية تتمثل في نهر النيل الذي يبلغ طوله ٦٦٧١ كيلو متر (نحو ٤١٧٠ ميل) من منبعه في حوض بحيرة فكتوريا ، الذي يمثل قوسا مقعرا فيما بين الأخدودين الشرقي والغربي ، ويتلقى كمية كبيرة من الأمطار الدائمة ، حتى مصبه في البحر المتوسط عبر القسم الشرقي من الصحراء الكبرى الأفريقية . وفي المسافة الأخيرة من مجراه والتي يبلغ طولها ٢٤٠٠ كم (١٥٠٠ ميل) لا يتلقى النيل مياهها من محيط حوضه المباشر ، وإنما من روافد تأتيه بالمياه من مسافات بعيدة . ويتميز مجرى النيل الأدنى أيضاً بوجود ستة جنادل في شمال السودان وفي جنوب مصر . والنيل في الواقع ظاهرة فريدة في هذه البيئة الصحراوية التي يخترقها .

وينبع نهر النيجر قرب حدود سيراليون ، وعلى بعد ٣٢٠ كيلو متر (٢٠٠ ميل) من المحيط الأطلسي . ويجري تجاه الشمال الشرقي في الهوامش الجنوبية للصحراء الكبرى ، مزودا منطقة تمبوكتو وما يليها شمالا بمياه الري ، ثم ينحني في اتجاه الجنوب الشرقي ، ويصل الى خليج غينيا مخترقا دلتا ضخمة . ويبلغ طوله أكثر من ٤١٦٠ كيلو متر (٢٦٠٠ ميل) ويُعتبر « التصريف المائي » غير المنتظم للقسم الجنوبي من الصحراء الكبرى « رافدا » للنيجر . فالأودية



شكل (٢١) : أفريقيا : أنماط التصريف المائي

- (أ) نظم نهري رئيسية : ١ - النيجر ، ٢ - زائير ، ٣ - النيل ، ٤ ، زامبيزي ، ٥ - أورانج .
- (ب) نظم تصريف إقليمية : ٦ - شمالية غربية ، ٧ - غربية ، ٨ - استوائية غربية ، ٩ - غربية جنوبية ، ١٠ - جنوبية ، ١١ - جنوبية شرقية ، ١٢ - شرقية
- (ج) أحواض تصريف داخلية : ١٣ - تشاد ، ١٤ - أوكانانجو Okavango ، ١٥ - تنزانيا ، ١٦ - ريودولف .
- (د) أقاليم ذات تصريف غير منتظم أو منعدمة التصريف : ١ - الصحراء الكبرى ، ٢ - شمالية شرقية .

الجافة الكبيرة تشير إلى عصر مطير سالف كانت تجري أثناء تلك الأودية بالمياه إلى النيجر والقسم الأعلى من وادي النيجر قبل تمبوكتو في مرحلة النضج ، بينما القسم من الوادي الذي يسبق جيبا Jebba (نيجيريا الشمالية) يحتوي على مندفعات ومساقط عديدة حينما يقطع النهر هامش الهضبة في طريقه إلى البحر . وفي الجزء من المجرى الذي يلي جيبا Jebba (تجاه المصب) يلتقي النيجر أعظم روافده ، وهو بنوي Benue ، الذي يتميز بقطاع عرضي عريض جدا لسهله الفيضي ، يُعتقد أنه قد نشأ على امتداد نطاق عيبي رئيسي . وتراجع منابعه بسرعة نتيجة للنحت الشديد ، واستطاع أن يأسر بعضا من التصريف المائي الذي يتجه شمالا إلى بحيرة تشاد ، وهي عملية سوف تسلب بحيرة تشاد قسما كبيرا من مواردها المائية إذا ما استمرت .

وتنبع كثير من المجاري المائية من هضبة فوتاجالون ، بعضها يجري نحو الداخل ثم إلى المحيط ، والبعض الآخر نحو الساحل مباشرة . ومثال للبعض الأول نهر السنغال Senegal ، وهو أطولها ، وهو ينبع بالقرب من منابع النيجر ، لكنه يتجه نحو الشمال الغربي ، ويمرّ بالقرب من هامش الصحراء لكي يصل إلى المحيط الأطلسي إلى الشمال من كيب فردي Cape Verde .

ويتصف نهر زائير (الكونغو) بكل خصائص الأنهار الأفريقية ، فحوضه ضحل عظيم الاتساع ، يبلغ نحو ١٢٨٠ كيلو متر (٨٠٠ ميل) طولاً وعرضاً ، ومخرجه من الهامش الغربي ضيق يصحبه سلسلة من المسارع والمساقط المائية التي تفصل بين المجرى الأعلى الأكثر نضجا والمجرى الأدنى الشاب وهو النهر الوحيد في أفريقيا الذي يتميز بمصب طويل صالح للملاحة ، فهو يسمح بالملاحة للسفن المحيطية حتى مدينة ماتادي Matadi على بعد ١٢٨ كم (٨٠ ميلاً) من البحر . وتوجد في الحوض بحيرات كثيرة ، هي بقايا بحيرة كبيرة كانت موجودة أثناء عصر البلايوسين وربما أثناء أواخر الزمن الثالث ، وهي شاهد على أن نهر زائير (الكونغو) في ذلك الحين لم يكن قادراً على الاحتفاظ بمجرىه حتى البحر حينما ارتفع هامش الحوض سيباً آنذاك ، فانجبت المياه واحتجزت مكونة للبحيرة .

وبلي حوض نهر زائير (الكنفو) جنوبا حوض نهر زمبيزي الذي يتصف بـ
بمميزات مماثلة للكنفو ، فحوضه الأعلى فسيح ، ومجاربه المائية دائمة ، وتسمح
بالملاحة للسفن الصغيرة . ومن هذا القطاع يمر المجرى الرئيسي لشلالات
فيكتوريا ، وبعدها يصبح المجرى بهيئة خائق متعرج ، بعده يقطع النهر مسافة
١٤٤٠ كيلو متر لكي يصل إلى مضيق موزمبيق (المحيط الهندي) ، مارا
بسلسلة أخرى من المسارع ، وعبر بحيرة كاريبا Kariba التي نشأت في العصر
الحديث . ويبلغ طوله الكلي ٢٦٦٠ كم . وقد كانت بعض منابعه تغذي فيما
مضى الحوض الداخلي المسمى أوكوفانجو Okovango وحوض ماكاري كاري
Makarikari في بتشوانا لاند . وبعد شلالات فيكتوريا ، يصبح النهر محدود
الاستخدام للملاحة النهرية . والنهر يعرقل حركة المواصلات البرية عبره بسبب
اتساع مجراه . ولا يقطعه على امتداد مجراه الطويل سوى ثلاثة كباري ، أحدها
عبر المساقط ، والثاني عند مدينة شيروندو Chirundu والثالث عند مدينة Sena
على بعد ١٦٠ كيلو متر (١٠٠ ميل) من مصب النهر حيث يزيد عرض المجرى
على ميلين ؛ يضاف إلى ذلك سدّ كاريبا Kariba الذي يمثل هو الآخر معبرا عبر
النهر .

وفي الغرب يجري نهر كيونين Cunene الأقصر (طوله ٧٥٠ ميل أو
١٢٠٠ كلم) الذي ينبع من هضبة نوفالسبوا Nova Lisboa في الشمال
(أنجولا) ثم يسير فوق الهضبة الأفريقية وينحني غربا ليشق هامش الهضبة في
مساقط رويكانا Rua Cana على الحدود بين أنجولا وأفريقيا الجنوبية الغربية .

والنهر الرئيسي في جنوب أفريقيا هو نهر أورانج Orange (طوله ١١٦٣
ميل أو حوالي ١٨٦٠ كم) . والنهر الأصلي ينبع ، مثل رافده فال Vaal ،
قرب حافة جبال دراكنزبرج Drakensberg الرئيسية ، ويجري من هذه المنطقة
الوفيرة المياه ، ويعبر الأراضي الجافة في جنوب صحراء كلهاري ، وتسقط مياهه
من شلالات أوغرايبس Aughrabies إلى خائق ينتهي بحافة الهضبة ، ومنها
يجري النهر إلى المحيط الأطلسي شمال كيب تاون Cape Town بنحو ٦٤٠

كيلو متر (٤٠٠ ميل) وتصرف روافده ، وهي ليست دائمة الجريان تماما ، كل هضبة جنوب أفريقيا ، وأجزاء من بتشوانا لاند وأفريقيا الجنوبية الغربية ، حيث تتجه الأودية الجافة نحو نهر أورانج . ونهر الأورانج ذاته يفشل أحيانا في الوصول إلى المحيط في الفصل الجاف . ويزيد من تكرار هذا الفشل زيادة استخدام مياهه للري فوق الهضبة . وباستثناء هذا الشذوذ ، فإن نهر أورانج يتصف بالصفات المثالية التي تميز الأنهار الرئيسية الأخرى في أفريقيا .

البحيرات :

بحيرات أفريقيا من نمطين رئيسيين : النمط الأول يتمثل في البحيرات الناشئة عن تقوس مقعر لسطح الأرض ، والثاني في البحيرات التي تشغل فراغ الأخاديد . وتدل أشكالها بصورة واضحة في العادة ، على أي من النمطين تنتمي البحيرات . وتتصف معظم بحيرات الأخاديد الكبيرة في شرقي أفريقيا بالطول وبالضيق النسبي ، فكل من بحيرتي تنجانيقا Tanganyika ونياسا Nyasa يبلغ طولها بين ٤٨٠ - ٦٤٠ كيلو متر ، وكلاهما يتميز بالعمق . ولعظم بحيرات الأخدود الغربي مخارج إلى البحر ، فبحيرتا إدوارد وألبرت تصرفان مياههما عن طريق نهر النيل ، وبحيرة تنجانيقا عن طريق الكونغو ، وبحيرة نياسا عن طريق نهر شاير Shire (رافد الزمبيزي) . وتكون بحيرات أخرى مراكز لمساحات ذات تصريف داخلي ، مثل بحيرة ريوكوا Rukwa (في تنزانيا) وبحيرة رودولف Rudolf (معظمها في كينيا) .

وأكبر البحيرات التي نتجت عن التقوس المقعر هي بحيرة فكتوريا ، التي تحتل مساحة حوضية فيما بين الأخدودين الكبيرين في أفريقيا الشرقية . وتختلف عن البحيرات الأخدودية في أنها واسعة عريضة وضحلة ، وذات ساحل معقد تكتنفه الكثير من الجزر التي تمثل قمم تلال غرقت مع حركة الهبوط الحوضية . ومخرجها إلى النيل (نيل فكتوريا) يتم عن طريق شلالات أوين Owen ، حيث شيدت محطة لتوليد الكهرباء استفادت من أحد أكبر الخزانات المائية

الطبيعية في العالم . ويمرّ النيل بعد ذلك ببحيرة كيوجا Kioga التي تتوسط منطقة مستنقعية ، ويخرج من طرفها الغربي .

وقد سبق لنا ذكر بعض من البحيرات الحوضية في الماضي وفي الحاضر . فحوض الكنفو كانت تشغله أو معظمه بحيرة في الماضي . وبحيرة تشاد التي توجد في حوض ذي تصريف داخلي ، انكمشت مساحتها كثيراً عن ذي قبل . ومثل هذا يقال عن بحيرات ومستنقعات بتشوانا لاند - ماكاريكاري ، وأوكوفانجو وإتوشا .

الفصل الثالث

المناخ والأقاليم المناخية

تمتد أفريقيا بين دائرتي عرض ٣٧° شمالاً و ٣٥° جنوباً ، وتمر دائرة الاستواء بوسطها . وكان لهذا وذاك أثره في أحوالها المناخية . فاشعة الشمس تتعامد على أجزاء كثيرة من القارة في رحلتها شمالاً إلى مدار السرطان ، وجنوباً إلى مدار الجدي ، وبالتالي فإنها تتعامد مرتين على أراضي القارة الواقعة بين المدارين ، مما يسبب ارتفاعاً عظيماً في الحرارة ، وازدياداً كبيراً في درجات التبخر من المسطحات المائية ، ومن النباتات ومن التربة .

ودرجات الحرارة متناسقة في النطاق الاستوائي الأفريقي ، نظراً لتساوي طول الليل والنهار معظم السنة ، وبالتالي فهناك تناسق في فترة سطوع الشمس ، واكتساب الأرض والجو القريب منها للحرارة . بينما تزداد الحرارة صيفاً كلما بعدنا عن النطاق الاستوائي ، وذلك لطول النهار ، وبالتالي فترة سطوع الشمس ، وقصر الليل . وتبعاً لذلك فإن المدى الحراري اليومي والفصلي يزداد كلما بعدنا عن دائرة الاستواء شمالاً أو جنوباً .

هذا ويلاحظ أن النصف الجنوبي من القارة أقل اتساعاً ، وأكثر ارتفاعاً من النصف الشمالي ، لذلك كانت أحواله المناخية العامة أكثر اعتدالاً ، بعكس نصفها الشمالي الذي يتميز بالتطرف والجفاف . وقد كان لاستقامة سواحل القارة ، وقلة تعاريجها ، ونُدرة خلجانها ، وعدم بروز أشباه جزر منها ، وبالتالي عدم وجود بحار داخلية ، أثره في قلة تأثير العامل البحري على مناخ القارة .

وتمر بالسواحل الشرقية للقارة تيارات بحرية دفيئة تزيد من درجة حرارتها ورطوبتها ، بينما تمر بالسواحل الغربية تيارات باردة ؛ فتيار كناريا البارد يمر بالنصف الشمالي من تلك السواحل ، وتيار بنجويلا بالنصف الجنوبي . وهما يخفضان من درجات الحرارة ، كما يسيان الجفاف في تلك السواحل وظهرها .

الحرارة

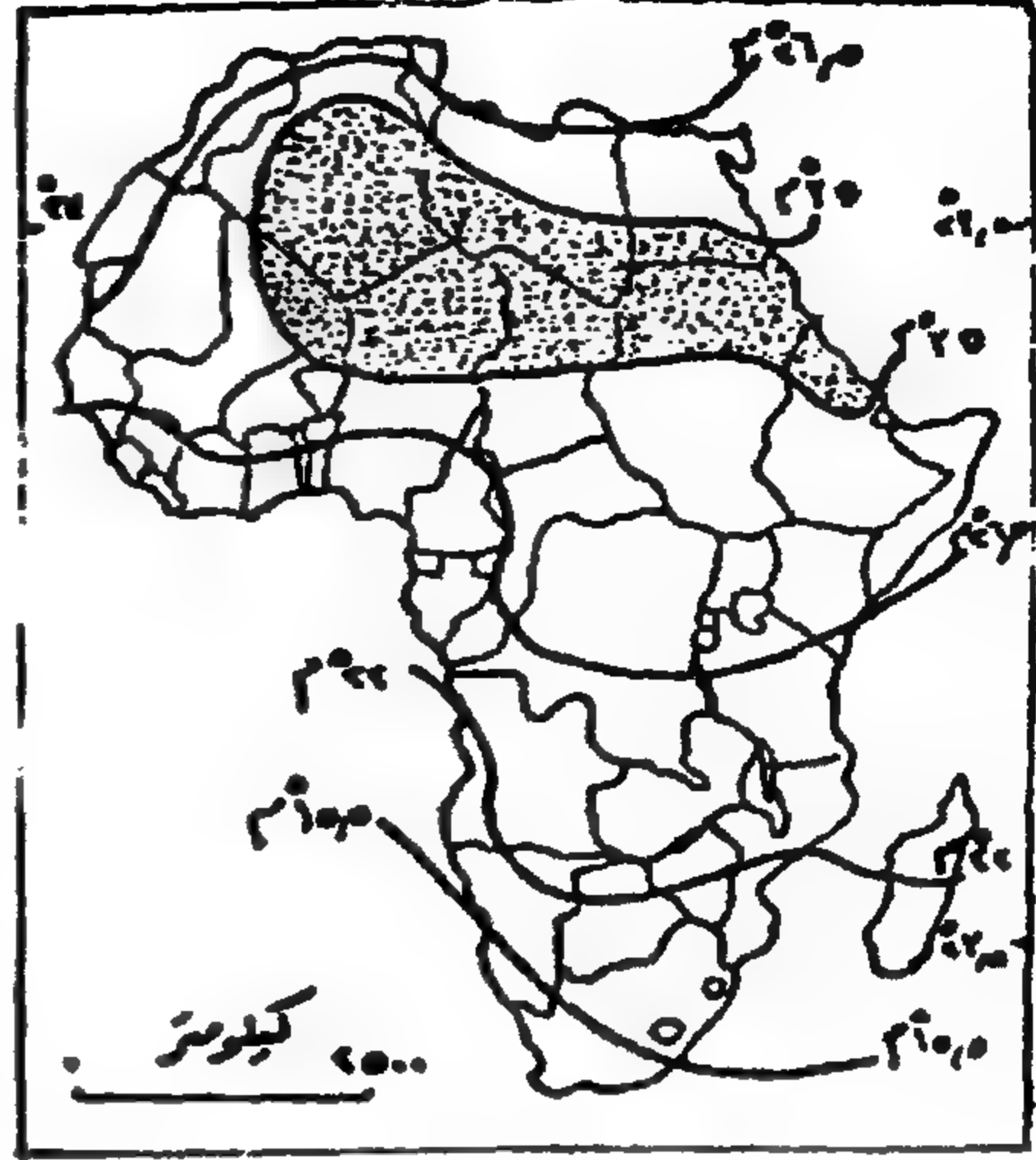
أفريقيا هي أحرّ قارات العالم للأسباب التي ذكرناها . وحينما ننظر إلى خريطة لخطوط الحرارة المتساوية في الصيف ، نلاحظ أن خط الحرارة ٣٥°م لشهر يوليو مغلق على الصحراء الكبرى الأفريقية . بينما يكون خط الحرارة ٣٠°م دائرة ناقصة تحيط بالنصف الشمالي للقارة . وهي منطقة متممة في حرارتها لوسط آسيا وجنوب غربها . وهي تضم أكثر جهات القارة حرارة في يوليو ، وذلك بسبب تعامد الشمس على مدار السرطان ، وطبيعة اليابس ، واتساعه وانخفاض منسوبه ، ويعدّه عن البحار ، ونُدرة الغطاء النباتي . وتلاحظ أن خط الحرارة ٢٢°م في جنوبي القارة يتقوّس وينحني كثيرا نحو الشمال ، أي صوب دائرة الاستواء ، بجوار الساحل الغربي ، وذلك بسبب أثر تيار بنجويلا البارد . كما يتقوّس جهة الجنوب قرب الساحل الشرقي بسبب تأثير تيار موزمبيق الدافئ .

هذا في فصل الصيف ، أما في فصل الشتاء (يناير) ، فإن خط الحرارة ٣٥°م ينحني . ويكون خط الحرارة ٣٢°م شكلا بيضاويا فوق هضبة أفريقيا الجنوبية (الصيف الجنوبي) ، ولا نجد لهذا الخط نظيرا أو امتدادا على مياه المحيطات المجاورة ، وذلك نظرا لشدة حرارة اليابس الجنوبي عن الماء في هذا الفصل ، والخط يمتد بين دائرتي عرض ١٠ - ٢٠° جنوبا تقريبا . وينحني خط الحرارة ٢١°م في نصف القارة الجنوبي نحو الشمال ، أي نحو خط الاستواء ، وذلك قرب الساحل الغربي ، بسبب أثر تيار بنجويلا البارد ، ثم ينحني جنوبا بتأثير سيادة اليابس ، وكذلك على الساحل الشرقي بتأثير تيار موزمبيق الدافئ . أما في نصف أفريقيا الشمالي ، فإننا نجد هذا الخط (٢١°م) ينحني نحو الجنوب (نحو دائرة الاستواء) عند الساحل الغربي بتأثير تيار بنجويلا البارد ، ثم ينحني شمالا بتأثير اليابس ، ثم بتأثير البحر الأحمر .



شكل (٢٣)

خطوط الحرارة المتساوية في شهر يناير



شكل (٢٢)

خطوط الحرارة المتساوية في شهر يوليو

الضغط والرياح

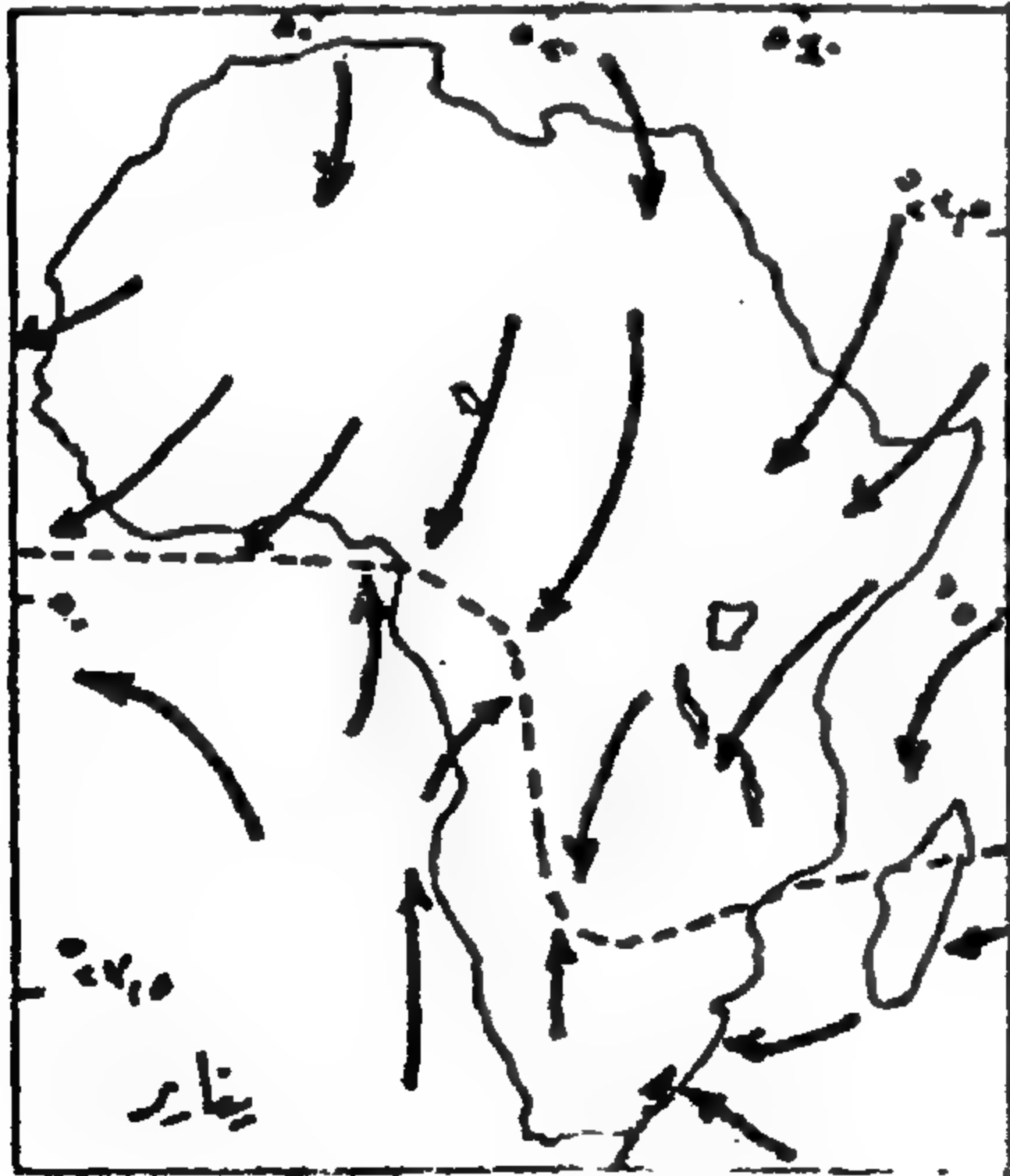
في فصل الصيف تتعاند الشمس فوق النصف الشمالي من أفريقيا . فتركز منطقة للضغط المنخفض في شمال شرقي القارة ، تكون على اتصال بمنطقة الضغط المنخفض الآسيوي التي تمتد من السند إلى شبه جزيرة العرب ، وكثيرا ما تتصل هذه وتلك بنطاق الضغط المنخفض الدائم فوق النطاق الاستوائي ، وبالتالي يربض على كل أراضي القارة شمالي خط الاستواء غطاء هائل من الضغط المنخفض . ويتركز على منطقة الأزور في المحيط الأطلسي في شمال غربي القارة ضغط مرتفع ، ويمتد منه لسان يغطي البحر المتوسط . أما أرض القارة جنوبي دائرة الاستواء ، فيسيطر عليها ضغط مرتفع ، يلتحم بمنطقتين للضغط المرتفع فوق المحيطين الهندي والأطلسي .

ويسبب توزيعات الضغط هذه تهب على شمال القارة من منطقة الضغط المرتفع الأزوري وامتدادها فوق البحر المتوسط رياح تجارية شمالية في الغالب أو شمالية عربية على الجزء الشمالي من أفريقيا حتى السودان ، وهي جافة وتلطف

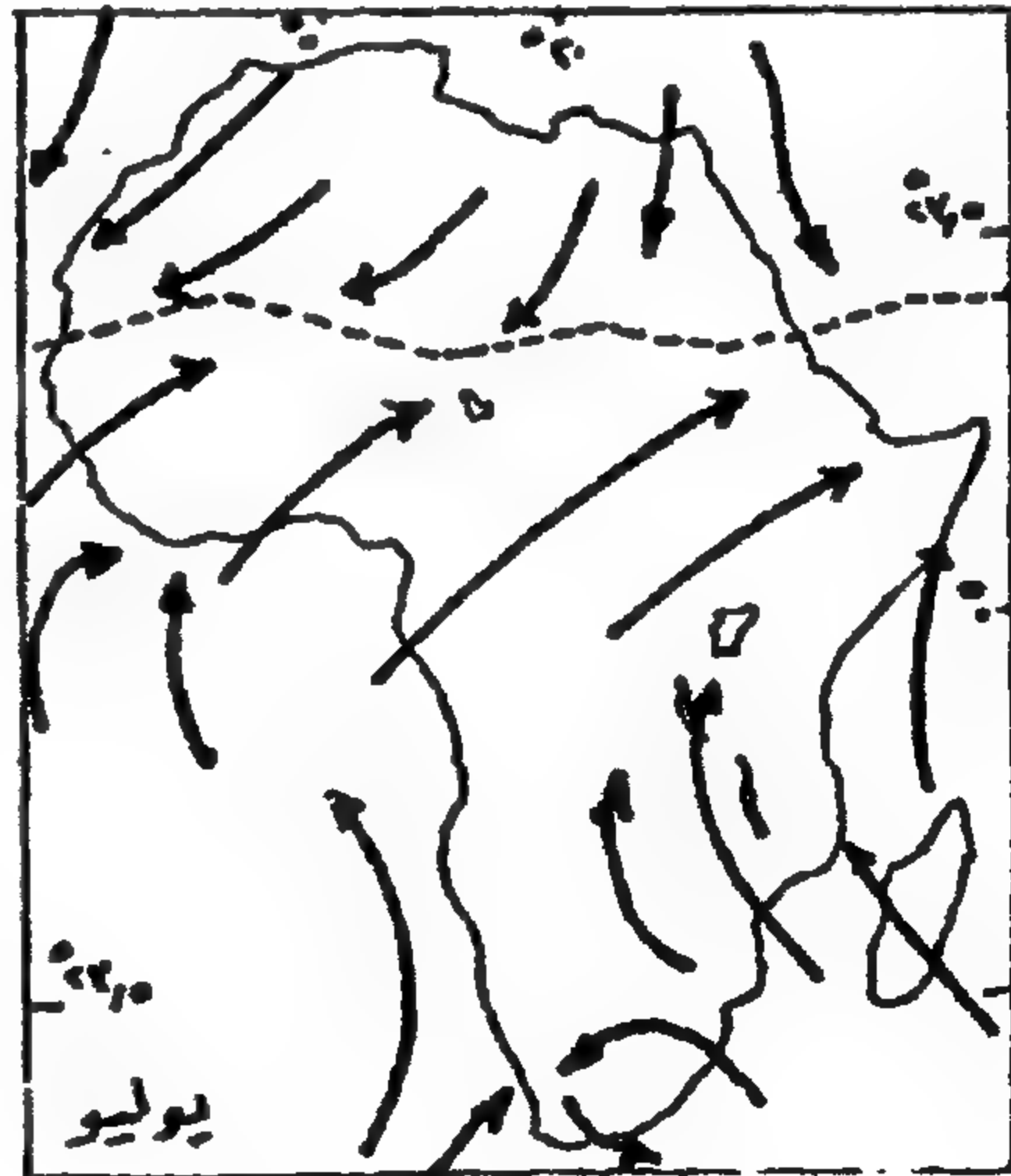
من درجة حرارة الشمال ، لكنها كلما توغلت جنوباً ازدادت درجة حرارتها ، وبالتالي ازدادت مقدرتها على حمل بخار الماء ، وهي لذلك حاققة ، وهي تساعد السفن الشراعية في السير في نهر النيل ضد تياره جنوباً .

ومن منطقتي الضغط المرتفع على المحيطين الهندي والأطلسي تهب رياح موسمية جنوبية غربية على أرض أفريقيا الواقعة بين دائرة الاستواء ودائرة ١٨° شمالاً . والرياح أصلها تجارية جنوبية شرقية في جنوب دائرة الاستواء ، وحينما تعبر الاستواء تغير اتجاهها تبعاً لقانون فو ، وتصبح جنوبية غربية وهي تمطر بغزارة على حوض الكونغو ، وساحل غانا ، لأن مرتفعاته تتعامد عليها ، كما تسقط الأمطار على السودان والحبشة

وتهب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية على جنوب القارة فيما بين ٣٠° جنوباً وخط الاستواء ، وتسقط مطراً على مدغشقر ، والساحل الشرقي الجنوبي خط الاستواء . أما الساحل الشرقي لأفريقيا ، شمالي خط الاستواء حتى دائرة عرض ٨° شمالاً ، وهو ساحل الصومال ، فهو جاف ، لأن الرياح تسير بحذاء الساحل غير متعامدة عليه ، ولهذا تكونت صحراء الصومال . ويلاحظ أن أمطار جنوب القارة تقل كلما اتجهنا غرباً . وتهب على أقصى جنوب القارة



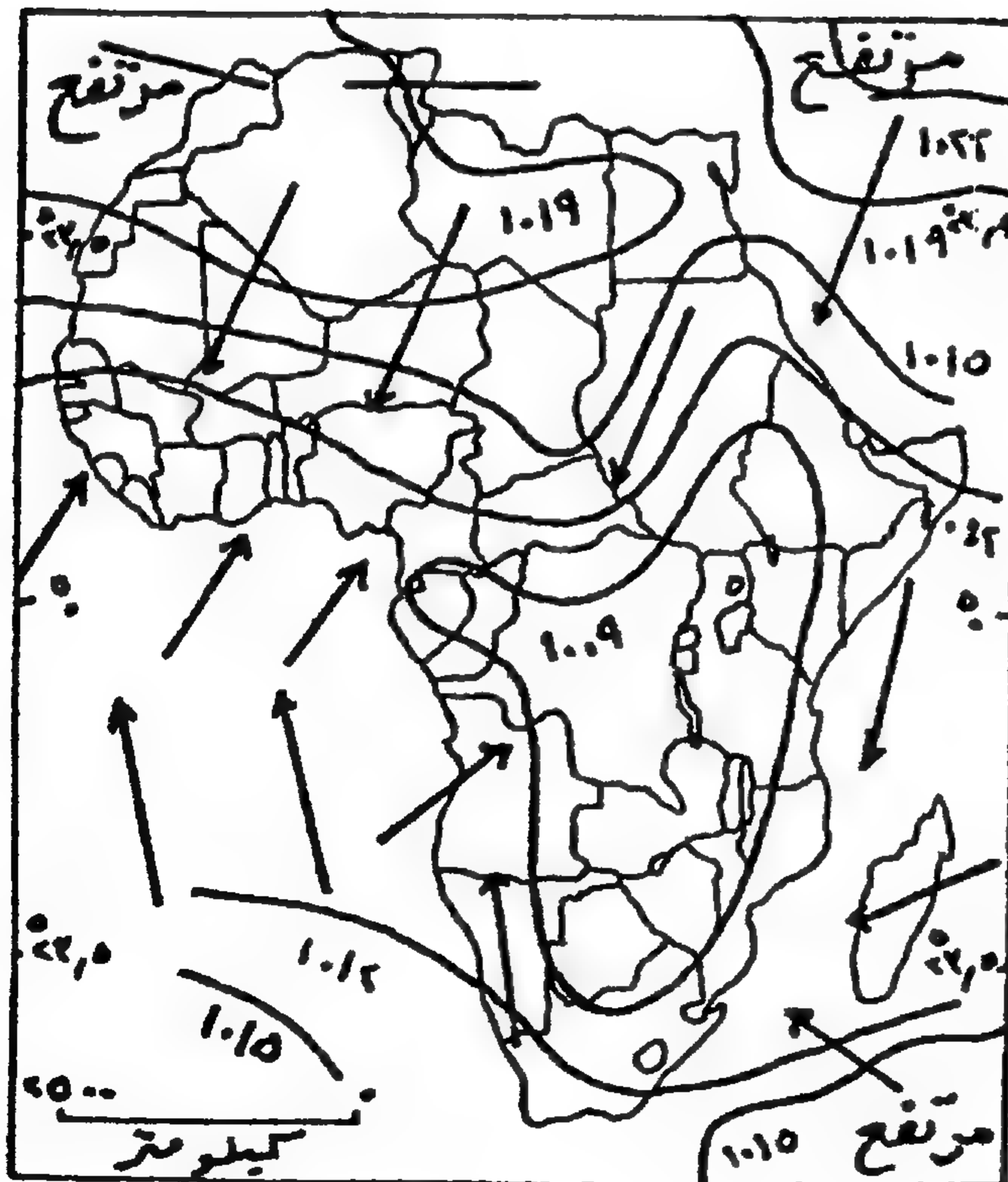
شكل (٢٥) ارياح شتاء



شكل (٢٤) الرياح صيفا

رياح عكسية شمالية غربية مضيئة ، ويقل المطر في هذا الجزء بالاتجاه نحو الشرق

أما في الشتاء (شهر يناير) فإن الشمس تتعامد على نصف أفريقيا احصوي ، فيتكون على يابس القارة في نصفها الشمالي ضغط مرتفع نظرا لبرودته النسبية ، ويتصل هذا النطاق غربا بالضغط المرتفع الأزوري ، وشرقا بالضغط المرتفع الآسيوي . ويصبح البحر المتوسط بذلك عبارة عن نطاق من الضغط المنخفض النسبي تحيط به نطاقات من الضغط المرتفع (في الشمال ضغط مرتفع فوق أوروبا) . ويصبح يابس نصف أفريقيا الجنوبي مركزا لضغط منخفض بسبب حرارته ، بينما تجاوره شرقا وغربا منطقتا ضغط مرتفع مداري على المحيطين الهندي والأطلسي



شكل (٢٦)
الضغط والرياح
من نوفمبر
إلى أبريل

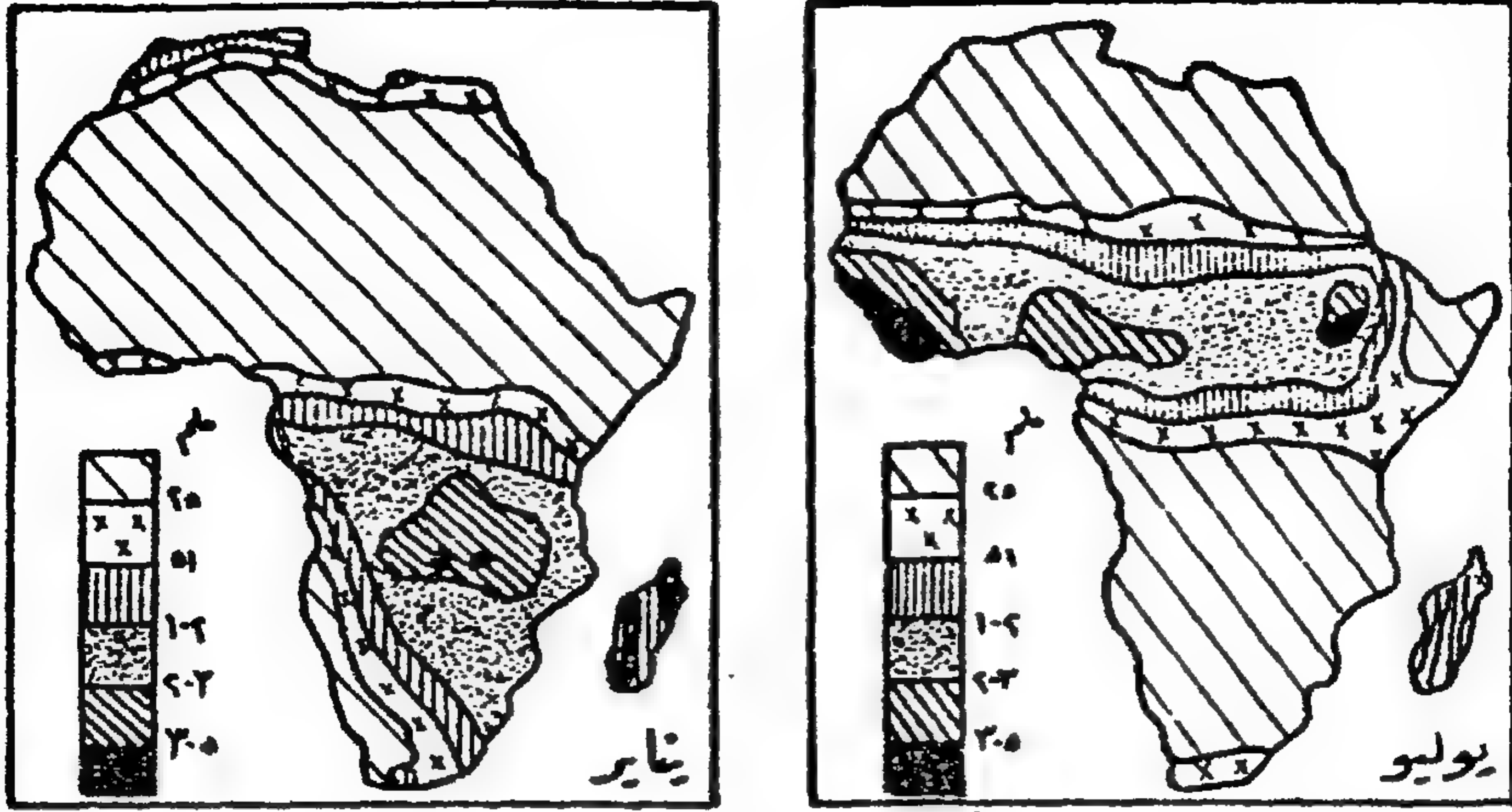
ويسبب توزيعات الضغط هذه ، تهب من الضغط المرتفع الأزوري رياح عكسية جنوبية غربية على إقليم البحر المتوسط في ساحل أفريقيا الشمالي ، مصحوبة بأعاصير ممطرة ، والأمطار في الغرب والشمال أغزر منها في الشرق وكلما اتجهنا من الساحل جنوبا . أما على الصحراء الكبرى ، فالرياح الهابة تكون شمالية شرقية جافة . وتهب على جنوبي القارة من منطقة الضغط المرتفع على المحيط الهندي رياح تجارية جنوبية شرقية ممطرة ، تسقط المطر على مدغشقر ، والساحل الشرقي لأفريقيا جنوبي خط الاستواء ، ويقل مطرها كلما سارت غربا حتى تصل جافة إلى صحراء كلهاري . ويلاحظ أن الرياح تسير بحذاء ساحل أفريقيا الغربي جنوبي دائرة الاستواء ، لهذا فهي لا تسقط عليه مطرا .

نظام المطر وكميته :

يسود نظام المطر الاستوائي في أفريقيا عموما فوق الجهات التي تقع على جانبي دائرة الاستواء بنحو خمس درجات عرضية . وسبب المطر راجع إلى كثرة التبخر ، والتيارات الهوائية الصاعدة المشبعة ببخار الماء ، وكثرة الزوابع المرعدة . وهو يسقط طول العام . ويغزر في الاعتدالين (في فصل الربيع والخريف) نظرا لتعامد الشمس فوق النطاق الاستوائي ، وما يترتب على ذلك من كثرة التبخر ، بينما يقل بطبيعة الحال في الإقليمين (الصيف والشتاء) .

ويشيع هذا النظام في حوض الكونغو وهضبة البحيرات الاستوائية ، وتزيد كمية المطر السنوية على ١٥٠ سم (٦٠ بوصة) . والمطر في حوض الكونغو أغزر من هضبة البحيرات ، ويقل المطر نوعاً في شرقي هضبة البحيرات ، فتصبح كميته حوالي ١٠٠ سم (٤٠ بوصة) . كما تتميز بهذا النظام أيضا سواحل غانة ، حيث تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية متعاونة مع التيارات الهوائية الصاعدة في إسقاط أمطار تبلغ كميتها السنوية أكثر من ١٠٠ سم (٤٠ بوصة) .

ويسود السهل الساحلي في شرق أفريقيا بين درجتي عرض صفر و ٢٠° جنوبا نظام استوائي للمطر أيضاً ، حيث التبخر اليومي والتيارات الصاعدة



شكل (٢٧) : المتوسط الشهري للتساقط

بالإضافة إلى أمطار الرياح التجارية الجنوبية الشرقية على حافة الهضبة . وكمية المطر أكثر من ١٠٠ سم (٤٠ بوصة) . وتمثل هذا النظام محطات أرصاد عدة مثل أكاسا ، ولاجوس ، ومباسا .

أما النظام دون الاستوائي فيسود الأراضي الأفريقية فيما بين درجتي عرض 5° - 8° شمالاً وجنوباً . وهنا تقل كمية المطر عن النظام السابق كما يقصر فصل سقوطه ، فيصبح عشرة أشهر ، ويتميز ، كالنظام الاستوائي ، بقميتين للمطر لكنهما هنا تقعان في أوائل الصيف وآخره . ويرجع سبب سقوط المطر إلى الرياح التجارية الجنوبية الشرقية ، والموسمية الجنوبية الغربية ، بالإضافة إلى التيارات الهوائية الصاعدة .

ويسود النظام السوداني أراضي أفريقيا الواقعة بين دائرتي عرض 8° - 18° شمالاً وجنوباً . وتتحدد موسمية المطر هنا بفصل الصيف حين تتعامد الشمس ، وتشتد الحرارة . وتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية على إقليم السودان الشمالي . وتبلغ كمية المطر السنوية حوالي ٥٠ سم (٢٠ بوصة) ، وتقل الكمية كلما بعدنا عن دائرة الاستواء حتى تصل إلى ٢٥ سم (١٠ بوصة) في أطراف الأراضي المجاورة للصحراء .

أما النظام الموسمي فيشمل الحبشة ، وظهر ساحل غانة ، وسبب المطر هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الصيف ، وتسبب التضاريس المرتفعة غزارة المطر ، وتبلغ كمية أكثر من ١٠٠ سم (٤٠ بوصة) .

ويسود نظام المطر المعروف بنظام جنوب الصين في المنطقة المعتدلة الدفئة التي تشمل الساحل الشرقي جنوب مدار الجدي ، ومطره طول العام ، لكنه يزداد في الصيف ، وتهب عليه الرياح التجارية الجنوبية الشرقية ، ويقل المطر كلما بعدنا عن الساحل .

والى الغرب من نظام جنوب الصين يسود نظام القلذ ذو الأمطار الصيفية ، التي تقل كلما اتجهنا غربا . وسبب المطر هبوب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية .

أما النظام الصحراوي فيشمل الصحراء الكبرى في شمال أفريقيا ، وصحراء كلهاري في جنوبها ، ثم صحراء الصومال في شرقها . والأمطار فجائية ، ولا تزيد كميتها السنوية على ٢٥ سم (١٠ بوصة) . وسبب ندرة الأمطار ، وبالتالي تكوين هذه الصحاري ، أنها في نطاقات مدارية حيث الهواء الهابط ، وحيث تصلها الرياح التجارية جافة ، تلك الرياح التي تكون شمالية شرقية على الصحراء الكبرى ، وجنوبية شرقية على صحراء كلهاري . أما بالنسبة لصحراء الصومال فإن الرياح تهب موازية لساحلها سواء في الصيف ، وهي الرياح الجنوبية الغربية ؛ أم في الشتاء وهي الشمالية الشرقية .

ويشمل نظام البحر المتوسط ذو المطر الشتوي منطقتين . إحداهما في شمال أفريقيا وهي منطقة أطلس ، والأخرى في جنوب غربي القارة . وسبب المطر الشتوي هبوب الرياح العكسية والأعاصير . أما جفاف الصيف فسيبه هبوب الرياح التجارية الجافة .

هذا ويمكننا أن نلخص مواسم سقوط المطر وتوزيعها على القارة في النقاط

التالية :

١ - جهات ممطرة طوال العام : وهي تشمل حوض الكنفو وساحل غانة

- والساحل الشرقي وهضبة البحيرات الاستوائية .
- ٢ - جهات ممطرة صيفا : وتشمل معظم السودان والحبشة وروديسيا .
- ٣ - جهات ممطرة شتاء : وهي الأطراف الشمالية والشمالية الغربية (إقليم أطلس) ، وأقصى جنوب غرب القارة .
- ٤ - جهات نادرة المطر : وهي الصحراء الكبرى ، وصحراء كلهاري وصحراء الصومال .

الأقاليم المناخية

محاولة تفهم المناخ وأثره على البيئات الجغرافية في العالم ، حدث بعلماء المناخ إلى التقدم بعدد من التقسيمات المناخية ، كل منها له مثالب وميزات خاصة . وبحسب التقسيمات المناخية لأوستن ميللر A. Miller ، تتمثل في أفريقيا سبعة أنماط منها هي :

أولاً : المناخات الحارة ؛ لا تقل الحرارة في أي شهر من الشهور عن ٦٤° ف (١٨° م) .

- ١ - المناخ الاستوائي ؛ ويتميز بقمطين للمطر .
- ٢ - المناخ المداري البحري ؛ لا يحوي موسم جفاف حقيقي .
- ٣ - المناخ المداري القاري ؛ فصل الشتاء جاف .
- ٤ - المناخ المداري القاري ؛ موسمي متنوع .

ثانياً : المناخات المعتدلة الدفيئة أو شبه المدارية ؛ لا تقل الحرارة في أي شهر من الشهور عن ٤٣° ف (٦° م) .

- ١ - مناخ الهامش الغربي (نوع البحر المتوسط) ؛ المطر شتوي .
- ٢ - مناخ الهامش الشرقي ؛ مطر منتظم أو متناسق .

ثالثاً : المناخات الصحراوية ؛ المطر السنوي بالبوصة أقل من خمس المتوسط السنوي للحرارة بالدرجات الفهرنهيته .

- ١ - الصحاري الحارة ؛ لا تقل الحرارة في أي شهر من شهور السنة عن ٤٣° ف (٦° م) .

وكل هذه الأنواع يمكن أن يتعدّل بتأثير الارتفاع عن سطح البحر
ولا شك أن تقسيما عاما إلى عدد قليل من الأنماط المناخية لا يعطي سوى
صورة تقريبية عن الأحوال المناخية لرقعة كبيرة من الأرض كقارة أفريقيا .

أولا : المناخات الحارة

المناخ الاستوائي :

يسود نطاقا يمتد من ساحل تنجانيقا في الشرق عبر معظم حوض الكونغو ،
وعلى امتداد ساحل خليج غينيا غربا حتى ليبيريا . ويزيد المتوسط الحراري
الشهري على ٧٠°ف (٢١°م) خلال شهور السنة جميعا ، لكن درجات الحرارة
القصوى التي نجدها في العروض المدارية لا تُسجل هنا إطلاقا . ولا يزيد المدى
الحراري والسنوي على ثلاث درجات مئوية (خمس درجات فهرنيتية) إلا
نادراً ، والمدى اليومي لا يزيد عادة على $٨,٥^{\circ}\text{م}$ أو ١٥ درجة فهرنيتية . وتؤكد
هذه الأرقام ، خصوصا السنوية منها ، حقيقة أن الاختلاف صغير في الحرارة
بين كتلة هوائية وأخرى تالية لها في هذه العروض ؛ بينما يعكس الفرق الحراري
اليومي الكبير نوعا تأثير الشمس على حرارة الجو ، وحقيقة أن سطوع الشمس
اليومي ثابت تماما خلال السنة .

ويتميز المطر الاستوائي بقميتين سببها هجرة الجبهة الحارة المدارية عبر
النطاق شمالا عقب الاعتدال الربيعي (مارس) بقليل ، وجنوبا بعد الاعتدال
الخريفي (سبتمبر) بفترة وجيزة . ويسبب الفروق الفصلية الصغيرة في الحرارة ،
فإن الفصول يصير تمييزها بالرطوبة والجفاف ، بدلا من الحرارة والبرودة .

وفي كل مكان نجد أحد الفصلين الرطبين أكثر مطرا من الآخر ، ولهذا
تتميز الأمطار « الأكثر » عن الأمطار « الأقل » وتطلق على كثير من الأسماء
المحلية . فمتوسط أمطار مدينة عتبة (أوغندا) ٢٥ بوصة (٦٣ سم) في الثلاثة
شهور من مارس إلى مايو ، بينما يهبط المتوسط إلى ١٣ بوصة (٣٣ سم) فقط
من أكتوبر إلى ديسمبر . ويسقط على لاجوس (نيجيريا) ٣٩ بوصة (٩٨ سم)

في موسم الأمطار الأكثر من مايو إلى يوليو ، و ١٦ بوصة (٤٠ سم) في الموسم الأقل مطرا من سبتمبر إلى نوفمبر .

ويتساقط المطر في هيئة رخات انقلابية غزيرة من الهواء المداري البحري جنوب نطاق إلتقاء الهواء المداري ؛ وتتباين الكمية الكلية تبعا للظروف المحلية ومنها مقدار البعد عن البحر والاتجاه الذي منه يأتي الهواء الرطب . ولهذا فإن بلدا مثل دوالا Douala ، في خليج يافرا ، تتلقى كمية من المطر مقدارها ١٥٩ بوصة (٣٩٨ سم) في السنة ؛ بينما مدينة ممباسا Mombasa (كينيا) ، رغم وقوعها على الساحل ، لا يصيبها سوى ٤٧ بوصة (١١٨ سم) سنويا ويسقط على معظم المدن الداخلية كمية سنوية تتراوح بين ٦٠ - ٧٠ بوصة (١٥٠ - ١٧٥ سم) .

المناخ الاستوائي فوق المرتفعات:

ومن المناخ الاستوائي فرع متميز يمثل فوق المرتفعات ويسمى « المناخ الاستوائي المعتدل » أو « نوع المرتفعات » ، ويوجد على ارتفاع يتراوح بين ١٥٠٠ - ٣٠٠٠ متر فوق البحر . وهنا نجد الحرارة أقل ارتفاعا ، والمدى الحراري السنوي صغير جدا ، لكن المدى الحراري اليومي أكبر ، نظرا لأن تأثير الهواء الخفيف فوق المرتفعات يكون محدودا في الإشعاع السريع بالليل ، وفي الإشعاع الشمسي أثناء النهار .

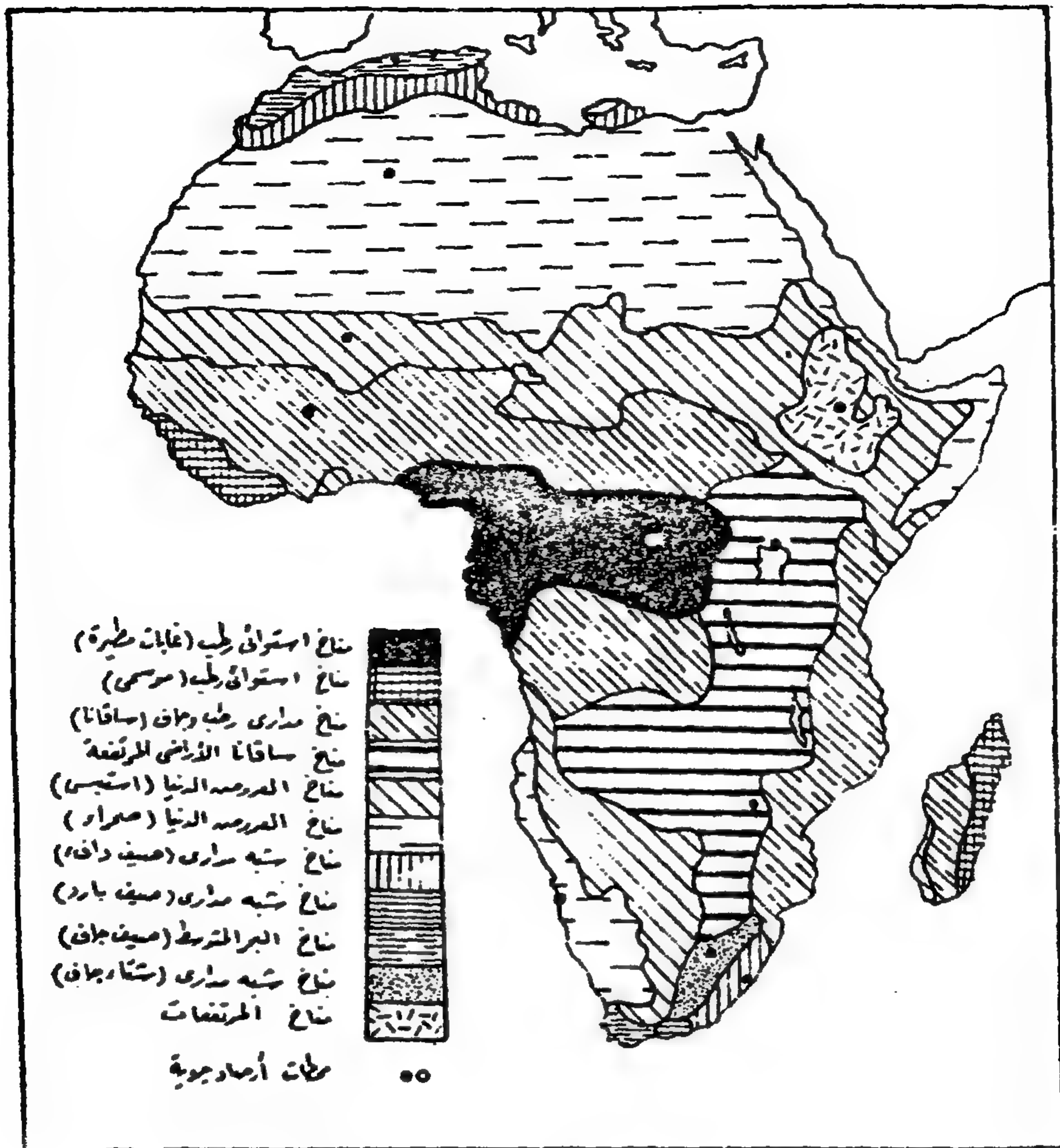
ويبقى نظام سقوط المطر كما هو دون تغيير ، لكن إجمالي المطر أقل نوعا . فكمية المطر الساقطة على نيروبي في كينيا (وارتفاعها ١٦٥٠ مترا أو ٥٤٩٥ قدم) تبلغ ٣٩ بوصة (٩٨ سم) سنويا ، مع قمتين للمطر في أبريل ونوفمبر ؛ ومتوسط حرارتها السنوية ١٧°م (٦٣°ف) ، ومتوسط حرارة أبرد الشهور ١٥°م (٥٩°ف) ، والأخير يمكن أن يخرج نيروبي من نوع المناخ الاستوائي ، لكن مع مدى حراري سنوي مقداره ٣,٥°م أو ٦°ف فقط ، فإن المدينة تتصف بكل ميزات المناخ الاستوائي الأخرى ، وينبغي أن ينظر إلى مناخها على أنه مناخ استوائي معدّل بسبب الارتفاع .

ومهما يكن من شيء فإن هذه التعديلات محدودة الاتساع في أفريقيا ، نظرا لأن قسما صغيرا من النطاق الاستوائي بها هو الذي يعلو ١٢٠٠ متر (٤٠٠٠ قدم) . وتعتبر مرتفعات كينيا أهم قسم فيه من الوجهة الاقتصادية . وتنبغي ملاحظة أن معظم كينيا وأوغندا وشمال تنجانيقا ، رغم أنها تتميز بنوع المناخ الاستوائي الحقيقي ، إلا أن درجات حرارتها أقل من الأراضي التي تتصف بمثالية المناخ الاستوائي قرب الساحل الغربي . مثال ذلك بلدة عنتبة Entebbe (أوغندا- ارتفاعها ١١٥٥ مترا أو ٣٨٤٢ قدم) التي تسجل متوسطا لأبرد الشهور مقداره ٢٠,٥°م (٦٩°ف) ، ومتوسطا سنويا مقداره ٢١°م (٧٠°ف) ، وفي بلدة تابورا Tabora (في تنجانيقا ، الارتفاع ١٢٥٠ م أو ٤١٥١ قدم) ، يُسجل أبرد الشهور درجة حرارة ٢١°م (٧٠°ف) ، أما المتوسط السنوي فيبلغ ٢٣°م (٧٣°ف) .

المناخات المدارية البحرية :

تمتد من حوالي دائرة العرض ١٠° جنوبا في تنجانيقا إلى دائرة العرض ٣٠° جنوبا في جنوب أفريقيا . وتغطي أيضا الجزء الشرقي من مدغشقر . ومعظم المطر يأتي من نطاق التقاء الهواء المداري أثناء شهور الصيف ، أما في الشتاء فإن هذه السواحل تتأثر برياح شرقية تأتي معها بكتل هوائية مدارية بحرية . ورغم أن هذا الهواء رطب ، إلا أنه دافئ نسبيا ، ويميل في العادة إلى أن يصبح أكثر ثباتا واستقرارا حينما يصل إلى اليابس . لهذا فإن المطر لا يسقط عادة ، إلا حينما تتدخل التضاريس وتمارس تأثيراتها . حيثُذ ينشأ الضباب كما يتساقط الرذاذ على حضيض الحافة العظيمة على الخصوص ، لكن المطر الغزير نادر الحدوث .

وتماثل درجات الحرارة في النهاية الشمالية للنطاق ما تسجله المراصد في المناخات الاستوائية ، فمتوسط الحرارة السنوي في بلدة ليندي Lindi (على دائرة عرض ١٠° جنوبا) يبلغ ٢٧°م (٨٠°ف) ، بينما الفرق الحراري السنوي ٣°م (٦°ف) فقط ، لكننا بالابتعاد عن دائرة الاستواء تنخفض درجات الحرارة ،



شكل (٢٨) : الأقاليم المناخية لأفريقيا

ويرتفع المدى الحراري ، حتى نصل إلى مدينة ديربان على دائرة عرض ٣٠° جنوبا فنجد متوسطها الحراري السنوي ٢١°م (٧٠°ف) ، والفرق الحراري السنوي ٧°م (١٣°ف) . معنى هذا أن قمة المطر الوحيدة هي التي تميز المناخ المداري عن المناخ الاستوائي وذلك في الشمال . أما في الجنوب فإن تمايز الفصول هو العامل المميز للنوعين المناخيين ، فهنا يمكن التفريق بين صيف وشتاء عن طريق التباين الحراري .

المناخات المدارية القارية

هي الأكثر شيوعا وانتشارا في أفريقيا ، باستثناء النوع الصحراوي ، ونجدها في شمال وفي جنوب دائرة الاستواء على حد سواء . وهي ، كالمناخات المدارية البحرية ، تتميز بقمة مطر صيفية ترتبط بنطاق التقاء الهواء المداري ، لكنها في الشتاء جافة تماما ، نظرا لأنها تقع حيث تحت تأثير كتل الهواء المداري القاري ، ولأنها شديدة البعد عن الساحل الشرقي حيث يرد الهواء المداري البحري ، كما أن الرياح التجارية الرطبة المطيرة لا تطولها . وفي الفصل الجاف تكون الرطوبة منخفضة ، وتكون السماء صافية ، مما يتيح فرصة ارتفاع الحرارة .

وغالبا ما تكون الحرارة أعلى من المناخات الاستوائية حيث تحجب السحب الإشعاع الشمسي عن الأرض فترات أطول . ففي بلدة كايس Kayes (في جمهورية مالي) يبلغ المتوسط الحراري لأشهر مارس وأبريل ومايو 32°C ، $34,5^{\circ}\text{C}$ ، $35,5^{\circ}\text{C}$ (89°F ، 94°F ، 96°F) على التوالي . لكن في شهر يونيو ، حينما يبدأ موسم الأمطار ، تهبط الحرارة إلى 29°C (84°F) . وتبلغ كمية المطر السنوي $72,5$ سم (29 بوصة) ، يسقط منها 65 سم (26 بوصة) في الفترة بين يونيو وسبتمبر ؛ وحينما ينتهي المطر ترتفع الحرارة قليلا من 28°C (82°F) في شهر سبتمبر إلى $29,5^{\circ}\text{C}$ (85°F) في شهر أكتوبر . من هنا نرى أن السحاب والمطر يؤثران في الحرارة ، التي تتأثر أيضا بحركة الشمس .

والظروف المناخية التي تصاحب الفصل الرطب تماثل تلك الظروف المرتبطة بنطاق التقاء الهواء المداري في المناخات الاستوائية . فالرطوبة عالية ، والمدى الحراري اليومي صغير . وكلما ابتعدنا عن النطاق الاستوائي نحو المناطق الصحراوية ، كلما قصر فصل المطر ، وتناقصت كمية الأمطار ، كما ويصبح المطر متذبذبا ، فيقل الاعتماد عليه . وتبلغ كمية الأمطار السنوية على هوامش النطاق الاستوائي نحو 125 سم (50 بوصة) ، ثم تتناقص لتصبح 25 سم (10 بوصة) على هوامش الصحراء .

المناخات المدارية فوق المرتفعات :

تمثل زميلاتها الاستوائية ، في أنها تختلف عن النمط الأصلي في الكم لا في النوع والنظام . فما تزال تسجل نهاية عظمى سنوية واحدة في الحرارة ، وقمة واحدة للمطر أيضا ، لكننا نصادف شهرا أو شهرين يهبط فيها متوسط درجة الحرارة إلى ما تحت ١٨°م (٦٤°ف) . وينطبق هذا الوصف المناخي على معظم هضبة جنوب أفريقيا . ففي روديسيا نجد مدينة سالسبوري Salisbury (ارتفاعها ١٤٦٠ مترا أو ٤٨٥٦ قدم) وبولاوايو Bulawayo (ارتفاعها ١٣٣٥ متر أو ٤٤٣٥ قدم) نسجلان درجات حرارة أدنى من ١٨°م (٦٤°ف) في أربعة أشهر ، من مايو حتى أغسطس ؛ بينما لا يرتفع المعدل الحراري عن هذا القدر في مدينة جوهانسبيرج Johannesburg (ارتفاعها ١٧٨٠ متر أو ٥٩٢٥ قدم) إلا في ثلاثة أشهر فقط من السنة . ورغم أن المحطات الثلاث تتصف بنظم حرارية تقريبا من نظم المناخات المعتدلة الدفئة ، إلا أن نظم مطرها ذات طبيعة مدارية ، لهذا يحسن وصفها بأنها تتميز بمناخات مدارية معدلة .

المناخ الموسمي القاري المداري :

وهو نمط معدل أيضا من المناخات المدارية ، ويتشر انتشارا عظيما في آسيا أكثر منه في أفريقيا . ويتميز بأن نظم الرياح تتصف بطبيعة نسيم البر ونسيم البحر على نطاق واسع ، وعلى مدار السنة ، بدلا من الحركة اليومية . والجزء الوحيد الذي يخالف هذا النظام هو القسم من جمهورية الصومال الذي يقع إلى الشرق من خط طول ٤٦° شرقا . ففي أثناء شهر يناير يسود تيار من الهواء المداري البحري الهاديء الآتي من الشمال الشرقي ، أما في شهر يوليو فتصبح الرياح جنوبية غربية رغم أنها تتصف بنفس الخصائص من جفاف وهله ونبات .

وتبعاً لذلك فإن جمهورية الصومال لا يسودها مناخ موسمي من نوع مناخ الهند الغزير الأمطار ؛ فهي في الواقع جافة ، فمتوسط كمية المطر السنوي لا

تزيد على ست بوصات (١٥ سم) ، تتساقط كلها في رخات غزيرة أثناء أشهر الصيف . وتبعاً لنظام سقوط المطر هذا ، فإنها تنخرط في مجموعة المناخات القارية المدارية ، لكن كمية المطر الساقطة ، وهي قليلة ، تلحقها بالمناخ الصحراوي .

ثانيا : المناخات المعتدلة الدفيئة

مناخ الهامش الغربي المعتدل الدفيء أو نوع البحر المتوسط :
وينحصر وجوده في الأجزاء الشمالية من مراكش والجزائر وتونس وبرقة (ليبيا) ، وفي محافظة الكاب في جنوب غرب أفريقيا . وتلك هي الأراضي ذات الأمطار الشتوية ، والجفاف الصيفي . وسبب المطر تدفق الهواء البحري القطبي وما يصحبه من نشاط الجبهات في المنخفضات الجوية المشتقة من الجبهات القطبية .

مناخ الهامش الشرقي المعتدل الدفيء

يتمثل في النصف الجنوبي فقط ، نظرا لعدم وجود ساحل محيطي في شرق أفريقيا في عروض شيوخ هذا النوع المناخي الشمالية - وتتساقط على نطاق الساحل الجنوبي لجنوب أفريقيا ، فيما بين خطي طول ٢٠° - ٣٠° شرقا مطر معتدل الكمية طوال العام . ففي الشتاء تجلب المطر للنطاق أعاصير الرياح الغربية ، وفي الصيف الهواء البحري المداري المصاحب للرياح التجارية الجنوبية الشرقية ، ويعتبر عامل الارتفاع هذا ذو أهمية في إسقاط المطر الصيفي .

ثالثا : المناخات الصحراوية

تعتبر الصحراء الكبرى أكبر منطقة في العالم تتميز بمناخات الصحراء الحارة ، فهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر ، وتجدها امتدادا واستمرارا في صحراء شبه جزيرة العرب . والمطر بطبيعة الحال قليل ، نظرا لأن كتل الهواء السائدة هي المدارية القارية الشديدة الثبات والعظيمة الاستقرار ، والمشتقة أساسا من هبوط الهواء العلوي فوق الصحراء الكبرى ذاتها ، ولهذا فهي جافة ومستقرة . وفي الشمال ، تهب أحيانا عواصف ممطرة مصحوبة بهواء

رطب ونشاط إعصاري يغزو الصحراء من البحر المتوسط في الشتاء . وفي الهامش الجنوبي للصحراء تحدث بالمثل عواصف قليلة ، تصحب في العادة الامتداد الشمالي الأقصر للهواء الاستوائي خلف (جنوب) نطاق التقاء الهواء المداري (الرهو الاستوائي) ، الذي يتحرك شمالا ويصل إلى النطاق الصحراوي ، ويتوغل فيه في بعض فصول الصيف أكثر من البعض الآخر .

ولا يوجد جزء من الصحراء يخلو تماما من المطر ؛ بل إن بعضا من الجبال العالية في داخلية الصحراء يتلقى كمية من الأمطار تكفي لنمو حياة نباتيه متوسطة الغنى ، ويمكن تسميتها « واحات المرتفعات » . وتأتي أمطار هضبة الحجار ، على الخصوص ، إما من هواء البحر المتوسط البحري القطبي ، في الشتاء ، أو من الهواء الاستوائي البحري الآتي أصلا من جنوب الأطلسي في الصيف .

ويغطي معظم جنوب غرب أفريقيا قسم صحراوي أصغر من الكبرى بكثير يتميز بمناخ الصحراء الحار . فالشريط الساحلي يقع بصفة دائمة تحت تأثير هواء مداري بحري هابط شديد الاستقرار ، أما في الداخل فيشيع هواء مداري قاري هابط فوق الهضبة . وأي هواء مداري بحري يأتي من المحيط الهندي فإنه يتعدل ويصبح جافا حالما يصل إلى الصحراء . وكما هو معتاد في الأقاليم الجافة ، فإن المطر الساقط يصحب عواصف انقلابية عنيفة ، وهو متغير لا يُرْكَن إليه .

الفصل الرابع

النبات والأقاليم النباتية

ينقسم النبات الطبيعي إلى ثلاث مجموعات رئيسية : هي مجموعة الغابات ومجموعة الحشائش ثم مجموعة النباتات الصحراوية . ويتباين توزيع هذه المجموعات في أفريقيا تبانيا كبيرا . فتغطي الأشجار نحو ١٨,٥٪ من مساحة القارة ، وتغطي الحشائش ٤٢,٥٪ بينما تغطي النباتات الصحراوية نحو ٣٩٪ من مساحة أفريقيا .

وتنقسم مجموعة الغابات في أفريقيا إلى الأنواع الاستوائية والموسمية والمعتدلة ، ومجموعة الحشائش إلى أنواع السفانا والحشائش المعتدلة ثم النبات الصحراوي .

١ - الغابات الاستوائية:

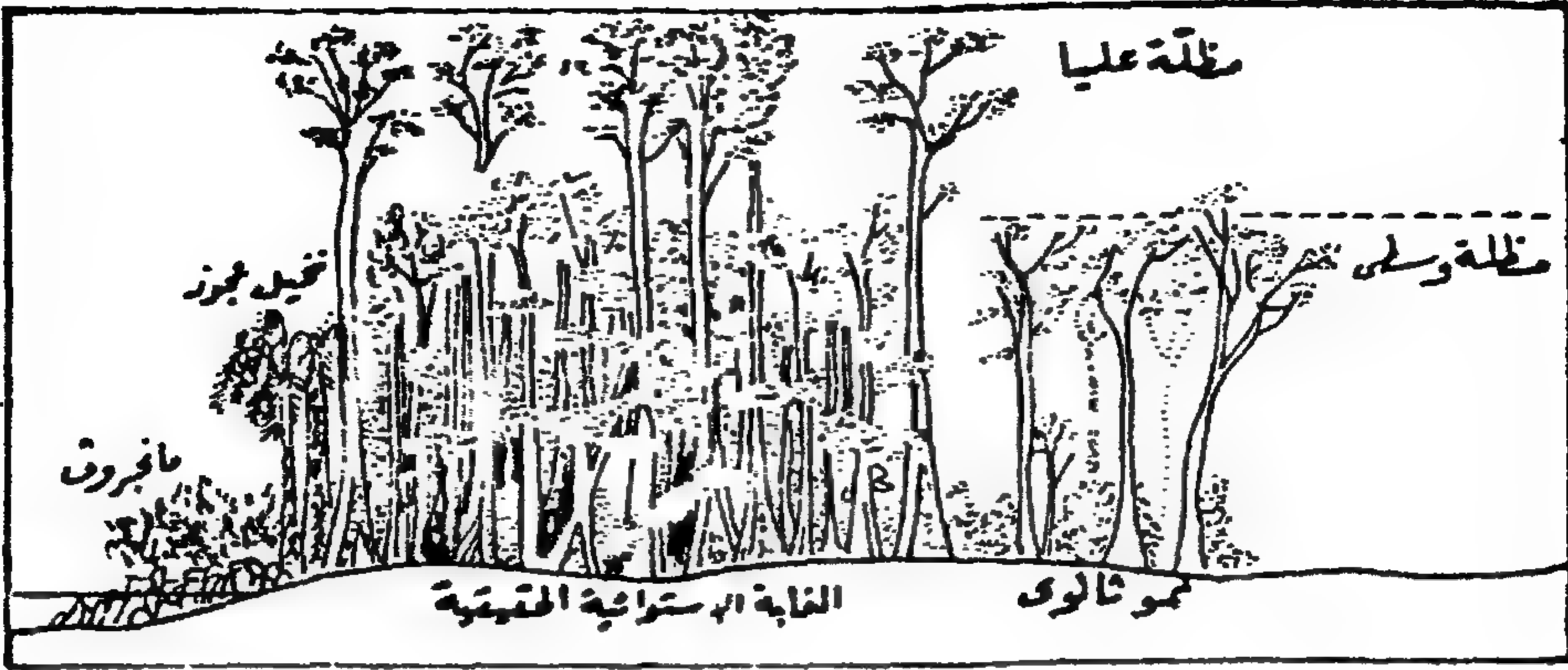
يتنشر وجودها في ساحل غانة وحوض الكونغو والساحل الشرقي الاستوائي ، من دائرة الاستواء إلى دائرة عرض ١٠° جنوبا . وبسبب الظروف المناخية المواتية ، من حرارة مرتفعة وأمطار دائمة ، فإن أشجار الغابة الإستوائية دائمة الخضرة . وهي أشجار ضخمة طويلة ، يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٥٠ مترا (نحو ٣٠٠ قدم) ، وأغصانها متشابكة لدرجة أنها تشكل أكثر من غطاء فوق أرضية الغابة ، كل غطاء منها يتناسب مع أطوال الأشجار . وتنمو بالغابة نباتات طفيلية ، وأخرى متسلقة تنفذ من خلال الثغرات بين الأشجار الضخمة لكي تصل إلى ضوء الشمس ، وهي من كثرتها تسد المنافذ خلال الغابة .



شكل (٢٩) الأقاليم النباتية لأفريقيا

والغابة لهذا مظلمة ، ويصعب اجتيازها ، وتكثر بها المستنقعات والمياه الراكدة ، وهواؤها غير صحي .

وتتضمن الغابة الاستوائية عددا كبيرا من أنواع الأشجار ، وتعدد الأنواع في المكان الواحد ، حتى لتصل إلى ٣٠ نوعا في الفدان الواحد . وهذا التنوع يؤدي إلى صعوبة استغلالها ، ولولا وجود أنواع ذات قيمة اقتصادية كبيرة لتوقف استغلال أشجارها الطبيعية . وأهم أنواع الأشجار القيمة هي المطاط



شكل (٣٠) : الغابة الاستوائية

ونخيل الزيت والكابلي والأبنوس والساج والكاكاو والكونولا (نوع من البندق الأفريقي) وجوز الهند والموز والمانجو والساجو (وهو نوع من النخيل الاستوائي) .

هذا وقد حاولت الدول الأوربية التغلب على ما بالغابة الاستوائية من صعاب وتمكنت من استغلال أجزاء منها ، فاعتنت بطب المناطق الحارة للتغلب على الأمراض ، وشقت بها طرقا لنقل خيراتها ، كما أزال غابات مساحات عديدة منها خلال عدة أجيال ، وزرعت مكان الأشجار الطبيعية المتفرقة ، مزارع لنخيل الزيت الذي يتشر الآن ويسود جنوب نيجيريا والكميرون .

هذا وتزخر غابة أفريقيا بالزواحف والأفاعي في داخلها ، وبالحيوانات المتسلقة كالقردة والنسائيس ، والطيور ذات الريش الجميل التي تسكن الأغصان كالبيغاء . وفي مياه المجاري المائية تمرح السلحفاة المائية وفرس النهر .

٢ - الغابات المعتدلة

وتنمو على الخصوص في الأراضي التي تتميز بمناخ البحر المتوسط ، الحار الجاف صيفا ، والدفء المطر شتاء ، وذلك في جبال أطلس ، وفي إقليم الكاب وهي أشجار دائمة الخضرة أهمها الزيتون ، وشجيرات صغيرة ذات

جذور طويلة لتصل إلى الماء الجوفي في موسم الجفاف الصيفي ، وتدعى في أوروبا (فرنسا) باسم الماكي Maquis . وفي المستويات العالية من الجبال تنمو أشجار البلوط والقليين وشجر الأرز المخروطي .

وقد بلغ الإنسان درجة كبيرة في استثمار أراضي الغابات المعتدلة ، فقطع الكثير منها ، وأخل مساحات كبيرة لزراعات مناسبة كالكروم والتين والموالح والزيتون . كما زرع الفواكه الجافة كاللوز والجوز ، والأشجار ذات القيمة الاقتصادية كالفلين ، والنباتات العطرية ، فضلا عن الحبوب وأخصها القمح والشعير ، ثم الخضراوات .

٣ - السفانا العالية (الغنية أو الغاية)

تسود السفانا العالية في هضبة البحيرات الإستوائية وفي جنوب السودان . حيث تقل الحرارة نوعا (فوق الهضبة) أو حيث تتعرض المنطقة لفصل جفاف . وتشتد كثافة السفانا ، ويزداد علوها كلما اقتربنا من الغابات الاستوائية ، كما تزداد أعداد الأشجار التي تكتنفها وتتداخل فيها في نفس الاتجاه . وما تزال

شكل (٣١)
سفانا غنية
عالية تتخللها أشجار
(سفانا بستانية)





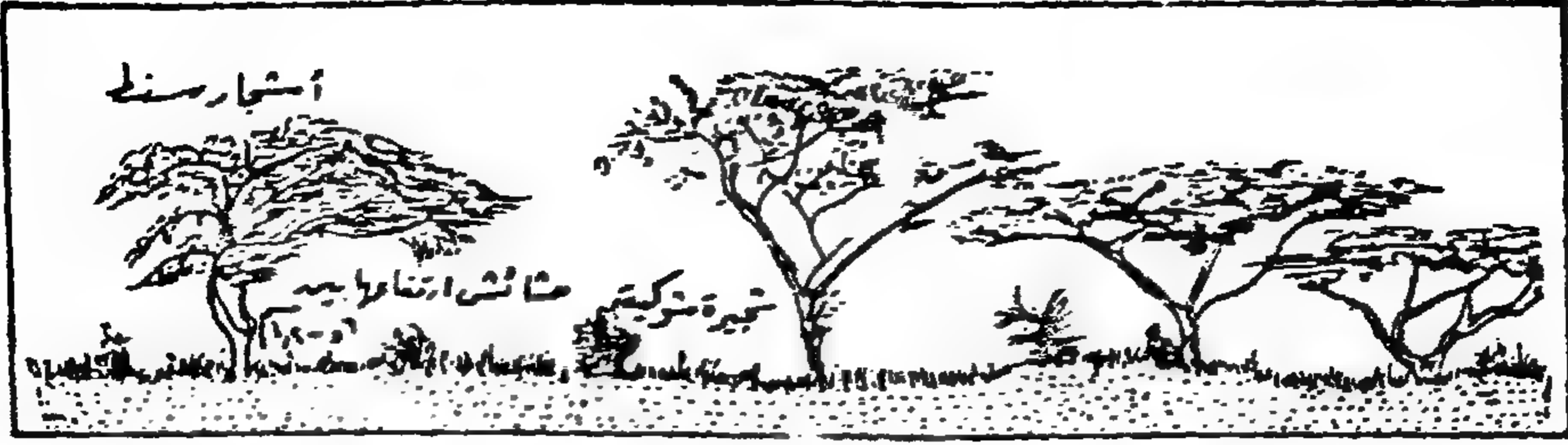
شكل (٣٢)
سفانا تتخللها
أشجار شوكية في
الجهات التي
أمطارها ٥١ سم

الحشائش العالية هي المظهر النباتي السائد ، ولذا تسمى أحيانا بالسفانا البستانية . وعلى ضفاف المجاري المائية التي تشق طرقها خلال السفانا تنمو الأشجار الضخمة وتشابك فوقها مكونة لما يشبه الأروقة أو الدهاليز ، لهذا تسمى بغابات الدهاليز .

والنمو النباتي سريع عقب سقوط الأمطار ، حتى ليصل طول النبات أكثر من المترين . لكن الحشائش تجف وتتحرق في موسم الجفاف . والحشائش ذات قيمة اقتصادية محدودة ، فهي خشنة وقليلة الأهمية كغذاء للماشية . ويعيش في نطاق السفانا العالية الأسد والنمر ، والفيل والفهد ، والجاموس البري ، والخرتيت ، والبقر الوحشي .

٤ - السفانا المكشوفة (المتوسطة) :

وهي حشائش متوسطة الطول ، يقل فيها النمو الشجري . وهنا وهناك تنمو أشجار من عائلة السنط . ويتشر وجودها في موسم المطر فوق مساحات كبيرة من القارة من السنغال حتى القرن الأفريقي وجنوب أفريقيا . والأشجار



شكل (٣٣)

سفانا شوكية تنمو في تربة صلصالية سوداء تسود أراضي منبسطة في جنوب كينيا وتنزانيا

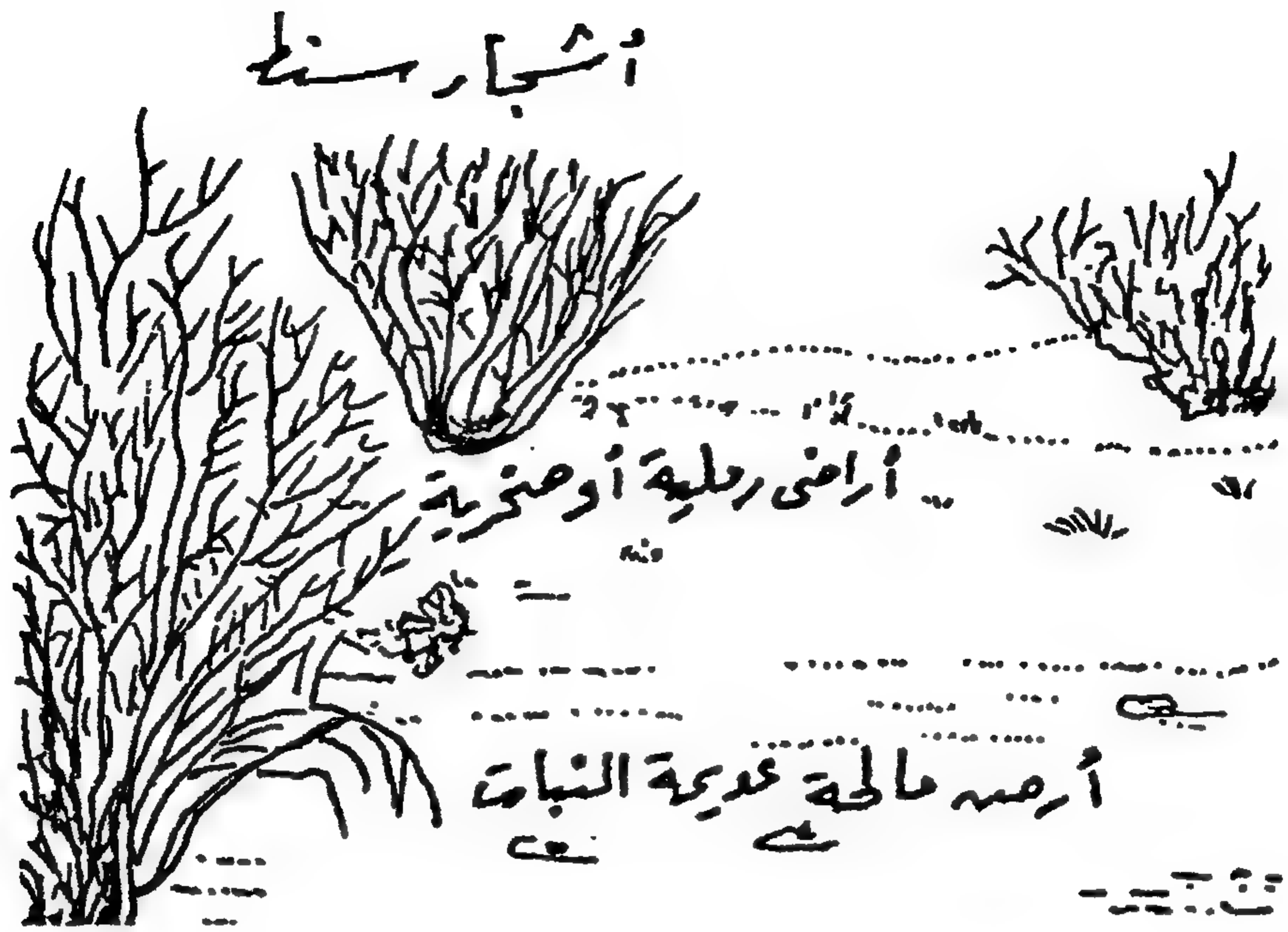
شوكية في الغالب وغير طويلة . وفي موسم المطر ينحضر الإقليم ، وتمرح فيه أعداد كبيرة من الحيوانات كالزراف وحمر الوحش والوعول وأُسود . والحشائش ذات قيمة غذائية محدودة . ونظرا لجودة التربة ، فإن أراضي السفانا المكشوفة تزرع بالحبوب خصوصا الذرة والدخن وكذلك الفول السوداني .

٥ - السفانا الفقيرة (القصيرة) :

تسود النطاق الانتقالي إلى الأراضي الصحراوية . وهي عبارة عن حشائش قصيرة ، تتركبها أشجار شوكية أشهرها أشجار السنط الذي ينتج الصمغ (العربي) . وموسم نموها محدود ، لكنها ذات أهمية خاصة للرعي سواء على هامش الصحراء الكبرى أو في هوامش القارة الشرقية والغربية . والحيوان البري يتمثل في النعام والغزال . وللإقليم مستقبل طيب خصوصا في السودان في أراضي الجزيرة وكسلا وطوكر حيث تستخدم وسائل الري لزراعة المحصولات الحارة وخصوصاً القطن .

٦ - النباتات الصحراوية :

هي نباتات قصيرة وهزيلة وتنمو مبعثرة ، وتتجمع حيثما سمحت الظروف بكمية من الأمطار . وقد تنمو أشجار السنط عند أطراف الصحاري في بيئة تنبت بها أعشاب شوكية . وهذه وتلك تتحائل على ظروف الجفاف بطرق شتى . فبعضها يضرب بجذوره الطويلة في الأرض كالنخيل ، أو تكون سميكة الأوراق كالتين الشوكي والصبير ، أو تكون إبرية الأوراق كالشوك . وفي داخل



شكل (٣٤) : نباتات شبه صحراوية

الصحراء الكبرى نجد مساحات شاسعة تخلو تماما من النبات ، خصوصا حيثما سادت بحار الرمال التي تسمى بالعروق والأدهان .
 وحيثما تتوفر بعض النباتات في المنخفضات وبطون الأودية يرعى الإنسان الإبل والأغنام والماعز ، كما يشتغل بالزراعة في الواحات معتمدا على مياه العيون والآبار ، وأهم المزروعات الشعير والنخيل والزيتون وبعض الفواكه .
 وقد تمكن الإنسان من توصيل المياه إلى بعض المناطق الصحراوية ، كتوصيل مياه النيل إلى مديرية التحرير في غرب الدلتا ، وإلى جنوب الساحل الشمالي الغربي بمصر . وحفر الآبار الارتوازية للاستفادة من الماء الباطني في ري مشروعات زراعية في قلب الصحراء مثل مشروع الوادي الجديد في واحات مصر الغربية ، ومشروعات واحات الكفرة والجفرة ومنطقة فزان بليبيا . وتمكن الإنسان من استغلال المخزون المعدني بالصحاري الأفريقية ، فاستخرج النحاس من صحراء كلهاري والفوسفات والحديد وزيت البترول من الصحراء الكبرى في دول المغرب العربي وليبيا ومصر .

التربة

إنّ عمليات مسح التربة في الأراضي الأفريقية على نطاق واسع ، وبصورة مكثفة ، لم تحدث إلا حديثا ، لهذا فإن المعلومات الخاصة بأنواع التربات في أفريقيا مجزأة وغير وافية . فهناك اختلاف كبير بين الدراسات التفصيلية التي أجريت مثلا في غانا ونيجيريا وزائير وجمهورية جنوب أفريقيا ومصر ، والبيانات الأولية والاستكشافية الخاصة بالتربة في كثير من الأقطار الأخرى . ولكل من أقطار أفريقيا في وقتنا الحالي خريطة تربة تجهيزية مؤقتة ، لكنها تختلف اختلافا كبيرا في النوع وفي الغاية من إنشائها . فبعض عمليات مسح التربة كان الهدف منها دراسة الأصل ، والبعض الثاني لدراسة التعرية ، والثالث لأغراض الري ، والرابع بهدف الإنتاج المحصولي . وتبعاً لهذا ، ولتنوع الأهداف ، واختلاف طرق البحث ، وتباين تصنيفات التربة المستخدمة في مختلف الدراسات ، فإن عملية رسم خريطة تفصيلية للتربة يصبح صعبا للغاية ، ولهذا فإن خريطة دقيقة لتربات عموم القارة لم يتم إنشاؤها حتى الآن .

التربة وارتباطها بالمناخ والطبوغرافيا

كشفت الدراسات الحديثة في أنحاء مختلفة من القارة خطورة التصادم في الربط الكامل بين التربات من جهة ، والتوزيعات المناخية والنباتية من جهة أخرى . فأقاليم التربة لا تتوافق بدقة مع الأقاليم المناخية ، بل إن إقليما مناخيا واحدا قد يحوي عدة أنواع من التربات . ومن بين الأسباب شيوع التربات

المتخلفة التي تشير إلى الارتباط الوثيق بين التربات ومادة المنشأ الأصلية في الأراضي التي تتسم بطبوغرافية ناضجة وفي الأراضي الشابة أو الغير ناضجة طبوغرافيا .

وقد أكد الباحث ميلن G. Milne تأثير الطبوغرافيا المحلية على التربات المدارية أثناء دورة التعرية ، ورجح وجود التربات الشابة أو الغير ناضجة (التربات الهيكلية Skeletal or young soils) فوق الصخور التي انكشفت حديثا بالتعرية ، وتربات عملية الغسل eluvial or leached soils فوق السفوح الطليقة التصريف المائي ، وتربات الجاذبية الأرضية colloidal (gravity) soils على المنحدرات الهينة المنخفضة ، والتربات الفيضية نتيجة للإرساب النهري في قيعان الأودية النهرية . ومثل هذا التسلسل يدعى سلسلة التربة Catena

وقد لاحظ ميلن Milne أن كثيراً من تربات أفريقيا نتاج تطور طويل جدا ، وتعكس مؤثرات مناخات الماضي أكثر من ظروف المناخ الحالي . فكثير من أسطح الأرض الأفريقية قديمة ، قد عانت سلسلة متتابعة الحلقات من دورات التعرية ، كل دورة منها أنتجت مسلسل تربة .

ومخلص ميلن Milne من دراساته إلى أن التصنيف العالمي لمجموعات التربة الكبرى Great Soil Groups ، الذي يعتمد اعتمادا أساسيا على العامل المناخي في تكوين التربة ، أقل قيمة في رسم خرائط التربة في أفريقيا المدارية منه في العروض المعتدلة . معنى هذا أن المناخ مهم كعامل في تكوين التربات الأفريقية ، ولكنه ليس العامل الوحيد ، إذ ينبغي اعتبار العوامل الأخرى المشار إليها آنفا .

أنماط التربة

تربات اللاتو ، واللاتيرايت

رغم التحذيرات الأنفة الذكر ، فإن التأثير المناخي بصفة عامة يسود الخرائط التي نراها في المراجع ، حيث تجد النمط السائد لتوزيعات التربة يماثل الأنماط العامة لتوزيعات المناخ والنبات . ففي النطاق المداري نرى سرعة

التجوية وعملية الغسل تزداد حدة عن طريق درجات حرارة التربة العالية التي تعجل التفاعلات الكيميائية . وقد كان لاستمرار عمليات الغسل Leaching في بعض التربات ، خصوصا تربات لاتوسول Latosols ، أثره في النقص الواضح في مكوناتها من الأملاح والسيليكا اللازمة لغذاء النبات . وتعتبر هذه العملية السبب الرئيسي لاستنزافها كيميائيا ، وفي لونها الأحمر الذي ينشأ من كثرة وجود أكاسيد الحديد والألومنيوم Sesqui-oxides .

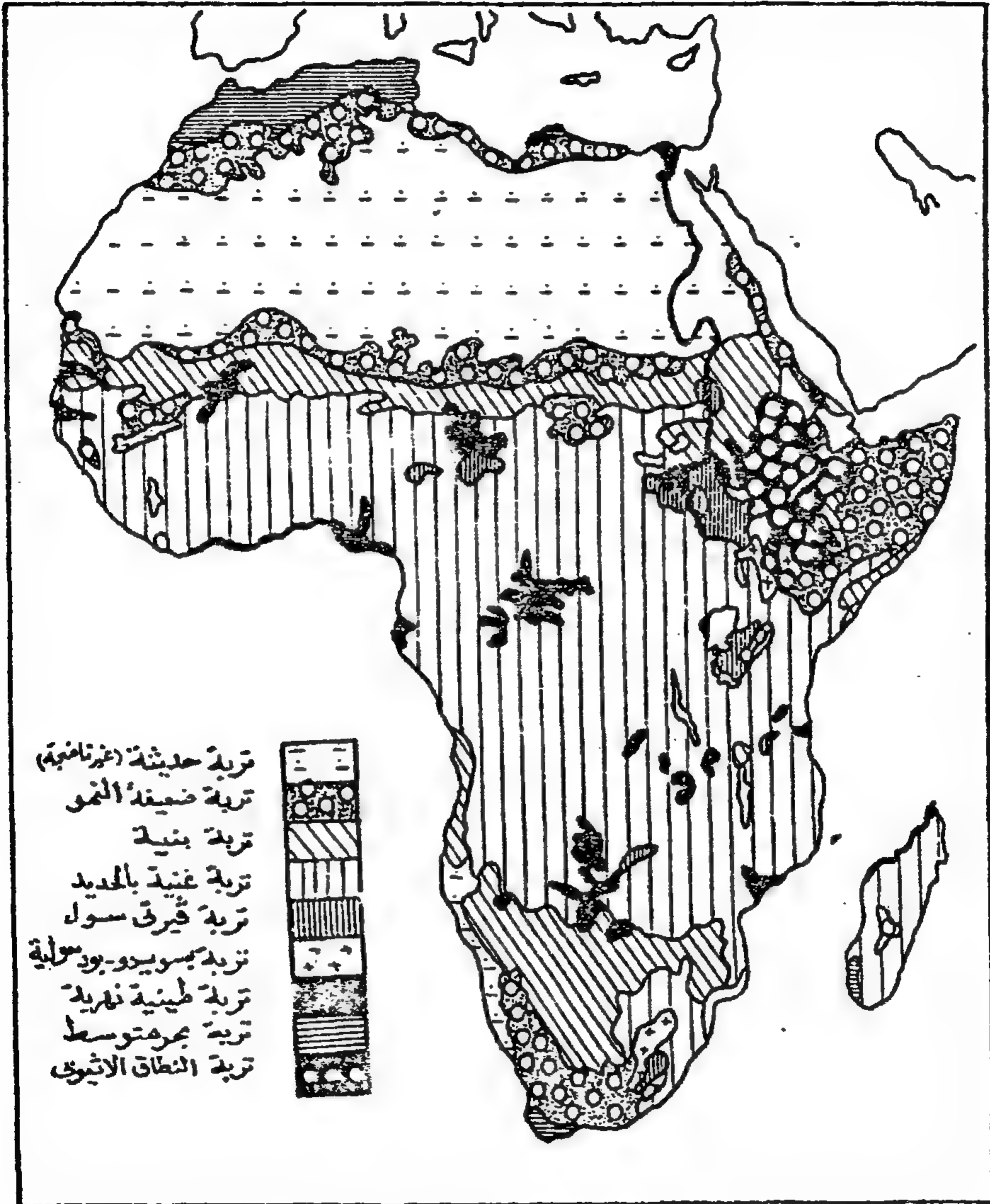
وتنبغي الإشارة إلى أنه ليست كل تربات اللاتو Latosols حمراء ، فقد تكون ذات لون أصفر ، أو أصفر محمر ، أو بني محمر ، أو أحمر مسود ، كما اقترحت أسباب عديدة لتكوينها . وقد احتدم الجدل على الخصوص حول كيفية تكوين الطبقة المندجة الصلبة التي تُعرف باللاتيرايت Laterite ، التي يرجح أنها نشأت عن طريق تتابع التشبع بالرطوبة ثم الجفاف . ويشيع وجود اللاتيرايت في غينيا وسيراليون ، وزائير والكنغو وجمهورية أفريقيا الوسطى ومدغشقر ؛ حيث يعرقل اندماجها وصلابتها استخدام الماكينات الحديثة في عمليات الزراعة .

ويقال إن فقر التربات المدارية في المواد المغذية يرجع إلى اختزان كميات هائلة منها في النباتات الغزيرة التي تغطي المساحات الغابية . وهناك صفة أخرى تميز التربات المدارية ، وهي سرعة أكسدة المواد العضوية على سطح التربة المكشوفة . وفي مثل هذه الأحوال ، فإن إزالة الغابات وعمليات الحرث غالبا ما تسلب التربة كثيرا من خصوبتها ، ولهذا فإن الزراعة المتنقلة قد تكون أنسب الطرق لاستغلال الأرض . ولا نشك أن فلح الأرض واستغلالها في زراعة المحصولات مفيد جدا .

تربات القطن السوداء

يشيع وجود تربات رمادية داكنة وسوداء ، تعرف أحيانا بتربات القطن السوداء ، أو التربات الصلصالية السوداء المدارية ، في الحوض الأعلى لنهر النيل ، وفي الأحواض الدنيا لنهر زامبيزي وشاير Shire ، وأيضا في أجزاء

من أفريقيا الشرقية . وهي غالبا ثقيلة ، لزجة ، سيئة الصرف نوعا لضعف النفاذية بسبب دقة حبيبات التربة . وهذه التربة السوداء هي المكافئ المداري لتربة شيرنوزيم Chernozem في المناطق المعتدلة ، ويصاحبها غطاء نباتي من الحشائش . لكن هذه التربة أقل خصوبة ، وأصعب في الفلح والاستزراع .



شكل (٣٥) : التربة في أفريقيا

التربات الكستنائية المحمرة ، والبنية المحمرة

في الأصقاع التي تقل فيها الأمطار نوعا ، تسود مجموعة من التربات الكستنائية المحمرة ، تليها في المساحات الأجف تربات بنية محمرة . وتحوي التربات الكستنائية من المواد العضوية كمية أكبر مما يوجد منها في التربات البنية ، والأخيرة تتميز بوجود مستوى سفلي كلسي نشأ عن تراكم المواد الجيرية . وتوزيع هذه التربات على خرائط التربة عام جدا ، لكن هناك دراسات تفصيلية في مناطق انتشارها في شمال أفريقيا وفي جنوب أفريقيا تشير إلى وجود مساحات ليست بالضيقة تسودها تربات بودزول Podzol (رمادية مغبرة تأثرت كثيرا بعمليات الغسل Leaching) ، وتربات رملية ، وأخرى ملحية Solonchak- Solonetz وتربات القشور الجيرية Lime- crust .

وتوجد التربات الرملية وتربات بودزول بصورة عامة في الجهات الجافة والجهات الرطبة على التوالي . بينما نرى التربات المالحة إما على امتداد السواحل المنخفضة المنبسطة ، أو في أحواض التصريف المائي الداخلي . أما تربات القشرة الجيرية فهي شائعة في المناطق شبه الجافة التي تتميز بفصلية المطر . والقشرة الصلبة الجيرية (Calcrete or caliche) تتكون على ما يبدو نتيجة للتبخر أثناء الفصل الجاف ، وترسب المواد الجيرية (بالخاصية الشعرية) على سطح التربة .

التربات الصحراوية

تختص الصحراء الكبرى الأفريقية ، وصحراء كلهاري بتربات صخرية وأخرى رملية ، وغالبا ما نرى مستوى سطحي خفيفا بني اللون محمرا ، يرتكز على مستوى أثقل أحمر اللون . وتحوي الصحراوان رواسب كثيرة من الرمال الهوائية ، المتحركة والثابتة ، كما تتضمن مساحات مالحة . وفي كثير من الحالات ، أثبتت التربات الصحراوية جدارتها وخصوبتها عند استخدام الري ؛ حتى صحاري الرق تخفي أحيانا تربات خصبة .

التربات البنية ، والتيراروسا وريندزينا

في الشمال الأقصى من قارة أفريقيا على طول امتداد أطلس التل في

المغرب ، تسود تربات البحر المتوسط الحقة ، وهي التربات البنية وتربات ريندزينا ، بينما تنتشر التيراروسا في شمال هضبة برقة بليبيا . وتُوصف هذه التربات بأنها تربات حدية متداخلة . فهي وإن كانت وليدة الظروف المحلية ، إلا أنها قد تتعدى الحدود إلى النطاقات الرئيسية للتربة في العالم . والتربات البنية مثالية لغابات البحر المتوسط الجافة ، وعمليات الغسل لم تؤثر فيها إلا قليلا ؛ وهي في الحقيقة تشغل موقعا انتقاليا بين تربات بيدوكال Pedocal (تربات غنية بالجير تختص بها الأراضي الجافة) وتربات بيدال فير Pedalfer (تربات فقيرة في الجير تتميز بها المناطق الرطبة) .

أما تربات ريندزينا Rendzina فهي مكونة من زواصب لوم Loam هشة رمادية داكنة ، أو بنية داكنة أو سوداء ، تنتشر في مناطق الصخور الجيرية ، وهي مع التيراروسا ، تستخدم في زراعة الكروم والزيتون .

وتعبر تيراروسا ، كغيره من أسماء التربات والتعبيرات البيدولوجية ، غير محدد بوضوح ، لكن يُرجح أنها تمثل البقايا المتخللة عن التعرية والتجوية الكيميائية للصخور الجيرية أثناء فترات طويلة من الزمن ، وهي ما تزال تحتوي على نسبة قيمة من المواد المغذية للنبات .

تربات الرمال البلايوسينية

وتتضمن هذه النطاقات العامة أنواعا عديدة وأنماطا كثيرة من التربات المحلية ، ويتوقف التنوع والتباين على تأثيرات كل من مادة الأساس الصخري والطبوغرافيا وعمليات الزراعة التي مارسها الإنسان من قديم الزمن أو من حديثه . ورغم أن التربات من أصل تعرية جليدية ليست بذات أهمية في أفريقيا ، إلا أن الرمال الهوائية البلايوسينية عظيمة الانتشار في وسط وغرب أفريقيا خارج الحدود الحالية للصحراء الكبرى وصحراء كلهاري .

التربات الفيضية

هناك مساحات واسعة من التربات الفيضية ذات القيمة الكبيرة من الوجهة الزراعية ، كالتربات المنتشرة في وادي النيل . ونظرا لممارسة الزراعة

الكثيفة والري الدائم ، كما في مصر ، تحتاج الأراضي الطينية الثقيلة إلى شبكة كبيرة من المصارف ، لتصريف المياه الزائدة عن الحاجة ، حتى لا يرتفع منسوب الماء الأرضي ، ويتسبب في إتلاف المحصولات .

التربات المستنقعية

كثير من البرك وتربات المستنقعات المنتشرة على نطاق واسع تنتظر تصريف مياهها ، وتخفيفها واستصلاحها . ورغم أنه يصعب تصور استصلاح مستنقعات شاسعة المساحة كمستنقعات بانجويلو Bangweulu في روديسيا ، ومستنقعات منطقة السدود المحيطة ببحر الجبل في جنوب السودان ، ومستنقعات سيراليون ، فإن استصلاح المستنقعات الصغيرة المساحة يرهمن على أنها ذات قيمة زراعية كبيرة ، كما في رواندا وبيروندي .

كما أن العمل يجري الآن في حفر قناة جونجلي (مشروع مصري - سوداني) في نطاق مستنقعات السدود بجنوب السودان لتحويل قسم عظيم من مياه النيل يُقدر بثمانية مليارات متر مكعب من المياه ، ترد من نيل ألبرت مباشرة ، محولة عن بحر الجبل ، إلى مصب السويات . وبالتالي يتم تخفيف مساحات شاسعة لصالح سكان جنوب السودان . بالإضافة إلى تقسيم المياه مناصفة بين مصر والسودان . وقد تم حتى شهر أكتوبر عام ١٩٧٩ حفر خمس طول القناة، وتوقف العمل بالمشروع بسبب الحرب الدائرة في جنوب السودان.

تعرية التربة

الزراعة الجائرة ، والرعي الجائر ، والنيان هي العوامل الثلاثة الرئيسية التي يضيفها الإنسان للإسراع في تعرية التربة ، التي أضحت مشكلة خطيرة جدا في أفريقيا . وهي على الخصوص متفشية في أراضي المراعي السالف منها والحالي ، والتي تتميز بفصلية واضحة للمطر . وتؤثر التعرية بصفة خاصة في التربات ذات النسيج المتوسط والدقيق ، وفي تربات السفوح التي يزيد انحدارها على درجتين ، وقليل من دول أفريقيا قد سلمت من تعرية التربة ، التي تحدث في أشكال متنوعة ، والتي تلاشت بسببها مساحات واسعة كانت صالحة للزراعة .

فقد انتشرت تعرية التخذيد Gully ، وتعرية الريح ، والتعرية الشريطية .

ولأنه ليصعب تحديد التأثيرات النسبية لكل من الأسباب الطبيعية والعوامل البشرية ، ولكن مما لا شك فيه أن قلة السكان في أفريقيا كان له تأثير فعال . فالأرض فيما مضى كانت وفيرة زائدة عن حاجة السكان ، لدرجة أنه لم يكن هناك داع لرعايتها والعناية بها . ولكن حالما أخذ عدد السكان في النمو المستمر ، كان لا بد من تغيير هذه النظرة ، والالتفات إلى أهمية المحافظة على خصوبة الأرض .

وتجري أعمال المحافظة على التربة وصيانتها بصورة فعالة في جمهورية جنوب أفريقيا ، حيث أتلقت التعرية مساحات لا يستهان بها ؛ وكذلك في روديسيا وكينيا ، وإن كان العمل قد بدأ منذ بضعة عقود قليلة من الزمن . وفي كثير من الأقطار ، كان الألوان قد فات لإنقاذ مساحات واسعة من التربة الخصبة من آثار التعرية . وتتضمن إجراءات إعاقاة عمليات التعرية ، إعادة التشجير ، والرعي المنظم ، واستخدام وسائل الري ، وتدرج المنحدرات ، واستعمال طريقة الزراعة الكتورية ، والحصاد الكتوري ، وبناء السدود الأرضية ، وتثبيت التربة ؛ ويجري هذا جنبا إلى جنب مع التحسينات العامة في العمليات الزراعية . وتساعد في هذا المجال أيضا الدورات الزراعية العلمية ، والرعي الدوري ، والزراعة المختلطة . هذا وينبغي أن يحدث تحول جذري في الأحوال الاجتماعية للسكان كي تؤدي هذه الإجراءات أكلها ، وتأتي بالفائدة المرجوة منها .

خصوبة التربة

لقد تواتر ذكر انخفاض خصوبة التربات المدارية في أفريقيا . ويعزى هذا في بعض أسبابه إلى أن التكوينات الصلصالية المكونة لها ذات طبيعة كاؤولينية ، كما وأن هذه التربات فقيرة عموما في المحتوى العضوي . ونظرا لأن تربات الغابات الرطبة تندهور بسرعة ، ويقل إنتاجها ، بسبب عمليات الغسل leaching وأكسدة المواد العضوية ، فإنه يلزم تركها بدون زراعة (شراقي) فترة من الزمن لإراحتها ، وبالتالي صيانة خصوبتها .

ولا شك أنه من بين المشكلات الرئيسية التي تواجه الزراعة الأفريقية مشكلة إطالة المدة التي تظل الأرض أثناءها خصبة ، وهي مشغولة بالزراعة . وسيكون للأسمدة الكيماوية مستقبل كبير في أفريقيا ، خاصة وأن الوطنين قد بدأوا يكتشفون مزايا استخدامها ، كما تستخدم في مزارع الأوربيين . ومع هذا فإن استخدام الأسمدة لم يأت في كل الأحوال بالتأثير المرجو منه في التربة المدارية . وحتى إضافة السماد العضوي ، حيثما كان متوافرا ، كانت متباينة النتائج في إفادة التربة في مختلف الأمكنة . ورغم أن السماد مفيد في زيادة المواد المغذية للنبات ، وفي تحسين نسيج التربة الرطبة ، إلا أنه أكثر فائدة لتربة المناطق الجافة خصوصا حين تقل الأمطار . وبسبب انتشار ذباب تسي تسي في كثير من المناطق المدارية الرطبة في أفريقيا ، فإن السماد العضوي الحيواني يصبح نادرا ، كما وأن المزارع الأفريقي ، فيما عدا المصري ، لم يعتد الاهتمام بتوفير السماد البلدي .

ومما لا شك فيه أن إدخال الزراعة المختلطة في كثير من أجزاء أفريقيا (باستثناء الأجزاء ذات الكثافات السكانية المرتفعة) يرفع من خصوبة التربة ، ويسهل إحلال المحراث محل الفأس . لكن الزراعة المختلطة ينبغي أن تدخل في الأراضي التي تخلو من ذباب تسي تسي ، وهذه هي أراضي أفريقيا الجافة . لهذا فإن التقدم في هذا الشأن ينبغي أن يتظر القضاء على ذبابة تسي تسي .

الأوبئة والأمراض

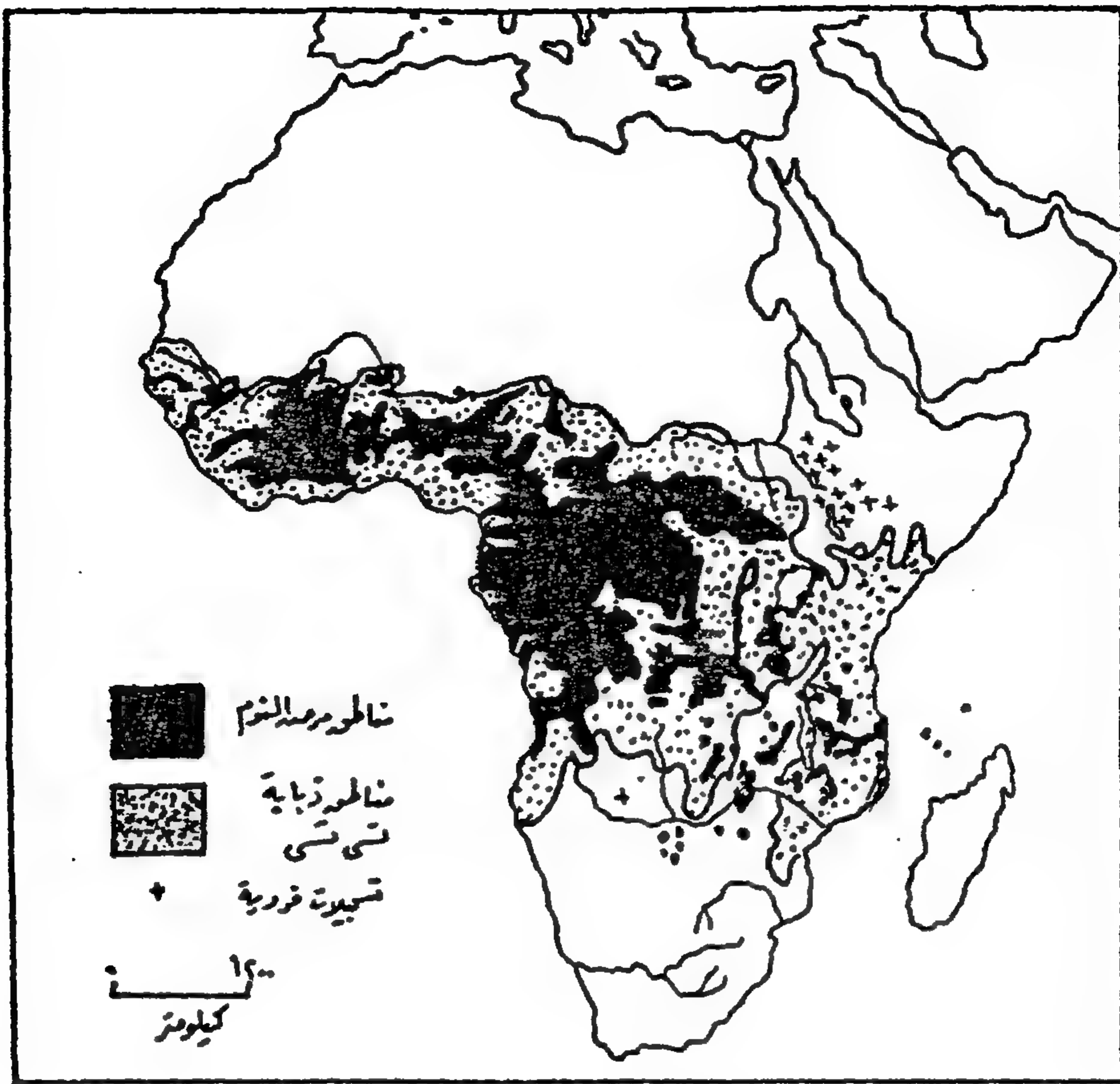
لكل قارة أمراض متوطنة ، وأفريقيا لا تشذ عن ذلك ؛ بل هي قد اشتهرت بأمراض خاصة ، تنتشر على الخصوص في مناطقها المدارية الحارة الرطبة . وقد كان تأخر كشف القارة ، وتحلفها في الأخذ بأسباب الحضارة ، أثره في انتشار الأوبئة والأمراض ، التي كانت تقضي على أعداد هائلة من السكان ، ومن الحيوانات أيضا . ولعل أشهرها مرض النوم الذي يمتد تأثيره على الإنسان والحيوان ، والذي ما يزال متشرا في مساحات واسعة تشمل معظم

قسمها الأوسط . وهذا المرض يؤدي في العادة إلى وفاة الإنسان ، وإذا حدث ونجا منه بشر ، فإنه يظل عليلا سقيما بقية حياته .

ومرض النوم هو المسئول عن خلو أجزاء فسيحة من النطاق الاستوائي الأفريقي من الماشية ، حيث يتفشى وجود ذباب تسي تسي الذي يشيع المرض القاتل لها . ولهذا نجد الماشية على هوامش النطاق الإستوائي في السفانا السودانية حيث نجد الخيول أيضا . وحيثما تتواجد هذه الذبابة يغيب الحيوان ويقل الإنسان ، وبالتالي فقد تحدثت مناطق التركيز السكاني ، وقيام الممالك الأفريقية خارج مجال وجودها . ورغم اكتشاف أمصال مضادة يتم تطعيم الإنسان والحيوان بها وقاية لهما من شر هذا المرض ، ومع تحضير الكثير من المبيدات التي عن طريقها يتم تطهير الأحراش التي تعيش فيها وتتكاثر ذبابة تسي تسي ، إلا أن القضاء عليها أمر صعب ، يتطلب الكثير من الجهد والمال .

وفي أفريقيا الاستوائية والمدارية الرطبة أمراض أخرى ، عدا مرض النوم ، يتم نقلها عن طريق الحشرات من شخص لآخر ، كالمالاريا والحمى الصفراء والالتهاب الرئوي . ورغم وجود ما يقاومها من أمصال ومضادات طبية ، إلا أنها متفشية ، نظرا للفقر المدقع الذي يترتب عليه عدم توفر المسكن الصحي المناسب ، ومياه الشرب النقية ، والنقص الكبير في الخدمات الصحية . ولا شك أن الفقر والجهل اللذين ما يزالان شائعين في أفريقيا الاستوائية والمدارية ، وراء كل هذه الأوبئة والأمراض وغيرها كالتاعون والجذام والتيفوس والبلهارسيا بل والأمراض التناسلية أيضا .

وأمراض سوء التغذية شائعة في أفريقيا . وهي أمراض ترتبط بالفقر من جهة ، ومن عادات الأكل التي تمارسها مختلف شعوب وقبائل القارة . وتبدأ أمراض سوء التغذية عند الأطفال بعد سن الفطام ، حين يستغني الطفل عن الرضاعة ولبن الأم . فيتأخر الطفل في النمو وتظهر في جسمه وقوامه صفات غير متناسقة ، فتصبح البطن بارزة ، بينما الأطراف نحيلة ، وتحدث تشوهات في العظام ، ومظاهر الأنيميا ، ويصاب الكبد بالأمراض مع مرور السنين . وتسبب أمراض سوء التغذية في وفاة كثير من الأطفال .



شكل (٣٦) : مناطق مرض النوم وذبابة تسي تسي في أفريقيا

والطب لم يعد عاجزا عن مكافحة هذه الأوبئة والأمراض ، فلكل منها الآن ما يقابله من الأدوية والمضادات الواقية . ولكن لكي يتحكم الطب فيها ، وتصبح تحت سيطرته ، أو يحصرها في أضيق الحدود ، لا بد من توافر أساسيات الحياة العادية للسكان ، من مسكن محسن ملائم ، ومياه شرب نقية ، وخدمات صحية مناسبة تكون في متناول قدرات الجميع ، ثم العناية بشق سبل المواصلات حتى تخرج مختلف مناطق القارة المتخلفة من عزلتها ، ذلك أن صعوبة المواصلات وانعدامها في أكثر الأحيان من أهم أسباب تخلف القارة ، وتفشي الأوبئة والأمراض بها . وحتى تجد القارة حلوًا سعيدة لهذه المشكلات جميعا ، ستظل شعوبها تعاني من أخطار هذه الأمراض والأوبئة .

السلالات الأفريقية

يسكن أفريقيا نحو ٦٧٠٠ مليون شخص ، لا يتمون لسلالة واحدة . فهم موزعون على عدد من السلالات أهمها السلالة الزنجية ، وهي أكبرها جميعا ، وتسكن مناطق فسيحة من القارة تشمل الغابة الاستوائية ومناطق السافانا الواسعة كلها . وتعيش السلالات الأخرى إلى الشمال وإلى الجنوب من مواطن السلالة الزنجية . ويُعتقد أن الوطن الأصلي لسلالات أفريقيا يرتبط بالوطن الأصلي للإنسان ، الذي يُرجح أنه كان في شمال شرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا . تلك المناطق التي كانت فيما مضى ، حين ظهر الإنسان ، تتميز بوفرة الأمطار وغزارة الحياة النباتية ، والغنى الحيواني ، وبالتالي كانت صالحة لمعيشة الإنسان الأول . ومن هذا الموطن الأصلي انتشر الإنسان في كل اتجاه عبر المعابر البرية التي كانت تصل بين قارات العالم القديم ، والتي حلت محلها الآن مضائق باب المنذب وجبل طارق وصقلية وتونس .

وقد اختلطت السلالات الأفريقية ببعضها في مناطق عديدة خصوصا في نطاق السافانا السودانية ، بحيث يصعب القول بأن هنالك سلالات نقية تماما في القارة . ومع هذا فإن الاختلافات السلالية من الواضح بحيث يمكننا تقسيم سكان أفريقيا إلى السلالات الآتية :

- | | |
|--------------------------|------------------|
| ١ - الأقزام . | ٣ - الزنوج . |
| ٢ - البوشمن والهوتنتوت . | ٤ - القوقازيون . |

الأقزام

وهم كما يدل الاسم قصار القامة ، إذ لا يتجاوز الطول ١٣٠ سم عند القزمي النقي ، لكن الطول يزداد إلى ١٥٠ سم عند الأقزام الذين اختلطوا بالزنوج . وطول المرأة يقل عن طول الرجل بنحو عشرة مستimeters . والأطراف غير متناسقة مع طول القامة . فالذراعان طويلان بالنسبة للجذع والأرجل القصار ، والوزن في المتوسط ٤٠ كج . ولون البشرة أسود مصفر ، والفك العلوي بارز ، والعيون واسعة جاحظة ، وشعر الرأس مفلقل ، والجسم مغطى بشعر خفيف يشبه زغب الريش أو القطن المندوف .

وهم يعيشون في داخل الغابة الاستوائية الأفريقية متفرقين في ثلاث مجموعات رئيسية . ففي شمال شرق الكنفو وحوض نهر سيعليكي وجنوب غرب أوغندا تعيش مجموعة البامبوت . وفيما بين نهر كساي ونهر الكنفو تعيش مجموعة الباتوا . وفي الغرب تسكن مجموعة البابينجا بين جنوب الكمرون وجابون .

ويتفرق أقزام كل مجموعة من المجموعات الثلاث في جماعات صغيرة العدد نسبيا تتراوح بين ٥٠ - ١٠٠ شخص ، ويحترفون الصيد والقنص والجمع . وأدوات الصيد هي القسي والسهام المسمومة ، و يجمعون جذور بعض النباتات والثمار . وهم يسكنون أكواخا صغيرة مخروطية الشكل . ويتبادل الأقزام منتجات الصيد مع الزنوج بالمحصول الزراعي ، فهناك تبادل تجاري بينهما يُعرف بالتبادل الصامت . إذ يبدو أن الأقزام ليست لهم لغة خاصة ، وقد تعلم بعضهم لغة الزنوج المجاورين لهم . وقد نشأ عن التبادل التجاري والجوار شيء من الاختلاط نتيجة للتزواج .

البوشمن والهوتتوت :

ينحصر وجودهم الآن في صحراء كلهاري ، لكنهم في الماضي كانوا منتشرين في أجزاء كثيرة من أفريقيا الشرقية ، واضطروا للتراجع والانعزال في الصحراء نتيجة لضغط الشعوب الأقوى والأكثر عددا . ولهم لغة خاصة بهم . والبوشمن كالأقزام قصار القامة ، لا يزيد طولها على ١٥٠ سم ، والأطراف

نحيلة ، والمعجز بارز جدا ، والبشرة بنية مصفرة ، والشعر مفلقل ، وعظام الوجنات بارزة ، والعيون ضيقة ، والأنف أفطس .

ويعيش البوشمن ، كالأقزام على صيد الحيوانات البرية بالقسي والسهام المسمومة ، لكنهم يفضلون العزلة ، فلا صلة ولا تجارة تربطهم بجيرانهم ، لهذا فإن مستواهم الحضاري منخفض جدا . ويتوزع البوشمن في جماعات صغيرة جدا ، لا يزيد عدد كل جماعة منها عن عشرة ، لكنهم قد يجتشدون لغرض معين كالاشتراك في الصيد .

أما الهوتتوت فهم مجموعة يرتبط اسمها دائما في المؤلفات العلمية باسم البوشمن ، وهم يشبهونهم سلاليا ، ولكنهم يختلفون عنهم حضاريا . فالهوتتوت رعاة بقر . ويبدو أنهم قد اختلطوا بعناصر زنجية في الموطن الأصلي قبل هجرتهم إلى الصحراء ، ويرى سيلجمان أن الدماء الحامية تجري أيضا في عروقهم .

الزنج :

تبدأ أفريقيا السوداء إلى الجنوب من الصحراء الكبرى وإثيوبيا . وتشمل ثلاثة أخماس المجموع الكلي لسكان القارة ، وما يقرب من ثلاثة أرباع الزنج في العالم . ولكن تعبير « الزنج » يتضمن شعوبا متباينة ومتنوعة ، وكثير منها قد تأثر بنخيل من الدماء الحامية ، ومزيج وامتصاص الثقافة الحامية .

ويمكن تقسيمهم إلى أقسام رئيسية متميزة هي :

الزنج الحقيقيون True Negroes :

ويوجدون في أفريقيا الغربية فيما بين نهر السنغال والكاميرون . ويرجح أن أنقى الأنواع الزنجية توجد على طول ساحل غينيا ، ويتميزون بالبشرة السوداء ، وطول القامة ، والشعر المفلقل (الحلزوني) ، والأنف الأفطس ، والشفاه الغليظة . وهم ينضون تحت لواء عدد كبير ومتنوع من النظم القبلية ، التي تربط بينها بعض مميزات ثقافية عامة ، مثال ذلك المسكن الذي يتألف من كوخ ذي سقف هرمي ، وأنواع الأسلحة ، والمجتمعات السرية ، والطقوس الغامضة ، والحاسة الفنية ، والاستعداد للتضحية الإنسانية . هذه الشعوب

الزنجية هي التي أنشأت ممالك قوية واسعة الأرجاء ، مثل ممالك أشانتي Ashanti ويوروبا Yoruba وولوف Wolof .

زنوج السودان :

يعيش زنوج السودان في نطاق السافانا الذي يمتد من السنغال في الغرب إلى إقليم كردفان في الشرق . وهؤلاء أكثر طولاً ، وبشرتهم أكثر سواداً ، وشفاهم أكثر غلظة ، وعظام الوجنت والذقن أكثر بروزاً . وتأثير الدماء الحامية ما يزال واضحاً . وهنا نجد الوحدات القبلية كثيرة لا تُحصى عدا . ومع هذا فقد استطاعت إمارات الفولاني Fulani وممالك الهوسا Hausa القوية أن تسود معظم النطاق . ومن أراضي زنوج السودان هذه وفد الكثير من الزنوج الذين يعيشون الآن في واحات الصحراء الكبرى .

زنوج البانتو

هم زنوج يتميزون بالصفات الزنجية السالفة الذكر ، لكن التأثير الحامي أظهر وأوضح خصوصاً في منطقة هضبة البحيرات الاستوائية والأخدود الشرقي حتى أواسط تنجانيقا ، وتأثروا بالعرب الساميين على الساحل الأفريقي الشرقي ، كما أنهم اختلطوا في الجنوب بسلالة البوشمن والهوتنتوت ، ويتكلم البانتو لهجات عديدة للغة واحدة . وهم رعاة ماشية ، ويقومون بزراعة معاشية ، لذلك فالتبادل التجاري محدود ، إلا في المناطق التي يزدحم فيها السكان كالأراضي المحيطة ببحيرة فكتوريا ، فهنا تسود الزراعة ، ومنها زراعة المحصولات النقدية كالقطن .

زنوج النيل :

يتميز هؤلاء الزنوج بطول القامة ، فهم عمالقة تتراوح أطوالهم بين ١٨٠ - ٢٠٠ سم ، وينحافة الأجسام ، والبشرة شديدة السواد ، والسيقان طويلة ونحيلة ، والأنف أضيق من أنف زنوج السودان ، وكذلك الشفاه أقل غلظة .

ويسكن زنوج النيل في أعبي النيل ، في السودان الجنوبي ، وفي أوغندا

وكينيا وغرب إثيوبيا . ويمثل سكان جنوب السودان هذه السلالة النيلية أصدق تمثيل وهم قبائل الشلوك والدنكا والنوير ، ولكنهم يظهرون بشيء من الاختلاف في جنوب جمهورية تشاد ، وجنوبا في شمال أوغندا وشرقها .

القوقازيون

تنتشر السلالات القوقازية في أفريقيا الشمالية ، وهضبة الحبشة ، وشرق أفريقيا . والقوقازيون ينقسمون في أفريقيا إلى مجموعتين : المجموعة الحامية ، والمجموعة السامية .

المجموعة الحامية :

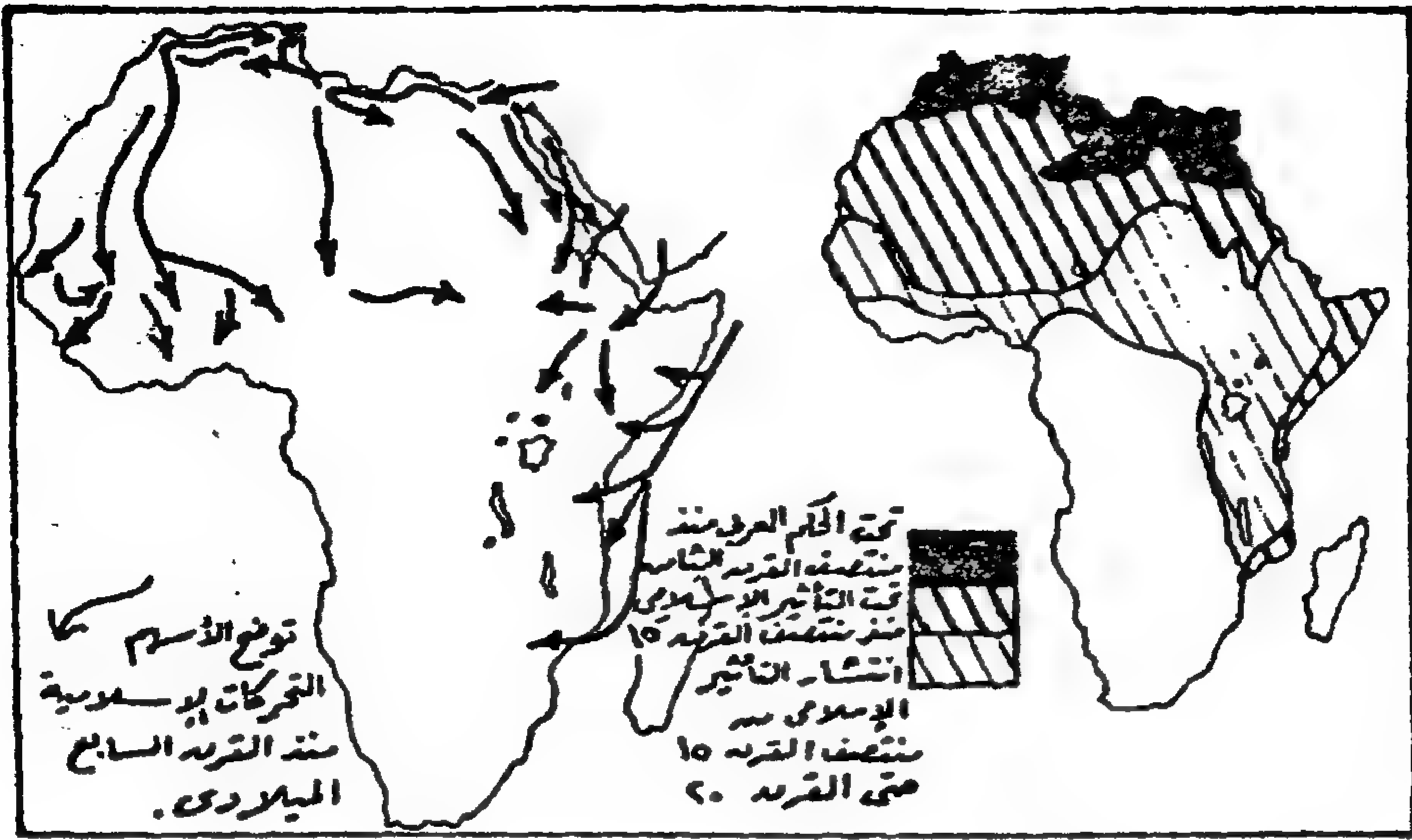
الحاميون شعوب بيضاء البشرة ، يُرجح أنها هاجرت إلى شمال أفريقيا من موطن أصلي حوالي البحر الأحمر . وهم بدو محاربون ، ويتميزون بالإباء والأنفة ، وقد لعبوا دورا بالغ الأهمية في تاريخ أفريقيا . وقد تحركوا جنوبا في عدة هجرات ، وهناك التقوا بشعوب سلالاتي أفريقيا الرئيسيتين : الزنجية والبوشمن ، فاختلطوا بهم اختلاطا كبيرا . وقد أنشأ الحاميون ، الذين يشعرون دائما بالامتنياز ، كثيرا من الدول الأفريقية الكبيرة . ويرجح أن الحاميين مجموعة لغوية ؛ لكنهم عموما يتميزون بطول القامة ، والبشرة البيضاء ، والوجه الضيق ، والأنف المستقيم ، والشعر الداكن المموج .

وهم ينقسمون إلى فرعين :

١ - الحاميون الشماليون ، ويشملون جماعات البربر في ليبيا والمغرب والصحراء الكبرى ، وجماعة الفولاني Fulani بالسودان .

٢ - الحاميون الشرقيون ، ويشملون المصريين ، والبجة والصوماليين ، وكثير من سكان إثيوبيا .

ورغم التشابه في الصفات الأساسية العامة ، فإننا لا نعجب حينما نرى كثيرا من التنوع في الصفات الطبيعية لشعوب الفرعين المتعددة .



شكل (٣٧) : أفريقيا : التحركات العربية وانتشار الاسلام ومؤثراته

الساميون

الساميون هم العرب ، الذين وفدوا إلى شمال أفريقيا من الشرق كغزاة في القرن السابع الميلادي ، لكن غزواتهم الرئيسية كانت فيما بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر الميلادي . وقد نشروا معهم اللغة العربية والإسلام . وقد اختلطوا في بعض الأماكن بالبربر اختلاطا كبيرا لدرجة أن أصول القبائل أصبحت ملتبسة . ويستحيل الآن أن تميز العربي من البربري بالصفات الجسمية وحدها . والواقع أن تعبير «عربي» لا يستخدم الآن في موضعه للدلالة على سلالة ، وإنما ليدل على المسلم ، أو على مواطن من شمال أفريقيا ، أو على أي شخص يتكلم العربية . وبالتالي فإن التعبير أصبح تعبيرا ثقافيا أكثر منه للتعبير عن سلالة .

ومع هذا فإن العرب غير مرتبطين بطريقة حياة واحدة . فعلى الرغم من أن الغزاة الأوائل لشمال أفريقيا كانوا في الغالب بدو رعاة ، فإن من أحفادهم من يتمسك بالبداءة، ومنهم أنصاف بدو ، وزراع ، وسكان مدن . وعلى الرغم من أن العربي التحصيل يميل إلى البداءة ، إلا أن كثيرين من العرب كانوا تجارا نشطين على طول ساحل أفريقيا الشرقي ، ولعبوا دورا كبيرا في معارك إخضاعه

في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . ولا شك أنهم تركوا اثارا .
سلالية في التركيب الجنسي لسكانه .

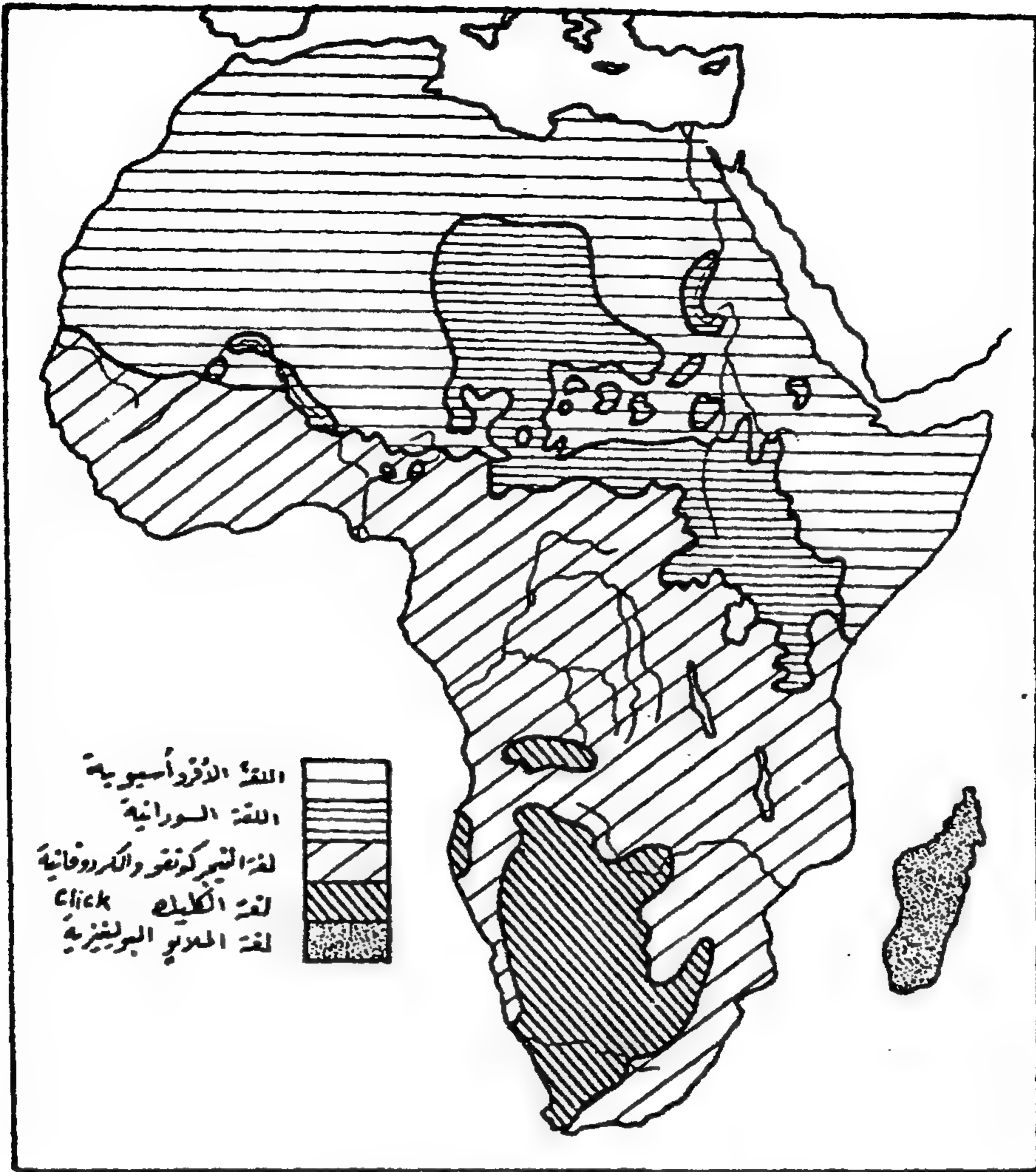
اللغات الأفريقية

تعتبر أفريقيا قارة شديدة التركيب من الناحية اللغوية ، ففي القارة ما يزيد على ٨٠٠ لغة منفصلة ، يتفاوت عدد مَنْ يتكلم كلاً منها تفاوتاً عظيماً .
ففي جمهورية زائير يتكلم السكان البالغ عددهم قرابة ٢٣ مليوناً ما يزيد على ٥٠٠ لغة يتكلمها ٨٠٪ من السكان الذين ينتمون إلى سلالة البانتو ، ولغات أخرى يتكلمها سكان شمالها ، بالإضافة إلى نحو ١٥٠٠٠٠ من السكان الأقزام ، وهؤلاء لهم لغات خاصة . ومرجع ذلك إلى العزلة التي فرضتها ظروف البيئة الاستوائية على سكانها .

وهناك أربع لغات لها أهمية خاصة تتعدى الأهمية المحلية . اللغة الأمهرية ، وهي اللغة الرسمية في جمهورية إثيوبيا ؛ واللغة السواحلية ، وهي لهجة من لهجات البانتو تأثرت كثيراً باللغة العربية ، وتنتشر في شرق أفريقيا ؛ ولغة الهوسا ، التي يتكلمها سكان غرب أفريقيا ، وهي الأخرى متأثرة باللغة العربية ، ثم الأفريكانية Afrikaans التي تنتشر بصفة خاصة في جمهورية جنوب أفريقيا . ولهذا لا نعجب حين نرى هذه اللغات الأربع ، بالإضافة إلى اللغة العربية ، واللغتين الإنجليزية والفرنسية ؛ تنتشر بالتدرج في أنحاء القارة كلغات تخاطب ، تفهمها وتحدث بها شعوب مختلف اللغات (Lingua Fran- cas)

ولقد عني كثير من البحوث بدراسة المجموعات اللغوية الأفريقية ، نظراً لأنها في غياب السجلات وقواعد التصنيف الأخرى ، ذات أهمية خاصة في إلقاء أضواء هامة على نشوء وتطور الاستقرار في أفريقيا .

وقد اقترح جرين بيرج Greenberg تقسيماً من ١٢ مجموعة لغوية



شكل (٣٨) : الأقاليم اللغوية في أفريقيا

واضحة الفوارق ، منها خمس مجموعات يتكلمها الغالبية العظمى من سكان أفريقيا وهي:

(١) مجموعة لغات النيجر - كنغو ، وتشمل لغات البانتو ولغات ساحل غانة وأفريقيا بصفة عامة .

(٢) مجموعة اللغات الأفرو - آسيوية : وتشمل اللغات الحامية ومنها الصومالية والجالا والبجة ، ومجموعة تشاد والهوسا ؛ ثم اللغات السامية ، وهي

الأمهرية التي دخلت إثيوبيا قبل الإسلام ، وأصبحت الآن اللغة الرسمية لها ،
واللغة العربية التي دخلت أفريقيا بعد ظهور الإسلام ، وانتشرت فيها
بانتشاره ، وأخيراً لغة ملاجاش .

(٣) المجموعة السودانية وتسود السودان الشرقي أو النيل ، والسودان
الأوسط الذي يشمل حوض بحر الغزال ، وحوض شاري .

(٤) مجموعة الصحراء الوسطى وتشمل النوبيين والتبو .

(٥) المجموعة الصوتية وتشتمل على لغات ولهجات البوشمن
والهوتتوت . أما المجموعات السبع الأخرى فهي : السُّنغاي ، المابان ،
الفور ، الكومان ، كردفان ، تيمانية Temainian ، نيانجيا Nyangiya .

ولا شك أن توزيع هذه العائلات أو المجموعات اللغوية يساعد مساعدة
كبيرة في الاستدلال على المجموعات الثقافية .

الفصل السابع

سكان أفريقيا

توزيع السكان :

قدر عدد سكان أفريقيا في عام ١٩٩٥ بنحو ٦٧٠ مليوناً. وقد كان في عام ١٩٥٠ حوالي ٢٢٢ مليوناً، وفي عام ١٩٦٤ نحو ٢٩٥ مليوناً، وفي عام ١٩٧٧ وصل إلى حوالي ٤٢٠ مليوناً. معنى هذا أن سكان القارة يتزايدون بنسب كبيرة. وقد كانت نسبتهم إلى سكان العالم تبلغ ٧,٥٪ في عام ١٩٢٠، ازدادت إلى ٨,٥٪ في عام ١٩٦٠، وإلى نحو ١٠٪ في عام ١٩٧٠، وهي الآن حوالي ١١٪. ويعيش هؤلاء السكان فوق رقعة من الأرض مساحتها توازي نحو ٢٢٪ من مساحة اليابس العالم. ويبلغ متوسط الكثافة السكانية أكثر من ٢٢ شخص في الكيلومتر المربع، ولا يقل عنها في الكثافة السكانية من قارات العالم المعمورة سوى قارة أستراليا.

ودراسة السكان في أفريقيا تقابلها صعاب عدم توفر البيانات الدقيقة، لأسباب كثيرة منها انتشار الأمية بين السكان، وقلة الوعي الثقافي، وعدم اقتناع السكان بالإحصاءات وأهدافها، بل والخوف والشك من أهداف الإحصاء، خشية أن يكون الأمر متعلقاً بفرض ضرائب على الأشخاص، أو على مصادر الثروة، أو الاستدعاء لخدمة عسكرية. وتستقى البيانات السكانية من تقارير التعداد، ومن عمليات المسح بالعينة، والمسح الطبي، ثم من الدراسات الديموجرافية المكثفة، والأبحاث الأنثروبولوجية. وقليل من هذه

وتلك ما يكون من الدقة الكافية بحيث يمكن الاعتماد عليه لأغراض البحث والتخطيط .

ولهذا فإن خريطة أفريقيا السكانية ينبغي أن تُقبل على علاقتها ، فهي تقريبية إلى حد كبير . ويظهر التحليل بعضا من الصلات العامة بين توزيع السكان وعوامل البيئات الطبيعية . وتبدو هذه الصلات واضحة في أقاليم خاصة ، مثال ذلك المساحات الصحراوية الشاسعة ، والغابات المطيرة ، والمستنقعات ، وهي جميعا أصقاع لا تناسب حياة الإنسان .

ويمكن تفسير التشتت في التوزيع السكاني وتركزه في مناطق خاصة بأفريقيا بالرجوع إلى العوامل الاجتماعية والتاريخية والسياسية . مثال ذلك كانت الحاجة إلى الالتجاء إلى مناطق منيعة محمية ، وراء الكثافات السكانية العالية في هضبة فوتاجالون وفي مرتفعات أطلس . وقد ساعد الاستقرار السياسي على نمو السكان في أجزاء من إثيوبيا وأوغندا وجنوب نيجيريا ، ورواندا وبوروندي . ولقد تفسر الهجرات الداخلية التي حدثت بين مختلف المناطق التي كانت خاضعة لاختلاف القوى الأوربية المتباينة بعضا من التفاوت في التوزيع السكاني بالقارة .

وبينما تتميز القارة بصفة عامة بالتشتت السكاني ، فإن هنالك بعض مناطق ، أشبه بالجزر ، كثيرة السكان ، وتعاني من قلة الموارد المحلية ، ومن ضعف نظم الزراعة ، وبالتالي ليست بقادرة على إعالة هذا العدد المتزايد من السكان . ويبدو التضخم السكاني واضحا في وادي النيل بمصر . وفي جهات أخرى ، كما في رواندا وبوروندي وجنوب مالاوي ، ضعفت خصوبة التربة وانخفضت إنتاجيتها بسبب الاستغلال الكثيف ، وهنا لا منفذ لتخفيف الضغط السكاني سوى الهجرة إلى مناطق أخرى .

والحدود السياسية الحالية بين مختلف الدول الأفريقية لم تضع في اعتبارها التوزيع ولا التركيب السكاني ؛ فهي تخترق جهات مأهولة بالسكان وأخرى عديمة السكان ، بل هي تقطع أحيانا المجموعات القبلية ، وتشطرها على جانبيها . والدول الأفريقية في معظمها قليلة السكان بالقياس إلى الدول الكبيرة

في آسيا وأوروبا والأمريكتين . فليس بالقارة دولة يزيد
تعدادها على خمسين مليونا سوى نيجيريا ، وعلى أربعين مليونا سوى مصر
وعلى عشرين مليونا سوى إثيوبيا .

وهناك عدد محدود من أقطار القارة يصل تعداد كل منها حوالي عشرين
مليونا ، وهي جمهورية جنوب أفريقيا ، وزائير ، والسودان ، والجزائر ،
والمملكة المغربية . ويقل عدد السكان عن المليون في عدد غير قليل من الدول
المستقلة ، والأقطار المستعمرة مثل موريتانيا ، والصحراء « المغربية » المتنازع
عليها (الصحراء الأسبانية سابقا) ، وغامبيا ، وغينيا بساو ، وغينيا
الاستوائية ، وجابون ، والكنغو (برازافيل) ، والصومال ، وجنوب غرب
أفريقيا ، وسوازي لاند ، وباسوتو لاند ، وبثوانا لاند .

العوامل المؤثرة في توزيع السكان :

١ - مؤثرات البيئة الطبيعية

لا نستطيع أن نرجع ظاهرة التشتت السكاني في أفريقيا لعامل أو تفسير
بسيط ، وإنما لمجموعة متنوعة من الأسباب البيئية ، والعوامل البيولوجية
والاجتماعية . ولا شك أن القارة في جملتها غير ملائمة لاستقرار الإنسان . فما
يبدو من موقعها وحده كاف لإقامة الصعاب أمام الانتشار البشري . فدائرة
الاستواء تُنصف القارة ، كما أن أكثر من ثلثي مساحتها يقع في النطاق المداري
حيث ينعدم وجود أراض جبلية واسعة تخفف من حدة الحرارة وتعطل من أحوال
المناخ القاسي .

ونتيجة لهذا فإن أكثر من ثلث القارة يقاسي من مناخ حار رطب حيث
الغابات المدارية ، وحيث تتوطن الأوبئة والأمراض ، وحيث تتدهور خصوبة
التربة ، وتتم تعريتها ، عقب إزالة الغابات . ولهذا يقل السكان قلة كبرى .
ومن الممكن بالطبع زيادة أعداد السكان لو أمكن تنفيذ الإجراءات التي سبقت
لنا الإشارة إليها ، كما يمكن زيادة رقعة الأرض الزراعية ، وتعويض خصوبتها ،

وتحسين إنتاجيتها عن طريق استخدام الأسمدة ، وتطوير نظم الزراعة ووسائلها .

وفضلا عن ذلك فإن اتساع القارة على امتداد مدار السرطان من الشرق إلى الغرب كبير جدا ، وذلك حال الصحراء الكبرى . أما في جنوب دائرة الاستواء فإن صحراء كلهاري ليست في صورة صحراء الشمال ، فهي صغيرة المساحة ، نظرا لأن اتساع القارة على امتداد مدار الجدي صغير . ومع هذا فإن ثلاثة أثمان (٣/ ٨) القارة يعاني درجات من الجفاف متفاوتة .

وبينما تعتبر غزارة الأمطار ، على ما يبدو ، العامل الرئيسي في الحد من النمو السكاني في الغابات الاستوائية ، فإن ندرة المياه هي السبب في قلة السكان في صحاري القارة . فالغابة الاستوائية كثيفة تصعب فيها الحركة والنشاط ، وبالتالي يتشتت خلالها السكن والسكان ، وتتحدد أراضي الزراعة البدائية على هوامش الغابة حيث تقل كثافة النباتات . أما في داخل الغابة فيعيش السكان القلة على الجمع والالتقاط والصيد .

وتنتشر الصحاري وأشباه الصحاري في شمال القارة وجنوبها وشرقها (الصومال) ، وهي تمثل (٣/ ٨) مساحة القارة ، كما أسلفنا ؛ وعدا التركز السكاني المحدود في الواحات المتناثرة ، فإنها تكاد تخلو من السكان . وحتى وجود مصادر مياه باطنية غنية لن يسمح بسوى نمو سكاني محلي .

أما مناطق السفانا والاستبس ، فهي أكثر ازدهاما بالسكان نظرا لأنها تقدم فرصا أفضل للزراعة والرعي . وهنا نجد زراعة المحاصيل الغذائية كالذرة والأرز ، فضلا عن المحاصيل التي تمثل مواد خام للصناعة كقصب السكر والقطن والبقول السوداني . ومع هذا فإن انتشار حرقه الرعي ، وما يصاحبها من تنقل لا تساعد على وجود كثافات سكانية عالية ، إذ أن متوسطها نحو ٨ نسمة للكيلومتر المربع ، وإن كانت تزداد في مناطق محدودة لتصل إلى أكثر من ٥٠ شخص في الكيلومتر المربع مثل النطاق الشمالي من نيجيريا .

وأكثر المناطق ملائمة للسكن والسكان تتمثل في وادي النيل الأدنى ، وفي

هوامش القارة الشمالية والجنوبية ، حيث تتشابه فيها الظروف المناخية المناسبة ، وحيث يظهر أثر نوع استخدام الأرض بصورة واضحة خصوصاً في مصر حيث الزراعة الكثيفة الراقية ، وحيث ترتفع الكثافة في الأرض المزروعة إلى أكثر من ألف نسمة في الكيلومتر المربع .

٢ - مؤثرات البشر :

كما أن للبيئة الطبيعية آثارها السلبية في النمو السكاني بأفريقيا ، فقد ساهم البشر من خارج القارة ومن داخلها في زيادة حدة معوقات التكاثر السكاني بها . خاصة في إقليم السفانا الذي يساعد على وجود فرص أفضل للزراعة والرعي ومن ثم للنمو السكاني . حقيقة أن غابات الدهاليز أو الأبهاء تتغلغل داخل الإقليم حاملة معها وسائط الهلاك كذباب تسي تسي وذباب القمي الحامل لجرثومة العمى النهري ، لكنها محدودة الانتشار قليلة الأثر . خاصة وأن هذا الذباب وذلك لا يتواجد حيثما كثر عدد السكان ، لأنهم يزيلون الغطاء النباتي الذي تعيش فيه .

ونقصد بالآثر البشري من خارج القارة الرق وتجارة الرقيق التي مارسها الأوروبيون أكثر من ثلاثة قرون في ظهير الساحل الغربي للقارة ، فيما يُعرف بالنطاق الأوسط أي وسط إقليم السفانا فيما بين دائرتي عرض ٩° - ١٢° شمالاً ، ممتداً بين غينيا ونيجيريا . وقد أدت تجارة الرقيق إلى تخلخل سكان هذا النطاق .

ويتباين تقدير حجم تجارة الرقيق ؛ لكن يبدو أن عدداً لا يقل عن عشرين مليوناً من الزنوج قد جلبوا من أفريقيا إلى الأمريكتين فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، فضلاً عن عدة ملايين أخرى هلكت أثناء عمليات الأسر والنقل عبر المحيط ولم تصل إلى الوطن الجديد . وتجارة الرقيق واستخدام العبيد السود كانا معروفين لدى شعوب وأقوام أوربية (الرومان) وآسيوية (عرب وأتراك وفرس وهنود) في القديم والحديث من العهود . فإذا ما اعتبرنا أعداد هؤلاء على مر التاريخ ، فإننا قد نصل إلى رقم يفوق الخمسين

مليوناً من الزوج حُرموا من العيش في موطنهم الأصلي ، وحُكم عليهم إما بالقتل أو بالهجرة الجبرية ؛ فخسرتهم القارة ، كما خسرت الملايين من أولادهم وأحفادهم . وقد أثر ذلك تأثيراً يَبْينُ في إعاقة النمو السكاني وتدهوره في نطاق السفانا خاصة بين الزوج السوداني وزنوج البانتو .

وكان من أثر ذلك أيضاً أن تركز السكان في الهضاب والجبال طلباً للحماية ، وهروباً من البيض ، ومن الحروب القبلية ، ولهذا نجد مرتفعات فوتاجالون في غينيا ، وأتاكورا في توجو وغانا ، ومرتفعات نيجيريا الشمالية أكثر سكاناً مما يتأخها من أراضٍ سهلية ، وفي هذه وتلك ترتفع الكثافات السكانية لتصل إلى أكثر من ٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع .

ولا شك أن التوسع الاستعماري الذي أعقب تجارة الرقيق متوغلاً من سواحل القارة إلى داخليتها قد صحبه عمليات قمع للقبائل التي قاومتها في أراضيها . وقد تمثل القمع في صور متعددة منها حملات التأديب ، ومصادرة موارد الرزق للتجويع ، والمطاردة والاضطهاد ، ثم الحروب والمعارك التي أزهدت خلالها أرواح مئات الآلاف ، وقد استمرت هذه الإجراءات بدرجات متفاوتة حتى عهد قريب . مثال ذلك حرب المغاربة ضد الأسبان في إقليم الريف ، وعمليات الاضطهاد والإبادة للشعب الليبي من قبل الإيطاليين ، وحرب الإنجليز ضد مملكة الفولاني في شمال نيجيريا ، ومملكة الأشانتي في وسط غانا ، وحروب البوير ضد البانتو ، والبرتغال في أنجولا .

وتعزى بعض الكثافات السكانية المنخفضة إلى عوامل بشرية داخلية ، أهمها عدم الاستغلال الكثيف للأرض ، فلا تستطيع أن تعول أعداداً كبيرة من السكان ، وليس أدل على ذلك من انخفاض الكثافة إلى نحو أربعة أشخاص فقط في نطاق السفانا بشرقى القارة والهضبة الوسطى في زامبيا وأنجولا ، وإلى نحو شخصين في جمهورية أفريقيا الوسطى . بينما نجد إقليماً كإقليم بحيرة فكتوريا ومرتفعات كهضاب إثيوبيا البركانية حيث تقوم زراعة متقدمة ، كثيرة السكان .

٣ - مؤثرات طبيعية بشرية

انخفاض الخصوبة عند الزنوج :

يُعزى التثت وانخفاض الكثافة السكانية جزئيا إلى حقيقة أن الخصوبة عند الزنوج الأفريقيين ليست بارتفاع مثيلاتها في كثير من شعوب العالم النامي الأخرى بما في ذلك شعوب شمال أفريقيا . والأسباب ليست واضحة ، لكنها تتضمن بالتأكيد مرضا تناسليا ، وهجرة العمالة والإجهاض ، فضلا عن عدم كفاية استهلاك فيتامين E ، الذي يساعد الخصوبة وكثرة الإنسال ، والذي يوجد في الحبوب والأسماك .

وهناك أسباب أخرى لضعف الخصوبة تتمثل في نظم الزواج ، ومفهوم الأسرة . فعلى غير ما يسود الاعتقاد ، وُجد أن تعدد الزوجات ذو تأثير ضار مخفض للإنسال العام . وأسباب ذلك متعددة ومعقدة ، لكن أهمها أنه في شعب غير متساوي العدد من الذكور والإناث ، فإن تعدد زوجات قلة من الذكور يجعل العزوبة إجبارية بين عدد مماثل أو أكبر من الذكور الآخرين . والنتيجة تكون حتما قلة في عدد مواليد مجتمع يأخذ بتعدد الزوجات عنها في مجتمع آخر يسوده نظام الزوجة الواحدة .

وتعدد الزوجات نظام شائع جدا في أفريقيا خصوصا إلى الجنوب من الصحراء الكبرى ، حيث تُقدَّر نسبة الذكور المتزوجين بأكثر من واحدة بنحو ٣٥٪ من جملة الذكور . ويتراوح عدد الزوجات لكل رجل بين زوجتين و٢٤٥ زوجة . ويبلغ عدد المتزوجين بهذا الرقم الأخير نحو مائة من رؤساء القبائل . هذا ويقل تعدد الزوجات في الدول الإسلامية بأفريقيا ، رغم أن الإسلام يبيحه في حالات خاصة مع توفر شروط إنسانية معينة .

وفي مناطق البانتو بأفريقيا ، حيث يسود الانتساب إلى الأم ، تتناقص السلطة الأبوية ، وبالتالي يقل اهتمام الأب ، ولو نسبيا ، بالأسرة ونموها . وغالبا ما يشيع التوتر بين الوالد والحال ، الذي تتركز في يديه السلطة على الأطفال .

المرض والنقص في الغذاء وسوء التغذية :

يرتبط بظروف البيئة الطبيعية الصعبة في أفريقيا انتشار عدد كبير ومتنوع من الجراثيم والطفيليات التي تصيب الحيوانات والمحصولات الزراعية والإنسان . فالجراد والبعوض وذباب تسي تسي والديدان والكائنات المائية الحاملة للأمراض كلها قد أثرت تأثيرا في نمو السكان بالقارة بل وفي هجراتهم . يضاف إلى ذلك أوبئة وأمراض أخرى كحمى التيفوس والجذري والطاعون والدرن والأمراض التناسلية والتراكوما . والغريب أن كثيرا من هذه الأمراض قد ازدادت حدوثها خلال هذا القرن ، كما انتشر الكثير منها بسبب كثرة تحركات السكان وهجراتهم منذ أن وطئت أقدام الأوربيين أرض القارة ورسخت فيها . بالإضافة إلى ما جلبوه معهم من أمراض المناطق المعتدلة كالانفلونزا ، التي تنتشر بسرعة وسط شعوب قليلة المناعة من الوجهة الصحية .

ولا شك أن شيوع سوء التغذية يؤدي إلى انتشار الأمراض . فالنقص في المواد البروتينية ظاهرة بيّنة ، نتيجة لانخفاض استهلاك المنتجات الحيوانية . ففي أجزاء معينة من القارة تشيع أمراض البري بري والبلاجرا وغيرهما . ويبدو سوء التغذية واضحا بين سكان المدن الجدد ، الذين لا يستطيعون ملء بطونهم من أنواع الأغذية الصحيحة . هذا بالإضافة إلى إدمانهم للخمر ، الذي أصبح داء اجتماعيا في كثير من الأقطار الأفريقية غير الإسلامية .

ويؤدي النقص في الغذاء وسوءه وكذلك المرض إلى ارتفاع نسبة الوفيات ، وإنقاص أمد الحياة إلى أقل من ثلاثين سنة كما تسبب ارتفاع نسبة المرضى والهزال والكسل والقدورية . وقد شهدت السنين الأخيرة محاولات جادة وكبيرة لمكافحة الأمراض ، لكن ما زال سوء التغذية هو العقبة الكئود ، خاصة أن مكافحته تعتمد على تقدم الشعوب الأفريقية اجتماعيا واقتصاديا . ويرتبط التخلف والاعتقاد في الخزعبلات بالظروف الصحية السيئة ، وسوء التغذية ، وارتفاع نسبة الوفيات في الأطفال وفي الأجنة . ولا شك أن الحاجة ماسة أيضا إلى العناية بالتعليم والإكثار من المعلمين حتى يمكن التخفيف من حدة هذه الأحوال .

نمو السكان

حينما ننظر إلى جدول تطور سكان أفريقيا منذ منتصف القرن السابع عشر حتى وقتنا الحاضر ستضح عدة حقائق نجملها فيما يأتي :

١ - أن النمو السكاني بالقارة كان متوقفا عند ١٠٠ مليون نسمة حسب تقديرات ويلكوكس ، بل ومتدهور حسب تقديرات كارسوندرز وذلك خلال قرنين كاملين من الزمن (بين عامي ١٦٥٠ - ١٨٥٠) ثم تضاعف العدد في قرن واحد ، فأصبح نحو ٢٠٠ مليون في عام ١٩٥٠ بعدما كان مائة أو أقل في عام ١٨٥٠ . ومنذ بداية هذا القرن حتى الآن زاد العدد الكلي بمقدار ٥٣٠ مليون شخص .

جدول يوضح
تطور سكان أفريقيا منذ منتصف القرن السابع عشر
(بالملايين)

السنة	تقديرات ويلكوكس	تقديرات كارسوندرز	السنة	تقديرات الأمم المتحدة
١٦٥٠	١٠٠	١٠٠	١٩٢٠	١٣٦
١٧٥٠	١٠٠	٩٥	١٩٣٠	١٥٥
١٨٠٠	١٠٠	٩٠	١٩٤٠	١٧٧
١٨٥٠	١٠٠	٩٥	١٩٥٠	١٩٩
١٩٠٠	١٤١	١٢٠	١٩٦٠	٢٥٤
			١٩٧٠	٣٤٤
			١٩٩٥	٦٧٠

ويُعلل توقف النمو السكاني المشار إليه إلى تجارة الرقيق التي بلغت ذروتها خلال القرن الثامن عشر . وبعد أن هدأت حدة هذه الهجرة الجبرية ، بدأ النمو

السكاني يزداد ، ثم اشتد خلال هذا القرن العشرين ، بسبب استقرار الأوضاع السياسية بعد تقسيم القارة بين القوى الأوربية المستعمرة التي وضعت نهاية للحروب والمنازعات القبلية . كما وأن الدول المستعمرة قامت بمشروعات تنمية اقتصادية في المجال الزراعي لإنتاج المحصولات النقدية ، وفي المجال التعديني ، مما ساعد على استقرار مجموعات من السكان الأفارقة في المدن وأشباه المدن .

ويعني السكن في المحلات الجديدة التمتع بالأمن وبشيء من مظاهر الحياة الحديثة ، لا سيما الخدمات الصحية ، كالتطعيم ضد الأوبئة والأمراض المتوطنة . كما أن تحسن وسائل النقل والمواصلات أعطى فرصا طيبة للوصول بهذه الخدمات إلى جهات متباعدة نوعا ، بالإضافة إلى إمكانية محاصرة الأوبئة قبل استفحال أمرها .

كل هذا وغيره قد ساعد على خفض نسبة الوفيات ، وبالتالي تزايد معدل النمو السكاني بدرجة كبيرة . فقد أصبحت نسبة الوفيات في أوائل السبعينات ٢,١٪ ، بعدما كانت ٢,٧ في أوائل الستينات ، بينما بقيت نسبة المواليد على حالها بين ٤,٥ - ٥٪ .

وتتميز دول شمال أفريقيا بنمو سكاني مرتفع ، يفوق غيره في باقي دول القارة ، خاصة خلال ربع القرن الأخير . فمتوسط النمو السكاني يزيد على ٣٪ ، وهو أعلى معدل للنمو في أفريقيا . وسجل السودان أعلى معدل بين دول شمال أفريقيا ، وثاني معدل على مستوى القارة بعد روديسيا . وتضاهي السودان في هذا المعدل كل من ليبيا والجزائر ، بينما تقل عن ذلك في المغرب وفي مصر (هبطت إلى نحو ٢,٢٪) ، وتسجل تونس أدنى نسبة نمو سكاني بين دول أفريقيا الشمالية (٢,١٪) .

وأسباب ارتفاع معدل النمو في دول شمال أفريقيا واضحة ، فهي أكثر دول القارة تقدما . وقد أخذ معظمها بأسباب التقدم والتنمية الاقتصادية في شتى المجالات الزراعية والصناعية . يضاف إلى ذلك الثروة البترولية الكبيرة والغاز الطبيعي في كل من ليبيا والجزائر ، والثروة المعدنية في تونس والمغرب ، كل

ذلك يوفر رؤوس الأموال اللازمة للتنمية ، فضلا عن الاتفاق على مشروعات الإسكان والصحة والتعليم .

ويبلغ سكان شمال أفريقيا نحو (١/٤) ربع سكان القارة ، ويعيشون فوق مساحة تبلغ نحو ٢٨٪ من مساحتها . لكننا حين نستبعد رقعة الصحراء الهائلة التي تكاد تخلو من السكان ، نجد الأجزاء المعمورة ممثلة في الشريط الساحلي المطل على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ، ثم وادي النيل في مصر والسودان ، وفي الواحات المتناثرة في الصحراء .

التركيب العمري للسكان :

تتميز أفريقيا بأنها قارة شابة ، ترتفع نسبة سكانها من صغار السن (دون ٢٠ سنة) ، بينما تنخفض نسبة سكانها عن هم في سن الكهولة . ويختلف تركيب ونمو السكان الأوروبيين عن الأفريقيين في الدول التي يستوطنها عدد كبير من أصل أوروبي . فنتيجة للخصوبة العالية وقصر أمد الحياة ، ترتفع نسبة الأطفال بين الأفارقة عنها بين السكان الأوروبيين في أفريقيا ، رغم أن هؤلاء أكثر أطفالا من إخوانهم في أوروبا .

التركيب العمري التقريبي للأوروبيين في أفريقيا وللأفارقة

مجموعات السن	أوروبيون في أفريقيا ٪	أفارقة ٪
شباب (أقل من ٢٠ سنة)	٣٠ - ٤٠ ٪	٤٥ - ٥٥ ٪
بالغون (٢٠ - ٥٩)	٥٠ - ٦٠ ٪	٤٠ - ٥٠ ٪
كهول (٦٠ فأكثر)	٧ - ١٢ ٪	٥ - ١٠ ٪

ويرجح أن نسبة من هم في سن الفتوة (الشباب) من الأفارقة تكون أعلى في أفريقيا المدارية منها في أقطار شمال القارة وجنوبها ، رغم أن تركيب السكان ونموهم يتباين بالتأكيد تبائنا كبيرا في داخل أفريقيا المدارية . ويمكن القول عامة

بأن أقطار غرب أفريقيا وشرقها تتميز بظروف ديموجرافية أحسن حالا من أقطار وسط أفريقيا .

هذا وعلى الرغم من أن النمو السكاني في أفريقيا قد بدأ يدخل مرحلة جديدة ، يمكن أن تؤدي إلى ضغط سكاني على الموارد ، إلا أننا نتوقع أن النمو لن يكون ضخما في المستقبل القريب . فمع أن معدل الوفيات لا شك سيقبل ويتناقص ، إلا أنه لا يبدو أن معدل الخصوبة سيزداد بسرعة . وبينما يرى البعض ضرورة التزام أقطار القارة الحديثة بسياسة تخطيط وإنماء فعالة في شتى المجالات ، حتى لا تعاني من الانفجارات السكانية ، يرى البعض الآخر أن خطط الإنماء ذاتها قد تتأثر سلبيا بالنقص في النمو السكاني . والواقع أن هنالك نقصا مزمنيا في القوى البشرية المنتجة اقتصاديا كما في ليبيريا . ويختلف الحال عن ذلك كثيرا في مصر وفي المغرب ، حيث العمالة الزائدة ، والتي ما تزال تزداد سريعا .

اللغات الرسمية في أفريقيا

الدولة	اللغة أو اللغات الرسمية	الدولة	اللغة أو اللغات الرسمية
مصر	العربية	ملاياش	الملاياشية
الجزائر	العربية	ليبيا	العربية
أنجولا	البرتغالية	مالاوي	الإنجليزية ، تشوا Chewa
بنين	الفرنسية	موريتانيا	العربية
بوتسوانا	الإنجليزية ، سيتسوانا Setswana	موزمبيق	البرتغالية
بوروندي	الفرنسية ، كيروندي Kirundi	ناميبيا	الإنجليزية ، الأفريكانية
كاميرون	الفرنسية ، الإنجليزية	النيجر	الفرنسية
جمهورية أفريقيا الوسطى	الفرنسية ، سانجو Sango	نيجيريا	الإنجليزية
تشاد	الفرنسية	زيمبابوي	الإنجليزية
كونغو	الفرنسية ، لينجالا Lingala	رواندا	الفرنسية ، كينا رواندا
غينيا الاستوائية	الاسبانية	سنغال	الفرنسية ، وولوف Wolof
إثيوبيا	الأمهرية	سيراليون	الإنجليزية
عبر وعيسى	الفرنسية	الصومال	الصومالية
غينيا	الإنجليزية ، وولوف Wolof	جنوب أفريقيا	الأفريكانية ، الإنجليزية
جابون	الفرنسية	السودان	العربية
غانا	الإنجليزية	سوازي لاند	الإنجليزية ، سيسواتي Siswati
غينيا	الفرنسية	تنزانيا	كيسواهيلي Kiswahili
غينيا بيساو	البرتغالية	توجو	الفرنسية ، إيوي Ewe
ساحل العاج	الفرنسية	تونس	العربية
كينيا	الإنجليزية ، كيسواهيلي Kiswahili	أوغندا	الإنجليزية
ليسوتو	الإنجليزية ، سيسوتو Sesotho	فولتا العليا	الفرنسية
ليبيريا	الإنجليزية	زائير	الفرنسية
		زامبيا	الإنجليزية

الفصل الثامن

الحرف والنشاط الاقتصادي في أفريقيا

ما تزال قارة أفريقيا ، رغم ضخامتها ، مقطوعة الصلة بالاقتصاد العالمي ، فهي لا تشارك في الاقتصاد والتجارة العالمية إلا بقدر ضئيل إذا قيست بالقارات الأخرى ، ومشاركتها تعتمد أساساً على الثروة البترولية والمعدنية ، وبعض المحصولات الزراعية النقدية . ومعظم الأفريقيين يعيشون في وحدات قبلية مستقلة ، تعتمد على البيئة المحلية للمعيشة والتبادل . وهم ما يزالون يعتمدون في حياتهم على الزراعة والرعي ، وإلى حد ما على الصيد والجمع أو على ممارسة هذه الحرف جميعاً . ولا شك أن ضروب الاقتصاد هذه هي انعكاس لإمكانيات البيئة الطبيعية وللمؤثرات الثقافية ولضروب المعيشة التقليدية .

ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى اهتمام الدول المستعمرة بالحصول على الثروة من أسهل طريق ؛ فلم تهتم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا بالمشروعات الإنتاجية الكبيرة ، سواء منها الزراعي أو الصناعي ، بقدر اهتمامها باستغلال المعادن . ومع هذا فإن التأثير الأوربي كان واضحاً في اقتصاديات شمال القارة وجنوبها .

وعلى الرغم من أن الدول الحديثة التي نشأت في أفريقيا المستقلة ، قد ظهرت في ظل أوضاع اجتماعية وثقافية واقتصادية متخلفة ، إلا أنها تشهد الآن تغيراً نحو الأفضل في شتى المجالات . فالحروب والمنازعات القبلية قد توقفت ؛ وعمّ الأمن والاستقرار . وفي ظل حياة مستقرة تزداد مشروعات التنمية الحيوانية

والزراعية ، كما تم إدخال المحصولات النقدية كالقطن والبن والشاي ، وشق سبل للنقل والمواصلات ، وكشف مناجم جديدة ، فضلا عن ظهور الصناعة في معظم أقطار القارة .

وفيما يلي عرض لأهم الحرف .

القنص والجمع .

هي أقدم حرفة عرفها الإنسان منذ العصر الحجري القديم ، وكانت حتى عهد قريب جدا سائدة في كل جنوب وشرق أفريقيا . وهي الآن ما تزال موجودة في مناطق العزلة حيث يمارسها أقوام وشعوب متخلفة لا تزيد أعدادها على بضع مئات من الآلاف . وأشهر هذه الشعوب البوشمن في صحراء كلهاري ، والأقزام في غابة زائير الاستوائية . ويحترف القنص والجمع أيضا جماعات صغيرة تعيش في كنف القبائل الرعوية والزراعية في مناطق متفرقة من شرق القارة . ومن هذه الجماعات قبيلة السانداوي في تنزانيا التي يرجح أنها من سلالة البوشمن ، وقبيلة الماجو Majo في جنوب إثيوبيا ، وقبيلة الدزوبو Dorobo في شرق أفريقيا ، وجماعة الدايم Dime وساني Sanye في كينيا ، وجماعات أخرى في منطقة بحيرة تانا .

وتتشابه هذه الجماعات في مستواها الحضاري رغم وجود بعض الاختلافات المحلية . فهي تستعمل الحراب المسممة والأقواس والسهام في القنص . وتقسم العمل بين الرجل والمرأة شائع بين هذه القبائل ؛ فتقوم النساء بالجمع : جمع الثمار وجذور النبات ، إلى جانب إعداد الطعام وبناء المسكن وتربية الأطفال . أما الرجال فيقومون بعملية الصيد التي تحتاج إلى جرأة وشجاعة ومهارة وصبر ، خاصة أنهم يستخدمون أدوات بدائية غير فعالة . ويصيد البوشمن الوعول والزراف والنعام . وقد تحتاج عملية صيد حيوان واحد يوما كاملا ، حين يطعن أحدهم الحيوان بالرمح ، فينفر الحيوان ويفر هاربا ، وتبدأ جماعة الصيد في مطاردته طوال اليوم حتى يقضغ الحيوان ويستسلم متأثرا بجراحه . أما الأقزام فيصيدون الوعول بالشباك ، كما يصيدون الفيلة بالحراب .

وقد أدت حرفة القنص في العصر الحديث إلى الإسراف فيه . وذلك راجع إلى استخدام الأسلحة النارية بواسطة الأوربيين والأفريقيين لقنص أنواع مرغوب فيها من الحيوان . وقد أدى ذلك إلى القضاء على كثير من الحيوانات البرية ، وبالتالي إلى اختلال التوازن في البيئة ، وتسبب في تغير كبير في إيكولوجية الحياة الحيوانية .

مثال ذلك كثرة اصطياد التماسيح من ناري أعالي النيل من أجل جلودها قد أدت إلى زيادة أعداد أنواع من الأسماك المفترسة التي كانت التماسيح تفضل أكلها ، وبالتالي تقضي عليها أو تقلل من أعدادها ، وكان لهذا أثره في استهلاك الأسماك القيمة العادية التي كان الناس يعيشون على صيدها ، لأنها أصبحت طعاما للأسماك المفترسة . ومثال آخر : أدى الإسراف في صيد القهود إلى زيادة أعداد الخنازير البرية والقروود التي تقتات على المحصولات الزراعية ، وبالتالي تسبب في تخريب المزارع خصوصا مزارع الحبوب الزيتية كالقنول السوداني .

وقد تنبّهت الدول إلى الخطر المحدق بثروتها الحيوانية البرية ، فقامت بتحديد مساحات واسعة تسمى المعازل الطبيعية ، يمحج فيها الحيوان على طبيعته ، وفيها الصيد ممنوع ومحرم .

وكما تأثر الحيوان بدخول مستحدثات القنص في أفريقيا ، تأثر الغطاء النباتي بالإنسان المزارع . فحرفة الجمع التي تمارسها الأقوام البدائية لا تضر بالنبات ، ولا تحدث أدنى تغيير فيه . لكن المزارعين من قبائل البنتو قد اجتثوا مساحات كبيرة من أشجار الغابة الاستوائية ، لإحلال الزراعة محلها . وقد تنبه المسؤولون إلى الأخطار المحدقة بالغابة والثروة الغابية ، فبدأوا بانهاج سياسات لصيانة الغابات ، والمحافظة عليها ، بل وإعادة التشجير لزيادة المساحات الغابية .

الرعي

حرفة الرعي حرفة إنتاجية ، فهي تختلف عن القنص الذي يعتبر حرفة استهلاكية . فالإنسان في حرفة الرعي يشارك في الإنتاج بدلا من استغلال الموارد الحيوانية في صورتها الطبيعية .



شكل (٣٩) : أنماط الحياة في أفريقيا

وقد ظهر الرعي في أفريقيا وتطور خلال الألف سنة الأخيرة ، لكنه كحرفة القنص والجمع أخذ في الانكماش . ذلك أن معظم الدول تميل إلى تثبيت واستقرار الرعاة والبدو . والتدخل في ضروب معيشتهم لتحسين سلالات الحيوان . وهذا وغيره سوف يؤدي في النهاية إلى زوال حرفة الرعي التقليدي ، وإحلاله بأنماط أخرى من النشاط الاقتصادي ترتبط بالزراعة وتربية الحيوان . ومنها الزراعة المختلطة حيث تخدم الزراعة تربية الحيوان والعكس..

وحرقة الرعي في أفريقيا أعظم انتشارا بكثير من حرقة القنص . فالرعي المتنقل يسود نطاق الحشائش الممتد من الإقليم الاستوائي حتى حدود الصحراء الكبرى في الشمال ، ومن الهضبة الحبشية شرقا إلى السنغال غربا ؛ يضاف إلى ذلك مناطق سفانا هضبة البحيرات ومعظم الهضبة الجنوبية . كما يوجد الرعي المتنقل في الصحراء الكبرى وصحراء الصومال .

وحيوان الرعي في مراعي السفانا هي الأبقار ، أما الإبل ففي المناطق الصحراوية . ومع الأبقار والإبل ترعى الماعز والأغنام . ويقتصر وجود الخنازير ، في وقتنا الحاضر ، على مزارع الأوربيين . وأبقار أفريقيا ذات قيمة اقتصادية محدودة ، رغم أن عددها يزيد على (١٦٠) مائة وستين مليونا . فهي أبقار هزيلة ، وإنتاجها من اللحوم والألبان قليل . وهناك من شعوب أفريقيا من لا يشرب الألبان وبالتالي لا يجلب البقر كبعض قبائل غرب أفريقيا وشمال أنجولا . ومنتجات الألبان كالجبن والزبد والسمن غير معروفة لدى أقوام عدة . وتخلط قبائل الماساي والفلواني دماء الأبقار بألبانها لغذائهم اليومي .

ورغم أهمية الرعي في أفريقيا إلا أن العائد الاقتصادي منه قليل غير مناسب . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب بيئية طبيعية وبشرية .

فالمناخ والتربة يعوقان عملية الرعي في كثير من جهات القارة . وتعرقل طبيعة الأمطار المتذبذبة دون تنمية المراعي وتحسينها . فالحشائش تنمو بسرعة عقب سقوط الأمطار ، وتصبح صالحة للرعي ، لكنها تزداد خشونة بحلول فصل الجفاف ، ويقل محتواها البروتيني والمائي . وفي المناطق الهامشية تشتد حدةذبذبة الأمطار ، التي إذا ما تواترت لعدة مواسم ، هلك العديد من الحيوان كما حدث في السنوات العجاف من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٤ .

وكان لانتشار ذباب تسي تسي في مناطق واسعة من وسط القارة وغربها أثره في حرمانها من تربية الماشية ، مما حرم السكان من اللحوم والألبان . ولما كان هذا الذباب يعيش في درجات الحرارة العالية والرطوبة المرتفعة ، فإن نطاق انتشاره يتسع نحو الشمال أو نحو الجنوب تبعا لفصل المطر . وما يزال متشرا

رغم اتخاذ إجراءات وقائية طبية ، ومحاولة إدخال أنواع من الحيوان ذات حصانة طبيعية ضده . كما تجري إزالة الشجيرات والأحراش ، وهي مكان وجوده ؛ رغم أن إزالتها بطريقة عشوائية يؤدي إلى تعرية التربة .

ومن عوامل انخفاض نصيب حرفة الرعي في الاقتصاد الأفريقي ، أن الماشية لا تدخل في التجارة بأحجام كبيرة ، لأن اقتناءها مهم لدى كثير من القبائل التي تحتفظ بها كدليل على الثراء ، فهي مظهر اقتصادي واجتماعي . وينحصر استخدامها في الألبان للشرب ، وللمقايضة ودفع الصداق عند الزواج . يضاف إلى ذلك أن الماشية ملك مشاع للقبيلة أو العشيرة ، فليس للفرد حرية التصرف فيها .

الزراعة

هناك ثلاثة أنماط من الزراعة في أفريقيا : الزراعة التقليدية التي تُعرف بالزراعة البدائية أو المتنقلة أو زراعة الاكتفاء الذاتي ؛ والزراعة الكثيفة ، ثم الزراعة الواسعة لدى الأوربيين . ويدخل النمطان الأخيران ضمن الزراعة التجارية .

الزراعة البدائية

يتنشر هذا النمط البدائي في مناطق الغابات والسفانا . وهي تمثل نوعا من الأقلية الطبيعية للزراعة مع ظروف التربة وخصائصها . فالتربة في معظمها من نوع لاتيرايت ، قليلة السمك ، وتتميز بقلّة المحتوى العضوي ، بسبب عمليات الغسل الطبيعية من جهة ، وبسبب انعدام أو ندرة الحيوانات لانتشار ذباب تسي تسي من جهة أخرى .

وتسمى الزراعة بالمتنقلة لأن القبيلة أو العشيرة إذا ما أحست بضعف التربة وإجهادها انتقلت إلى مكان آخر . وتقوم على إزالة نباتات رقعة من الغطاء الغابي ، وإخلائها بالحرق ثم زراعتها لعام أو عامين أو ثلاثة حسبما سمحت خصوبتها ؛ ويتم الهجرة والانتقال إلى بقعة أخرى ، حيث تتكرر نفس العملية . وكثيرا ما تعود العشيرة إلى مناطق سبق إخلائها وزراعتها ، وذلك

بعد مضي سنوات تكون التربة أثناءها قد استردت خصوبتها ، وبالتالي تصبح عملية الانتقال أشبه بالدورة الزراعية . ولا يقتصر الانتقال على هذا السبب الطبيعي ، فهو يحدث لأسباب عقائدية اجتماعية . فالانتقال ضروري في حالة مرض رب الأسرة أو رئيس العشيرة أو حين وفاته ، وهو حتمي أيضا في حالة وفاة الزوجة .

وغلات الزراعة التقليدية غلات غذائية يعتمد عليها السكان في حياتهم ، وأهمها مجموعة الحبوب كالذرة الرفيعة بأنواعها والدخن وكذلك الأرز ؛ ثم المحصولات الدرنية كالبطاطا والكسافا واليام والمانيوق ، بالإضافة إلى بعض البقول والخضروات من أمثال البسلة والفاصوليا والبقول والقرع والخيار ، وبعض المحصولات الشجرية كالموز .

وتشارك المرأة بدور هام في العمل الزراعي ، بل هي تقوم عادة بمعظم العمليات الزراعية كإعداد الأرض والبذر والحصاد . أما الرجل فيقوم بالأعمال الشاقة التي تتطلب قوة جسمانية كقطع الأشجار والقنص .

وهناك شبه تخصص في أنواع معينة من الغلات الزراعية تسود في مناطق معروفة من أفريقيا المدارية التي تتخذ من الزراعة التقليدية غطا لاستخدام أراضيها .

ففي نطاق الغابات الاستوائية في وسط وغرب القارة تسود المزروعات الدرنية كالكاسافا والبطاطا واليام والمانيوق .

وفي منطقة الغابة الاستوائية في غرب ساحل العاج حتى غامبيا ، تشيع زراعة الأرز ، لوفرة المياه سواء عن طريق المطر أو الأنهار .

أما الإقليم السوداني الممتد من السنغال إلى إثيوبيا فيتميز بانتشار زراعة الحبوب ، وأخصها الذرة الرفيعة والدخن ، ثم الفول السوداني في المناطق الأقل مطرا .

وفي شرق أفريقيا في منطقة هضبة البحيرات تغلب مزارع الموز . ومع

هذا فهناك من القبائل ما يفضل عليه زراعة الدخن كالقبائل النيلية (النيلون) .

وفي هضبة أفريقيا الوسطى والجنوبية حيث مراعي السقانا تكون الغلبة لزراعة الذرة .

الزراعة الكثيفة

ظهر هذا النوع من الزراعة في وادي النيل بمصر ، وفي شمال أفريقيا المطل على البحر المتوسط منذ أمد طويل . فمصر كانت مخزنا للغلال الذي كان يمون روما وبيزنطة ، ويغذي مكة والمدينة في العهد العربي الإسلامي . ومرجع ذلك إلى خصوبة التربة ، وتجدها بالطمي الذي يأتي به النيل زمن الفيضان ، وبسبب استخدام المحراث والأسمدة العضوية ، بالإضافة إلى استقرار المزارعين .

وبلي القمح في الأهمية الذرة والشعير والبقول والنباتات الدرنية والخضروات وقصب السكر . وكلها تقريبا غلات غذائية . ونظرا لاستخدام طرق زراعية متقدمة ، ونظم ري متباينة ، كانت كمية الإنتاج كبيرة تفي باحتياجات السكان ويفيض منها جزء للتصدير . وكان ذلك يحدث حتى أواسط هذا القرن بالنسبة لمصر ولشمال غرب أفريقيا وحتى بالنسبة لليبيا (حيث كان المستوطنون الإيطاليون يرسلون قسما من إنتاجهم إلى إيطاليا) ، وذلك قبل الزيادة السكانية الكبيرة التي أصبحت تستهلك كل الإنتاج ، وقبل إدخال المحصولات النقدية والتوسع في زراعتها .

وقد أدخل الفرنسيون إلى شمال غرب أفريقيا نظام التخصص في الإنتاج ، فأصبحت الجزائر منتجا هاما للخمور التي تصدر لفرنسا نظرا لانتشار زراعة الكروم . هذا إلى جانب محاصيل شجرية أخرى ذات أهمية تجارية منها الزيتون والنخيل .

زراعة الغلات التجارية عند الأفريقيين

ظهرت الغلات التجارية في مناطق الزراعة الكثيفة في مصر منذ نحو مائة

وخمسين عاما ، كما أدخلت حديثا في أفريقيا المدارية حيث المناطق التي كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على الزراعة البدائية المتنقلة وهي زراعة الاكتفاء الذاتي . وتمثل المحصولات النقدية في القطن (يزرع في السودان وأوغندا ونيجيريا بالإضافة إلى مصر) ، والأرز والبقول السوداني (غامبيا ، والسنغال ونيجيريا) والكاكاو (غانا ونيجيريا وساحل العاج) ، والبن (كينيا وأوغندا وأثيوبيا وتنزانيا وساحل العاج) ، بالإضافة إلى تنمية محاصيل تنمو طبيعيا من أجل التصدير كنخيل الزيت وجوز الهند .

وتتخصص الآن دول في إنتاج محصول معين تعتمد عليه اعتمادا كبيرا : فتخصص كل من غامبيا والسنغال في إنتاج البقول السوداني ، وغانا في إنتاج الكاكاو ، ونيجيريا في إنتاج المطاط ، وأثيوبيا في البن ، والكامرون في القطن والبن . وحين يعتمد قطر من الأقطار على التخصص الشديد في غلة أو غلتين تمثلان معظم الصادرات يجعل القطر في حالة تبعية تامة لمؤثرات السوق العالمية ، ويعرضه لذبذبات كبيرة في الدخول ، وإلى كوارث لا تحمد عقباه . ولهذا اضطرت الحكومات إلى التدخل في محاولات لموازنة الأسعار ، وإنشاء جمعيات لرعاية مصالح المنتجين ، ورصد مبالغ لسد العجز ، وتنويع المحاصيل لتخفيف أخطار الاعتماد على محصول واحد .

ورغم ما للتخصص من محاسن زراعية ، فقد كانت له مثالبه من هذه الوجهة أيضا . فتكرار زراعة محصول معين في نفس التربة يجهدا ، ويقلل من خصوبتها وإنتاجيتها . كما وتكثر إصابة المحصول بالآفات ، وفي بعض الأحيان يشتد خطرهما ، فتهلك المحصول ، وأمثلة ذلك عديدة ومعروفة في حالات القطن والكاكاو والبن . لهذا لا بد من تنويع المحاصيل ، واتباع دورات زراعية علمية .

وكان من مزايا دخول الغلات النقدية أن ظهرت مشروعات الري الدائم والمشروعات الزراعية الكبرى . فأنشئت في مصر ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر القناطر لرفع مياه النيل لتغذية ترع الري الدائم ، ثم السدود : سد أسوان

والسد العالي لتوفير المياه لعمليات التوسع والاستصلاح الزراعي . وفي السودان تم إنشاء السدود على النيل الأزرق والنيل الأبيض ، وأقيمت مشروعات الزراعة في أرض الجزيرة ودلتا الجاش ومشروع الزاندي والبطانة ، ومشروع الرهد ومشروع كنانة . وفي مالي أنشئ مشروع دلتا النيجر الداخلية . يضاف إلى ذلك مشروعات الفول السوداني في السنغال ، ومشروعات القطن والفول السوداني في شمال نيجيريا ، والكافور والزيوت النباتية في جنوبها ، ومشروع زراعة الكافور وسد الفولتا في غانا ، ثم مشروعات القطن والبن في أوغندا ، ومشروع زراعة السيسال في تنزانيا .

زراعة الغلات التجارية عند الأوربيين

ونقصد بها مزارع الأوربيين المستوطنين ، وهي عادة أكبر مساحة بكثير من مزارع الأفارقة ، خصوصا تلك المزارع المخصصة لزراعة المحصولات النقدية ، كمزارع فايرستون للمطاط في ليبيريا والتي تبلغ نحو مليون فدان . وشركة إخوان ليفر Lever Bros وهي شركة لاستغلال زيت النخيل بالكتغو (زائير) التي تمتلك زهاء ١,٨ مليون فدان . ومن المزارع الواسعة أيضا ما يوجد منها في تنزانيا ، وتزرع بالسيسال اللازم لصناعة الحبال ، وحقول البن والشاي وقصب السكر والتبغ في مرتفعات دول شرق القارة ، ثم مزارع السيسال في أنجولا ، وحقول البريطانيين الشاسعة في جنوب أفريقيا وروديسيا ، وهؤلاء يهتمون بالزراعة المختلطة وتربية الحيوان . ولا ننسى مزارع المستوطنين الفرنسيين في الجزائر التي اهتمت بالكروم والزيتون والحمضيات .

هذا وتمتاز مزارع الأوربيين باتساع المساحة كما أسلفنا ، فمساحة المزرعة الواحدة أكثر من ألف فدان . ويستخدم فيها التسميد الكثيف ، وتقوم الآلات بمعظم العمليات الزراعية .

التعدين

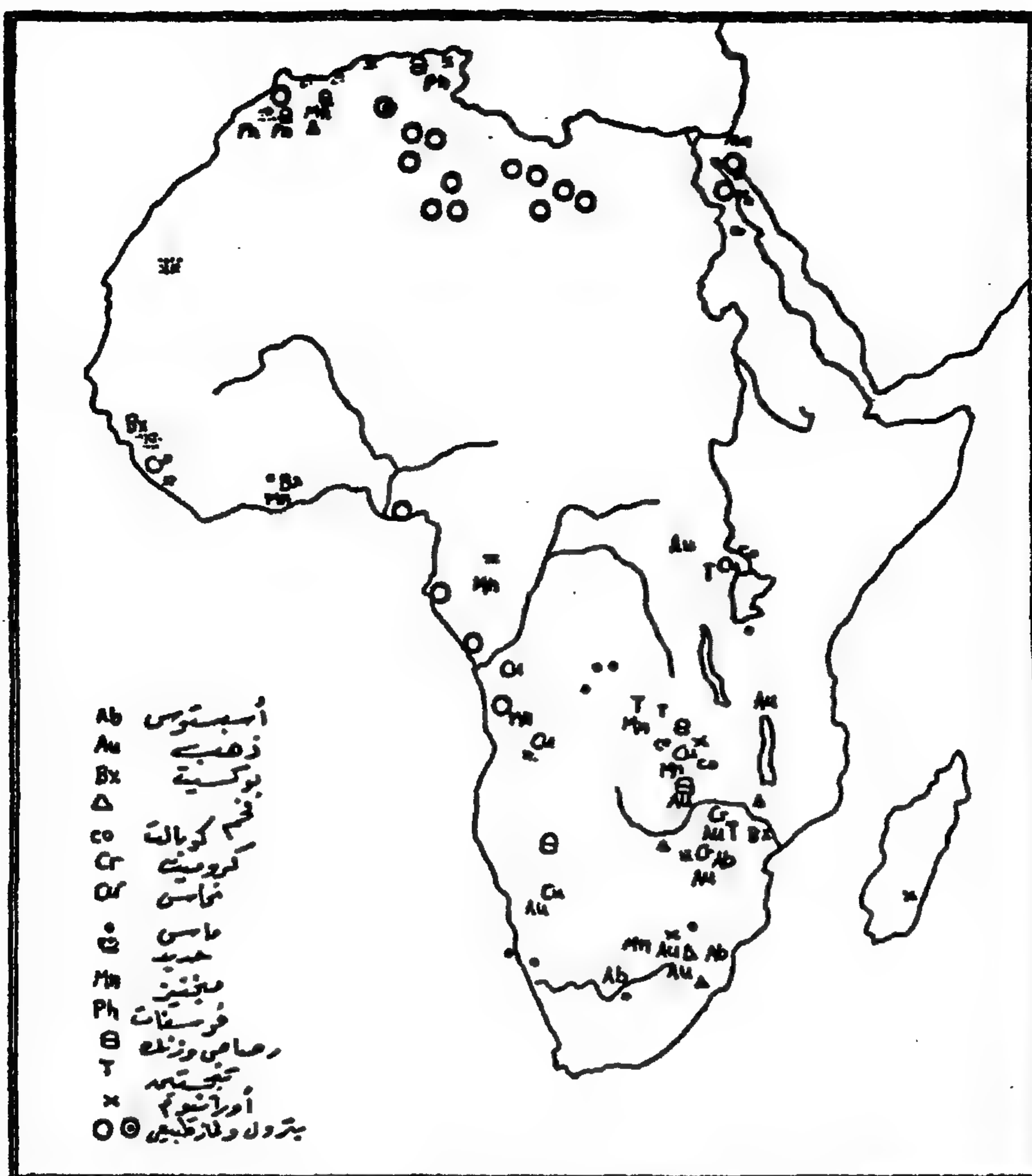
رغم أن الذهب والقصدير ورواسب معدنية أخرى تعدن في أجزاء كثيرة من أفريقيا لعدة قرون ، خصوصا في مصر التي عرفت استخراج المعادن

وتصنيعها منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ، إلا أن إنتاج المعادن على نطاق واسع وبكميات كبيرة بدأ بعد الاستعمار الأوربي لقارة أفريقيا . فأول إنتاج كبير للمعادن الأفريقية بدأ بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وكان أول معدن ينتج فيها هو الحديد في عام ١٨٦٥ ، ثم الفوسفات في عام ١٨٨٦ . وفي أجزاء أفريقيا الأخرى بدأت الصناعات الاستخراجية الحديثة في خلال هذا القرن . أما البحث المكثف عن البترول وإنتاجه فقد تأخر حتى الخمسينات .

وكانت عمليات الكشف عن مصادر الثروة المعدنية بأفريقيا خلال العقود الأولى من هذا القرن العشرين بطيئة ومبعثرة . وكان هذا من بين أسباب تأخر توسيع أعمال التعدين . يضاف إلى ذلك صعوبات أخرى تختص بصعوبة النقل وارتفاع تكاليفه ، ومشكلات استثمار المال الأجنبي ، وذبذبات الأسعار في السوق العالمي ، وسرعة استهلاك الآلات ، ثم النقص في الأيدي العاملة المدربة .

وقد ازداد الاهتمام باستخراج المعادن وتنميته ، وبالكشف عن البترول في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وشجع على ذلك تطور المعرفة ووسائل الكشف والاستخراج ، وحاجة أمريكا ودول أوروبا في استثمار أموالها ، بالإضافة إلى رغبة الدول الأفريقية الجديدة في استثمار ثروتها المعدنية لحاجتها الماسة إلى المال ، مثال ذلك دولة موريتانيا واستثمارات خامات الحديد بها .

وقد تكونت شركات أجنبية ضخمة ، معظمها مستقل لا يرتبط ماليا بالدول الأفريقية ، حملت على عاتقها مسئولية الصناعات الاستخراجية بأفريقيا . وما تزال المناصب الكبرى إدارية وفنية في أيدي غير الأفريقيين . ومع هذا فإن دول القارة تحاول إدخال العناصر الوطنية بالتدريج وإجلالهم محل الأجانب . ويشغل بأعمال المناجم نحو مليون وربع أفريقي ، يعمل منهم نحو نصف مليون في مناجم في جنوب أفريقيا ، حيث يُعدن الذهب والماس ، وكميات كبيرة من اليورانيوم ، والفحم ، والأسبستوس وخامات الحديد ، والمنجنيز والكروم . وقد أنتج جنوب أفريقيا وحده من المعادن ما يوازي خمسي قيمة



شكل (٤٠) : معادن أفريقيا في أوائل الستينات

الإنتاج المعدني في القارة في الخمسينات ، وما يزال ينتج أكثر من الخمس . ومن المناطق الرئيسية في الإنتاج المعدني بأفريقيا إقليم كاتنجا المعدني بجمهورية زائير الذي يجد له امتدادا في شمال روديسيا والذي ينتج النحاس بكميات كبيرة ، كما ينتج الكوبالت ، واليورانيوم ، والفضة ، والذهب ، والكاديوم Cadmium ، والبلاتين ، والبالاديوم Palladium ، والقصدير ، والجرمانيوم ومعادن أخرى نادرة . ولا يتفوق على زامبيا وزائير من دول العالم

سوى شيلي في إنتاج النحاس : وزائير غنية أيضا بالمنجنيز والقصدير والذهب .
وتنتج غانا كميات كبيرة من المنجنيز واحتياطيها منه كبير .

ومن أقاليم أفريقيا الهامة في الإنتاج المعدني : المغرب الذي يُنتج خام الحديد والفوسفات والرصاص ، وجنوب غرب أفريقيا الذي يعدن الماس والرصاص ، وجنوب روديسيا الذي ينتج الذهب والأسبستوس والفحم ، وغانا التي تنتج الذهب والماس والمنجنيز ، ونيجيريا التي تعدن القصدير ، وسيراليون التي تنتج خام الحديد والماس ، وأنجولا وتزانيا حيث يعدن الذهب . ويدخل حقل التعدين كل عام دول جديدة .

وقبل أن يتضخم استخراج البترول بعد عام ١٩٥٦ ، كان الذهب والماس يمثلان أكثر من ٦٠٪ من قيمة الإنتاج المعدني في أفريقيا . وتمتد أفريقيا العالم بالمعادن النادرة ، فهي تحتوي على ٩٠٪ من احتياطي الكروم ، وتنتج منه سنويا نحو ثلث الإنتاج العالمي ، كما تنتج ربع الإنتاج العالمي من المنجنيز ، وأكثر من ثلثي إنتاج الكوبالت ، وثلث إنتاج الفاناديوم Vanadium وأكثر من ثلث إنتاج البريليوم ، وأربعة أخماس إنتاج التيتانيوم ، ونحو ثلث إنتاج الأنثيموني .

وتنتج أفريقيا أكثر من نصف إنتاج العالم من الذهب ، وخمسي إنتاجه من البلاتين ، ومعظم إنتاجه من الماس .

وتُعدن كل المعادن التي سبق لنا ذكرها من الصخور البلورية القديمة النارية والمتحولة ، وهي صخور الأساس أو الركيزة الأفريقية . أما موارد القوى والوقود المعدني المتمثلة في الفحم والبترول ، فتوجد في أحواض الترسيب الداخلية على نحو سيّرد ذكره فيما بعد .

موارد القوى والوقود

على الرغم من أن أفريقيا غنية بثرواتها المعدنية ، ومعروفة بعدد من المعادن الثمينة والاستراتيجية كما رأينا ، فإنها تعاني نقصا في مصادر القوى والوقود خصوصا في الفحم ، وإلى حد متوسط في البترول . لكن يعوض فقرها في إنتاج

الفحم إمكانيات ضخمة من القوى المائية تقدر بنحو ٢٣,١٪ من إمكانيات العالم .

وتنتج أفريقيا من الفحم ما يقارب ٣٪ من إنتاج العالم ، وهو ما يعادل نحو ٦٠ مليون طن سنويا . ويتركز الإنتاج في النصف الجنوبي من القارة ، وتأتي جمهورية جنوب أفريقيا في المقدمة ، فهي تنتج وحدها ما يزيد على ٥١,٥٪ أو ما يناهز ٥٥ مليون طن من أنواع الفحم الجيد وهو القطراني أو البيتومي الصالح للكوك ، وكان الفحم عاملا هاما في تنمية النشاط التعدين والصناعي . واحتياطي الفحم في هذه الدولة كبير يزيد على ٧٢ مليار طن ، وهو قدر يكفي الدولة عدة مئات من السنين حتى مع زيادة معدل الإنتاج .

وبلي جنوب أفريقيا روديسيا التي تنتج أكثر من ثلاثة ملايين طن كل سنة من حقلها في منطقة وانكي . ويقدر احتياطي الفحم بها بنحو ٦,٥ مليون طن . وتعتبر زامبيا الدولة الثالثة في أفريقيا في إنتاج الفحم بكمية سنوية مقدارها حوالي ثلثي مليون طن . ولا يُعدن الفحم في شمال أفريقيا بكميات تذكر إلا في المغرب حيث يقل الإنتاج السنوي عن نصف مليون طن .

وإذا كان النصف الجنوبي من قارة أفريقيا غنيا بمعادنه ، فإن نصفها الشمالي ، خاصة أطرافه الشمالية والغربية ، غني بثروته البترولية . وقد كانت مصر أكبر دولة أفريقية منتجة للبتروول حتى نهاية الخمسينات . ثم دخلت كل من الجزائر ومن بعدها ليبيا ميدان الإنتاج بعد عام ١٩٦٠ ، وفيها تطور إنتاجه ونما بسرعة حتى وصل قبل حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ نحو ٥٥ مليون طن في الجزائر و١١٦ مليون طن في ليبيا . أما إنتاج مصر فقد انخفض من نحو ٢٤ مليون طن عام ١٩٥٧ إلى نحو ٩ مليون طن عام ١٩٦٨ بسبب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، ثم عاد إلى الصعود التدريجي ، وقد وصل في عام ١٩٨٧ إلى نحو ٤٧ مليون طن . أما إنتاج ليبيا فقد أخذ في التناقص النسبي لاتباع الدولة سياسة تقضي بإطالة عمر البترول ما أمكن ، فبعدما كان الإنتاج أكثر من ١٦١ مليون طن سنة ١٩٧٠ ، هبط إلى ١١٦ مليون طن سنة ١٩٧٢ وإلى نحو ٨٥ مليون طن سنة ١٩٧٥ وإلى ١٤٠ مليون طن عام ١٩٩٤ .

وفي غرب أفريقيا بدأت نيجيريا منذ عام ١٩٦٣ تدخل في عداد الدول المنتجة للنفط . وقد تزايد انتاجها بسرعة من أقل من ٣ مليون طن سنة ١٩٦٣ إلى ٥٤ مليون طن سنة ١٩٧٠ ثم إلى ١٢٥ مليون طن سنة ١٩٧٥ ، وهي الأولى في الإنتاج بين دول أفريقيا بعد أن خفضت ليبيا إنتاجها وتخلت لها عن مكان الصدارة وإنتاجها الحالي (١٩٩٥) حوالي ٧٥ مليون طن سنوياً

ويضاف إلى هذه الدول التي يتركز فيها إنتاج البترول ، يوجد البترول بكميات صغيرة في أنجولا وجابون وزائير وتونس .

ويمثل الغاز الطبيعي مصدراً آخر للطاقة التي تستجها أفريقيا . وبالجزاير أكثر من نصف احتياطي الغاز الأفريقي ، تليها نيجيريا وبها خمس الاحتياطي ، ثم ليبيا (١٤٪) وينقل الغاز الجزائري مباشرة إلى أوروبا . ويشكل الاحتياطي الأفريقي من الغاز الطبيعي نحو ١٠٪ من الاحتياطي العالمي ، بينما يصل احتياطيها من البترول نحو ١٥٪ من المجموع العالمي .

وبأفريقيا إمكانات ضخمة من القوى المائية تمثل نحو ٢٣٪ من إمكانات العالم ، لكن ما استغل منها حتى الآن قدر صغير . وترتبط مواقع القوى المائية بأشكال السطح وظروف المناخ . وإمكانات القوى المائية في أفريقيا تتركز على الخصوص في النطاق الاستوائي حيث الظروف المناخية غير ملائمة ، وحيث يقل السكن ، ويبعدا عن مناطق الصناعة والعمرن . وقد تم إنشاء عدة مشروعات ضخمة لتوليد القوى الكهرومائية ، تعتمد على تخزين المياه خلف السدود ، وذلك لضمان تدفق المياه وبالتالي استمرار الحصول على الكهرباء طوال السنة . وتزايد بذلك إنتاج الكهرباء منذ بداية الستينات تزايداً كبيراً ، خاصة بعد إنشاء السد العالي في مصر الذي يعطي ٢٢٠٠,٠٠٠ كيلو واط سنوياً وبعد كهربية خزان أسوان بمصر الذي يعطي ٣٠٠,٠٠٠ كيلو واط ، وسد كاريا على الزمبيزي بروديسيا ويعطي ٧١٥,٠٠٠ كيلو واط وسد الفولتا بغانا ويعطي ٦٠٠,٠٠٠ كيلو واط ، وكاينجي Kainji بنيجيريا ويعطي ٣٢٠,٠٠٠ كيلو واط ، وكولوزي بزائير ويعطي ٢٤٠,٠٠٠ كيلو واط ، وإيديا بالكومون

ويعطي ١٨٠,٠٠٠ كيلوات . وهناك مشروعات أخرى كثيرة وكبيرة في زائير وغينيا وزامبيا وكينيا وأوغندا ونيجيريا .

الصناعة

ليس من السهل التمييز بين الصناعات crafts والصناعات industries ، لكن بينما الصناعات قد دخلت أفريقيا في وقت حديث بصورة عامة ، فإن الصناعات تقليدية ، وتنتشر في أرجاء القارة . فلا بد من وجود قبائل أو جماعات أو قرى متخصصة في صناعة معينة كالحدادة أو النسيج والحياكة ، أو الخزف والفخار ، أو تخصص في صنع الأغذية والحصير والجلود ، أو في بناء القوارب ، أو حتى في الشعوذة والموسيقى . وكثير من هؤلاء يحتشدون في أسواق المدن وميادينها ، لكن الإنتاج في العادة صغير وغير منظم .

وتهتم الصناعات ذات الإنتاج الكبير في معظمها بتصنيع المعادن والمنتجات الزراعية . وقد كان لمناطق توزيع المواد الخام ودرجة تواجد وتأثير الأوربيين الأثر الأكبر في توطين الصناعات . فالصناعة في جنوب أفريقيا تمثل صناعة الإنتاج الكبير بالمفهوم الأوربي حيث يتوافر رأس المال والخبرة والمواد الخام . أما الصناعة في مصر فقديمية ، وهي أقدم الصناعات الحديثة في القارة ، وفي مصر تتوفر الخبرة ورأس المال الوطني في معظمه ، وإن كانت تنقصها بعض الخامات . وهناك صناعات حديثة أدخلها الأوربيون في روديسيا وزائير ودول المغرب .

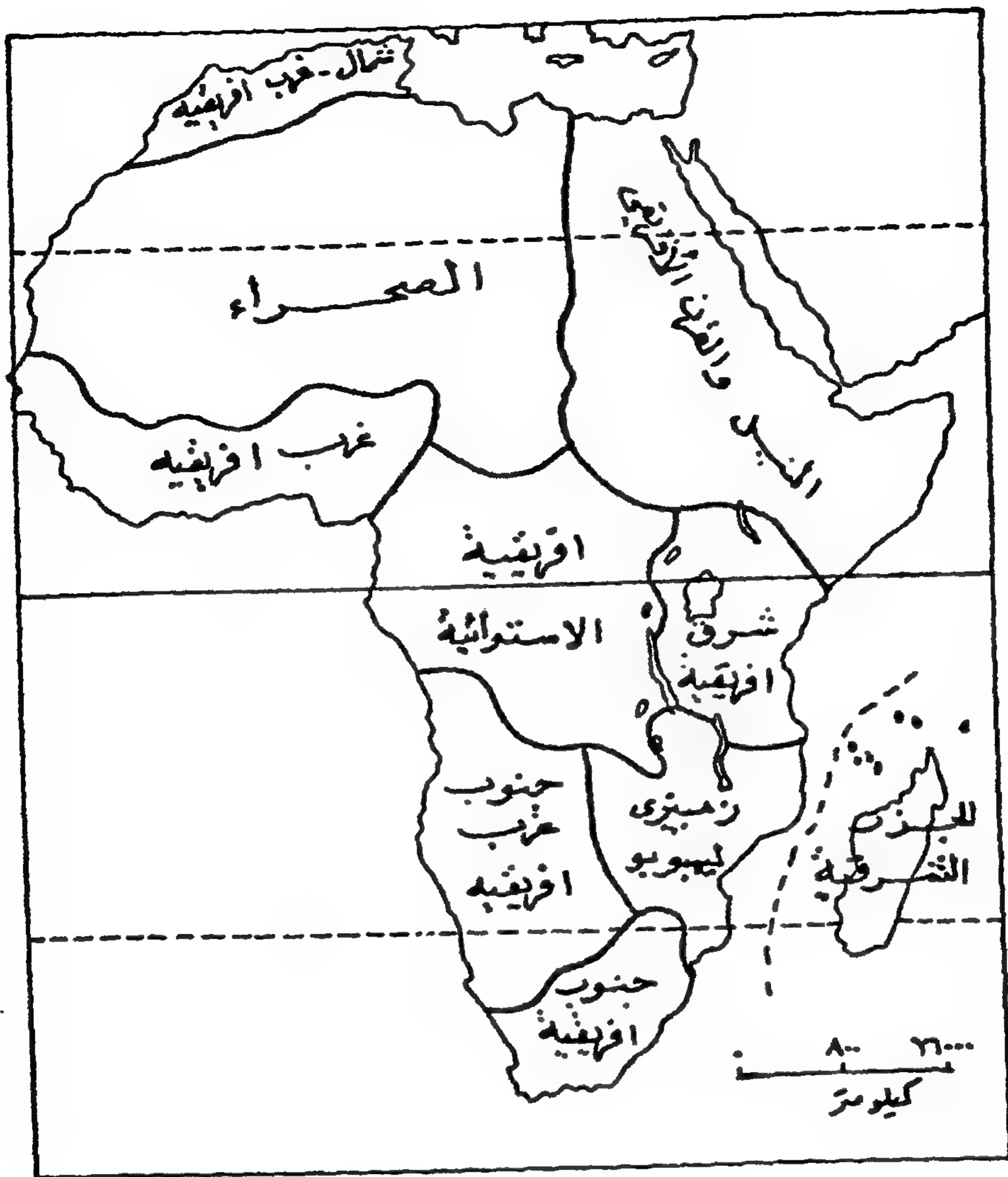
وقد مول الأوربيون كثيرا من الصناعات الاستهلاكية ، وتنمو وتزداد باستمرار صناعات كالصابون والطباق والمنسوجات القطنية والزيت . وقد كانت الحكومات الاستعمارية تعتمد على استثمار الأموال الأجنبية فقط ، وتلك لم تكن كافية . وتساهم الحكومات الوطنية المستقلة الآن في الصناعة ، في محاولات منها لإيجاد فرص عمل للسكان المحليين ، ونظرا لارتباط النمو الصناعي بارتفاع مستوى المعيشة . وطبيعي أن تكون الأولوية للصناعات القائمة على الخامات المحلية ، خصوصا منها خامات التصدير لإنقاذ تكاليف نقلها ، ورفع قيمتها . ثال ذلك صناعة الزيت من الفول السوداني في غرب القارة ، وصناعة استخراج

زيت النخيل في زائير ونيجيريا ، وزيت الزيتون في دول المغرب الغربي . كما يتم الآن تصدير النحاس بعد تكريره واستخلاصه من الشوائب وذلك في زائير وزامبيا وروديسيا .

ونظرا لكثرة المنشآت وأعمال البناء والتعمير ، كثرت مصانع الاسمنت في دول القارة ، فضلا عن الصناعات المرتبطة بالملبس وخاصة المنسوجات القطنية . وزاد الاهتمام مؤخرا بصناعة الأسمدة . ويتم تكرير حصة لا بأس بها من إنتاج البترول خاصة في جنوب أفريقيا ومصر والجزائر ونيجيريا وليبيا .

القسم الثاني

الدراسة الإقليمية لأفريقيا



شكل (٤١) : أقاليم أفريقيا الجغرافية

القرن الأفريقي

النيل والقرن الأفريقي

يشمل الإقليم الوحدات السياسية الآتية :

- مصر
- السودان
- إثيوبيا
- الصومال
- جيبوتي

ويحوي الكتاب دراسة للوحدات الآتية :

- السودان
- إثيوبيا
- الصومال

الفصل التاسع

جمهورية السودان

السودان جمهورية واسعة الأرجاء ، وهو أكبر دولة إفريقية وعربية بمساحته التي تبلغ ٢,٥٠٦,٠٠٠ كم^٢ (٩٦٧,٥٠٠ ميل^٢) . لكنه ليس أكبر الدول الأفريقية والعربية سكاناً، فتقدير سكانه ١٩٩٥ يزيد قليلاً على ٣٠ مليون ، وهو بذلك يحتل المركز السادس في عدد السكان بين دول أفريقيا . وهو يمتد من الصحراء الكبرى في الشمال والإقليم الاستوائي في الجنوب بين دائرتي العرض ٣,٣٠° شمالاً ، ٢٢° شمالاً . وقد أثر هذا الامتداد في تنوع مميزاته الطبيعية والبشرية كما سيرد ذكره فيما بعد .

وقد أصبح السودان دولة مستقلة في غرة يناير ١٩٥٦ عقب استفتاء شعبي ، بعد سبعة وخمسين عاماً كان أثناءها خاضعاً للحكم الثنائي المصري الإنجليزي . وقد ارتبط السودان كله في تاريخه الحديث بالتاريخ المصري ، كما ارتبط قسمه الشمالي بالتاريخ المصري العام منذ أقدم العصور . فمنذ عام ١٨٢٠ ظل السودان قسماً من مصر حتى قامت الثورة المهدية في سنة ١٨٨١ وأعلنت الإستقلال ، لكنها أخذت في عام ١٨٩٨ ، فعاد إلى مصر التي كانت قد أصبحت تابعة لبريطانيا عقب هزيمة الجيش المصري بقيادة غرابي في عام ١٨٨٢ . وكان لارتباط السودان بمصر مزايا عدة منها : عدم استطاعة الانجليز نزع أجزاء منه وتخصيصها لهم كما حدث في أجزاء أخرى من القارة ، وبالتالي لم يتمكن الأوروبيون من الاستيطان الدائم فيه مثله في ذلك مثل مصر . كما استفاد السودان

من الخبرات المصرية في شتى المجالات التعليمية والاقتصادية ، وأخصها مشروعات الري التي أقامها وأدارها وما زال يديرها المصريون كخزان جبل الأولياء على النيل الأبيض ، وخزان الرصيرص على النيل الأزرق ، وهي المشروعات التي سمحت بإدخال المحصولات التجارية وزراعتها في السودان ومنها القطن المصري الطويل التيلة وقصب السكر . كما استفاد السودان من مشروع السد العالي ، ومشروعات مصر بأعالي النيل ، وأحدثها مشروع قناة جونجلي الجاري حفرها في وقتنا الحالي .

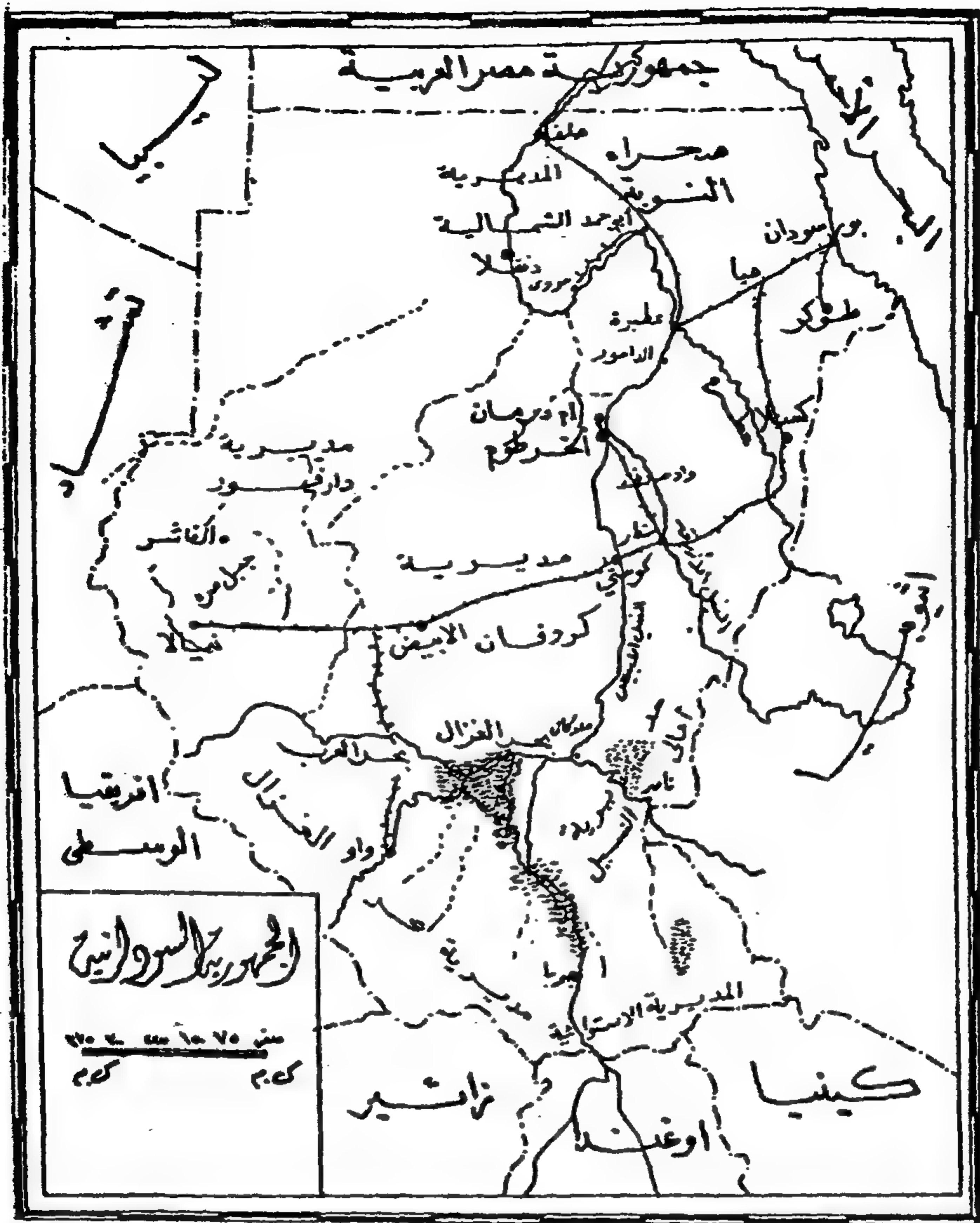
الجغرافيا الطبيعية

البناء الجيولوجي ومظاهر السطح :

السودان قطر سهلي السطح ، مظهره متجانس إلى حد كبير ، وهو في الأصل سهل تحاتي تغطيه إرسابات من الطمي سميكة ، وتحيط به المرتفعات من كل جانب . ويتقوس إلى أسفل تقوساً هيناً ، ويستقيم في معظم الجهات في هيئة مستوية لدرجة أن الأنهار التي تخترقه تنوء بحملها ، وتفيض على الضفاف مع كل ارتفاع لمنسوب مياهها . وتتخلل السهل ، وتقطع تجانسه عدة تلال متخلقة (إنسيل بيرجي Inselberge) تحتل بقايا سطح قديم تآكل ، وفي طريق الاختفاء أسفل غطاء من الرسوبيات النهرية .

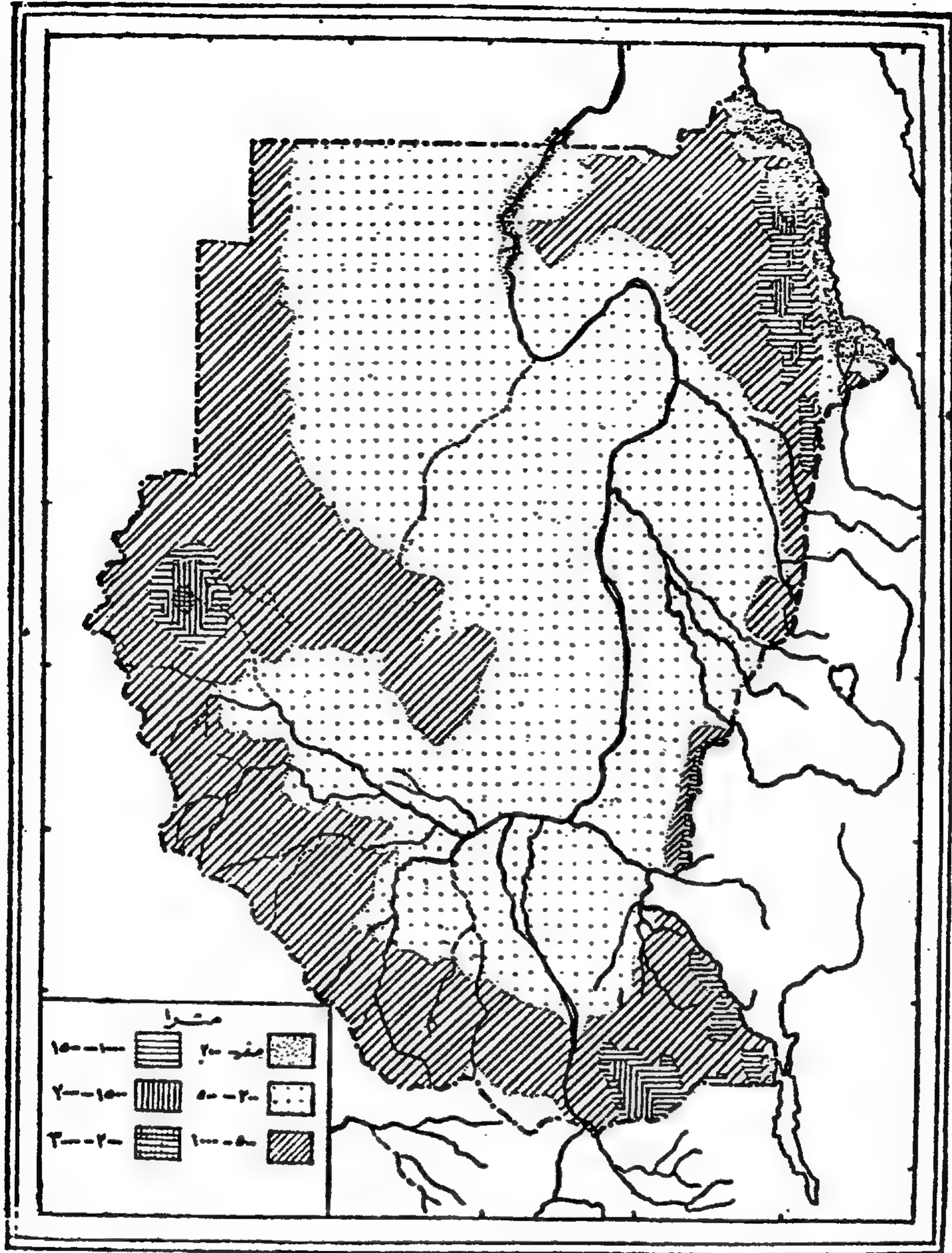
وفي أثناء فصل المطر يصبح النصف الجنوبي من هذا السهل الفسيح ، جنوبي دائرة العرض ١٠° شمالاً ، مستنقعا ضخماً ، يحتل مكانه في الفصل الجاف تيهٌ لافح أسود أغبر من دخان النيران والحرائق . ويُطلق على المستنقعات اسم « السد » بسبب الكتل الضخمة من النباتات الطافية التي تعرقل الملاحة النهرية . وينحصر وجود المستنقعات الدائمة حول المجاري المائية الرئيسية .

ولا تتفق حافة السهل الرسوبي كلية مع الحدود السودانية الإثيوبية ، وتبرز في السهل السوداني ألسته وكتل من المرتفعات الأثيوبية . ويتركب بعضها من مركب الأساس أو الركيزة الأركية ، فهو بلوري الصخر ، والآخر من تكوينات اللاقا التي انبثقت أثناء عصور الزمن الثالث .



شكل (٤٢) جمهورية السودان

وإلى الجنوب من السهل السوداني تقع هضبة زاندي (أو هضبة الصخر الحديدي) ، التي يتراوح ارتفاعها بين (٥٠٠ - ١٠٠٠ متر) فوق مستوى البحر ، والتي تحتل خط تقسيم مياه بين النيل والكنغو ، ومنها ينصرف عدد عديد من المجاري المائية تنصرف إلى النيل وإلى نهر الكونغو . وتركب الهضبة من مركب



شكل (٤٣) : السودان : مظاهر السطح

الركيزة الأركية الناري ، وتغطي أراضي ما بين الأودية النهرية التي تشقها تربة حمراء من نوع لاتيرايت ، ولون التربة هو الذي خلع على الهضبة اسمها (هضبة الصخر الحديدي Iornstone Plateau) . وتتأثر هنا وهناك تلال تتخلقه تسمو

إلى علو يتراوح بين ١٥٠ - ٣٠٠ متر (٥٠٠ - ١٠٠٠ قدم) فوق المستوى العام للسفلى ؛ أما تجاه حدود السودان مع أوغندا فإن الكتل الجبلية الأعلى تأخذ في الظهور خصوصا مرتفعات إيماتونج Imatong .

وهناك منطقتان أخريان تنكشف فيها صخور الدرع الأفريقي النارية الأركية ، كما تبرز كتل صخرية وتلال متخلقة ، تتمثلان في دارفور الغربية ، وفي جبال نوبا في قلب إقليم كردفان . لكن المنطقتين لا تستقبلان من المطر سوى نصف ما تحظى به هضبة « الصخر الحديدي » من أمطار . وفي دارفور يشمخ فوق مركب الأساس الصخري الأركي كتلة بركانية الصخر تسمى جبل ماره Jebel Marra ؛ وقمة الجبل فوق هامش فوهة البركان الساكن على ارتفاع يناهز ٣٠٣٠ متر . وجبل ماره شديد التضرس ممزق السطح ، بسبب تعرية مكوناته البركانية غير المتجانسة من التوفا واللاقا . وهناك كتلة أخرى مماثلة ، لكنها أصغر حجما تتمثل في تلال مايدوب Meidob المنعزلة .

وينصرف جزء من مياه مرتفعات دارفور جنوبا إلى بحر العرب ، وجزء آخر شمالا إلى وادي الملك Milk الذي ينتهي في النيل النوبي بالقرب من بلدة الدبه Ed Debba . ويجري وادي هور أو شار Howar or Shau نابعا فيها ، والذي يعتبر نهرا فصليا ، يمتلئ بالمياه عقب سقوط المطر ، نحو الشمال الشرقي وينتهي في الرمال . أما وادي الكو el Ku فينتهي جنوبا بدلتا صحراوية في المنطقة الواقعة إلى الشرق من بلدة نبالا Niala .

أما مرتفعات نوبا في كردفان فترتفع صخورها البلورية إلى علو يناهز ٦٠٠ متر في المتوسط . وهناك أجزاء منها تبرز فوق السهل الواسع في هيئة جبال عالية منفردة . ومن أشهر هذه الجبال جبل رشاد Rashad (ارتفاعه ١٥٠٠ متر) وجبل اللايرا Alleira (ارتفاعه ١٣٠٠ متر) وجبل تالودي Talodi (ارتفاعه ١٠٥٦ متر) وتحيط بالجبال مساحات واسعة تغطيها الرواسب الخشنة من الرمال والحصى ، والناعمة من الرمال والصلصال ، وهي ناشئة من تفتت صخورها بفعل عمليات التجوية والتعرية المائية والهوائية .

ويخترق إقليم النوبا عدد عديد من الخيران ، يتجه غالبيتها نحو الجنوب ، لكنها لا تصل إلى النيل بل تنتهي إلى المستنقعات ، ومن أشهرها وادي الغلا . el Ghalla .

وفيما بين جبل مره ومرتفعات نوبا يمتد نطاق طويل من الكثبان الرملية مسافة ٩٦٠ كيلومتر من شمال الشمال الشرقي إلى جنوب الجنوب الغربي . وقد تكون أثناء فترة جافة من فترات عصر البلايوسين . وقد تم تثبيتها الآن بواسطة أشجار السنط وحشائش السفانا . وكان بحر الرمال هذا وما يزال عتبة في سبيل المواصلات بين دارفور والخرطوم

وإلى الشمال ينتهي نطاق الكثبان الرملية الثابتة إلى الصحراء ، التي تتباين في مظاهر مطحها ، فقد تكون هضابا صخرية أو حصوية ، أو تبدو في هيئة كتل ، أو تكتنفها التلال المنعزلة من صنف القور (ميزات) ، أو تتحول إلى مساحات شاسعة من الكثبان الرملية الحية المتحركة . وتبدو بحار الرمال شائعة غربي النيل في الصحراء الغربية التي تمتد من السودان إلى مصر وليبيا ؛ أما في شرق النيل فإن الصحراء النوبية تبدو صخرية . وفيما بين الصحراويين يشق النيل طريقه خلال أراض يزداد جفافها بالاتجاه شمالا . ووادي المنحوت في تلك الشقة ضيق تماثيه أحيانا بعض المصاطب النهرية ، واتساعه لا يسمح بزراعة مروية على نطاق واسع .

وإلى الشرق من النيل الأزرق يمتد سهل البطانة الذي يقع فيما بين النيل الأزرق والعطبرة . وهو يُعتبر امتدادا هضبيا عريضا منبسطا من هضبة إثيوبيا يرتفع إلى نحو ٥٠٠ متر ، وتعلوه تلال يصل ذراها إلى ٨٦٠ مترا ، وذلك بالقرب من قلعة النحل ، في جنوب غرب مدينة القصارف .

وإلى الشرق من نهر عطبرة ، بينه وبين هامش الهضبة الإثيوبية توجد دلتا مروجية ذات أهمية ، كونها خور شهير هو القاش Gash ، الذي ينبع في شمال إثيوبيا ، ويجري في إقليم إريتريا ، ثم يهبط إلى السهل السوداني . وبينما يمتاز مجراه الأعلى في الحبشة بشدة الانحدار والعمق ، إذا بواديه في السودان ضحل يكاد

يكون في مستوى السهل الذي يجري فيه ، ولهذا تفيض مياهه على الجوانب ،
ويتهي في الصحراء المحيطة بمدينة كسلا Kassala . وهو صغير الحجم قليل
الشان بالنسبة للعطيرة ، وذلك لصغر مساحة حوضه الذي يتصف بقلة المطر ،
وقصر موسمه ، ولهذا لا تصل مياهه إلى النيل ، كما لا تصل إلى العطيرة ، إلا في
السنوات التي تغزر فيها الأمطار على شمال الحبشة . وعند مدينة كسلا يتفرع
الخور إلى فروع عدة ، وينشر غرينه على شكل مروحة مكونا لدلتا مروحية
خصبة .

وعلى امتداد الهامش الشرقي للصحراء النوبية تمتد مرتفعات البحر الأحمر
الممزقة التي تعلو إلى ما فوق ١٥٠٠ م (٥٠٠٠ قدم) ، وفيها تنكشف صخور الركيزة
النارية القديمة مرة أخرى . وهي تشرف على البحر الأحمر بحافة انكسارية مقطعة يتراوح
ارتفاعها بين ٦٠٠ - ١٢٠٠ متر (٢٠٠٠ - ٤٠٠٠ قدم) ، وهي تصنع الهامش
الغربي لأخدود البحر الأحمر . وترتفع قمم في هذه الجبال إلى أكثر من ألفي متر ،
منها جبل أودا Oda وارتفاعه ٢٢٠٠ متر (٧٢٧٣ قدم) . وتشرف الحافة على
سهل ساحلي يتراوح اتساعه بين ١٦ - ٢٤ كيلومتر ترصعه الكثبان والشعاب
المرجانية . وإليه تنحدر مياه السيول المفاجئة بسرعة وشدة أهمها خور أربعيات
الذي يتهي إلى البحر الأحمر شمالي مدينة بورسودان ، وخور بركة الذي ينبع في
شمال إريتريا ، ويتهي في دلتا داخلية عند طوكر .

ويصرف مياه المنحدرات الغربية لجبال البحر الأحمر السودانية عدد من
الأودية الطويلة تنهي إلى النيل ، من أهمها وادي عامور الذي يصل النيل شمال
بلدة « بربر » ؛ ووادي قببة Gabgaba الذي يخترق هضبة (صحراء) العظمور
شمالا عبر الحدود المصرية ليتصل بوادي العلاقي Allaqi الذي يصب في بحيرة
ناصر جنوبي مدينة أسوان ، والعظمور امتداد هضبي من الهضبة الشرقية نحو
الغرب ، ويبدو أنها كانت ذات أثر في إحداث المنعطف الكبير الذي صنعه النيل
في مجراه بتلك المنطقة .

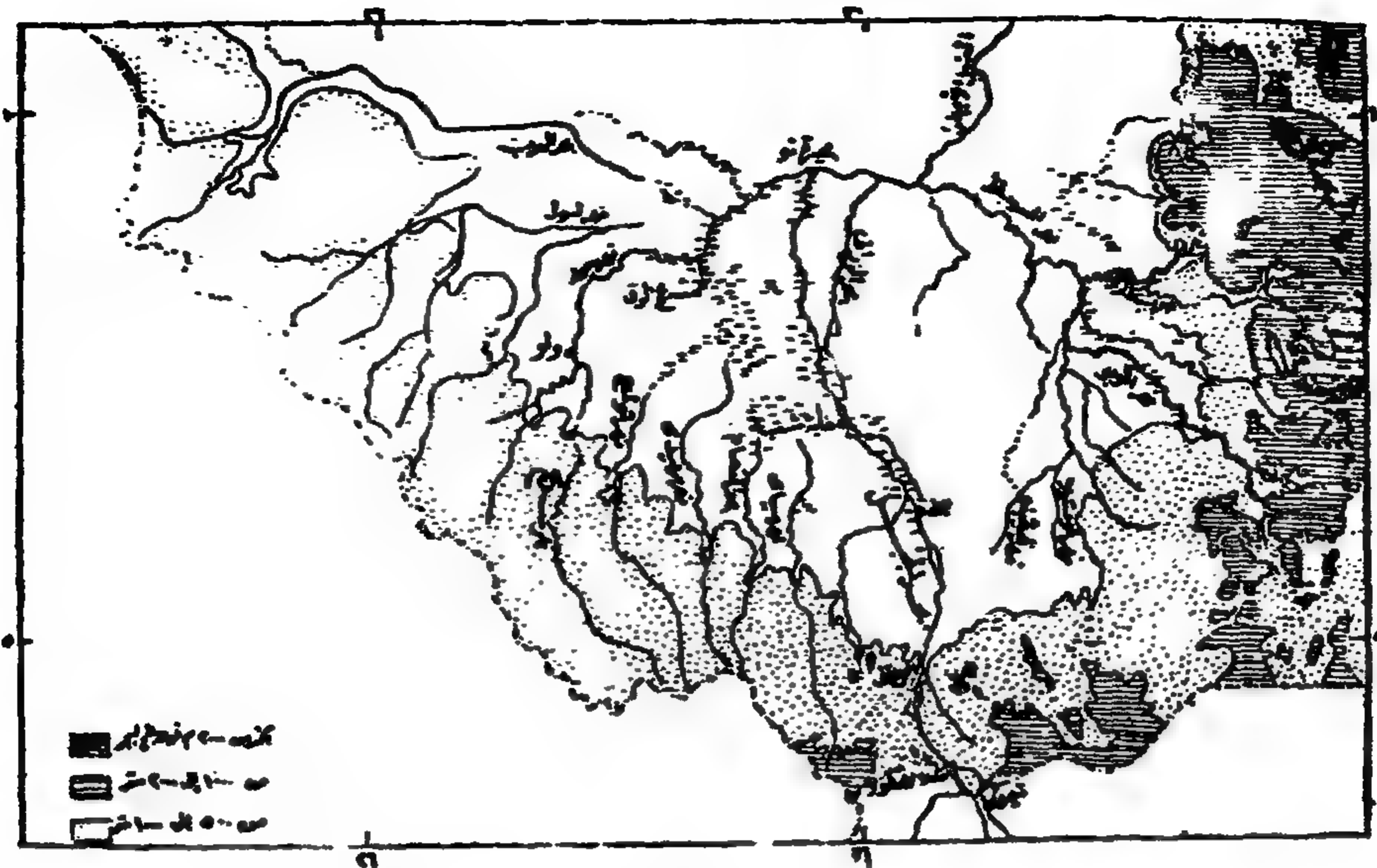
ولا شك أن أهم مظهر مورفولوجي في سهول السودان الفسيحة هو نهر

النيل الذي يهبط إليها عند نيمولي من هضبة البحيرات ، فيسمى « بحر الجبل » ، ويجري حتى غندكرو بانحدار شديد ، وتيار جارف له القدرة على حفر ونحت عظيمين وتعرضه مساقط مائية أشهرها مساقط فولا التي تنحدر عليها المياه مسافة رأسية مقدارها ١٢ متراً . وتأتيه الروافد الكثيرة بالماء الغزير ، خصوصا في أوائل الصيف وفي الخريف . وأهمها نهر أسوا Asswa الذي ينبع في مرتفعات ماروتو Maroto ويصب في بحر الجبل من الجانب الشرقي إلى الشمال من شلال فولا . ويحافظ النهر على جميع مياهه في هذه الشقة دون أن يفقد شيئا يذكر ، نظرا لانحداره الشديد وضيق مجراه . ويبلغ تصرف النيل عند منجلا نحو ٨٥٠ مترا مكعبا في الفصل القليل المطر (فبراير ومارس) ، ويزداد إلى نحو ١٤٠٠ مترا مكعبا في الموسم الغزير المطر (سبتمبر واکتوبر) .

ويقل انحدار النهر ، ويضعف تياره ابتداء من غندكرو وحتى غابة شمبي ، ويخترق في هذه الشقة سهولا واسعة تقع في منسوب يداني منسوب مياه بحر الجبل ذاته . ولهذا فإن المياه حينما تزيد في النهر ، في موسم الأمطار ، تفيض على الجوانب ، وإذا ما نقصت خلال الفصل الجاف ، انصرفت إليه مياه هذه المناقع الجانبية . ويعظم خطر هذه الظاهرة بصفة خاصة ، حين يكثر النهر من تعرجاته وانثناءاته بسبب اعتراض كتلة ناتئة أو ربوة ظاهرة لمجره هنا وهناك . وحينئذ يبطيء النهر في سيره ، فتسبح الفرصة أكثر وأكثر للفيضان على جوانبه ، فتكون المستنقعات التي تزداد اتساعا بالاتجاه نحو الشمال .

ويغطي معظم الجهات من النهر على مدى البصر نباتات البوص وأم الصفوف ، وهي جميعا أشبه بالغاب ، وتعلو إلى نحو أربعة أمتار . وتنبث في الأراضي التي تعلو على منسوب مياه النهر حشائش السفانا التي يصل ارتفاعها عند اكتمال نموها في فصل المطر نحو مترين . وتتخلل الحشائش أشجار متوسطة الكثافة .

وبعد غابة شمبي وحتى بحيرة نوييطيء النهر كثيرا في سيره ، حتى تبدو مياهه وكأنها ساكنة . ويترنح النهر وتوزع مياهه في مجار عديدة ، كثيرة



شكل (٤٤) : جنوب السودان مظاهر السطح

التحول ، حتى ليصعب تمييز المجرى الرئيسي من بينها . وهذا راجع بطبيعة الحال إلى قلة درجة انحدار النهر فهي بين بلدة فور وبحيرة نو ١ : ٢٠,٠٠٠ أي أن مجرى النهر ينحدر في هذا القسم الأخير من بحر الجبل مترا واحدا في كل عشرين كيلومترا ، فتباره لذلك شديد البطء . وحين يأتي فصل المطر يرتفع مستوى مياه النهر ويفيض على جانبيه .

وتلك هي منطقة السدود النباتية ، التي تتحول في زمن الفيضان إلى مسطح مائي ضخم ، لا تظهر فيه المجاري المائية ، ولا تتضح معالم بحر الجبل . وحين تشتد الرياح تعصف بالنباتات وتقتلعها ، وتلقي بها في المجاري المتشعبة هنا وهناك ، حتى تتجمع في مكان ضيق نوعا من المجرى ، أو تعاق حركتها عند منعطف نهري فتحتشد مكونة لسدود نباتية تسد المجرى ، وتعوق سير القوارب فيه .

وفي هذا الجزء الأدنى من حوض بحر الجبل يفقد النيل كميات هائلة من المياه . ففي هذا الجزء توجد منطقة المستنقعات الفسيحة ثم منطقة السدود . وتتوزع المياه على مسطح كبير ، وتتعرض للتبخر الشديد ، يضاف إلى ذلك أن

كمية المطر تقل كلما اتجهنا شمالا . ولهذا لا يزيد متوسط مقدار المياه التي يحملها بحر الجبل في شرق بحيرة نو على ٣٠٠ متر مكعب في الثانية

ولنفس هذه لأسباب نجد أن بحر الزراف لا يمد النيل بأكثر من ١٨٠ مترا مكعبا في الثانية . وهو يبدأ عند دائرة عرض ٧° شمالا من المستنقعات التي تقع شرقي بحر الجبل شمال غابة شمبي . وعجراه كثير الانحناء والالتواء ، لكن جوانبه مرتفعة نوعا ، وبالتالي فإن مياهه لا تفيض على الأراضي المجاورة إلا في الجزء الأدنى منه ، حيث تبدأ المستنقعات والنباتات المائية في الظهور ، وتستمر حتى مصبه في بحر الجبل . ويتصل النهران ، بحر الجبل وبحر الزراف ، ببعضهما عن طريق قناتين صناعيتين حفرتهما مصر ، ويبلغ طول إحداها أربعة كيلومترات ، وطول الأخرى ستة كيلومترات .

ويتهي إلى بحيرة نو من جهتها الغربية بحر الغزال . ويمتد حوضه بين دائرتي عرض ٣٠° و ٣١° شمالا ، وبين خطي طول ٣٠° و ٣٠° شرقا ، فوق مساحة مقدارها نحو ٥٥٠ ألف كيلومتر مربع . ورغم أن اسم بحر الغزال يطلق عادة على المجرى الواقع بين مشروع الرق وبحيرة نو ، إلا أنه يمكن إطلاقه على مجموعة الأنهار التي تنحدر من منطقة تقسيم المياه بين النيل والكنغو .

ويتسع بحر الغزال بعد « مشرع الرق » ثلاثين كيلومترا ، ويصبح بمثابة غدير كبير يمتد لمسافة ستة عشر كيلومترا ، وياتساع يبلغ كيلومترين ، ويُطلق عليه ، لكبر أبعاده ، بحيرة أمبادي . وهو يتكون أساسا من نهري هما « تونج » و « جور » ويتحدان معا شمالي « مشرع الرق » . ويتألف نهر الجور من رافدين كبيرين هما نهر « سويح » ونهر « واو » ، والأول هو الأهم ، ويتصلان ببعضهما إلى الجنوب من بلدة واو . ونهر « الجور » أهم روافد الحوض كله ، ذلك أنه الرافد الوحيد الذي يجري بالمياه ، ويتصل ببحر الغزال طوال العام ، على عكس الروافد الأخرى التي تضيق معالمها ، وتوّه في مستنقعات منطقة السدود .

ويصب في بحر الغزال من الجهة اليسرى بحر العرب الذي يرفده من

جانبه الأيمن نهر لول . وعلى تقيض جميع روافد بحر الغزال الأخرى التي تنبع من هضبة تقسيم المياه بين الكنفو والنيل ، فإن بحر العرب ينبع من هضبة « دارفور » . ويرقد بحر العرب من جانبه الأيسر عدد من المجاري المائية التي تنصرف إليه من جبل مرة وهضبة دارفور .

وتتميز جميع أنهار حوض بحر الغزال ، بما فيها مجرى بحر الغزال نفسه ، بأنها بطيئة الجريان ، ومنخفضة الضفاف ، وبالتالي فهي عرضة باستمرار لتكوين المستنقعات والسدود . ومقدار ما يحمله بحر الغزال بروافده العديدة من المياه إلى بحيرة نو قليل جدا لا يزيد على ثلاثين مترا مكعبا في الثانية ، ذلك لأن المفقود من مياهه بالتبخر والتسرب في المناقع عظيم جدا .

واتساع بحيرة « نو » لا يزيد على ٢٥ كيلومترا ، وهي أشبه بمستقع كبير قليل الغور ، وتزيد مساحتها وتنقص تبعا لكمية المياه التي ترد إليها . وينتهي إليها من الغرب بحر الغزال ، كما يصلها من طرفها الشرقي بحر الجبل الذي يغير اتجاهه حيثئذ ، فينحني متجها نحو الشرق . والسبب في ذلك يرجع إلى أن الأرض تبدأ في الارتفاع شمالا إلى جبال النوبا . ويستمر بحر الجبل في جريانه شرقا مسافة مائة وعشرين كيلومترا حتى يلتقي بنهر « السوبات » الذي يُعتبر أول روافد النيل التي تتحد إلى من هضاب إثيوبيا .

ورغم أن بحر الجبل في هذه المسافة من مجراه ما يزال ضعيفا محدود القوة ، إلا أن المستنقعات والأعشاب المائية تقل كثيرا عما كانت عليه من قبل . ويتصل ببحر الجبل في هذه الشقة من مجراه رافده اللول من جهة الشمال عند بلدة « تونجا » Tonga ، كما يلتقي به على ضفته اليمنى (الجنوبية) بحر الزراف ، وذلك إلى الشرق من بحيرة « نو » بنحو ثمانين كيلومترا .

وحينما ترد إلى النهر مياه « السوبات » ، تتغير حالته ، لأنها تبعث فيه القوة والقدرة على مواصلة جريانه نحو الشمال . فلولا مياه السوبات لما استطاع « النيل الأبيض » أن ينحت مجراه حتى الخرطوم . فمياه بحر الجبل ، كما أسلفنا ، قليلة بطيئة الجريان خالية من الرواسب ، لا يمكنها وحدها أن تشق لنفسها مجرى محدود الضفاف حتى الخرطوم .

ويستمد نهر سوبات مياهه من ثلاثة مصادر : المصدر الأول يتمثل في نهر بيور Pipor الذي يستقي مياهه من الروافد والجداول العديدة التي تنبع في مرتفعات جنوبي السودان في شرق بحر الجبل . والمصدر الثاني هو نهر أكوبو Akobo الذي ينبع في جنوب غرب الحبشة أي في مرتفعات تقسيم المياه بين حوض بحيرة رودلف Rudolf جنوباً وحوض السوبات شمالاً . أما المصدر الثالث فهو نهر بارو Baro الذي ينبع بروافده العديدة من مرتفعات « كافا » بجنوبي إثيوبيا .

ونهر « بارو » هو أهم روافد السوبات الثلاثة وأبعدها أثراً في مائة النهر . وهو يجري من الشرق إلى الغرب . ويلتقي به من جانبه الأيسر نهر بيور ، وذلك بعد بلدة « ناصر » . ويتألف من التقائهما نهر سوبات الذي يجري في سهول السودان في اتجاه الشمال الغربي حتى يصب في النيل الأبيض جنوبي مدينة ملاكال Malakal بقليل .

ومنابع نهر بارو كما وصفنا في منطقة جبلية يزيد ارتفاعها على ألفي متر ، ولهذا فهي شديدة الانحدار ، ضيقة المجاري ، وعميقة الأودية ، وشديدة ارتفاع جوانبها . أما مجرى سوبات نفسه فقليل الانحدار ، بطيء الجريان ، كثير المنعطقات ، ولكن ضفافه مرتفعة ، فلا يفيض على جوانبه كما يفعل بحر الجبل وبحر الغزال وروافدهما .

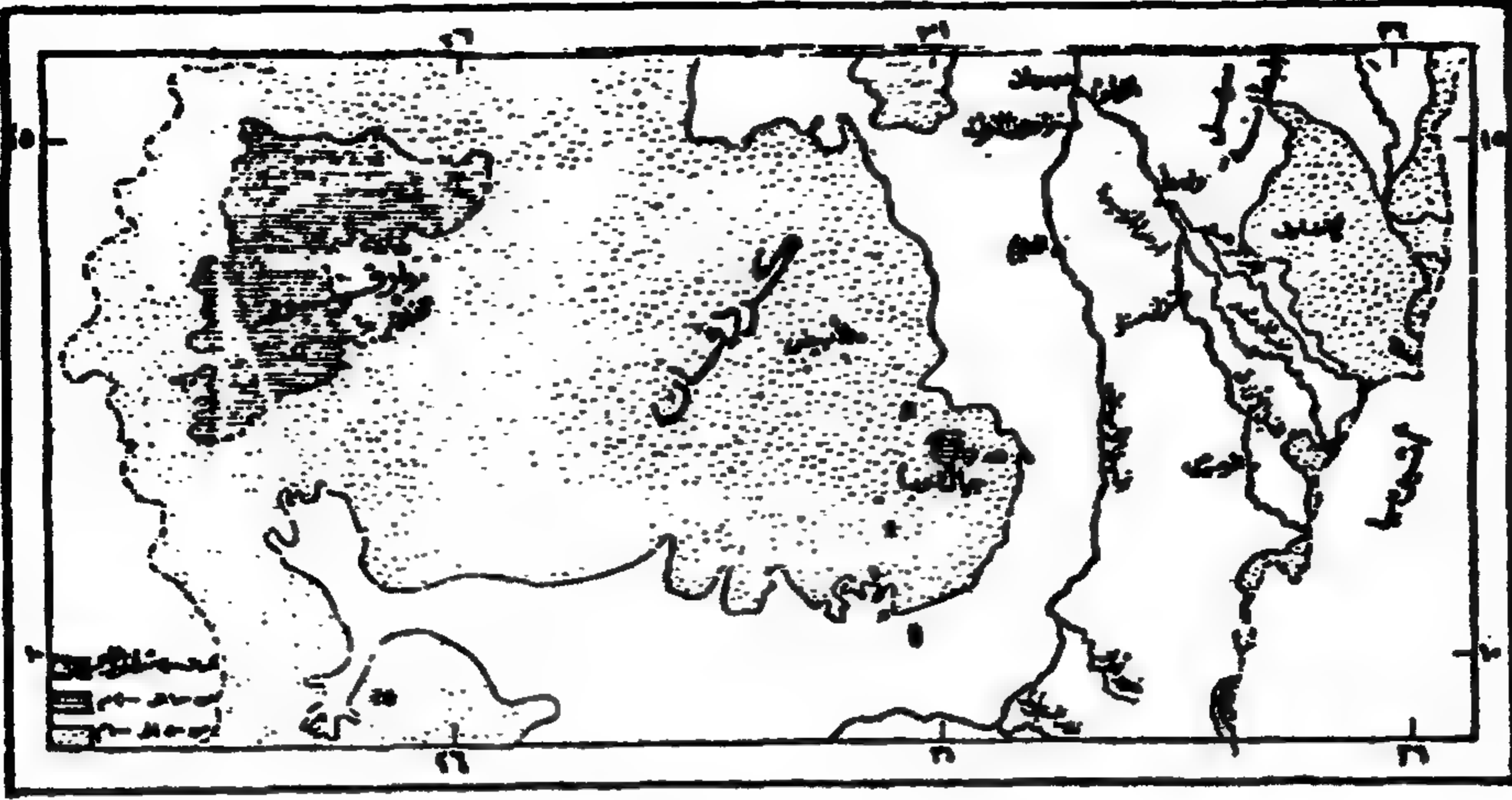
ومياه سوبات عامل هام في مائة النيل ، فهو يمد النيل بحوالي ٨٠٠ متر مكعب في الثانية في فصل المطر ، وينخفض هذا القدر إلى الثمن فقط (١٠٠ متر مكعب في الثانية) في فصل جفاف حوضه . وفي أوائل شهر يونيو من كل عام يبدأ فيضان نهر السوبات ، ويستمر ارتفاع مياهه حتى أواخر يناير ، أي أن فترة انخفاض منسوب مياهه لا تزيد على أربعة أشهر . وبالتالي فإن زمن فيضانه أطول من زمن فيضان كل الأنهار الحبشية . ويسبب اندفاع مياه سوبات إلى النيل الأبيض زمن الفيضان تُحتبس مياه بحر الجبل أو جزء منها إلى ما بعد تصريف مياه السوبات ، ويكون هذا سبباً في فيضان بحر الجبل وتكوين المستنقعات ، حتى ليدو النهر حيثئذ أشبه ببخيرة كبيرة تمتد من مصب السوبات

نحو الغرب ، حتى بحيرة « نو » . وحينها ينتهي فيضان السوياط ، تعود مياه بحر الجبل إلى التدفق شمالا وتتكش البهيرة ، وتتحدد في مجرى النهر . ويستمد النيل نحو عشر مياه فيضانه من مياه السوياط .

يُعتبر مصب السوياط بداية للنيل الأبيض . ويطلق هذا الاسم على مجرى النيل الممتد حتى الخرطوم . ويبلغ طوله نحو ٨٥٠ كيلومترا ، ونسبة انحداره ١ : ٨٠,٠٠٠ ، فمقدار الانحدار في هذه المسافة كلها نحو تسعة أمتار (ملاكال على ارتفاع ٣٨٥ مترا ، والخرطوم على ارتفاع ٣٧٦ مترا) . ولهذا فهو بطيء التيار للدرجة يشبه معها البهيرة المستطيلة الراكدة منه بالنهر الجاري . والنيل الأبيض مدين بوجوده للدرجة كبيرة إلى مياه نهر سوياط ، وهذا ما حدى بكثير من الجغرافيين إلى اعتباره تنمة لنهر السوياط لا تنمة لبحر الجبل ، ولا غرابة في ذلك ، فلولا مياه السوياط القوية التيار المحملة بالرواسب ، لما تمكن النهر من حفر واديه حتى الخرطوم على نحو ما سبق لنا ذكره .

والى رواسب السوياط التي ترد إلى النيل الأبيض يرجع الفضل في تكوين ضفافه المرتفعة نوعا والتي تحول في أحيان كثيرة دون فيضان المياه على الجانبين مكونة المستنقعات والسدود كما هي حال بحر الجبل ، ومع هذا ترى المستنقعات على جانبي النهر التي تزيد أو تنقص حسب زيادة مياه النهر ونقصها ، وهي عادة أكثر اتساعا في الجهة الغربية منها في الجهة الشرقية . ويسير النيل الأبيض شمالا وسط إقليم سهلي منبسط . وتعترض مجراه الجزر العديدة ، وهي عادة صغيرة الحجم في الجنوب ، وتزيد في العدد والحجم كلما اتجهنا شمالا ، فعند جبل «أحد أغا» حوالي دائرة عرض ١١° شمالا ، يعترض المجرى كثير من الجزر الطويلة ، نذكر من بينها بنجاني وبولي Bulli وأبا Aba .

وفي القسم الجنوبي من حوض النيل الأبيض (جنوبي بلدة الجبلين) تبرز ظاهرة خاصة به ، هي كثرة وجود المجاري المائية التي تمتد امتدادا طويلا ، وتوازي مجراه ، والتي تسمى «الآخوار» . فيرجح أنها كانت في الماضي أجزاء من مجرى النهر ذاته ، ثم تحول النهر عنها ، وهي ظاهرة تحدث للأنهار الضحلة



شكل (٤٥) : وسط السودان : مظاهر السطح

البطيئة الجريان في السهول المنخفضة المنبسطة . ويكثر وجود هذه الأخوار في غربي النيل الأبيض بين التوفيقية (جنوب ملكال) وكودوك Kodok . وفي شرقيه بين كودوك وكوستي Kosti . ومن أشهر الأخوار الشرقية خور آدار عند ميلوت Mehut .

وعند بلدة « الجبلين » يشق النيل الأبيض طريقه مكونا لمجرى صخري الجوانب ، تكتفه تلال تعلو إلى مائة متر ، ومن هنا أخذت البلدة إسمها . وعند بلدة « الدويم » تنتهي الجزائر . وفيما بين الدويم والخرطوم يأخذ مجرى النهر في الاتساع تدريجيا ، وعرضه عند الدويم يصل إلى ألف متر . وعلى بعد خمسين كيلومترا من الخرطوم ، يشق النيل الأبيض مجراه بين جبل الأولياء شرقا وجبل مندره غربا . وبالقرب من الخرطوم يزيد اتساع النهر على كيلومترين . وعند الخرطوم يلتقي بالنيل الأزرق النابع في الحبشة . وفيما بين النيلين (الأزرق والأبيض) تقع أخصب أراضي السودان وهي المعروفة باسم أرض « الجزيرة » .

هذا وقد وجدنا أن النيل الأبيض يستمد مياهه من مصدرين هما : نهر السوبات وبحر الجبل . ويسبب اتساع مجراه ، ويطء جريانه ، فإن نسبة المياه

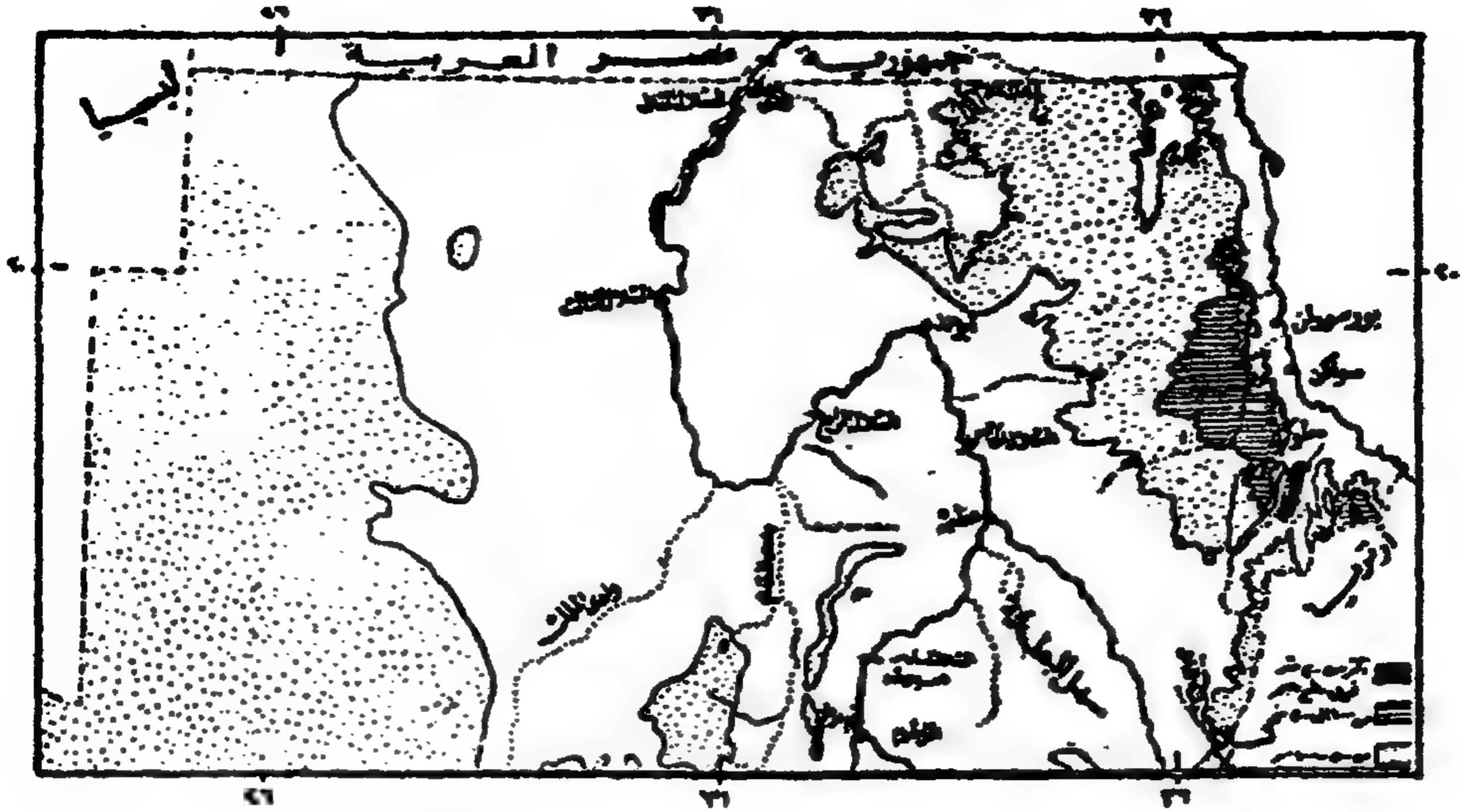
المفقودة بالتبخر عظيمة ، كذلك يفقد جزء من مائه بالتسرب في التكوينات المتاخمة . ولكن يبدو أن المياه المتسربة تعود إلى النهر مرة أخرى في وقت التحريق (انخفاض مياه النهر زمن الجفاف) ، ويساوي هذا المقدار ما يفقده النهر بالتبخر . لهذا فإن تصريفه عند بلدة ملاكال في زمن الجفاف لا يزيد كثيرا على تصريفه عند الخرطوم ، على الرغم من أن مياه النهر تقطع المسافة بينها في مدة تصل إلى نحو ثلاثة أسابيع .

ويبلغ تصريف النيل الأبيض أعظمه في شهر أكتوبر حين يبلغ نحو ١٤٠٠ متر مكعب في الثانية ، وأقله في شهر أبريل ويبلغ نحو ٥٥٠ مترا مكعبا في الثانية .

ويعتبر النيل الأزرق أهم الروافد التي تُغذي النيل ، وهو الذي يتحكم في نظام جريانه وفيضانه . وعلى الرغم من أن فيضان النيل الأزرق لا يستمر إلا خمسة أشهر فقط من يونيو إلى سبتمبر ، فإنه يغذي النيل في أثناء تلك المدة بمقدار من المياه يبلغ متوسطه ٥٧٠٠ متر مكعب في الثانية . ويسهم النيل الأزرق بنحو ٧٠٪ من مجموع مياه فيضان نهر النيل .

ويلي نهر عطبرة النيل الأزرق مباشرة في الأهمية من حيث تصريفه المائي . ويبدأ فيضانه من أواخر يوليو حين يمد النيل بنحو ٦٥٠ مترا مكعبا ، تزداد حتى تصل في سبتمبر إلى ١٤٠٠ مترا مكعبا في الثانية ، وينتهي فيضانه في نهاية سبتمبر . ويكاد مجرى العطبرة يجف في موسم التحريق (الجفاف) . ويسهم في فيضان النيل بكمية نسبتها ٢٠٪ من مجموع موارد مياه الفيضان .

وعند الخرطوم يلتقي النيل الأزرق بالنيل الأبيض على نحو ما أسلفنا ويكون الأخير قد أصبح ضعيفا غير قادر على النحت ، وبالتالي غير مستطیع على شق طريقه شمالا إلى مصر ؛ فيسعه النيل الأزرق بالماء الغزير والرواسب الكثيرة ليواصل رحلته إلى البحر المتوسط . واتحاد النهرين عند الخرطوم يؤدي إلى إرساب قسم من حمولة النيل الأزرق ، فتكون الجزر الرسوبية التي من أشهرها جزيرة « توبي » .



شكل (٤٦) : شمال السودان : مظاهر السطح

ويُسمى نهر النيل من الخرطوم شمالاً باسم النيل النوبي ، وهو في بدايته يجري في مجرى متسع قليل الانحدار ، بين سهول فسيحة تتركب من صخور رملية تسمى « الخراسان النوبي » ، تتركز على أساس من الصخور الأركية المتبلورة .

ويتميز النيل النوبي بظاهرتين : الأولى ذلك المنعطف الضخم فيما بين الخرطوم وأسوان الذي يُسمى ثنية النوبة . وفيها يجري النهر في اتجاهات متضادة . فيجري نحو الشمال الشرقي فيما بين الخرطوم وشندي Shendi ، ثم في اتجاه عام نحو الشمال ، مع تعرجات في اتجاهات مختلفة ، حتى « أبو حمد » ، ثم يجري نحو الجنوب الغربي من أبو حمد حتى « مروى » Merowe ، وفيما بين الأخيرة و« دنقلة » يصنع حنية عكسية يغير فيها اتجاهه من الجنوب الغربي نحو الغرب ثم الشمال الغربي . وبعد دنقلة يتابع سيره شمالاً بشرق إلى مصر .

أما الظاهرة الثانية فتتمثل في الجنادل الستة التي تعترض مجراه ، والتي عندها يسرع النهر إذ يشتد انحداره . وفيها عداها يصبح النيل قليل الانحدار ، فتبلغ نسبة الانحدار في المتوسط ١ : ٦٥٠٠ (طول النيل النوبي ١٨٧٥ كيلومتراً ، وفرق المنسوب بين أوله وآخره نحو ٢٩٠ متراً) . ووجود الجنادل

والخواتق راجع إلى أن النهر استطاع أن يزيل بالنحت صخور الخراسان النوبي ، وهي قليلة الصلابة نوعا ، ويصل إلى صخور الأساس الشديدة الصلابة ، التي تبرز من القاع ، مكونة للجنادل والمسارع ، التي عندها يشتد التيار ، وتتعذر الملاحة . وقد جرى العرف بيده ذكرها من أسوان متجهين صوب الجنوب وذلك حسب أولوية كشفها .

ويوجد الجندل الأول جنوبي أسوان ، فتعرض مجرى النهر كثير من الجزر الصخرية الصلبة ، وقد زالت معظم معالم هذا الجندل بعد إنشاء خزان أسوان ، الذي رفع مستوى الماء أمامه فطنى الماء على معظم الجزر .

ويقع الثاني جنوبي وادي حلفا ، حيث تبرز صخور الجرانيت معترضة سير المياه في المجرى ، مكونة لعدد كثير من الجزر يبلغ المائتين ، فتقسم المجرى إلى عدة مندفعات تصبح الملاحة فيها متعذرة . وقد زالت معالم هذا الجندل أيضا بعد إنشاء السد العالي ، ونشوء بحيرة ناصر ، التي غطت مياهها الجزر .

ويعتدل انحدار مجرى النهر فيما بين وادي حلفا وأسوان ، ويصبح قابلا للملاحة ، ويجري في وسط منطقة تتركب من صخور الخراسان النوبي . وقبل تكون بحيرة السد العالي كانت توجد على ضفتي النهر جسور جانبية تبرز قليلا في المجرى ، وقد أمكن استخدامها في الزراعة منذ زمن بعيد ، وبخاصة في زمن الفراغة . وكانت تحوي عديدا من نفائس الآثار ، التي تم نقلها إلى أماكن أخرى بعيدا عن متناول مياه البحيرة .

وفي مركز دنقله بالسودان يظهر الجندل الثالث الذي يمتد لمسافة ٣٨٠ كيلومترا، يعترض النهر فيها نحو ثلاث عشرة مجموعة من الخواتق والجنادل ، يشتد انحدار النهر في بعضها فيصبح مترا لكل كيلومتر . وينتهي في الشمال بخاتق سمته الذي يبعد عن بداية الجندل الثاني جنوبي وادي حلفا بنحو ٤٠ كيلومترا . وفي منطقة الجندل الثالث حصون ومعابد يرجع تاريخ بنائها إلى الأسرة الفرعونية الثانية عشرة . وقد وجد من النقوش ما يدل على أن مستوى النهر كان أعلى مما هو عليه اليوم بأكثر من سبعة أمتار .

ويخلو مجرى النهر من الجنادل والاندفاعات بين دنقله ومروى . لكن تعود الصخور الجرانيتية إلى الظهور معترضة المجرى فيما بين مروى وأبو حمد ، وتلك منطقة الجندل الرابع التي تتعدد فيها الجزر لمسافة تزيد على ١٢٠ كيلومترا .

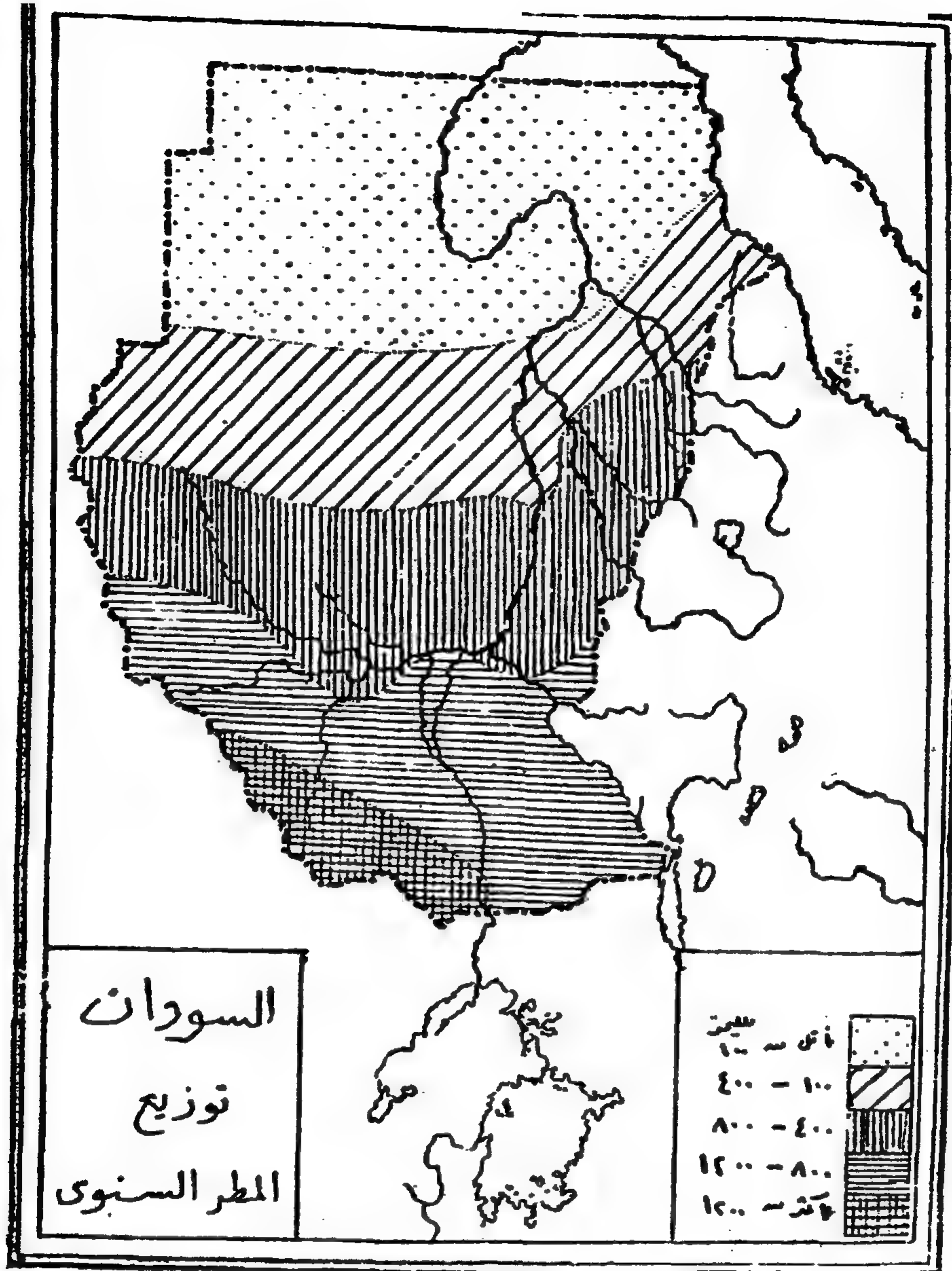
وإلى الشمال من « بربر » تبدأ منطقة الجندل الخامس ، وتستمر عبرها حتى شمال بلدة « العطبرة » ، وبالمناطق جزر عدة تعترض المجرى متفرقة في امتداد نحو مائة كيلومتر .

أما الجندل السادس والأخير فهو عبارة عن خائق يسمى « سبلوقة أو سبلوكه » ، لا يزيد اتساع المجرى فيه على ٢٠٠ متر . وهو يبدأ إلى الشمال من الخرطوم بنحو ثمانين كيلومترا ، ويستمر لمسافة ستين كيلومترا .

هذا ويصبح نهر النيل بلا مورد جديد للمياه بعد التقائه بنهر العطبرة . فلا يتصل به بعد عطبرة أي رافد . ولا يسقط بعد عطبرة من الأمطار شيء يذكر ، أي أن مجرى النيل من الخرطوم إلى البحر المتوسط يفقد مقدارا من مائه بالتبخر ، ونتيجة لتسرب المياه إلى الأراضي الصحراوية المجاورة . ويشهد التبخر والتسرب خاصة في المسافة الطويلة بين الخرطوم وأسوان ، التي تعتبر من أشد مناطق العالم حرارة وجفافا . ويُقدر ما يفقده النيل من مياهه في هذا القسم من مجراه بنحو العشر . وقد كان تصريف النيل قبل تكوين بحيرة ناصر يُقاس عند بلدة وادي حلفا ، فيصل متوسطه السنوي ٢٧٦٠ مترا مكعبا في الثانية . وكان هذا التصريف يبلغ أقله في مايو فيسجل ٥٧٠ مترا مكعبا ، وأعظمه في سبتمبر مسجلا ٨٥٠٠ مترا مكعبا في الثانية .

المناخ

يقع السودان بين دائرتي عرض ٣٠° و ٢٢° شمالا . وبالتالي فمناخه يتدرج من ظروف مدارية رطبة في الجنوب إلى ظروف صحراوية جافة في الشمال . كما أن موقعه في شرق أفريقيا يجعله بعيدا عن التأثيرات الحرارية المحيطية . والسودان قطر شديد الحرارة ، فدرجات الحرارة نادرا ما تتلطف بالارتفاع . وغطاء السحب في الجنوب هو المستول عن عكس معدل التدرج



شكل (٤٧) السودان : توزيع المطر السنوي

الحاراري الشهري من الصيف إلى الشتاء : فترتفع معدلات درجات الحرارة الشهرية لشهر يناير من ١٦° إلى ٢٨° مئوية في الشمال إلى ٢٨° مئوية في الجنوب ، أما شهر يوليو فإن المعدل الحاراري الشهري يتناقص من أكثر من ٣٢° مئوية في الشمال

إلى نحو ٢٦° م في الجنوب . وتبعاً لذلك فإن وسط السودان يعاني من أعلى معدل سنوي في درجات الحرارة . ففي الخرطوم يمكن أن يسجل الترمومتر درجات حرارة تزيد على ٣٨° مئوية كنهاية عظمى أثناء أي شهر من شهور السنة .

ومتوسط حرارة كل من الصيف والشتاء عالية ، ومتجانسة إلى حد كبير بين جهات السودان . ففي الصيف تبلغ حرارة منجلا في المتوسط ٣٤,٥° م والملاكال ٣٥,٠° م والخرطوم ٣٧° م . وفي الشتاء يبلغ متوسط حرارة كل من البلدان الثلاثة على التوالي ٢١,٠° م ، ٢١,١° م ، ٢١,٥° مئوية . أما المتوسط الحراري السنوي فيتعادل في الشمال وفي الجنوب ، إذ يبلغ في كليهما ٢٦° مئوية تقريباً ، أما في الوسط فيصل إلى ٢٨° مئوية .

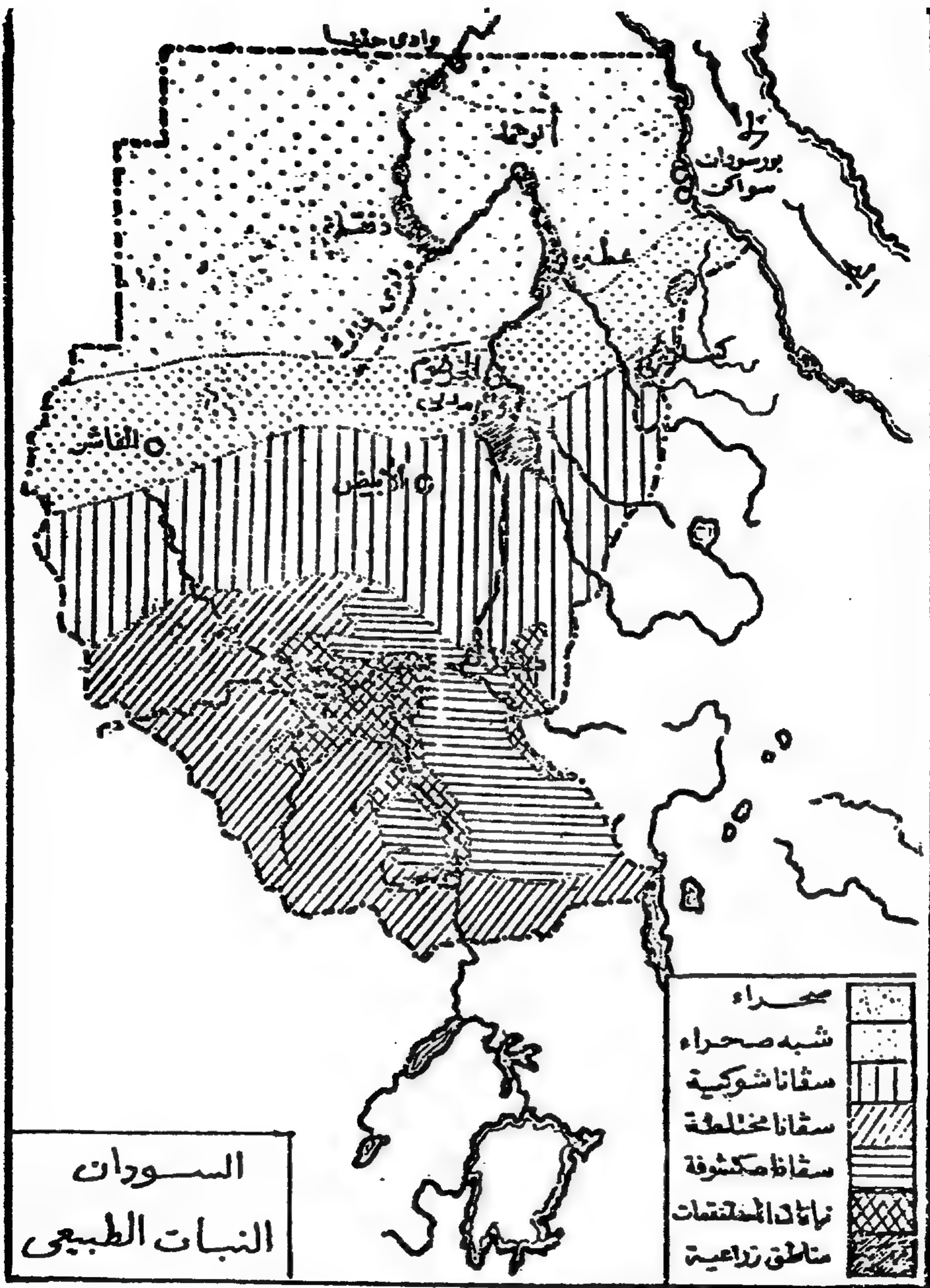
والمطر أكثر عناصر المناخ أهمية في سهول السودان . وكميته تزداد بالتدرج من الشمال إلى الجنوب . فإلى الشمال من دائرة العرض ٢٠° شمالاً ، يندر سقوط المطر ، وتسود أحوال الجفاف الدائم . وكلما اتجهنا جنوباً يسقط المطر ، ويزداد انتظاماً في الكمية ، وفي موسم السقوط ، وبالتالي تكبر إمكانية الاعتماد عليه .

وتنقسم السنة في السودان إلى فصلين متميزين :

الأول : صيف حار (أو موسم الشمس المرتفعة) ، أثناءه تساقط الأمطار في هيئة رخات سيلية مصحوبة بالعواصف المريعة ، خاصة في فترة ما بعد الظهر وفي المساء . ويسمى الصيف موسم المطر .

والثاني : شتاء جاف وحار ، لكنه يتميز بفترة أقل حرارة من الصيف لا تقل عن شهرين أو ثلاثة

ويزداد طول موسم المطر بالاتجاه جنوباً حتى يصل في نيمولي إلى ما يزيد على عشرة أشهر من السنة من فبراير إلى نوفمبر ، ويكون له قمتان في مايو وأغسطس ، ثم نصل إلى مناخ استوائي ، حيث لا شهر يمر بدون سقوط المطر . ويسقط من المطر سنوياً على نطاق الحدود السودانية مع زائير وأوغندا



شكل (٤٨) : السودان : النبات الطبيعي

نحو ١٥٠ سم (٦٠ بوصة) . وفي منجلا نحو ١٠٠ سم (٤٠ بوصة) ، وفي
الملاكال ٨٠ سم (٣٢ بوصة) ، وفي « واد مدني » ٤٢,٥ سم (١٧ بوصة) ،

وفي الخرطوم ١٧,٥ سم (٧ بوصات) تسقط عليها في ثلاثة أشهر من أواخر يونيو إلى أواخر سبتمبر ، وأكثره في شهر أغسطس

النبات

يرتبط النبات الطبيعي في السودان ارتباطا وثيقا بنظام المطر وتوزيعه . ويتلاءم النبات في السودان مع التضاد الواضح بين الفصلين المناخيين ، خصوصا مع الفصل الجاف . وفي كل أنحاء السودان توجد فترة إخصرار ونمو نباتي ، تعقبها فترة ذبول وفقر نباتي . وطول فصل الإنبات بالارتباط بموسم الأمطار هو السبب في تعاقب الأنواع النباتية من الشمال صوب الجنوب .

ويتدرج النبات من النطاق الصحراوي في أقصى الشمال إلى النطاق شبه الصحراوي حيث تكون الحشائش هزيلة ، ويقتصر وجود الأشجار القليلة الشوكية على بطون الأودية . وبعد ذلك تظهر حشائش السفانا القصيرة التي تتخللها أشجار السنط ، ثم تزداد كثافة الأشجار والحشائش التي تزداد طولاً .

وفي الجنوب تزداد نسبة الغابات شبه النفضية ، ثم يتحول الغطاء النباتي إلى السفانا البستانية . وتتكاثر الغابات على ضفاف المجاري المائية مكونة ما يُعرف بغابات الدهاليز أو الأبهاء . ولمنطقة السدود في الحوض الأدنى لبحر الجبل نباتها الخاص المتمثل في البوص وأم الصفوف والأعشاب المستنقعية .

ولا يضطرب هذا التدرج النباتي إلا في قليل من البقاع المرتفعة ، خاصة في جبل « مرة » ومرتفعات « نوبا » ، وجبال إماتونج Imatong وهضبة بوما Boma في أقصى الجنوب ، حيث نجد النباتات الجبلية .

الجغرافيا البشرية

السكان

لقد كان لتعدد الغزوات وتنوعها لمختلف أجزاء السودان أثره في تكوين شعوب ذات أصول سلالية متنوعة . وهناك خط تقسيم شعوبي ثقافي واضح يمتد على طول دائرة العرض ١٢° شمالا تقريبا . وعلى الرغم من أن تعبير « السودان » يرتبط في الأذهان باللون الداكن الذي يسود ساكنيه ، فإن السكان الزنوج الوثنيين المتخلفين اجتماعيا ، والذين يعيشون إلى الجنوب من دائرة العرض ١٢° شمالا لا يمثلون سوى ربع المجموع الكلي لسكان القطر . أما إلى الشمال من تلك الدائرة فتسود عناصر معظمها خليط من سلالات زنجية وبيضاء ، عربية في ثقافتها ، ومسلمة الديانة .

والغريب أن الخط الذي يفصل بين هاتين المنطقتين الثقافيتين الرئيسيتين ، ليس شديد البعد من الحدّ الفاصل بين الصحارى وأشباه الصحارى في الشمال ، ومناطق السفانا والغابات في الجنوب . ورغم أن الاستعمار البريطاني كان يزكي هذا الفاصل الثقافي لإثارة روح الفرقة لصالحه ، إلا أنه في الحقيقة موجود ، ولا يمكن إنكاره ، وهو نتيجة للتوقف الحضاري ، والعزلة أثناء قرون طويلة في الجنوب ، على عكس القسم الشمالي من السودان الذي استمر على اتصال مستمر بمصر الحضارة .

ويعيش في شمال السودان ، عدا سكان المدن ، عدة مجموعات عرقية واضحة : قبائل البجة Beja الذين يسكنون تلال البحر الأحمر ، والنوبيون الذين يستوطنون وادي النيل النوبي ، ثم العرب الذين يقطنون وسط الشمال الماطر ، ثم النوباويون الذين يعيشون في تلال النوبا .

وعناصر البجة حامية السلالة . وقد قاومت غزوات البدو من العرب ، وفيهم خليط من دماء زنجية تظهر في الشعر الذي يبدو - ولو جزئيا - مفلقلا بعض الشيء . وهم رعاة إبل ، وينقسمون إلى عدة قبائل هم من الشمال إلى الجنوب : البشارية ، والأمرار ، والهدندوة ، وبني عامر .

أما النوبيون فزراع مستقرون ، وتزداد فيهم الدماء الزنجية ، التي تتضح في بشرتهم البنية الداكنة . وهم في السودان ينقسمون إلى عدة قبائل أشهرها الفديجا والدناقلة .

والقبائل التي تتميز بأكبر نسبة من الدم العربي أو السامي هي بلا شك رعاة الجمال أو « الأباله » الذين يعيشون في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ، وتشمل قبائل الكبابيش Kababish ، والجعليين والكواهله Kawahla . وهم من سلالة القبائل العربية التي غزت السودان في القرن الخامس عشر ، ومن اختلط بهم . وبعض هذه القبائل يشتغل بالزراعة على النيل فيما بين الدبة وسنار ، وغالبيتهم يتجولون في الأجزاء الشمالية من مديرتي دارفور وكردفان وفي المديرية الشمالية .

ويستقر الرعاة من الأباله في الشتاء الجاف قريبا من موارد المياه . وحينما ينتهي فصل الجفاف يرحلون صوب الجنوب حيث المطر قد بدأ في شهر مايو . وفي شهر يونيو يكون المطر قد وصل إلى الشمال ، فيشدون الرحال إليه في جماعات متفرقة ، تزداد انقساما وتشتت كلما قل المرعى ، حتى يأتون على الكلا ، فيعودون إلى حيث موارد المياه ، ويستقرون فيها من أواخر ديسمبر حتى حلول موسم المطر في مايو . وهم يرعون الماعز والأغنام إلى جانب الإبل .

وتتميز قبائل البقارة ، رغم عروبتها ، بصفات زنجية أوضح ، لكنها ليست بوضوح تلك الصفات في الزراع من عناصر النوبا Nuba التي تستوطن تلال وسط السودان ، والتي تتميز ببشرة شديدة السواد .

ويسكن البقارة في الأجزاء الجنوبية من مديرتي دارفور وكردفان في شمال حوض بحر الغزال . وهم ينقسمون إلى عدة قبائل منها الحوازمة والمسيرية في كردفان ، وبنو هلبة والتعايشة في دارفور . وحرقتهم الرئيسية هي الرعي ، لكنهم يقومون ببعض الزراعة . وهم يستقرون في فصل الشتاء الجاف على ضفاف بحر العرب . فإذا حل فصل المطر ، وتحولت الأرض إلى مستنقعات ، وأخذ الذباب يهاجم أبقارهم ، بدأوا رحلتهم صوب الشمال حتى يبلغون دائرة

العرض ١٢° شمالا . ويقضي البقارة كل فصل المطر هناك . وحينما تأخذ الحشائش في الجفاف ، يبدأون في العودة نحو الجنوب إلى بحر العرب ، حيث يتصلون بقبائل الدنكا . وإلى القبائل الأخيرة يرجع السبب في تميز البقارة بصفات زنجية واضحة .

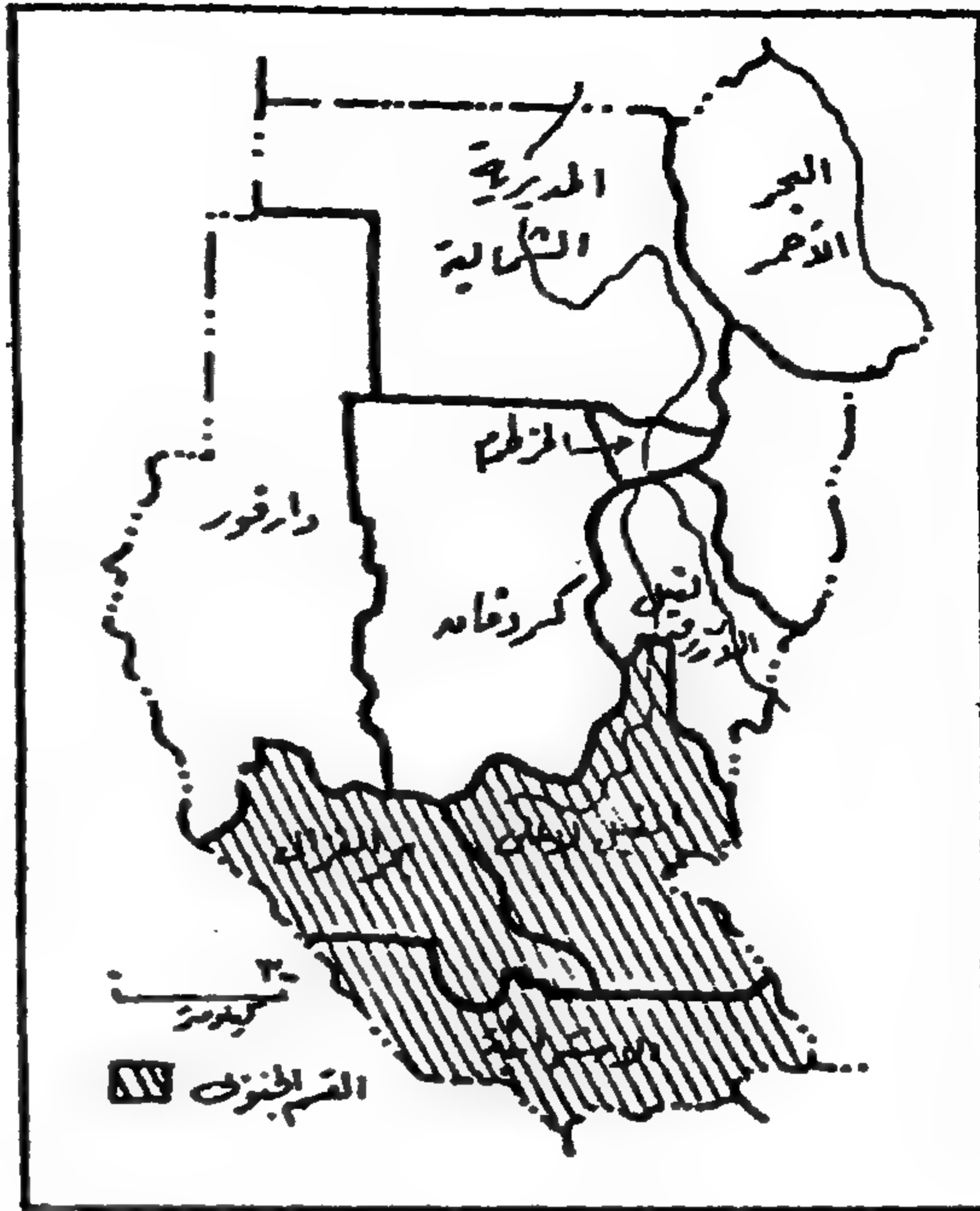
هذا ويسكن « الفور Fur » إقليم دارفور أيضا ، وهم أشباه زنوج . وعلى الرغم من أن كثيرا من قبائل شمال السودان ما تزال تحتفظ بلغاتها الخاصة ، إلا أنها جميعا قد ارتضت اللغة العربية لغة مشتركة للتخاطب ، كما اعتنقت الإسلام دينا .

والشعوب التي تقطن جنوب السودان أكثر تعقيدا . وهم يتوزعون في ثلاث مجموعات كبيرة : النيليون سكان أعالي النيل ، والحاميون النيليون سكان الجنوب الأقصى ، ثم القبائل السودانية سكان غرب النيل . ويمثل المجموعة الأولى الدنكا Dinka ، والشيلوك Shiluk ، والنوير Nuer ، والأنواك Anuak ، والبورن Burun ، وقبائل أخرى . ومتوسط طول القامة عند هؤلاء نحو ١,٨ م (ستة أقدام) ، وسيقانهم طويلة ، وكذلك الرؤوس ، وهم عراة ، ويحلقون شعر الرأس ، ويحترقون رعي البقر .

ويعيش الدنكا في منطقة السدود في الحوض الأدنى لبحر الجبل ، وفي حوض بحر الغزال وعلى الضفة الشرقية جنوبي النيل الأبيض . وهم في الفصل المطير يستقرون في قرى صغيرة في المناطق المرتفعة ، ويزرعون بعض الحبوب . فإذا ما حلّ الجفاف ، وانحسرت المياه عن السهول ، وقلت المستنقعات تحولوا إلى بدو رحل مع قطعان الأبقار .

ويقطن النوير مناطق في حوضي بحر الغزال والسوبات . ويشغلون برعي الأبقار والأغنام ، ويزرعون الذرة والدخن . ويستوطن الشيلوك سهول غربي النيل الأبيض . وهم إلى جانب رعي الأبقار ، يزرعون الذرة والدخن على مياه المطر . وهم أكثر استقرارا من الدنكا والنوير .

شكل (٤٩)
مديريات السودان



وتتميز القبائل الحامية النيلية عن النيلين ، بأن الأنف أفطر ، والقامة أقصر ، ويرتدون الملابس ، ويربون الماعز .

ومن بين القبائل السودانية التي تتميز بأن الفك أكثر بروزا ، وبأنها أكثر شبيها بزنج غرب أفريقيا في الصفات الجسمية ، قبائل الأزندي Azande ومورو- مادي Moru- Madi التي تسكن الجنوب الغربي .

هذا وبإستثناء أشرطة محدودة على امتداد النيل ، وحول مرتفعات النوبا ، وفي بعض مناطق الدنكا ، تكون الكثافة السكانية منخفضة جدا . فهي أقل من ٢٠ شخصا للكيلومتر المربع في معظم أنحاء السودان . وهناك مناطق خالية أو تكاد تخلو من السكان بعضها في الجهات الصحراوية الشمالية ، وبعضها الآخر في مناطق السدود النباتية والجنوب الشرقي . ويكثر السكان في مناطق الزراعة الحديثة في الجزيرة وكسلا وطوكر وبعض مناطق كردفان ودارفور حيث تصل الكثافة إلى خمسين شخصا ، بل قد تبلغ أكثر من مائة شخص في أجزاء من الجزيرة ، وعلى امتداد وادي النيل النوبي الضيق الرقعة . .

وأَسباب انخفاض الكثافات السكانية تتباين من منطقة لأخرى ، وهي تتضمن التخلف بوجه عام ، والتأخر في وسائل وطرق الزراعة ، والنقص في مياه الشرب ، وشيوع البداوة ، وتفشي الأمراض ، خصوصا مرض النوم . ومع هذا فإن ارتفاع نسبة المواليد التي تبلغ ٥٪ ، وهبوط نسبة الوفيات البالغة ٢٪ ، ترجح زيادة عدد السكان ليبلغ أكثر من ثلاثين مليوناً في نهاية هذا العام (١٩٩٥) ، بعدما كان عددهم في عام ١٩٦١ نحو ١٢ مليون (إحصاء تقديري) ، ونحو ٢٠٥٦٤٣٦٤ نسمة تبعاً لإحصاء فبراير ١٩٨٣ .

المدن

هناك تكتل في العمران الريفي ، وسببه التجمع حول موارد المياه ، أو طلباً للأمن والأمان . وعلى امتداد النيل في شمال السودان تبدو القرى طويلة وموازية للنهر . أما في أقصى الجنوب فإن قبائل الأزندي تفضل التشتت السكاني .

ويختلف نمط المنزل من الشمال إلى الجنوب . ففي الشمال تسود المنازل ذات الأسقف المسطحة ، ومادة البناء فيها هي الطوب الجاف ، والملاط هو الصلصال أو روث الماشية . أما في الوسط والجنوب فإن الأكواخ المستديرة تُبنى بأعمدة من الخشب وأعواد الذرة الرفيعة ، وتكون ذات أسقف مخروطية مصنوعة من القش والأعشاب . وفي وسط السودان حيث يسود الإسلام يحيط بالمنزل عادة سور من أعواد الذرة . وفي الجنوب تبدو المنازل والقرى أكثر بدائية .

ونظراً لأن السودان لم يأخذ حظه من الصناعة الحديثة بعد ، فإن مدنه قليلة ومتباعدة . وقد تأسست الخرطوم في موقع دفاعي بواسطة المصريين في عام ١٨٢٤ عند التقاء النيلين الأزرق والأبيض (المقرن) . وقد خربتها الثورة المهدية ، ثم أعيد بناؤها . وهي الآن عاصمة السودان ومركز للحكومة ، ومقر لجامعة الخرطوم ، ولقرع من جامعة القاهرة ، كما أنها المركز التجاري الرئيسي ، إذ تقع عند رأس أرض الجزيرة الغنية بالزراعة ، وحيث تلتقي الصحراء بالسفانا . وقد كانت في ظروف سياسية سابقة ذات موقع متوسط . أما الآن ويعد امتداد

السودان إلى تخوم هضبة البحيرات الاستوائية ، لم تعد الخرطوم تغطي بموقع وسط بين الشمال والجنوب .

وتتميز الخرطوم بحري بجو وظائفي ، وفيها تتمركز الصناعات والورش أما أم درمان ، فهي أصلا مدينة سودانية ، ويعتبرونها العاصمة الوطنية ، فهي كانت مقرا للثورة المهدية ، وتقوم بها تجارة وطنية في الجلود والأصواف والصمغ العربي والخبواب والمنسوجات المصرية ، وتكثر بها الحرف اليدوية .

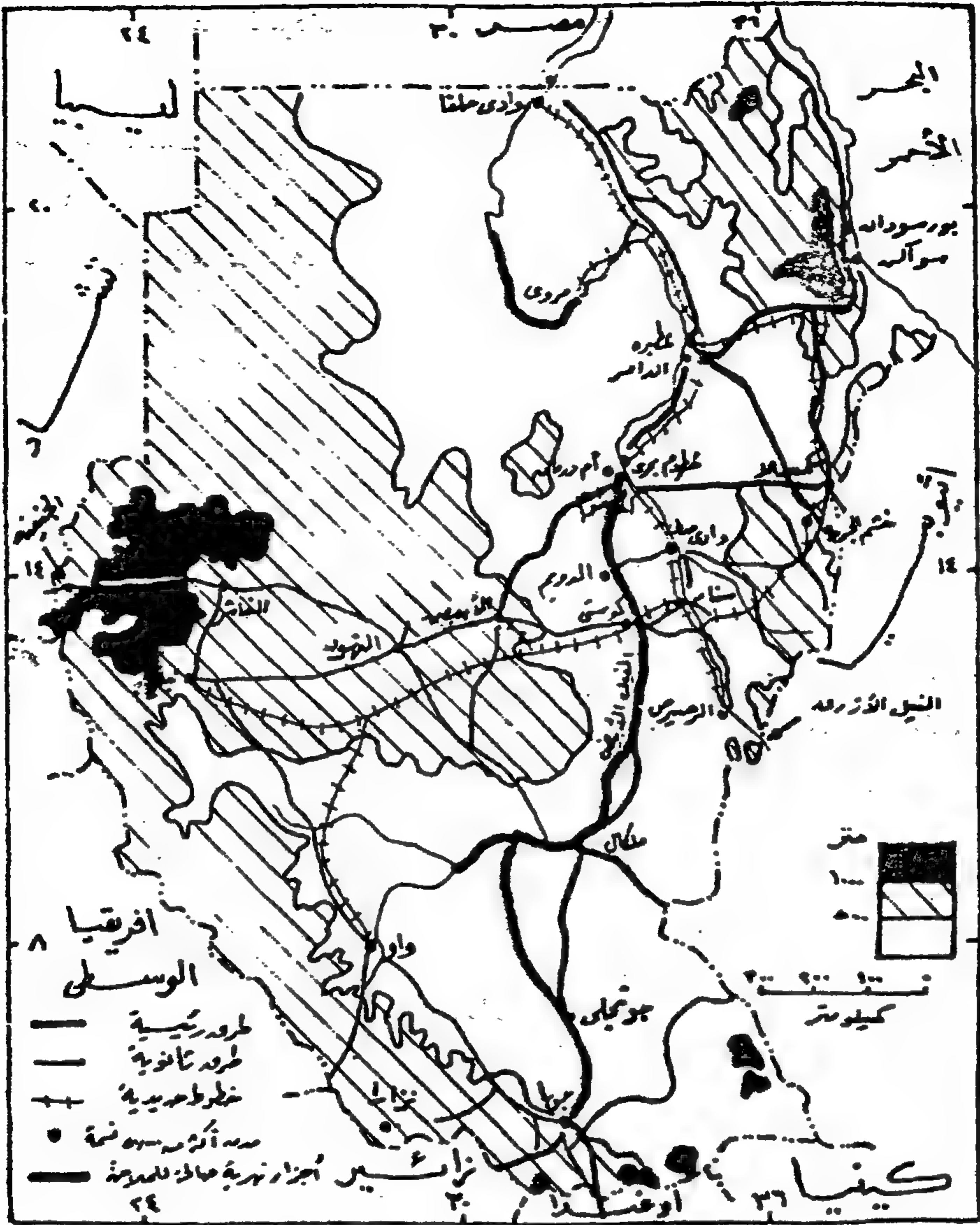
وكان يسكن المدن الثلاث أو العاصمة المثلثة حوالي ٣١٢ ألف شخص في عام ١٩٦١ ، ارتفع إلى ٦٤٥ ألف شخص في عام ١٩٧١ ، وفاق العدد المليون شخص في عام ١٩٧٩ . ويقدر العدد الآن (عام ١٩٩٥) بأكثر من مليونين .

ويرتفع نشوء ونمو المدن السودانية الأخرى لأسباب متباينة تشمل اتخاذها مراكز للإدارة كعواصم المديريات . وقد غما معظمها من أصل قرى زراعية ، أو محطات نهائية لطرق القوافل ، أو للملاحة النهرية ، أو للطرق البرية والسكك الحديدية .

وتقع في شمال السودان أربع مدن رئيسية هي بورسودان وكسلا وعطبرة وشندي مرتبة بحسب أهميتها . وبورسودان هي الميناء الرئيسية على البحر الأحمر ، وهي ثانية مدن السودان بعد العاصمة في عدد السكان . وقد قلت أهمية سواكن ، ولم تعد تستخدم إلا في موسم الحج . وهي الميناء الثانية بعد السويس على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وباستطاعتها تمرير السفن بحاجتها من المياه ، والأطعمة التي ترد إليها من منطقة كسلا وسهل البطانة .

وتقع كسلا على رأس دلتا القاش . وهي مستودع ومتجر للآلات الزراعية التي تتطلبها الزراعة في المنطقة ، وهي ذات موقع حصين بين خور الجاش وجبل كسلا ، لذا تستخدم كمركز مراقبة عسكرية على الحدود السودانية الحبشية ، وهي مركز ديني لطائفة الختمية .

وتقع « عطبرة » على النيل النوبي . وهي مركز للخط الحديدي الذي



شكل (٥٠) أهم المدن وطرق المواصلات بالسودان

يربط العاصمة ببناء بور سودان . ورغم أنها أكبر كثيرا من مدينة «الدامر» التي تقع إلى الجنوب منها ، فإن الأخيرة هي عاصمة المديرية الشمالية . ومدينة شندي صناعة للمنسوجات والألبسة الوطنية السودانية يرعاها المصريون للقيمون هناك منذ مدة طويلة .

وفي وسط السودان تقوم مدينتان لها أهمية خاصة ، بالإضافة إلى العاصمة ، هما مدينتا « الأبيض » و « واد مدني » . أما الأبيض فهي عاصمة مديرية كردفان ، ومركز تجاري زراعي ، وسوق عظيمة لتجارة الصمغ . ويربطها بالخرطوم خط حديدي . وهي ثالث مدن السودان في الحجم وعدد السكان بعد العاصمة وبورسودان .

وتحتل واد مدني المركز الثالث بين مدن السودان . وهي عاصمة مديرية النيل الأزرق ، وهي تقع عند ملتقى النيل الأزرق بالرهد ، حيث يقوم الآن مشروع زراعي ضخم ، يستثمر فيه مبلغ كبير يزيد على ٨٠٠ مليون دينار سوداني .

ومن مدن الوسط الهامة أيضا الفاشر عاصمة مديرية دارفور ، وتستمد شهرتها التاريخية من أنها كانت المحطة النهائية لدرب الأربعين الصحراوي . وسنار وكوستي Kosti التي يمر بها الخط الحديدي الموصل للعاصمة . وتزداد أهمية كوستي لإنشاء مشروع كنانة لزراعة قصب السكر وتصنيعه . وقد نشأت أصلا نتيجة لإقامة معبر للسكة الحديدية على النيل .

ومدن السودان الجنوبي صغيرة قليلة السكان ، وهي تتمثل في عواصم

سكان مدن السودان تبعاً لتعداد ١٩٨٣

مرتبة حسب الحجم

٩٨,٧٥١	كسلا	٤٧٦,٢١٨	الخرطوم
٧٣,٠٠٩	عطبرة	٥٢٦,٢٨٧	أم درمان
٥٦,٧٣٧	جوبا	٣٤١,١٤٦	خرطوم بحري
٢٠,٢١٤	ملاكال	٢٠٦,٧٢٣	بورسودان
١١,٢١٣	الدامر	١٤١,٠٢٤	الأبيض
		١٤٠,٠٦٥	واد مدني

المديريات . فمدينة ملاكال عاصمة مديرية أعالي النيل . وهي سوق مجاري ريفي ، ومركز للمواصلات النيلية والبرية . أما مدينة جوبا عاصمة المديرية الاستوائية ، فقد نشأت لكونها محطة نهائية للملاحة النهرية في بحر الجبل . أما « واو » عاصمة مديرية بحر الغزال ، فهي تقع عند نهاية الملاحة في بحر الغزال .

الجغرافيا الاقتصادية

السودان قطر زراعي ؛ وأهم محصولاته الزراعية هو القطن ، الذي يُعتبر العمود الفقري للاقتصاد السوداني . وينمو القطن الطويل التيلة في المساحات التي تلتزم الري ، بينما ينمو القطن القصير التيلة في مناطق الزراعة المطرية . ويسهم إنتاج الأراضي المروية بما يزيد على ثلاثة أرباع المحصول الكلي من القطن .

وأهم غلات الغذاء في السودان هو الذرة الرفيعة التي تزرع في كل مكان ، وتتضمن الحبوب التي تزرع بالري القمح ، الذي ينمو أيضا بدون الري في جبل مرة ، والشعير والذرة الشامية . والتمر هو المحصول الرئيسي للمساحات المروية في المديرية الشمالية . وتنتشر زراعة الفول السوداني كمحصول غذائي ، والسهم كمصدر للزيوت النباتية . وهناك محاصيل أخرى أقل انتشارا ، لكنها تزداد أهمية بمرور الزمن هي البن ، والطباق ، وقصب السكر ، والأرز ، والموالح ، والمانجو والجوافا .

والرعي والزراعة مهمان كلاهما ، ويمارسان جنبا إلى جنب ، وهي ميزة نادرة في أفريقيا ، وقل أن نجد عائلات لا ماشية لها . ذلك أن الماشية ذات قيمة خاصة لدى السودانيين ، ليس فقط من أجل الطعام (لحومها وألبانها) ، ومن أجل السماد البلدي ومساعداتها في العمل ، وإنما من أجل المفاخرة والمباهاة بامتلاكها . وتوجد الزراعة المطرية كما تمارس الزراعة المروية . ورغم أن الأخيرة لها أهمية خاصة من الوجهة التجارية ، إلا أن الزراعة المطرية تلعب

دورا عظيم الأهمية ، وهي تسهم حتى الآن بما يقرب من أربعة أخماس الإنتاج الزراعي السوداني العام .

الزراعة المطرية والرعي

وتارة أخرى نجد تنابعا في أنماط الزراعة واستخدام الأرض من الشمال إلى الجنوب عبر أراضي السودان ؛ ولا يقطع هذا التابع سوى نهر النيل ، والشريط الذي يحف به والذي يزرع على الري .

ففي أقصى الشمال يندر وجود النبات ، لكن الجمال والغنم والماعز ترعى الأعشاب ، ويشكل اللبن البند الأساسي في طعام البدو من الرعاة لعرب . ويتحسن الرعي على هضاب شمال إقليم دارفور حيث ترعى الإبل والأغنام حشائش الجيزو Gizu ، وفيها تجفف النباتات قبل استهلاكها . والنبات يكون أكثر وفرة بالاتجاه جنوبا في نطاق الحشائش والأعشاب وأشجار السنط . وهو النطاق الذي تزوره كثيرا قطعان الإبل والأغنام مع رعاتهم من البدو العرب .

والزراعة في الشمال تنحصر كلية في أراضي وادي النيل . وهي هنا تتمثل في عدد من الجيوب أو الأحواض المنعزلة الطويلة ، تفصلها عن بعضها حافتا الصحراوين ، اللتان تبرزان هنا وهناك مشرفتين على مجرى النهر مباشرة . ومن بين هذه الأحواض نذكر حوض كرمه ، وحوض دنقله ، وحوض حامد في مركز شندي . ونظام الري الحوضي ما زال هو السائد . وتبلغ مساحة الأحواض نحو ثمانين ألف فدان .

وتستخدم الطلمبات لري الأراضي التي تزرع القطن القصر التيلة ، كما أن استخدام الساقية والشادوف ما زال موجودا لري المساحات الضيقة الرقعة المجاورة للنهر . ويزرع في هذه الأحواض الشمالية الحبوب والبصل والبرسيم ، والمواالح التي أوصلها المصريون إليها . ويوجد في شمال السودان أربعة أخماس نخيل السودان ، حيث تتوفر الحرارة المرتفعة والجفاف .

ومن الممكن ممارسة الزراعة المطرية شمالا حتى دائرة عرض ١٦,٥° شمالا . لكن المنطقة الرئيسية للزراعة المطرية تقع فيما بين دائرتي عرض ١٠,٥° شمالا و ١٥° شمالا ، وذلك بين حدي المطر ٢٠ - ٦٠ سم (٨ - ٢٤ بوصة) . ويُعرف هذا النطاق باسم « أراضي المطر الوسطى Central Rainlands » . وهو المساحة الرئيسية التي يؤخذ فيها بنظام الدورة الزراعية . ويتوقف طول الدورة على القرب من القرية : فبجوارها لا تعطى الأرض سوى فترات قصيرة للراحة ، أما بعيدا عن القرية يصبح عدد سنوات إراحة الأرض ضعف سنوات زراعتها وأكثر .

وتستخدم معظم الأراضي المزروعة التي تخضع للدورة الزراعية أيضا للرعي ؛ ذلك لأن ماشية الزراعة تتغذى على بقايا النباتات بعد الحصاد ، وعلى نبات الجليل الثاني . ويتم رعي الكلاً المحيط بالقرى بواسطة الماشية المملوكة للزراع رعيًا كثيفًا ، أما المراعي البعيدة عن القرية فتأمنها قطعان الرعاة من البدو وأشباه البدو . ويبدو أن أثر الرعي المحلي الجائر ، وكثافة الزراعة بدأ يظهر في الأرض التي تتعرض لخطر حقيقي قد يؤدي إلى تعرية التربة . وفي الأراضي الزراعية التي لا تستخدم للرعي ، يجري حرقها تحت رعاية الزراعة ، وذلك لتطهيرها من الحشائش قبل القيام بالعمليات الزراعية .

والذرة الرفيعة هي أوسع الغلات الغذائية انتشارًا ؛ وهي تبذر قبل المطر المبكر في يوليو ، وتحصد في ديسمبر . وهي تزرع على الري كما تزرع على المطر ، ولكن معظم المحصول يأتي عن طريق الزراعة المطرية . ويُزرع في هذا النطاق أنواع مختلفة من الذرة الرفيعة ، لكل منها خصائصه ومميزاته ، ولكن أهمها جميعًا نوع الفترينا والقصابي ، وكلاهما يتحمل الجفاف . وتختلف غلة الفدان من جهة لأخرى تبعًا لاختلاف التربة وظروف المطر وخدمة الأرض . وتنتج الأراضي الجيدة ذات المطر المعتدل نحو خمسة أرباب لكل فدان ، بينما تنتج أراضٍ أخرى تفتقر إلى الظروف الملائمة نحو إردب أو نحوه لكل فدان .

وفي أراضي المطر الوسطى هذه يأتي الدخن بعد الذرة في الأهمية كغلة غذائية . وهو يحتل نحو سبعمائة أراضٍ الذرة . وأهم مراكز زراعته كردفان التي

تزرع وحدها غالبية المساحة الكلية (نحو ٨٥٪ منها) . ويزرع السمسم بصفة خاصة في النواحي الغزيرة المطر في نطاق الذرة ، نظرا لأنه يحتاج إلى مياه أكثر مما تحتاجها الذرة . يضاف إلى ذلك الفول السوداني الذي عرفه السودان منذ أمد بعيد ، وهو يزرع أيضا في أراضي المطر وبخاصة في التربة الرملية . ويستهلك نحو نصف محصول السمسم والفول السوداني ، ويصدر النصف الثاني للخارج .

وفي هذا الإقليم أيضا يُستخرج الصمغ العربي من أشجار السنط البرية ؛ وتُعتبر مديرية كردفان أكبر مصدر له في العالم . ويحتل الصمغ المكان الثاني في صادرات السودان ، وأهم مراكز تسويقه الأبيض . ومن شجر الطلح يؤخذ الصمغ أيضا، وتوجد أشجاره بكثرة في إقليم الجزيرة وفي إقليم البطانة ، ومركز تسويقه في الجزيرة بلدة الجبلين ، وفي البطانة بلدة القصارف .

هذا ولا يشذ عن نمط دورة الزراعة المطرية التقليدية هذه في « أراضي المطر الوسطى » سوى مساحات صغيرة تمارس زراعة المدرجات توجد حاليا في جبال « النوبا » وفي جبال « مره » .

وقديما كانت وسائل حفظ المياه غير كافية لتزويد سكان الإقليم بحاجتهم منها ، وكانت تتمثل في آبار ضحلة وصهاريج ومستودعات غربية عبارة عن تجاويف تحفر في أشجار البابواب الضخمة . وكان الزراع والرعاة يهاجرون أثناء فصل الجفاف نحو النيل وبحر العرب أو السوياط . وفي أثناء الحكم الثنائي المصري الإنجليزي ، ثم في عهد الجمهورية سارت السودان خطوات عدة نحو التحسن الاقتصادي العام بطرق متنوعة ، نجلها في النقاط التالية :

أولا : الاهتمام بطرق المواصلات . فأنشئت الخطوط الحديدية الآتية تباعا :

١ - خط وادي حلفا - الخرطوم : وطوله ٩٢٤ كم وهو أقدم خط حديدي في السودان ، وقد تم انشاؤه في أواخر القرن الماضي . ويخترق صحراء العظمور المقفرة ، حتى أن محطاته تحمل أرقاما لا أسماء . وهناك خط فرعي من

أبي حمد إلى كريمة (٢٤٨ كم) ، وللخط أهمية كبيرة في مجال التبادل التجاري بين مصر والسودان . وهناك مشروع لربط هذا الخط بشبكة الخطوط الحديدية المصرية ، والربط بينهما يتم حاليا بواسطة البواخر النيلية بين حلفا وأسوان .

٢ - خط من العطبرة إلى بور سودان وسواكن ، ويبلغ طوله حوالي ٣٠٠ كم ، وانتهى عام ١٩٠٥ .

٣ - خط من الخرطوم إلى سنار والأبيض ، وتمّ عام ١٩١١ .

٤ - خط من سنار إلى كسلا . ثم من الأخيرة إلى هيا Haiya ليتصل بالخط من عطبرة إلى بور سودان (طوله ١٠٠٠ كم) .

٥ - خط سنار - الروصيرص ، وانتهى عام ١٩٥٤ (طوله ٢٢٠ كم) .

٦ - خط الأبيض - نيالا Nyala في دارفور وانتهى عام ١٩٥٩ .

٧ - خط الأبيض - واو على بحر الغزال وانتهى عام ١٩٦٢ . (طول الرصلة ٤٧٢ كم) .

٨ - خط واو - جوبا . وقد افتتح في عام ١٩٦٦ ، وله أهميته الخاصة في تشجيع صادرات المديرية الاستوائية ومحصولات مشروع الزاندي .

والخط الأخير مهم لأنه يشجع صادرات الصمغ واللحوم . ولا شك أن الخطوط الحديدية إلى كسلا والروصيرص قد ساعدت زراعة الذرة العويجة في جبل دالي وجبل مزوم Mazmum والقضارف .

هذا وقد تطورت أطوال السكك الحديدية ، ونمت نموا لا بأس به ، فهي الآن تبلغ نحو ٥٢٥٠ كم ، بعدما كانت ٢٣٥٤ كم في عام ١٩١٤ في بداية الحرب العالمية الأولى . وما تزال الدولة تفتقر إلى مزيد من الخطوط الحديدية وإلى تحسين وتوسيع الشبكة الحالية ، فهي شبكة ضيقة وبطيئة ذلك أن السكك الحديدية تخدم أهداف التقدم الاقتصادي وربط الدولة من الوجهتين الدفاعية والسياسية .

أما طرق السيارات فتكاد تنعدم في السودان ، فهي طرق ممهدة ليست

مرصوفة ، وتتعمل عليها الحركة تماما حين تسقط الأمطار . ويستثنى من ذلك المديرية الاستوائية التي توجد بها طرق ممهدة تصلح لسير السيارات طوال السنة ، وهي تبدأ عند جوبا عاصمة المديرية الاستوائية ، وعندها تنتهي الملاحة النهرية . ومنها يمتد طريق إلى نيمولي على حدود أوغندا ، وبذلك يربط السودان بالنقل المائي والسكك الحديدية في أوغندا وكينيا . ويتفرع من جوبا طريق آخر إلى أبا في زائير .

ويعرض شيئا من نقص الطرق في السودان وجود النيل وروافده وقد سبق لنا وصفها ، وذكر أجزائها الصالحة للملاحة وهي كثيرة . وتسير الحكومة السودانية مجموعة من البواخر والصنادل على خطوط ستة تغطي وادي النيل من السد العالي إلى وادي حلفا . ومن كريمة إلى دنقلة . ومن الخرطوم إلى كوستي ، ومن الأخيرة إلى جميلة على السوبات ، وإلى واو على بحر الغزال ، وجوبا على بحر الجبل .

ويؤدي النقل الجوي خدمات متواضعة للركاب . ومركزه الرئيسي مطار الخرطوم . ومنه تمتد شبكة تربط العاصمة بعواصم المديريات ، وبعض العواصم الأجنبية .

ولا شك أن السودان - رغم الجهود المبذولة - ما يزال يفتقر إلى شبكة أكثف من المواصلات تتناسب مع مساحته . وفي اعتقادنا أن مشكلة البلاد الأولى هي الافتقار إلى وسائل نقل مناسبة وفعالة . ولا يزال القطر محتاجا إلى أضعاف الشبكة الحالية .

ثانيا : لتوفير موارد مائية عذبة تم حفر آبار عميقة على امتداد الخطوط الحديدية ، وفي المدن ، وأيضا في نطاق حضيض مرتفعات النوبا . وفي هذا النطاق أمكن للعدد الكبير من الحفر أو الخزانات الصغيرة ، التي تأسر مياه المطر ، ومياه السيول ، أن تشجع كثيرا توسيع الأراضي المزروعة ، وتكثيف العمران . وقد كانت الآبار والحفر أو الخزانات تُحفر بالأيدي وبآلات بدائية ، أما الآن فتستخدم الآلات في حفرها لكي تكون صالحة لاستقبال وتخزين الماء الوفير اللازم لزراعة القطن .

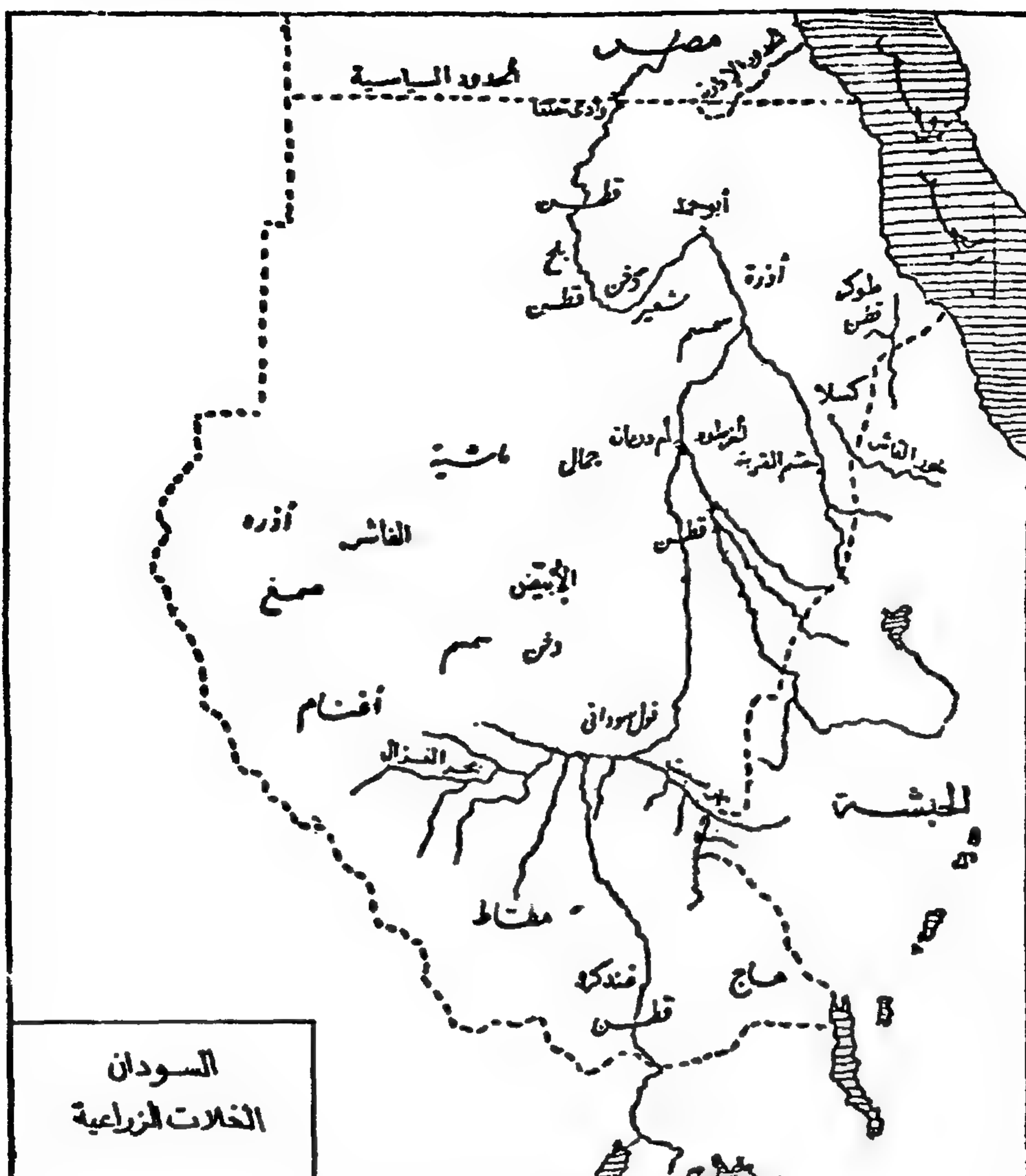
التي تشكل مجمعا حضريا متميزا في موقعه الفريد ، كان له أعظم الأثر في مساعدة « أراضي المطر الوسطى » لكي تصبح القلب المتقدم في السودان .

وإلى الجنوب مباشرة من « أراضي المطر الوسطى » يمتد نطاق ليس للزراعة فيه أهمية . وهو نطاق متقطع غير منتظم ، يمتد من الشرق إلى الغرب عبر جنوب دارفور وجنوب كردفان ، وهو نطاق الرعي لملاك البقر من البقارة . وهم يهاجرون إلى جنوب السودان حيث سهول الصلصال أثناء الفصل الجاف ، لكنهم يتراجعون صوب الشمال هربا من الطين والوحل والذباب في الموسم المطير .

وفي سهول الصلصال الجنوبية توجد رقاع مبعثرة ، تقوم فيها الزراعة على امتداد أراضي ما بين الأودية التي تعلو قليلا على بطاح المستنقعات . وعلى امتداد أراضي ما بين الأودية هذه ، وعلى طول الهامش الشمالي لهضبة الصخر الحديدي ، تقوم القرى الدائمة ، وأكواخ أفراد القبائل النيلية ذات الأسقف المخروطية المصنوعة من القش . وهنا وهناك يقوم رجال الدنكا والنوير والشيلوك والمورل Murle بزراعة الذرة تحت نظام دورة زراعية أثناء الفصل المطير حينما تكون الأراضي المحيطة غارقة في مياه الفيضان .

لكن القبائل النيلية أساسا ملاك ماشية ، وهم يتركونها في عقالها أثناء موسم المطر . وفي بداية الفصل الجاف تهاجر القبائل مبتعدة عن القرى مسافات تتراوح بين (١٦ - ٨٠) كم (عشرة أميال وخمسين ميلا) كي يعسكرون في قلب السهل الجاف بالقرب من مجرى نهر ، حيث يشعلون النيران لإزالة الحشائش الغزيرة التي نمت في الفصل المطير . ويستعينون بصيد السمك لاستهلاكه كمادة غذائية إضافية . وهناك بعض التنوع الطفيف لهذا النمط من الحياة يوجد حول عويل Aweil بين قبائل الدنكا الغربية ، الذين يمارسون الزراعة الدائمة بسبب تجمعهم وازدحام الأرض هناك بهم ، وبين بعض قبائل الدنكا والشيلوك الشماليين ، الذين يتجون فائضا من الذرة الرفيعة والقطن لبيعها .

وقد كانت غارات البيض أثناء القرن التاسع عشر لاقتناص العيد أثرها في



شكل (٥٢) السودان الغلات الزراعية

إنقاص سكان هضبة الصخر الحديدي شدة ، لدرجة أن أراضي واسعة تبدو الآن نادرة السكان ولا يزرع من أرض المديرية الاستوائية سوى نحو ٢٪ من مساحتها الكلية ، رغم أنه يُقدر أن ٨٧٪ من مساحة المديرية قابل للزراعة يضاف إلى ذلك أن أخطار ذباب تسي تسي تمنع تربية الماشية ويمارس السكان الزراعة المتقلة ، لكن عملية الإحراق السنوية لتطهير الأرض تضر بخصوبة التربة

وتتضمن القبائل الزنجية هناك قبيلة الأزاندي Azande ، وهي قبيلة ضخمة كثيرة العدد خليط من البانتو وعرق سواداني . ومن أجل هذه القبيلة صُمم مشروع إنمائي يُعرف بمشروع الزندي Zande Scheme (أزاندي جمع كلمة زاندي) في عام ١٩٤٥ . وهو أول مشروع زراعي رئيسي يُنفذ في جنوب السودان . وقد أثبت نجاحه في تأسيس صناعة قطنية تعتمد على إنتاج أقطان محلية قصيرة التيلة .

والطريقة التي استخدمت للمشروع ، هي إعادة تنظيم نخط الزراعة المتنقلة الوطني ، والعمل على استقرار وتثبيت عشرات الآلاف من أفراد قبائل الأزاندي المتخلفة في قرى مستطيلة الشكل . وفضلا عن زراعة القطن ، تزرع محاصيل نقدية أخرى تشمل الذرة الرفيعة ، والسمسم ، ونخيل الزيت ، وقصب السكر ، والفول السوداني ؛ كما تنمو الكسافا ، والذرة الشامية والموز كمحاصيل معاشية للاستهلاك المحلي . ويجري التوسع في زراعة الطباق والبن والشاي ، نظرا لأن هذه المحاصيل تدخل تجارة الوارد للسودان بنسب عالية . ولعل أهم صعوبة تقابل جنوب السودان هي تكلفة النقل من هذه المنطقة البعيدة . ولا شك أن اتمام الخط الحديدي من واو إلى جوبا قد ساعد كثيرا في تسهيل نقل صادرات الإقليم .

الزراعة المروية

رغم أن الزراعة المطرية تزداد في السودان ، فإن الزراعة المروية تمثل مركز الثقل للغلات التجارية . وقد تضاعفت المساحة الزراعية المروية أثناء الخمسينات ، وتكرر ذلك في السبعينات ؛ ولا نجد سببا للاعتقاد بإمكانية انخفاض درجة التقدم والتوسع فيها . ولقد كان الري من الأمور الحيوية بالنسبة لإنماء شمال السودان ووسطه ، حيث المطر قليل ، ولا يعتمد على كميته ونظامه . ونظرا لقلّة المعادن أو لقلّة ما اكتشف منها ، ولضعف الصناعة في البلاد ، فإن مشروعات الزراعة قد جذبت الكثير من الاستثمارات الشعبية

والخاصة وعلى نطاق واسع . وقد أثرت طبيعة الاستثمار ، وكثافة السكان والتضاريس في الطرق التي استخدمت للري .

ونظرا لأن مجرى النيل متعمق جنوبي الخرطوم ، فإن الدرجات أو المصاطب الرسوبية التي يمكن زراعتها لا توجد إلا بصورة متقطعة . لكنها تتسع حينها يخترق النيل الصخور الرملية النوية ، وتعود إلى الضيق والتقطع حينها يشق طريقه خلال مركب الأساس الصخري . ومع هذا فإن هذه وتلك غير كافية لتبرير إقامة قناطر ضخمة للري بالراحة . وفي هذه المناطق المحدودة الرقعة يجري إحلال الري بالطرق التقليدية (السواقي والشادوف والري الحوضي) بالري بالآلة (الطلمبات) ، خاصة في المناطق المتاخمة للنيل كمناطق مروي ودنقلة ، وشندى وبربر . وفيها مشروعات عديدة خاصة صغيرة الحجم ، بالإضافة إلى عديد من مشروعات الضخ الآلي الحكومية الكبيرة . وما تزال هنالك رقاع تستخدم الطرق التقليدية مملوكة لزراع رفضوا المشاركة في المشروعات الحديثة .

وأهم غلات شمال السودان القائمة على الري هو التمر ، كما تكثر زراعة القمح والشعير ، والذرة الرفيعة والذرة الشامية . وتزرع اللوبيا لتقديمها علفا للثيران التي تدير السواقي . ويزرع القطن في مشروع خاص حول زيداب Zeidab .

وقد اكتظ شمال السودان بسكانه منذ زمن بعيد ، ولم يبق متسع كبير لتوسيع زراعي بالري . لهذا فهناك هجرة صوب الجنوب إلى وسط السودان ، حيث القسم الأكبر من السهل الطيني النادر السكان صالح للزراعة المروية . وكانت مشكلة السكان قد ازدادت خطورة ، حينما دعت الحاجة لإعادة توطين السكان الذين أغرقت أراضيهم مياه السد العالي ، وذلك في وسط السودان . ولهذا بدأت حكومة السودان ، بأموال التعويضات التي أعطتها لها مصر ، في إنشاء سد العظيمة عند خشم القربة في عام ١٩٦١ ، وأمكن عن طريق خزن المياه أمامه القيام بزراعة نحو نصف مليون فدان لتوطين السكان النوبيين المهجرين من منطقة وادي حلفا . وقد خصصت مساحة من تلك الأراضي

لزراعة قصب السكر ، الذي يتم تكريره في مصنع كبير للسكر أنشئ في خشم
القربة .

مشروع الجزيرة لزراعة القطن

في عام ١٩٢٥ بدأ العمل بمشروع الجزيرة الزراعي الكبير بعد الانتهاء من
إنشاء سد سنار (مكوار) . وقد أصبح المشروع نموذجا لمشروعات الإنماء
الزراعي في البلاد المتخلفة . ويعتبر المشروع الدعامة التي يقوم عليها الاقتصاد
السوداني ، وليس له مثيل في أقطار الشرق الأوسط . فقد تم إصلاح مساحة
نحو مليون فدان في نحو ثلاثين عاما (من عام ١٩٢٥ - ١٩٥٥) ، وتحويلها
من أرض جافة تكسوها الحشائش المتفرقة إلى أرض منتجة يكسوها غطاء زراعي
وافر الإنتاج .

وأرض الجزيرة مثلث سهلي يقع بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ؛
وينحدر السهل انحدارا هينا من النيل الأزرق نحو النيل الأبيض ، وفي اتجاه
الشمال نحو الخرطوم . وتربة الجزيرة طينية ثقيلة وعميقة ، ومستوية الطبقات .
وتبلغ نسبة الصلصال في التربة نحو ٦٠٪ ، وهي متماسكة ملائمة للحفاظ على
المياه عند السطح ، ومناسبة لزراعة القطن طويل التيلة . والسهل بذلك مثالي
للري .

وقد حدث توسع في المشروع سُمي بامتداد المناقل ، انتهى العمل به في
عام ١٩٦١ ، ووصلت بذلك مساحة الأرض المروية لزراعة القطن إلى ١,٩
مليون فدان . وقد تمت تنمية المشروع في أربعة مراحل ، وهو يستفيد من مياه
سد الروصيرص الجديد الذي انتهى في عام ١٩٦٧ .

وقد أمكن ، بعد إتمام سد الروصيرص ، من التوسع في أرض الجزيرة
بامتداد جديد يسمى امتداد الكنانة ، بري ١,٢ مليون فدان من أجل زراعة
القطن طويل التيلة . ومنذ ثلاثة أعوام يجري العمل في إنشاء مصنع ضخمة
لإنتاج السكر ، الذي خصصت لتمويله بالقصب مساحة زراعية مقدارها ٨١



شكل (٥٣)
مشروع الجزيرة -
مناقل السوداني

ألف فدان . وقد شجع التحسن الذي طرأ على أسعار السكر عالمياً « شركة سكر الكنانة » في السودان على طرح موضوع مضاعفة رأسمالها إلى ٣١٠ مليون دولار . وتعتبر هذه الشركة من أكبر الشركات المنتجة للسكر عالمياً ، وكانت وليدة مشاركة بين حكومات عربية ، ومصادر مالية عربية خاصة وشركات دولية . فرأسمالها موزع حسب النسب التالية :

- هيئة التنمية السودانية (حكومية) ٤٠,٢٦ ٪ .
- الحكومة الكويتية ١٨,٥٢ ٪ .
- الحكومة السعودية ١٨,٢٤ ٪ .
- شركة الاستثمارات المالية العربية وهي شركة تشارك في رأسمالها عدة حكومات عربية وتتخذ من الرياض مقراً لها : ١٣,٦٩ ٪ .
- شركة لورنو البريطانية التي كانت مسئولة عن إدارة المشروع حتى عام ١٩٧٧ : ٣,٣٤ ٪ .

- شركة نيسشو- إيدا اليابانية ١٧, ١٪ .

المجموع ٩٩, ٢٢٪

- وظلت نسبة صغيرة غير مكتبة .

وقد بدأ الإنتاج اعتبارا من ١٥ فبراير من هذا العام ١٩٨٠ بمعدل ٧٥٠ طن يوميا ، وذلك من مرفق واحد من مرفقيها الإنتاجيين ، نظرا لأن الحاجة ما تزال تمس إلى ١٥٠ مليون دولار من أجل استكمال تجهيز المرفق الثاني واستكمال شبكة الري ومرافق التخزين حتى يتمكن المصنع في موسم ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، من تحقيق ذروته الإنتاجية التي تبلغ ٣٣ ألف طن سنويا ، تكفي احتياجات البلاد العربية مجتمعة . إن مشروع الكنانة يعتبر أول مشروع عربي مشترك لتحويل السودان إلى مخزن غني للحاصلات الزراعية التي تمس إليها الحاجة الاستهلاكية العربية، لكنه تعثر بسبب الظروف السياسية غير المواتية.

ويشتهر مشروع الجزيرة بأنه استطاع خلق فلاحه أفريقية غنية ، وضرب المثل لإمكانيات التقدم في البلاد الأفريقية لو أحسن أهلها استغلال أراضيهم البكر . ويتبع المشروع حاليا نظام دورة رباعية ، فيُعطي الفلاح أربعين قداناً ، يزرع ربعها قطنا ، ويزرع الثمن (١/٨) ذرة ، ونحو ثمن آخر لوبيا ، ويترك الباقي بورا بلا زراعة . وبالتالي لا تتكرر زراعة القطن ، وهو المحصول التجاري النقدي ، في الحقل الواحد ، إلا مرة كل أربع سنوات ، تسبقها فترة بور ، وتتلوها فترة أخرى .

وتربة الجزيرة الصلصالية الثقيلة منخفضة الخصوبة ، لهذا يجري تسميدها خصوصا بالأسمدة الأزوتية ، كما يترك نصفها على الأقل بورا بلا زراعة . وتوضع بذور القطن في التربة في شهر أغسطس ، وتروى كل أسبوعين مرة ، وذلك لمدة ثمان وعشرين (٢٨) أسبوعا . ويحني القطن فيما بين أوائل يناير وأوائل مايو .

ويقوم مشروع الجزيرة على أساس مشاركة ثلاثية بين الحكومة والمزارعين

ولجنة مشروع الجزيرة ، التي حلت محل نقابة الزراعات السودانية منذ عام ١٩٥٠ . ولكل من الحكومة السودانية والمزارعين ٤٢٪ من صافي ثمن القطن وللجنة مشروع الجزيرة ١٠٪ ، وصندوق احتياطي المستأجر ٢٪ ، والحكومة المحلية (إدارة المديرية) ٢٪ ، وإدارات التنمية الإجتماعية ٢٪ .

وفي « امتداد المناقل » الزراعي حُدِّدت مساحة كل حقل بحيازة أصغر ، فهي ١٥ فدان . ونظام الدورة المتبع هنا هو النظام الثلاثي . فيعطى الزراع خمسة عشر فدانا ، يزرع ثلثها قطنا ، وثلثها حبويا وعلفا للماشية ، ويترك الثلث الأخير بورا .

وتزرع ضمن الدورة غلات أخرى كالذرة ، واللوبيا كعلف للماشية ، والفول ، وهذه كلها ملك خاص للمستأجر لا شريك له فيها . وعلف الماشية مهم ومطلوب دائما ، نظرا لحرص السودانين على ملكية البقر والغنم والماعز ، من أجل ألبانها ولحومها .

ووسط السودان هو الإقليم الرئيسي أيضا في البلاد لمشروعات الري بالطلببات ، التي تعددت بشكل ملفت للنظر منذ الحرب العالمية الثانية . والمشروعات الموجودة حول مدينة الخرطوم صغيرة في العادة ، وهي أساسا حدائق للفواكه والخضروات لتموين أسواق العاصمة المثلثة بحاجتها من تلك المواد الغذائية . أما مشروعات الري بالطلببات الممتدة على طول النيلين الأبيض والأزرق ، فهي كبيرة المساحة ، لا تقل رقعة كل منها عن ألف فدان ، وغالبيتها مشروعات خاصة .

وتزرع كل الأراضي المروية على ضفاف النيل وما جاورها بالقطن ، أما على امتداد النيل الأزرق فإن الفواكه تزرع في تخوم حقول القطن .

هذا وتنبغي الإشارة إلى مشروعات أخرى للتوسع الزراعي لري واستزراع ٢,٥ مليون فدان بالطلببات منها مساحات لمشروعات معلومة على امتداد نهري الرهد Rahad والدندر Dinder ، وهما رافدان للنيل الأزرق . ويجري العمل منذ سنوات في مشروع الرهد الزراعي الذي يتكلف ٨٠٠ مليون

دينار سوداني . ويلاقي المشروع مصاعب حمة بسبب الوقود . فيبر كغالبية المشروعات السودانية يعتمد على الماكينات التي تدار بالبتروول . والسودان لا تنتج البتروول . وهو يأتيها من بتروول بلاد الأشقاء العرب ، خاصة العراق ، وحالياً (١٩٩٥) من إيران .

ومن بين المشروعات الزراعية التي تعتمد على الري بالتراحة مشروع القاش (الجاش) ومشروع بركة ، وهما تحت الإدارة الحكومية ، لاستغلال مياه فيضان كلا الخورين . وهذان الخوران الأثيوبيان يجريان بالماء لمدة تتراوح بين ٧٠ و ١١٠ يوماً في الصيف ، وتغمر المياه أراضي الدلتاوين ، وتغطيها بطبقة رقيقة من الغرين . ولكن نظراً لعدم انتظام مائية الخورين ، فإن المساحة المزروعة تتذبذب من سنة لأخرى ؛ فهي تتراوح بين ٤٠ ألف فدان و ٧٥ ألف فدان كل سنة في دلتا الجاش ، وبين ٣٢ ألف و ٣٦ ألف فدان في دلتا طوكر (دلتا خور بركة) . وتوضع بذور القطن العالي الجودة في الأرض عقب انحسار مياه الفيضان . والإنتاج عادة وفير .

ونظام الدورة المتبع هو النظام الثلاثي ، فتزرع الأرض بالقطن سنة ، ثم تترك ستين بوراً . وتوزع الأرض على المزارعين كل عام بالقرعة ، لكل مستأجر خمسة أفدنة ، منها أربعة تدخل في نظام دورة القطن ، وفدان واحد يزرعه بالذرة أو الدخن . وتُقسم أرباح القطن بين الحكومة ، وحصتها ٣٠٪ ، والمزارع ، وحصته النصف (٥٠٪) وإدارة المشروع ، وحصتها ٢٠٪ .

تنوع الاقتصاد السوداني

ما يزال السودان يعتمد اعتماداً كبيراً على محصول القطن ؛ ولسنوات كان يأتي نصف دخله من الجزيرة وحدها ، وكثير من النصف الباقي من طريق السكك الحديدية التي تنقل القطن إلى بورسودان للتصدير . لكن الاعتماد على محصول واحد كالقطن أمر خطير وغير مرغوب فيه ، خاصة أنه خاضع للتذبذب في الإنتاج وفي السعر كليهما ، مما يسبب كوارث في بعض السنين . وتبذل الحكومة جهوداً ضخمة لتنويع الاقتصاد السوداني . فهي تشجع زراعة قصب

السكر وإقامة المصانع لتصنيعه ، وقد ألحنا لمشروعات كبيرة في هذا الصدد ، وإنبات بذور زيت الخروع في منطقة كسلا ، وزراعة القمح في منطقة شندي ، والطباق في المديرية الاستوائية ، ومحصولات أخرى كالسمسم والفول السوداني ، ونخيل الزيت .

ويعدن السودان كميات قليلة من الذهب والنحاس والميكا والنجيز . وكميات كبيرة من الملح ، وحتى الآن لم يكتشف به فحم ولا بترول ، وإن كان قد أذيع في أواخر العام الماضي (١٩٧٩) عن اكتشاف بترول في شمال كردفان ، لم تتحدد نوعيته ولا إمكانياته بعد . وتعتمد الصناعات التحويلية على البترول المستورد ، وهي ما تزال صغيرة الأهمية .

والقطن هو عماد النمو الصناعي في السودان . وفي مجمع الخرطوم المدني عدد عديد من المصانع الكبيرة والصغيرة التي تشتغل بحلج القطن وغزله ونسجه . وبالخرطوم أيضا الصناعات العادية البسيطة للمواد والسلع الاستهلاكية . يضاف إلى ذلك صناعة للملح في بور سودان ، ومصنع للأسمت في عطبرة ، ومعامل للقطن في نزارا Nzara ، ولتعلب اللحوم في كوستي .

وتشجع الحكومة إقامة صناعات جديدة ، منها مصنع التبغ في واد مدني ، ومعمل للب الخشب وتصنيع الورق في ملاكال ومصانع للأسمت في رباك Rabak وكوستي ، وأخرى لتكرير السكر في جونيدي Guneid وخشم القرية ، ومعمل لصناعة الكرتون (الورق المقوى) في أروما Aroma .

وتزداد مشكلات السودان الاقتصادية حدة بواسطة النمو السريع للسكان . وقلة النمو الاقتصادي وتفاوته الإقليمي . فالنشاط الاقتصادي يزداد ، والسكان يتركزون على امتداد النيل عامة ، وفي وسط السودان بصفة خاصة ، بينما سكان الجنوب يعانون مشكلات اقتصادية واجتماعية عديدة . وتنتهج الحكومة في السنوات الأخيرة سياسة تهدف إلى إحداث توازن تدريجي ،

عن طريق نشر مختلف النشاطات الزراعية والصناعية ، والتحسينات في شبكة المواصلات .

ولا شك أن للمواصلات دورا حيويا في بلد شاسع المساحة كالسودان . فبني ضرورة لازمة لتعميره وتنميته ، خاصة وأن الصحاري والمستنقعات تخلق صعوبات جمة . وقد وجدنا فقر السودان في الطرق المرسوفة ، وربما يرجع ذلك إلى قلة أحجار بناء الطرق ، ومع هذا تحاول الحكومة الاستمرار في مد الطرق التي يمكن استخدامها على مدار السنة . وتفضل الحكومة إنشاء الخطوط الحديدية على الطرق للربط بين مختلف الأقاليم والمديريات .

هذا ويواجه السودان صعوبات جمة في إنماء قطر شاسع المساحة ، تسكنه مجموعات بشرية متنوعة ، تعيش في مستوى من الحياة منخفض . وهو كغيره من دول كثيرة في أفريقيا ، يشكو من النقص في الأموال اللازمة لمشروعاته الزراعية والصناعية ، ومن الفقر في الخبرة الفنية ، وفي العمالة المدربة ، بالإضافة إلى عدم توفر وسائل النقل المناسبة . ولا ندعي جديدا إذا قلنا إن استثمار أموال العرب في مشروعات التنمية السودانية يمكن أن يوفر الغذاء ، ويرفع مستوى المعيشة ، على المدى الطويل وبصفة مستمرة ، لا للشعب السوداني وحده ، وإنما لقطاع عريض من الشعوب العربية . شريطة أن يتوفر الأمن والأمان، والمناخ الملائم لجذب تلك الاستثمارات العربية.

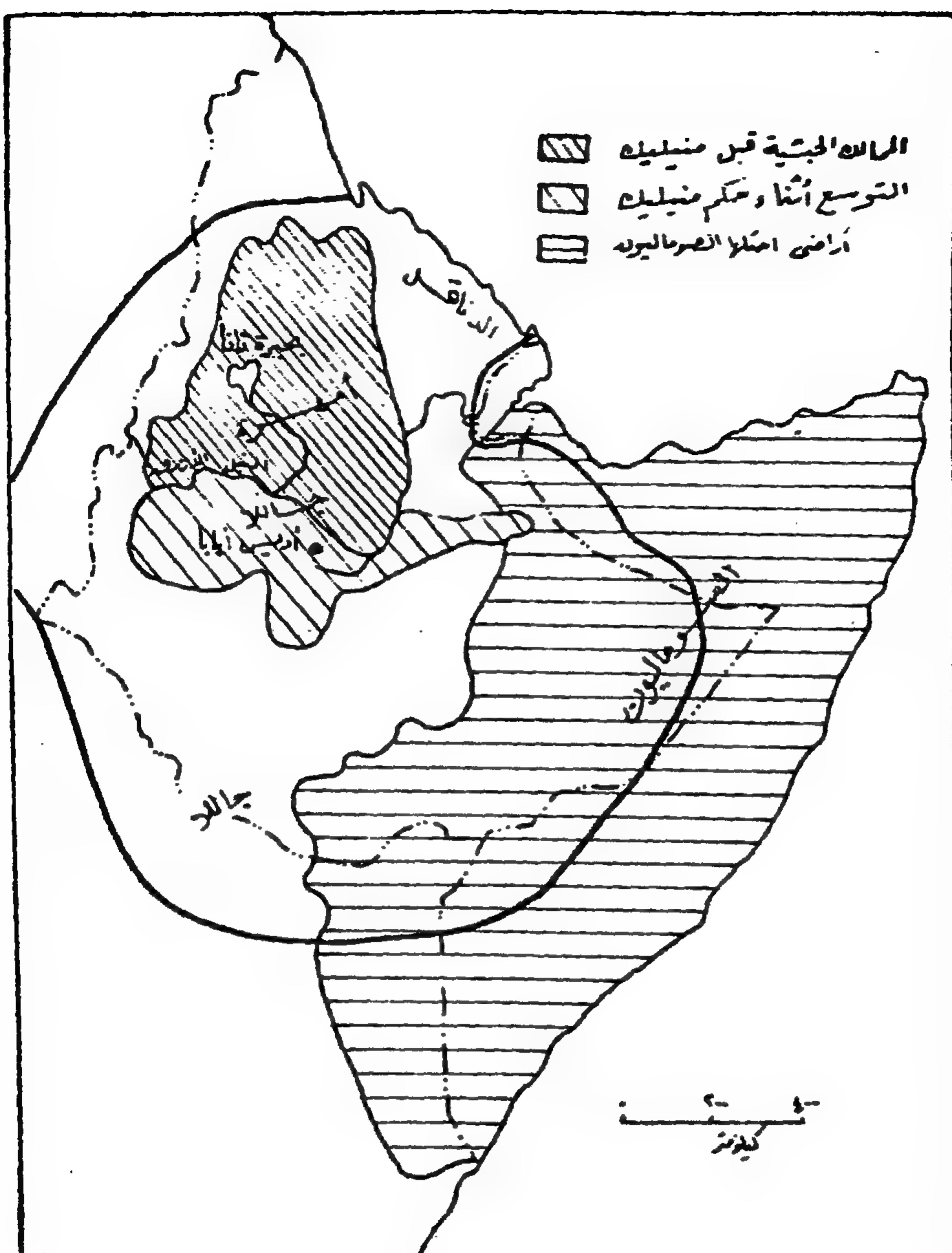
الفصل العاشر

إثيوبيا « الحبشة »

هي إقليم جغرافي قائم بذاته من أقاليم حوض النيل الجغرافية ؛ وتتميز إثيوبيا بشخصية جغرافية فريدة ، سواء من الناحية الطبيعية أو من الوجهة البشرية . ولها تاريخ طويل وعريق ، لا يفوقه عراقه سوى تاريخ مصر ، ولا يدانيه إلا تاريخ شواطئ الشمال الأفريقي . وكلمة إثيوبيا من أصل يوناني ، تعني الوجه المحترق . أما كلمة الحبشة فمشتقة من اسم قبيلة « الحبشات » التي انتقلت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال إثيوبيا واستوطنته في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد .

وقد نشأت دولة اكسوم في شمال أثيوبيا في القرن الأول الميلادي ، واعتنقت الديانة المسيحية ابتداء من أواخر القرن الرابع الميلادي . وقد كان لفظ « إثيوبيا » يطلق قديماً من قبل اليونان على دولة في شمال السودان تضم مملكتين هما « نباتا » و « مروى » أثناء العصر الفرعوني . ودخلت المسيحية (القبطية) إلى ما كان يُسمى « الحبشة » عن طريق إثيوبيا القديمة (شمال السودان) . لهذا فإن إمبراطور الحبشة قد غير الاسم إلى إثيوبيا حينما تمّ الاتحاد بين الحبشة وإريتريا (المستعمرة الإيطالية السابقة) ، تيمناً باسم الدولة القديمة التي أتت منها القبطية إلى الحبشة .

وقد كانت للحبشة مكانة دينية خاصة في أوروبا إبان العصور الوسطى ، حيث كان الأوروبيون يطلقون عليها مملكة القديس يوحنا . وكان الوصول إليها



شكل (٥٤) إمبراطورية منيليك والمجموعات الشعبية

من أسباب محاولة كشف سواحل أفريقيا ، والدوران حول جنوبها للوصول إلى الشرق حيث المملكة المقدسة الغامضة . وقد تمكنت الحبشة من الصمود أمام الغزاة ، يساندها في ذلك طبيعة أرضها الوعرة ، فلم يستطع الأتراك العثمانيون

الذين توغلوا جنوباً على امتداد سواحل البحر الأحمر ، والمصريون الذين مدّوا سلطانهم حتى جنوب السودان أن ينالوا منها . وحين وصل الاستعمار الحديث الإيطالي والفرنسي وأثريتي إلى القارة سيطر على ما جاورها وتاخها من أراضي إريتريا والصومال ، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر . ولم تعان الحبشة من ويلات الاستعمار إلا ابتداء من عام ١٩٣٦ حين غزت أرضها جحافل إيطاليا ، ودارت بينهما معارك طاحنة ، ودام الاحتلال الإيطالي حتى عام ١٩٤١ .

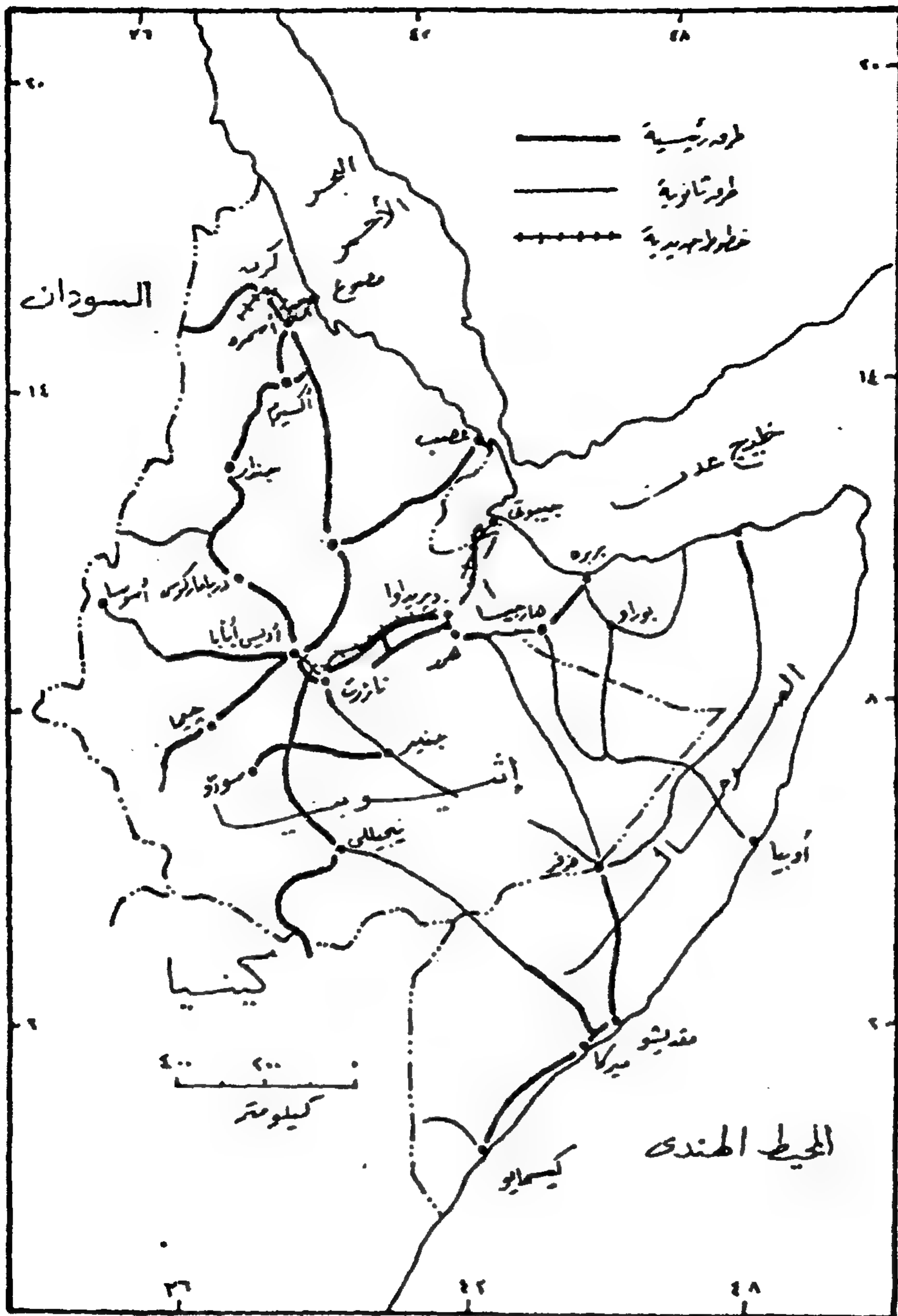
وفي عام ١٩٥٢ دخلت إريتريا مع الحبشة في اتحاد تحت لوائه تظل إريتريا دولة ذات حكم ذاتي ، لكن الحبشة ما لبثت أن ضمتها نهائياً إليها في عام ١٩٦٢ : لكن شعب إريتريا لم يرض عن الأوضاع ، وظل يكافح من أجل الإستقلال ، حتى حصل عليه في عام ١٩٩٣ . وكانت الحبشة ثم إثيوبيا تحكم حكماً ملكياً إمبراطورياً ، حتى أطاح نظام منجستو الشيوعي بحكم الإمبراطور هيلاسيلاسي الذي تولى الحكم منذ عام ١٩٣٠ ، والذي حاول دفع عجلة التقدم في بلاده في أواخر حكمه . ومن أشهر أباطرة الحبشة الإمبراطور منليك الثاني الذي فكّ أغلال العزلة ، وأعطى امتياز إنشاء خط حديدي بين جيبوتي وأديس أبابا لفرنسا ، ذلك الخط الذي بلغ طوله ٧٨٣ كم وتمّ في عام ١٩١٧ . وهو الذي نقل العاصمة إلى أديس أبابا (الزهرة الجديدة) التي تقع على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر .

الجغرافيا الطبيعية

إثيوبيا

البنية

تتألف إثيوبيا من هضبة ضخمة تدعى هضبة الحبشة . وهي وإن كانت هضبة بركانية ، إلا أن قاعدتها مكونة من صخور أركية قديمة ، وهي صخور نارية كالجرانيت ومتحولة كالنيس والشست . وتظهر صخور الأساس هذه في شمال



شكل (٥٥) : القرن الأفريقي : مواصلات ومدن .

الفضبة وشرقها ، كما تنكشف في وديان الأنهار الفتية نتيجة للنحت الرأسى ، فتظهر على جانبي مجرى النيل الأزرق . ويتخلل التكوينات تداخلات متصلة من الصهير المتبلور . وترتكز على صخور القاعدة طبقات من الصخور الرسوبية النشأة يرجع تكوينها إلى أوائل الزمن الجيولوجي الثاني ؛ وتدل طبقاتها السفلى ، وهي الأقدم ، على أنها تكونت في بحار ضحلة وبحيرات داخلية . أما الطبقات العليا ، وهي الأحدث ، فقد تراكمت رواسبها في بحر متوسط العمق ، الذي بلغ نحو ٣٥٠ متراً .

وفي أواخر الزمن الجيولوجي الثاني وأوائل الثالث أخذت أرض الحبشة في الارتفاع ، وكبرت بالتدريج هضبة أو شبه هضبة ، ما لبث علوها أن ازداد ، وتضرسها أن تعقد بحلول الاضطرابات الأرضية العنيفة التي صاحبت تكوين جبال الألب الأوربية وغيرها من الجبال الالتوائية الحديثة في أفريقيا وآسيا والأمريكيتين ، فنشأت عن هذه الاضطرابات انكسارات وعيوب ضخمة بعضها ثنائي ، هبطت الأرض فيما بينها ، وظلت جوانبها مرتفعة أو قد قفزت وازداد ارتفاعها ، وهي التي أنشأت الأخاديد ، والأغوار الانكسارية ، والوديان العميقة .

وفي أثناء هذه الاضطرابات قذف باطن أرض إثيوبيا من خلال التشققات والكسور طفوحاً هائلة من اللاقا القاعدية السوداء العظيمة السيولة . وهذا النوع ينساب على السطح منبثقاً من الكسور في هدوء دون انفجارات شديدة ، ويفترش مساحة كبيرة لأنه بطيء التصلب . وتتصلب هذه اللاقا في هيئة طبقات متعاقبة كل طبقة منها تحدد فترة نشاط بركاني . وهي تؤدي إلى تكوين المخروطات الهضبية التي تتميز بسهولة الانحدار . وقد تم تراكم لاقا إثيوبيا أثناء مرحلتي نشاط بركاني إحداهما في أواخر الزمن الثالث ، وتعرف بلاقا أشانجي ، وسمكها أقصاه ٧٠٠ متر ، والثانية فيما بين عصري الأوليجوسين والبلايوسين ، وسمكها يزيد على ألفي متر . وقد تحدد النشاط البركاني في شرقي الهضبة في أواسط عصر البلايوسين .

ويبدو التابع الصخري واضحاً في كثير من وديان الهضبة الإثيوبية ففي

قاع الوادي تظهر الصخور النارية والمتحولة التي يتركز عليها الهضبة ومعظم أرض أفريقيا ، فوقها طبقات سميكة نوعاً من الصخور الجيرية الغنية بالحفريات البحرية التي تدل على أن الهضبة كانت قبل تكوينها معمورة بمياه البحر . وحين نصل إلى أعالي جوانب الوادي نشاهد الصخور البركانية القاعدية السوداء مرتكزة فوق الصخور الجيرية . وقد كان تحلل وتفتت هذه الصخور البركانية بفعل عوامل الجو والتعرية المائية ، سبباً في تكوين تلك التربة الغنية التي هي مصدر ثروة مصر على مدى الأزمان .

التضاريس

الهضبة الإثيوبية شاهقة الارتفاع ، يزيد متوسط علوها على الألفي متر . وهي ليست هضبة بالمعنى المعروف ، ذلك أنها أبعد ما تكون عن الاستواء فهي تتميز بكثرة التقطع ، ووعورة التضرس ، وتعدد عمليات التخديد ؛ يضاف إلى ذلك فعل الجو ، والتعرية المائية النشطة (بسبب عزارة أمطارها الموسمية) في صخور سهلة التفتت ، مما أدى إلى تكوين الوديان العميقة ، والسفوح الشاهقة ، والجزر البركانية الشاخنة ، والتلال المنعزلة . وقد اجتمع كل ذلك لجعل الهضبة كثيرة التضرس متعذرة المواصلات وتنحدر الهضبة انحداراً عاماً من الشرق نحو الشمال الغربي ، وهو الاتجاه الذي تتخذه أنهارها الرئيسية التي تنتهي في سهول السودان إلى نهر النيل . وتنبع من هوامشها الشرقية أنهار قليلة الأهمية ، يصب بعضها في المحيط الهندي ، وينتهي بعضها الآخر في صحراء الصومال أو بحيرات داخلية

وتحف بالهضبة من جهة الشرق سهول ساحلية صيقة لا تمثل سوى جزء صغير من مساحتها الكلية ، وهي تمتد بمحاذاة البحر الأحمر ، وتعرف باسم سهول « الدناكل » ؛ وهي في معظمها محدودة القيمة ، نظراً لأن تربتها رملية ، ولأنها شحيحة المياه قليلة الأمطار ، وتتركشها السباحات والبحيرات المالحة التي تتوسط وتكتنف منخفضاتها التي يصل أقصى عمقها نحو ١٣٠ متراً دون منسوب البحر وتندرج الهضبة في الانخفاض في هيئة سهول مرتفعة ناحية

الشمال والعرب والحبوب العربي إلى سهول السودان . أو نحو الخنوب والجنوب
شرقي إلى سهول كينيا والصومال

ويمكن تقسيم افضة الإثيوبية إلى قسمين يتصل بينهما واد حدودي . هو
امتداد الأخدود الإفريقي الشرقي . يمتد فيها بين شمال شرقي بحيرة فكتوريا
حتى ساحل البحر الأحمر ويطلق على القسم الشمالي منها اسم افضة
الوسطى أو افضة الحبشية ، وعلى القسم الجنوبي اسم افضة الشرقية أو
الصومالية . وكلتاهما كثيرة الانكسارات والعيوب من أعماق مختلفة . مما أدى إلى
ظهور أشكال أرضية وتضاريس شديدة الوعورة تعتبر عقبة كأداء أمام المواصلات
والسكن والزراعة

وتمتاز افضة الحبشية بعظم ارتفاعها ووعورة سطحها . ويتراوح متوسط
ارتفاعها بين ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ متر . وهي تصعد من الأخدود إلى علو شاهق ،
وفيها الكثير من الكتل الجبلية التي تعلو عن ذلك كثيراً ، منها كتلة سيمين
Semien التي تقع إلى الشمال الشرقي من بحيرة تانا ، والتي تعلوها قمة رأس
داشان التي تسمح إلى ارتفاع ٤٦٠٨ متر . وهي أعلى قمة في إثيوبيا كلها . وقد
قطعت المجاري النهرية الخائنية سطح افضة إلى عدة هضبات وهضبات .
ومن أكبر الوديان وأعماقها القسم الأعلى للنيل الأزرق ، الذي يُسمى في إثيوبيا
بنهر أباي ، ويصل عمقه إلى ١٥٠٠ متر . وتتسع بعض الوديان في مستوى
سطح افضة فتصل إلى نحو ١٣ كيلومتر بل إلى ضعف هذا الرقم وأكثر في
بعض الحالات ، بينما يضيق قاعها إلى بضعة مئات من الأمتار .

وإلى جانب الخنادق والوديان توجد السفوح الشديدة الانحدار ،
والهضاب المقطعة المستوية ، من أهمها وأبرزها هضبة جوجام التي يحف بها النيل
الأزرق من الشرق والجنوب ، وبحيرة تانا من الشمال الشرقي ، وتنحدر نحو
سهول السودان ، وتنصرف مياه المنحدرات إلى روافد نهري دندير ورهد رافدي
النيل الأزرق . وتقع كتلة شوا في شرق هضبة جوجام ، وهي تنحدر شدة من
علو ٣٠٠٠ متر إلى سطح الأخدود (على مسوب ١٥٠٠ متر) ، وفي وسطها

تقع مدينة أديس أبابا عاصمة إثيوبيا . وتقع هضبة أمهار شمال شرقي بحيرة تانا ، ويحدها من نفس الجهة نهر تكازي ، وتنحدر تدريجياً نحو سهل البطانة ، وتنصرف مياه منحدراتها نحو أعالي العظيرة . وفي قلب هذا الإقليم الشديد لتضرس تقع بحيرة تانا تحف بها الجبال الشاهقة ، ومنها يخرج النيل الأزرق .

والمنحدرات الشرقية للهضبة الإثيوبية شديدة الوعورة ، وهي تشرف من ارتفاع ألفي متر على سهول الدناكل . فهي عند مدينة أسمرة تطل على ميناء مصوع من علو ٢٠٠٠ متر بانحدار شديد ، أما سفوحها الشمالية والغربية فتدرج بانتظام إلى سهول السودان .

أما الهضبة الصومالية فهي أقل وعورة من الهضبة الحبشية ، ومرتفعاتها في الجملة أقل علواً ، ووديانها أقل عمقاً . ويدخل قسم كبير منها في الصومال ، حيث تكون سهولاً مرتفعة تدرج في الانحدار نحو ساحل المحيط الهندي ، أما القسم الإثيوبي فيصل ارتفاعه عند حافة الأخدود إلى نحو ٣٠٠٠ متر . وباهضبة كتلة جبلية عالية وفسيحة تسمى هضبة بالي تعلوها قمم جبلية تسمى أورجوما تناهز ٤٣٠٠ متر . ويصرف نهر وبي Webi شيلي معظم مياه الهضبة إلى المحيط الهندي قرب مقديشو ، ويصرف نهر جوبا Juba مياه قسمها الجنوبي .

ويتسع الوادي الأخدودي في طرفه الشمالي ، وينتهي إلى سهول فسيحة مثلثة الشكل تعرف باسم «سهول الدناكل» ، محصورة بين الحافة الشرقية للهضبة الحبشية (الوسطى) والحافة الشمالية للهضبة الصومالية (الشرقية) وساحل البحر الأحمر وخليج عدن . ومنشأ اتساع السهل الساحلي في هذا القسم هو الانكماش الملحوظ في اتساع البحر الأحمر ، وانحراف ساحله نحو الجنوب الشرقي مع احتفاظ المرتفعات باتجاهها الشمالي الجنوبي .

وتتدرج هذه السهول في الانحدار صوب الشرق والشمال ، وتبلغ غاية انخفاضها فيما إلى الغرب من سلسلة التلال البركانية الممتدة في موازاة الساحل ، والتي يطلق عليها اسم «ألب الدناكل» وتمتاز منخفضات الدناكل

بكثرة بحيراتها الملحية ، وينخفض مستوى بعضها إلى أكثر من مائة متر دون مستوى سطح البحر .

والدناكل منطقة صحراوية في نهايتها الشمالية ، وشبه صحراوية في قسمها الجنوبي ، حيث تنمو بها بعض الأعشاب ، ويكثف النبات نوعاً في وديان الأنهار ، كما تنمو أشجار السنط واللبخ والتمر هندي على المدرجات التي تعلو هذه الوديان .

أما السهول الغربية فتوجد على امتداد أخافة الغربية للهضبة الحبشية (الهضبة الوسطى) ، ومتوسط ارتفاعها حوالي ٦٠٠ قدم ، وهي تتدرج تدرجاً سهلاً إلى نهر النيل ، ولا يدخل في إثيوبيا من هذا القسم سوى منطقتي جمبلا والقلابات .

التصريف المائي

تنحدر أخضبة الإثيوبية انحداراً عاماً ، في مجملها ، نحو الشمال الغربي ، لهذا أصبحت أنهارها الكبرى تسير في هذا الاتجاه ، وتصل في النهاية إلى نهر النيل : فنهر تكازي في أقصى الشمال ، ونهر أباي في الوسط ، ونهر بارو في الجنوب ، تجري كلها من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ، ويكون أولها المنابع العليا لنهر عطبرة ، وثانيها أعالي النيل الأزرق ، وثالثها منابع نهر سوبات . وتنقل هذه المجاري المائية الثلاثة ما يقرب من أربعة أخماس مياه الأنهار الإثيوبية ، والخمس الباقي ينصرف شمالاً عن طريق خور بركة ، الذي ينبع من شمال إثيوبيا ، ويجف قبل أن يبلغ البحر الأحمر جنوبي بلدة سواكن ، وعن طريق نهر عواش Awash الذي يصب في منطقة البحيرات المالحة في سهل الدناكل ؛ وصوب الجنوب الشرقي عن طريق نهري ويبى Webi وجوبا Juba اللذين يخترقان أرض الصومال إلى المحيط الهندي . ثم نهر أومو Omo الذي يتجه جنوباً ليصب في بحيرة رودولف .

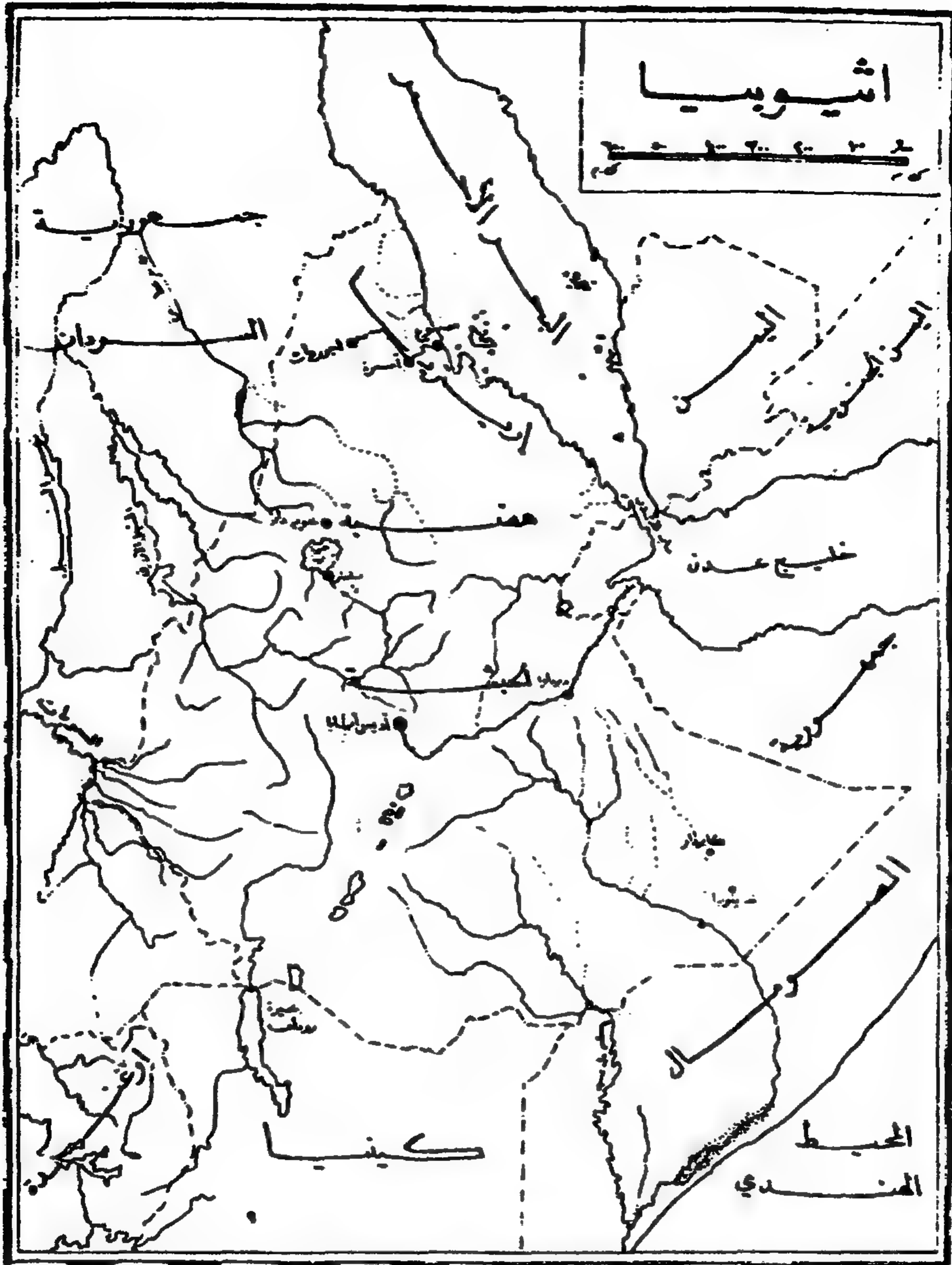
ويأتي فضل أخضبة الإثيوبية في مائة النيل التي ينبع فيها النيل الأزرق ونهر عطبرة اللذان يمدان النيل بمياهها الغزيرة طول زمن فيضانها ؛ ونهر سوبات

الذي يعتبر عاملاً هاماً في مائية النيل ، ذلك لأنه يمد النيل بنحو ٨٠٠ متر مكعب في فصل انظر . أما في فصل جفاف حوضه . فلا يزيد ما يمد به النيل على ١٠٠ متر مكعب .

وأهم المجاري المتصلة بنهر سوبات هي بارو ، جيبلا ، أكوبو ، وتنع في النهاية الجنوبية الغربية للهضبة الإثيوبية حيث توجد مرتفعات كافا ، وكلها مجاري شابة تمتاز بعمق وديانها وكثرة مساقطها المائية ، ولكنها تصبح إذا ما دخلت سهول السودان صالحة للملاحة . فالملاحة سهلة من بلدة جيبلا (غمبيل) حتى التقائه بالنيل الأبيض . وتمتاز أنهر سوبات على سائر المجاري الإثيوبية بطول موسم فيضانها وعدم جفاف مياهها ، وإن كانت كثرة المستنقعات التي تتخللها قبل اتصافها بالنيل تقلل من كمية المياه التي يمكن أن تغذي بها .

ويمكن اعتبار النيل الأزرق أهم الروافد التي تغذي النيل ، وهو الذي يتحكم في نظام جريانه وفيضانه . والواقع أن فيضان النيل هو فيضان النيل الأزرق ، وأنه إذا كانت مصر مدينة بمياهها إلى النيل ، فإن الفضل الحقيقي يرجع إلى النيل الأزرق . ويجدر بنا أن نذكر أن بحيرة تانا لا تمد النيل الأزرق بأكثر من ١٢٠ متراً مكعباً في المتوسط . على أن مياهه الغزيرة ، التي يصبح تصريفها في زمن الفيضان ، يتراوح بين ٥٠٠٠ ، ٦٠٠٠ متر مكعب ، إنما يستمدّها من روافده العديدة التي تتصل به ، وعلى الرغم من أن فيضانه لا يستمر إلا نحو خمسة شهور « من يونيو إلى سبتمبر » فهو يغذي النيل في هذه المدة بمقدار من الماء يبلغ متوسطه نحو ٥٧٠٠ متر مكعب . وفيما عدا زمن الفيضان ، تقل مياه النيل الأزرق ، ويصل تصرفه في شهري أبريل ومايو إلى نحو ١٣٠ متراً مكعباً . ويقدر نصيب النيل الأزرق من مجموع مياه فيضان النيل بنحو ٧٠٪ .

ومجاري النيل الأزرق العليا متعددة ، أهمها نهر أبيي ، ويبدأ من بحيرة تانا ، وهي بحيرة مستديرة الشكل ، تتوسط منطقة جبلية ، وتقع على ارتفاع ١٨٢٠ متراً فوق سطح البحر ، ومياهها عذبة ، وتنحدر إليها كثير من السيول والمجاري الجبلية التي أهمها أبيي الأعلى وينتهي إلى ساحلها الجنوبي الغربي .



شكل (٥٦) : شبكة التصريف المائي بإثيوبيا

ويميل الكتاب إلى الاعتقاد بأن هذه البحيرة فوهة لبركان قديم ، ملأته مياه السيول والمجاري الجبلية الكثيرة التي تنتهي إليها . وحجتهم في ذلك استدارة شكلها ، وارتفاع شواطئها ، وعظم عمقها في الوسط البالغ ٣٠٠

متر ، على حين أن المتوسط العام لعمق البحيرة كلها ١٤ متراً فقط . ولكن عظم اتساع البحيرة حمل بعض الكتاب على رفض هذه الفكرة . ويبدو أن العمليات التكتونية ، ومنها العيوب ، قد شاركت في تكوينها .

ويخرج نهر أباي الأذن من فتحة ضيقة في الساحل الجنوبي للبحيرة ، ويكون مجراه كغيره من الأنهر الحبشية وعراً شديداً لانحدار كثير الجنادل والشلالات ، ويتجه في مبدأه صوب الجنوب ، أي عكس اتجاه نهر كازي ، ثم ينحرف صوب الغرب والشمال الغربي تبعاً لانحدار أخضبة . ويتصل بالنيل الأزرق في الهضبة الإثيوبية نهيرات ومسيلات عديدة جداً أشهرها ديدسا ، دابوس (بايوس) ، ويلاقيانه على ضفته اليسرى .

وينبع أولهما من هضبة كافا ، واتجاهه العام من الجنوب إلى الشمال ، أما دابوس فيجري في موازاة الحافة الغربية للهضبة . والنهران دائمان ، فلا تجف مياههما ، وذلك لوقوعهما في النهاية الجنوبية للهضبة حيث يطول فصل الأمطار . ويلاقيه على الضفة اليمنى نهر دندر ونهر رهد ، ويزودانه بكميات طائلة من المياه والغرين في زمن الفيضان ، ولكنها يجفان تقريباً في موسم الجفاف . وفيما بعد بلدة الروصيرص يجري النيل الأزرق في سهول السودان .

أما نهر عطبرة فإن أهميته لا ترجع إلى عظم كمية المياه التي يمد بها نهر النيل ، بل لوفرة كمية الغرين التي تحملها مياهه أيضاً ؛ ويمكن اعتبار عطبرة أكثر روافد النيل غريناً . وإذا ما قورن النيل الأزرق من حيث كمية الغرين ، نجد أن كمية الرواسب ، في مياه كل منهما وقت الفيضان ، تقدر بنسبة ٣ : ١ .

أما من حيث تصريفه ، فإن نهر عطبرة يلي النيل الأزرق مباشرة في الأهمية ، إذ يستمر فيضانه من أواخر يوليو حتى أواخر سبتمبر ، ويمد النيل أثناءها بمقدار عظيم من الماء ، يتراوح بين ٦٥٠ متراً مكعباً في يولية ، و ١٤٠٠ متراً مكعباً في سبتمبر ، مع ملاحظة أنه في غير وقت الفيضان ، يكاد يصب نهر عطبرة جافاً ، ويقدر أن نصيب نهر عطبرة كمورد من موارد فيضان نهر النيل بنحو ٢٠٪ .

وتتكون المجاري العليا لنهر عطبرة من اجتماع نهرين جبلين هما تكازي وعظبرة . ويبعد عن مقربة من بعضهما في المرتفعات الشاهقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من بحيرة تانا ، والأول أهم بكثير من الثاني ، وذلك لطوله وكثرة ما يحمله من المياه والغرين . وينبع نهر تكازي من ارتفاع ٢١٣٤ متراً فوق سطح البحر . ولما كانت الأرض التي يفيض عليها شديدة الانحدار ، وكثيرة التصدع بسبب الاختلاف الفصلي الكبير في الحرارة والرطوبة ، فقد استطاع هذا النهر أن يشق لنفسه وادياً عميقاً جداً ، يصل إلى ٨٠٠ ، ٩٠٠ متراً ، وأن يحمل هو والعظبرة إلى النيل كمية من الطمي تزيد نسبياً عما يحمله أي نهر آخر .

يبدأ نهر تكازي فيما إلى الشمال من بحيرة تانا ، وبعد أن يسير قليلاً نحو الغرب يتجه شمالاً ، وشمالاً بغرب ، ويُعرف هنا أيضاً باسم « ستيت » حتى يلاقي نهر عطبرة الأعلى الذي يشبهه في كثير من صفاته ، ويكون هذا التلاقي على مسافة قصيرة من السهول المرتفعة التي تتدرج منها الهضبة الإثيوبية إلى سهول السودان . وإذا ما تجاوز النهر بلدة خشم القربة أصبح صالحاً للملاحة في زمن الفيضان فقط .

المناخ

دولة إثيوبيا بحكم موقعها الجغرافي فيما بين ٤° - ١٨° من درجات العرض الشمالي ، تكون قسماً من المنطقة الحارة ، تتدرج فيه الظواهر المناخية من الاستوائي إلى الصحراوي . ولكن عامل الارتفاع هو الذي يحدث تعديلاً كبيراً في كل من درجة الحرارة وكمية الأمطار ، ولهذا امتازت أراضي هذه الدولة بتنوع مناخها تنوعاً كبيراً من جهة إلى التي تليها ، ومن بقعة إلى التي تعلوها أو تقع في أسفلها .

فمن حيث الحرارة

يقسم الإثيوبيون بلادهم من حيث الارتفاع إلى ثلاث مناطق حرارية هي :

(١) إقليم القلة الحار :

ويشمل الجبهات المنخفضة التي يقل ارتفاعها عن ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويدخل في نطاقها إذن سهل الدناكل ووادي أواش (عواش أو هواش) والأراضي المنخفضة في افضة الوسطى (افضة الحبشية) والسفوح الغربية المنطلقة على سفوح السودان . ويتميز هذا الإقليم بحرارة كبيرة معدداً ٢٥ م . وأحر الشهور مايو وأكتوبر ، والمدى الحراري كبير ؛ أما المطر فلا يتعدى ٥٠ سم . وهو من مناطق الرعي ، حيث حشائش السثانا في الجنوب الغربي ؛ أما الوديان العميقة فيها غابات أحراش . وتجود الزراعة إذا ما توفر الماء كما هو الحال في وادي هواش حيث الغلات المدارية كزراعة قصب السكر وعباد الشمس والسمسم والفول السوداني والأذرة بنوعيتها والموز .

(٢) إقليم وينا ديجا (معناه إقليم الكروم ، الجبهات المعتدلة ومرتفعات الكروم) :

وهو المناطق المتوسطة الارتفاع بين ١٨٠٠ - ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر . ويشمل افضة الإثيوبية بقسميها (الحبشي والصومالي أي الوسطى والشرقية) ، وهو إقليم شبه مداري ، وحرارته بين ١٦ - ٢٠ م ، وأحر الشهور مارس قبل موسم سقوط الأمطار ، وأبردها يوليو . وتبلغ كمية الأمطار السنوية في المتوسط ١٠٠ سم . ويضم الإقليم أكثر جبهات إثيوبيا سكاناً . وتنمو به غابات من الخيزران فضلاً عن المراعي الجيدة . وهنا يزرع البن الذي قد ينمو برياً في بعض الحالات ، وخاصة في القسم الجنوبي من هضبة كافا ، كما تجود زراعة القمح والشعير والفول والبسلة والكتان ، وتنمو به الأذرة ، والكثير من فاكهة المنطقة المعتدلة . وفيه أهم مراكز العمران والنشاط البشري .

(٣) إقليم ديجا (الجبهات الباردة في الهضبة)

ويشمل الجبهات التي يزيد ارتفاعها على ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر ، ومتوسط حرارته ١٥ م ، فالنخ من النوع المعتدل البارد ، وكمية الأمطار تتراوح بين ١٠٠ - ١٧٠ سم ، وتساقط عليه الثلوج أحياناً . وتنمو فيه الحشائش الجبلية ، والأشجار المخروطية الدائمة الخضرة . وغلات هذا الإقليم

الزراعية مماثلة لتلك التي تجود في دول أوروبا الوسطى والغربية ، فتمتد فيه زراعة القمح حتى ارتفاع ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، أما الشعير والبسلة والبطاطس فتتمو حتى ارتفاع ٣٣٠٠ متر .

ولما كانت أمطار إثيوبيا فصلية ، فإن المناطق التي تكتسوها الغابات لا تعدو نسبة مساحتها ٦٪ من جملة مساحة البلاد . وتوجد حيث المطر موزع توزيعاً منتظماً ، أو حيث تزيد كميته عن ١٥٠ سم في السنة ، وأكثر ما يكون هذا في القسم الجنوبي الغربي من الهضبة الحبشية (الهضبة الوسطى) ، وفي الوادي الأخدودي .

ورغم ما بين هذه المناطق الثلاث من تفاوت في درجة الحرارة ، فإن الصفات المدارية واضحة فيها كلها غاية الوضوح : فهي تمتاز بالتعادل ، وصغر المدى الحراري الفصلي واليومي في الجنوب ، وزيادتهما كلما تقدمنا صوب الشمال ؛ كما تتصف ببلوغ درجة الحرارة أقصاها فيما بين شهري مارس ومايو في الوسط والشمال ، أي قبيل سقوط المطر ، وأدناها من نوفمبر إلى يناير . وهذه كلها ظاهرات تتكرر في العروض المماثلة في بلاد السودان : فمتوسط المدى السنوي في أديس أبابا أربع درجات مئوية ، وفي هرر درجتان . وهذا عكس الحال في سهول الدناكل ، وعلى حدود السودان في السهول الشمالية حيث تسود الصفات الصحراوية ، ويصل المدى السنوي ١٧° م أو أكثر ، ويكون المدى اليومي أعظم من ذلك .

الرياح والأمطار

تتأثر الهضبة الإثيوبية والسهول المجاورة في شهري أبريل ومايو بمنطقة الضغط المنخفضة التي تتكون في القسمين الأعلى والأوسط من حوض النيل بسبب تعامد الشمس إذ ذاك فيما شمال خط الإستواء ، وتهب عليها في هذه الفترة رياح شمالية قادمة من خليج عدن ، وأخرى جنوبية متقدمة من المحيط الهندي ، وتسيان الأمطار التي تسقط في شرق إثيوبيا ، وفي نطاق الأخدود .

فإذا ما تقدم فصل الصيف وزاد انخفاض الضغط تدخل إثيوبيا كلها في

نطاق الإقليم الموسمي الآسيوي ، وتهب عليها الرياح قادمة من المحيط الأطلسي الجنوبي في اتجاه جنوبي غربي ، ويساعد ارتفاع اخضبة على تكثيف بخار الماء الكثير الذي تكون الرياح حاملة له ، فتسقط أمطار غزيرة على السفوح الغربية ، وتكون المنجاري والسيول التي تفيض نحو النيل حاملة معها الطمي الكثير ، أما السفوح الشرقية فتكون جافة لأن الرياح تأتيها هابطة من اخضبة .

توزيع الأمطار في مختلف أشهر السنة وكميتها في بعض المدن الإثيوبية من الجنوب نحو الشمال

الكمية بالمليمترات													اسم المدينة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	
١٥٥٠	١١	٦٤	١٥٣	١٥٣	٢٣٠	١٦٠	٢١٨	٢٠٠	١٣٢	١٥٥	٨٣	٨	جما Gemma
١٢٧٠	٨	١٥	٢٠	٢٠	٢٨٤	٢٧٧	١٣٣	٩٤	٨٤	٩٢	١٠	١٥	أديس أبابا
١٠١٠	-	١٠	٥٠	١٠٠	٣٧٠	٢٩٠	١٢٠	-	-	-	-	-	غندار
١٨٦	٤٢	٢٦	١٠	٤	١٠	٢	-	٨	٦	١٤	١٧	٤٣	مصوع

وطبيعي أن يطول فصل المطر في الجنوب ، ويقصر في الشمال ، كما أن الأمطار تكون لها نهايتان في جنوب إثيوبيا تتفقان وتعامد الشمس ، ونهاية واحدة في شمالها . وكذلك تقل كميتها في نفس الاتجاه ، أي من الجنوب إلى الشمال . ويقدر أن ٨٠٪ من أمطار إثيوبيا تسقط فيما بين يونيه وسبتمبر .

وكما كان للارتفاع أثر في تلطيف درجة الحرارة فهو أيضاً العامل الأساسي في سقوط أمطار إثيوبيا ، ولولاه لكانت أمطارها مماثلة لتلك التي تسقط في غرب السودان ، وامتنع فيضان النيل ، ولو أن انحدارها كان صوب الجنوب أو الشرق لفاضت مياهها في أحد هذين الاتجاهين وما كان لنا النيل العظيم .

أما في الشتاء ، أي في الفترة التي تتعامد فيها الشمس على العروض الجنوبية ، فتكون إثيوبيا في مهب الرياح التجارية الشمالية والشمالية الشرقية ، وهي رياح منتظمة جافة إلا حيث تصادفها بعض المرتفعات كتلك التي تمتد في

محاذاة ساحل البحر الأحمر (ألب الدناكل) والسفوح الشرقية للهضبة الوسطى (الهضبة الحبشية) ، ولكن هذه الأمطار تكون قليلة ، وذلك لقلة بخار الماء الذي تحمله هذه الرياح بسبب انخفاض درجة حرارتها من جهة ، وضيق المسطحات المائية التي تمر فوقها من جهة أخرى .

سكان إثيوبيا

يلغ سكان إثيوبيا نحو ٥٢ مليون نسمة حسب تقديرات الأمم المتحدة عام ١٩٩٤ ، يعيشون فوق مساحة مقدارها نحو ١,٢ مليون كيلومتر مربع (٣٢٠, ١٨٤, ١ كم^٢) ، أي بكثافة سكانية متوسطها ٤٣ نسمة في الكيلومتر المربع . وتباين الكثافة السكانية من مكان لآخر حسب الظروف الطبيعية وإمكانيات النشاط الاقتصادي ، فهي ترتفع في إقليم وُنَادِيْجَا ، وعلى امتداد طرق المواصلات .

وسكان إثيوبيا مجموعة مختلطة من عدة سلالات تتكلم عدداً كبيراً من اللغات واللهجات يصل إلى الخمسين ، وتدين بعدة ديانات . ويتمي غالبية سكان إثيوبيا إلى المجموعة القوقازية التي تشعب في إثيوبيا إلى الساميين والحاميين . وتتركز الشعة السامية فوق الهضبة الحبشية خاصة في الشمال والوسط ، وتنقسم لغوياً إلى عدة مجموعات أهمها مجموعة الأمهارة التي كانت تؤلف دائماً الطبقة الحاكمة الارستقراطية ، لهذا فإن لغتهم الأمهرية هي الرسمية في البلاد ، رغم أن عددهم لا يزيد كثيراً على مليونين ، كما أن ديانتهم القبطية هي الديانة الرسمية للدولة .

وأقدم الممالك التي أنشأها الساميون في الحبشة مملكة أكسوم ، وكان مركزها هضبة تيجرة ، وامتد سلطانها إلى خور الجاش ، وعاشت من القرن الأول الميلادي حتى القرن السابع . وفي القرن الرابع الميلادي اتخذت من القبطية لها ديناً ، وفرضت على نفسها العزلة بعد انتشار الإسلام من حولها ، وتوغله في كافا وهرر والصومال . وكان مطران الحبشة يُعَيَّن من مصر (التي دخلت منها القبطية إلى إثيوبيا) منذ القرن الرابع حتى عام ١٩٥١ .

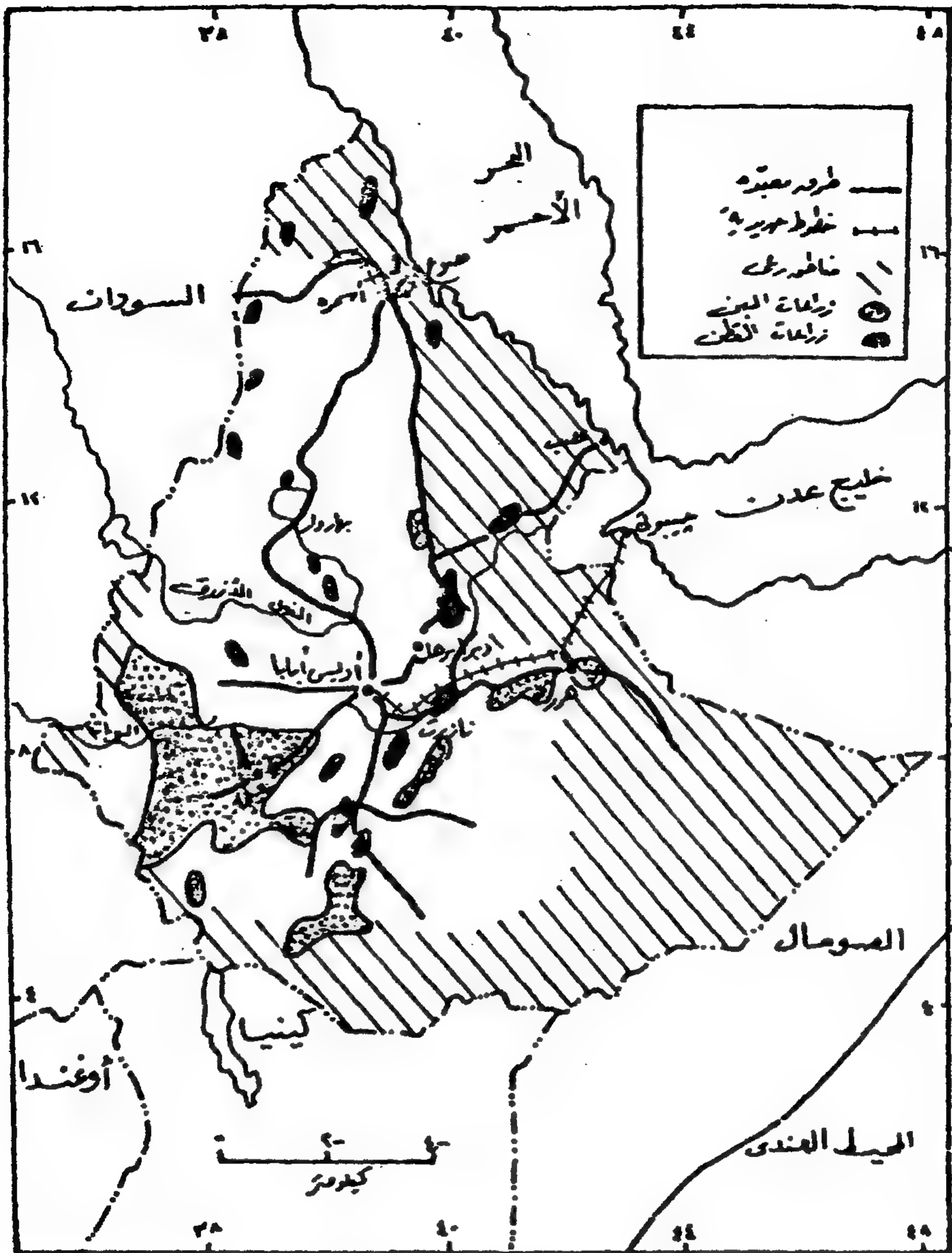
وينقسم الحاميون إلى عدة مجموعات أكبرها وأكثرها عدداً شعب الجالا
اندي يعيش في وسط وغرب الهضبة الصومالية ، وفي منطقة كافا ، وفي أجزاء
من هضاب جوجام وشوا . وقد أسلم كثيرون منهم ، وكونوا عدة ممالك
إسلامية ، كما اعتنق المسيحية عدد آخر خصوصاً سكان شوا ، وبقي عدد على
الوثنية . وهم رعاة بقر ، ومحاربون أشداء ، ويشغل بعضهم بالزراعة إلى جوار
الرعي .

وتعيش المجموعة الحامية الثانية الكثيرة العدد وهي الصومالية خارج
حدود إثيوبيا ، وإن كان بعضهم يعيش في هوامش جنوب شرقها ، في أوجادين
وهرر . ويسكن سهل الدناكل مجموعة حامية ثالثة تعرف باسم الدناكل أو
الآفار ، الذين يوجدون أيضاً في ساحل إريتريا الجنوبي ، وهم رعاة إبل
ومسلمون كالمجموعة الصومالية .

وهناك مجموعات حامية صغيرة العدد بعضها هام مثل الفلاشا أو اليهود
السود الذين يوجدون في شمالي بحيرة تانا ، والنيليون في الحدود الغربية ،
وهؤلاء على اتصال بإخوانهم في السودان . ومجموعة بني عامر في شمال غرب
إريتريا ذات الارتباط بالبحرة في السودان .

الجغرافيا الاقتصادية

تمتاز دولة إثيوبيا بتربة بركانية عظيمة الخصوبة ، وهي لقربها من دائرة
الاستواء وبسبب اختلاف ارتفاع أراضيها ، تتدرج الحرارة فيها من النظام
الاستوائي إلى المعتدل الدافئ فالمعتدل البارد نوعاً ، فالبارد . والأمطار فيها
ليست على وتيرة واحدة ، فهي وإن كانت في جملتها صيفية ، إلا أن موسمها
وكميتها يتدرجان في القلة من الجنوب إلى الشمال ، ومن الجهات المواجهة
للرياح إلى تلك المقابلة لها أي المحتجة عنها . وهناك إلى جانب ذلك السفوح
الشرقية التي تأتيها أمطار قليلة في فصل الشتاء : فهذه كلها عوامل تدعو إلى
عظم الإمكانيات الزراعية والحيوانية ، وإلى تنوع منتجات كل منها . ولكن إلى
جانب هذه وتلك توجد عوامل مناهضة ومعوقة منها .



شكل (٥٧) الخريطة الاقتصادية لإثيوبيا

(١) قلة السهول الفيضية ، والوديان المتسعة التي يمكن الاستفادة منها في ممارسة النشاط الزراعي ، فضلاً عن أن أراضي الهضبة شديدة الانحدار ، وتعرض تربتها للانجراف ، إذا تدفقت عليها الأمطار والسيول . ويحاول

الأحباش التغلب على تعرية التربة بعمل المدرجات ، وممارسة الزراعة الكنتورية أي مساية مزارعهم خطوط الارتفاعات المتساوية ، ولكن نسبة هذه الأراضي إلى جملة المساحة لا تزال صغيرة لضعف المجهود البشري الذي يرجع في بعض أسبابه إلى صغر عدد السكان نسبياً ، ولما يتطلبه إنشاء هذه المدرجات وصيانتها والمحافظة عليها من مجهودات كبيرة .

(٢) صعوبة المواصلات ، وتعذر تصريف المنتجات الزراعية : فحتى عام ١٩٣٥ لم يكن لإثيوبيا من وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي إلا سكة حديد جيبوتي - أديس أبابا ، وهو خط مفرد ذو قياس ضيق تملكه شركة فرنسية ، على نحو ما أسلفنا ؛ وبعض طرق للقوافل كانت تربطها بإريتريا والصومال وكينيا والسودان عند جمبلا والروصيرص ، ولهذا لم يجد السكان ما يشجعهم على إنتاج إلا ما يكفي حاجتهم ، وظلوا في فلاحهم للأرض يمارسون طرقهم العتيقة ، ولا يعرفون من وسائل الإنتاج الحديثة شيئاً .

وحدث في فترة الاحتلال الإيطالي أن ضمت إريتريا إلى إثيوبيا في إدارة واحدة ، وفتحت أمامها ميناء مصروع وميناء عصب ، وأنشئت بعض الطرق المرصوفة في داخلية البلاد ؛ ولكن التقدم الحقيقي لإثيوبيا جاء فيما بعد سنة ١٩٤٥ ، أي بعد أن استردت البلاد استقلالها ، وعينت باستغلال مواردها الاقتصادية ، وعملت على تحسين طرق اتصالها بالعالم الخارجي عن طريق تنشيط الملاحة البحرية والجوية ، وعلى إدخال التحسينات الفنية والعلمية على الاقتصادين الزراعي والحيواني مستفيدة في ذلك كله فائدة كبرى من المساعدات التي قدمتها إليها الهيئات الدولية .

الزراعة والغلات الزراعية :

الزراعة هي عماد ثروة إثيوبيا ، وهي حرقة السواد الأعظم من الإثيوبيين ، إذ يعتمد عليها ما يقرب من ٩٠٪ من السكان ، بالإضافة إلى تربية الحيوان . والزراعة في إثيوبيا زراعة مطرية ، وهي تتوزع في مساحات متقطعة غير متصلة ، وغير كبيرة ، بسبب وعورة السطح ، ولهذا فهي زراعة اكتفاء ذاتي

في المقام الأول وتبلغ نسبة الأراضي الزراعية نحو ١٠٪ ، وأراضي الرعي ٥٤٪ ، والمساحة المكسوة بالغابات ٦٪ ، والأرض الوعرة الصعبة الفلح ٣٠٪

وحتى عهد قريب كانت ملكية الأراضي الزراعية حكراً على الامبراطور وأفراد أسرته من الأمراء والنبلاء ، وكبار رجال الجيش ، بالإضافة إلى الكنيسة التي كانت تملك وحدها ٢٠٪ من المساحة المزروعة . وكان الفلاحون يعملون في الأرض كرقائق . وعلى الرغم من أن نظام الرق قد ألغي منذ عام ١٩٤٢ ، إلا أن تسخير الفلاحين في العمل كان سارياً بصورة فعلية . ويبدو أن تعديلات جهورية في نظم الملكية وفلاحة الأرض قد حدثت في ظل النظام الجديد ، الذي حل محل الحكم الإمبراطوري السابق .

الغلات الزراعية :

تأتي الحبوب الغذائية على رأس قائمة المحاصيل الحقلية ، وأهم الحبوب انتشاراً نبات يعرف باسم تيف Teff ، وهو نبات حشائشي كالقمح والشعير ، ينتج حبوباً صغيرة جداً حجمها قدر رأس الدبوس ، يُصنع منه الخبز ، ويُقدم علفاً أخضر للماشية ، وتنتشر زراعته فيما بين ارتفاع ١٧٠٠ - ٣٠٠٠ متر ، أي في أراضي إقليم « ويناديجا » وما يعلوها بقليل ، وتكون زراعته في موسم الأمطار الغزيرة ، أي حوالي شهر يونية ، ويحصد بين شهري أكتوبر ونوفمبر .

والأذرة الرفيعة بأنواعها من أهم الحبوب الغذائية ، وتوجد زراعتها في الجهات الحارة القليلة والمتوسطة الارتفاع ، وتمتد حقولها في منطقة هرر ، بسبب موقعها الجغرافي ، إلى حوالي ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويفضل الأحباش هذا النبات على غيره لكثرة منافعه : فهو إلى جانب فائدته الغذائية ، تقدم سيقانه الخضراء علفاً للماشية ، وتستعمل بعد جفافها وقوداً ، وتعمل منها سياجات للماشية والمنازل ، كما يعملون من حبوبها نوعاً من المشروبات الروحية يشبه الجعة .

أما القمح فقد كانت زراعته محدودة ، وتقتصر عادة على المناطق التي يتراوح ارتفاعها بين ١٨٠٠ - ٣٠٠٠ متر ، وقد زاد الطلب على استهلاكه ،

وأكثر الجهات إنتاجاً له المرتفعات الواقعة جنوب نهر هوانس Awash

ويزرع الشعير أحياناً مرتين في السنة . إذا ما توفرت مياه الري مع ماء المطر ، وهو أكثر انتشاراً من القمح ، وذلك لقصر موسم رراعتة ، ولقلة المجهودات التي تتطلبها هذه الزراعة . ويجود كالحمح في منطقة افضية ، ويستعمل بكثرة في عمل نوع من الجعة عيب لدى غالبية السكان يُسمى « تلا » .

ومن بين المحصولات الأخرى نجد البن أهمها من الناحية الإقتصادية ، لأنه يكاد يكون وحده محصول بلاد إثيوبيا التجاري ، فهو وسيلة التبادل التجاري مع الدول الأجنبية فهو يكوّن ما بين ٦٠ - ٧٠٪ من مجموع الصادرات ، والضرائب التي تُجبي عليه عند تصديره مورد من أهم موارد دخل الحكومة . ولم يظهر البن في قائمة الصادرات الإثيوبية إلا منذ أواخر الثلاثينات ، ومن ذلك التاريخ وكميته وقيمته في ازدياد مستمر . ويعاني تسويق البن في البلاد من صعوبة النقل من مناطق الإنتاج ، خاصة أن الطرق تصبح غير صالحة في فصل المطر ، حتى أن الطائرات تستخدم أحياناً في عملية النقل .

والحبشة هي الموطن الأصلي للبن في العالم كله ، وهو النوع المعروف باسم البن العربي . وهي أكبر دولة إفريقية منتجة له ، لكنها لا تسهم في الإنتاج العالمي إلا بقدر يتراوح بين ٢ - ٢,٥٪ . والسوق الرئيسية لإنتاج إثيوبيا هي الولايات المتحدة التي يذهب إليها أكثر من نصف الإنتاج .

وقسم كبير من محصول البن الحبشي لا يزال يؤخذ من الأشجار البرية التي توجد بكثرة في هضبة كافا ، وقد أنشئت مزارع حديثة في القسم الجنوبي الغربي في ولايات كافا وسيدامو وجوجام وفيها كلها تجود زراعة البن بين ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، وبها إمكانات كبيرة لإنتاج أضعاف المحصول الحالي .

وتساعد الأحوال المناخية في إثيوبيا ونوع تربتها وطبيعة تضاريسها على زراعة الشاي وإنتاجه بكميات كبيرة ، وقد دلت التجارب التي عملت في

جورى Gore على أن المناطق الغربية والجنوبية صالحة جداً لإساج هذا المحصول بكميات كبيرة ، مما سيكون له أثره في الاقتصاد الزراعي للبلاد .

وعلى الرغم من أن القطن محصول تقليدي ، إلا أنه يزرع في مساحات مبعثرة ، وإنتاجه قليل لا يفي بحاجة المصانع المحدودة في أسمرة وأديس أبابا . ورغم توفر التربة السوداء الطينية الصالحة لزراعة القطن ، إلا أن العوامل الطبيعية الأخرى غير مواتية ، فالمرتفعات لا تلائم زراعته ، فمواعيد سقوط الأمطار غير مضمونة ، والأودية التي يتوفر فيها ماء الري منخفضة المنسوب ومن ثم مرتفعة الحرارة لا تجذب الأحباش لسكنائها ، بالإضافة إلى أنها موبوءة ببعوض الملاريا .

ويزرع قصب السكر في مساحات كبيرة حول « ونجي » التي تقع إلى الجنوب من أديس أبابا بنحو ٨٠ كم . وقد أنشئ مصنع للسكر في ونجي ، ينتج ما يكفي استهلاك سكان إثيوبيا .

وتزرع الفواكه والخضراوات للاستهلاك المحلي ، وأفضل المزارع وأوسعها توجد في إريتريا حيث تستخدم وسائل الري الصناعي . وتنتج البلاد كميات كبيرة من بذور الزيت ، خاصة بذور السمسم والقطن وعباد الشمس والخرع وال فول السوداني والقرع . وهذه تحتل المركز الثاني في صادرات البلاد . ومن المحصولات الأخرى نبات الكوبا الذي تستخدم خيوطه في عمل الحبال ، ثم القات وهو نوع من المكيفات .

الحيوان والإنتاج الحيواني

تربية الحيوان هي بعد الزراعة ، أهم حرفة للسكان . والثروة الحيوانية ضخمة في إثيوبيا ، ففيها مقادير كبيرة من الحيوان المستأنس ، تُقدر جملتها بما يناهز ثمانين مليون رأس . منها نحو ٢٦ مليون رأس من الأبقار ، ٢٥ مليون رأس من الأغنام ، ١٨ مليون رأس من الماعز ، ٤ مليون من الحمير ، ١,٥ مليون لكل من الخيول والبغال ، ونحو مليون من الإبل .

وعلى الرغم من كثرة عدد الحيوانات إلا أن النوعية غير جيدة . وما تزال

عمليات الرعي بدائية ، وأمراض الحيوان متفشية ، وتقضي الأوبئة على عدد كبير منها يناهز المليونين كل عام . وقد عيّنت الحكومة في السنوات الأخيرة بالعمل على تحسين نوعية هذه الثروة الكبيرة ، بإنشاء العيادات البيطرية ، واستيراد سلالات أجنبية للتهجين . ومن الممكن أن يصبح تصدير الحيوانات الحية واللحوم المثلجة والجلود وغيرها من منتجات الحيوان مورد ثروة كبيرة لهذه البلاد . وقد بدأت فعلاً هذه التجارة ، ولكنها لا تزال قاصرة على تصدير عدد قليل من الحيوانات الحية إلى بلاد الشرق الأوسط أغلبها من ميناء جيبوتي . أما تجارة الجلود فهي أهم من ذلك بكثير ، وعلى الرغم من تأخر صناعة الدباغة وما يتصل بها ، فإن قيمة الصادرات السنوية في ازدياد مستمر . ومجال التحسين هنا أيضاً كبير للغاية . وعسل النحل من الغلات الاقتصادية الهامة .

الثروة المعدنية والصناعة :

من الثابت أن أكثر الطبقات احتواء على العروق المعدنية النفيسة كالذهب والبلاتين وما إليها ، هي تلك التي تكون صخورها قديمة من النوع المتبلور أو المتحول . ولما كانت هذه تكون القاعدة التي تتركز عليها الهضبة الإثيوبية ، فليس من المتحمل إذن العثور على عروق معدنية ذات قيمة كبيرة إلا حيث أزيلت عوامل التعرية الطبقات الحديثة التي تعلو صخور القاعدة كما هو الحال في الأخاديد العميقة التي شققتها الأنهار ، أو في السفوح المطلّة على السهول المجاورة . وتستغل حالياً مناجم للذهب في الجنوب ، ومن المعادن التي عثر عليها الحديد ويوجد في منطقتي تجري وشوا Shoa ، غير أن الأملاح هي أهم ما يستخرج ، وتشتهر سهول الدناكل وسهول الآفار في الشرق بالملح ، كما يُستغل أيضاً في البحيرات الأخدودية ، وعدا ملح الطعام تنتج إثيوبيا حول مائة ألف طن من أملاح البوتاسيوم .

ويوجد بإثيوبيا كميات محدودة من فحم اللجنيت ، ولم يكتشف بها بترول حتى الآن . غير أنها تحوي مصادر كبيرة للطاقة الكهربائية المائية التي لم يتم حصرها وتقومها بعد . ولا يوجد حالياً سوى محطة توليد كهرومائية - مائية

واحدة مقامة على سد كوكا في أعالي نهر هواش ، تنتج نحو ٥٠ مـ كيلوات سنوياً .

والصناعة في إثيوبيا مازال في أطوار ابتدائية، ومعظمها كان مركزاً في إريتريا لقربها من البحر، ويشغل بالصناعة نحو ٣٥ ألف عامل ، ومدن الصناعة إثنان هما : أسمرة وأديس أبابا ، وغالبية المصانع تنتج السلع الاستهلاكية : غذائية كالمشروبات ، وصنع المكرونة ، وطحن الغلال ، وتكرير السكر ، وعصر الزيوت ، وتعليب المواد الغذائية ، ثم صناعة المنسوجات القطنية والصابون والاسمنت والزجاج .

التجارة والنقل والمدن

التجارة

أهم ما يلاحظ على التجارة الخارجية لإثيوبيا الزيادة المضطردة في قيمة كل من الصادرات والواردات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن . وبعد أن كانت الحبوب حتى أوائل الأربعينات ركن في الصادرات ، أصبح المركز الأول الآن للبن ، ويكوّن أكثر من نصفها . وتتذبذب كمية صادرات البن ، وقيمة الصادر من سنة لأخرى حسب الظروف الدولية . ومن بين الصادرات الهامة الأخرى الجلود المدبوغة وغير المدبوغة والحبوب الزيتية والقات .

وكانت المنسوجات القطنية حتى عام ١٩٤٢ أهم ما تستورده الحبشة ، أما الآن فهي تستورد إلى جانبها الأدوات المعدنية والبتروول والمطاط ، والأغذية والتبغ والمعادن والمواد الكيمائية ، ثم الآلات والسيارات

هذا وكانت ترسل غالبية الصادرات إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودول السوق المشتركة الأوروبية ، كما وأن معظم واردات إثيوبيا كانت تأتيها من نفس مجموعة الدول الأوروبية والأمريكية . أما الآن فقد أصبحت صلاتها بالاتحاد السوفيتي أقوى وأوثق . وكانت السلع المصدرة ، قبل الاتحاد مع إريتريا في عام ١٩٥٢ ، تخزن في عدن أو جيبوتي أو مصوع ، ثم يعاد تصديرها

إلى مراكز الإستهلاك. وبانضمام إريتريا لها أصبح لها ميناءان هما : مصوع وعصب، وبعد إستقلال إريتريا عام ١٩٩٣ ، أصبح الميناءان ضمن ممتلكاتها، وهى تسمح لإثيوبيا باستخدامهما لتجارة الصادر والوارد .

النقل (طرق المواصلات)

وإثيوبيا من أسوأ الأقطار حظاً فى مواصلاتها الداخلية والخارجية، وفيما بين عامى ١٩٥٢ - ١٩٩٣ ، أصبح لها ميناءان على البحر الأحمر، فقدتهما باستقلال إريتريا، لكنها الآن تستخدمهما، وذلك بالإضافة إلى ميناء جيبوتى فى الصومال التى لا تزال منفذاً هاماً لتجارة إثيوبيا الخارجية لأنها النهاية البحرية للخط الحديدى الذى يربط عاصمة إثيوبيا بالبلاد الخارجية. وهذا الخط كما ذكرنا ملك لشركة فرنسية وطوله ٧٨٤ كيلومتراً ، بدئ فى إنشائه من جيبوتى فى سنة ١٨٩٧ ، ولم يصل إلى أديس أبابا إلا فى سنة ١٩١٧ ، ويمر فى طريقه بمدينتى ديردار وهواش. وهو خط مفرد ضيق عرضه متر واحد . وحمولته فى حدود ٢٥٠ طناً فى اليوم، ويسير ثلاث مرات فقط كل أسبوع، ويقطع المسافة فى نهار وليلتين. ولا بد من إزدواج الخط حتى . يكن قادراً على خدمة أعباء النمو الاقتصادى.

وليست إريتريا بأحسن حال ، فليس فيها سوى خط حديدي واحد طوله حوالى ٣٠ كم ، يبدأ من ميناء مصوع ، ثم يتسلق سفوح الهضبة حتى يصل إلى مدينة أسمرة على ارتفاع يزيد على ٢٠٠٠ متر (٧٠٠٠ قدم) ، ومنها إلى فيرين وأجورادات ، ومن هذه الأخيرة يمتد طريق ممهد إلى حدود السودان . وهو خط مفرد وضيق أيضاً .

وفى إثيوبيا ما يقرب من ٦٠٠٠ كيلومتر من الطرق البرية ، بعضها مرصوف ، والبعض الآخر ممهد صالح لسير السيارات . وأهم هذه الطرق :

- ١ - الطريق الممتد من أديس أبابا إلى عصب .
- ٢ - الطريق الممتد من أديس أبابا نحو الجنوب الغربى إلى جمبلا على نهر سرياط حيث تبدأ الملاحة فى هذا النهر .

٣ - الطريق من أديس أبابا إلى النيل الأزرق وبحيرة تانا

٤ - طريق أديس أبابا إلى هرر ثم بربرة في الشرق .

وهناك طرق أخرى كثيرة تربط العاصمة بداخلية البلاد . ورغم هذا فإن إثيوبيا ما تزال بحاجة ماسة إلى أضعاف هذه الخطوط الحديدية والطرق البرية ، لكي تنهض باقتصادها القومي .

وقد عُيّنت إثيوبيا منذ الأربعينات بتشجيع الطيران ، وتأسست لهذا الغرض في سنة ١٩٤٦ شركة الخطوط الجوية الإثيوبية ، وكانت فرعاً من الشركة الأمريكية للخطوط العالمية . وتسير خطوط منتظمة للطيران بين العاصمة أديس أبابا وكثير من العواصم الأفريقية والعالمية . هذا بالإضافة إلى الخطوط الداخلية العديدة التي تربط العاصمة بأكثر من عشرين من البلدان الإثيوبية .

المدن

تنقسم إثيوبيا إلى اثنتي عشرة ولاية لكل منها عاصمة . ولا يزيد عدد سكان أي من المدن الإثيوبية عن خمسين ألفاً ، باستثناء العاصمة أديس أبابا التي يبلغ عدد سكانها نحو ١٩ مليون نسمة ، ومدينة أسمرة عاصمة إريتريا وسكانها نحو ٣٨٠ ألفاً . ومن المدن الهامة هرر وهي مركز زراعي كبير ، وعاصمة أكبر الولايات الإثيوبية مساحة ؛ ثم جندار ودبرا مرقص وديرداوا وأكسوم ، وكلها مراكز تسويق لما يحيط بها من أراض زراعية .

الفصل الحادي عشر

جمهورية الصومال

الشعب الصومالي وقبائله

الشعب الصومالي هو الشعب السائد في منطقة القرن الأفريقي ، وهو ينتمي في الأصل إلى الحاميين الشرقيين لغويا وسلاليا ، مثله في ذلك مثل معظم شعوب شمال أفريقيا . وهم يرون أنهم عرب من أصل سامي ، نظراً لأنهم غزوا أفريقيا من شبه الجزيرة العربية ، واعتنقوا الإسلام على المذهب السني . وهم على أي حال ليسوا أنقياء جنسياً ، لكنهم طوال القامة ، رفاق البنية ، طوال الرؤوس ، دقاق الملامح .

ومن بين المميزات الهامة في الأمة الصومالية ، أنها مقسمة إلى مجموعات قبلية ، وقبائل ، وعشائر ، ويطون . وهذا التركيب في شكل شجرة العائلة يعطي إحساساً بالقوميات . وتتألف الأمة الصومالية من مجموعتين قبليتين كبيرتين هما : مجموعة الصومالي ، ومجموعة الساب . وتتكون الأولى ، وهي المجموعة الأكبر ، من أربع قبائل رئيسية هي : « الدير » و« إسحاق Ishaak » و« الهاويا Hawia » و« الدارود Darud » . أما الثانية ، وهي الأصغر ، فتضم قبيلتين رئيسيتين هما « الديجل » ، و« الرهانونين Rahanwein » . وهم يتركزون في منطقة خصيبة تقع بين نهري « جوبا » و« شيبلي Schibeli » . وهناك نظام طبقي ، أدناه طبقة الحدادين ، وصناع الجلود ، والصيادين ، وبالإضافة إلى الجهل والحاجة الماسة إلى التعليم ، فإن من أهم معوقات التنمية الاعتقاد أو

انتقليد السائد بأن العمل اليدوي يحط من قدر الإنسان ، وهو التقليد السائد عند الرعاة الأفريقيين .

وتسكن القرن الأفريقي شعوب أخرى قليلة العدد من العرب في المدن الساحلية ، وبعض الزنوج في أودية الأنهار . ولكن الحدود التي خططت لجمهورية الصومال في أعقاب استقلالها عام ١٩٦٠ لا تتفق مع حدود انتشار الشعب الصومالي ، الذي يتواجد بكثرة في الأقطار الثلاثة المحيطة بالجمهورية الصومالية .

عدد الصوماليين (تقديرات ١٩٩٥)

جمهورية الصومال	٨,٠١٥ مليون
الصوماليون في إثيوبيا	١,٢٥ مليون (في إقليم أوجادين Ogaden)
الصوماليون في كينيا	٠,٢٥ مليون
الصوماليون في جيبوتي	٠,٠٥ مليون

ويرجع سبب التوتر الدائم بين الصومال وإثيوبيا إلى وجود هذا العدد الكبير من الشعب الصومالي في مديرية أوجادين Ogaden التابعة لإثيوبيا ، وإلى طبيعة الحدود المؤقتة بين الدولتين .

وكانت أرض الصومال موزعة بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا . وفي عام ١٩٦٠ نالت الصومال استقلالها ، وتكونت جمهورية الصومال نتيجة توحد الصومال الشمالي (البريطاني سابقاً) والصومال الجنوبي (الإيطالي سابقاً) . وتحاول جمهورية الصومال أن تضم كل الشعب الصومالي داخل حدودها ، فطالبت بالصومال الفرنسي ، لكن المستعمرة حين استقلت عن فرنسا فضلت الاستقلال أيضاً عن جمهورية الصومال تحت اسم جيبوتي . وطالبت بإقليم أوجادين ، ونشبت الحرب بينها وبين إثيوبيا ، وكانت الغلبة لإثيوبيا بمساعدة الاتحاد السوفيتي . وهي تضع أعينها أيضاً على الأرض التي يسكنها الصوماليون في كينيا .

المساحة والموقع

تشغل الصومال مساحة في القرن الأفريقي تبلغ حوالي ٦٤٠ ألف كيلو متر مربع (٢٦٢ ألف ميل مربع) . وتطل على خليج عدن بجهة طويلة يبلغ طولها ١٢٠٠ كيلومتر (٧٥٠ ميلا) . كما تطل على المحيط الهندي بجهة أخرى يبلغ طولها ٢٢٠٠ كيلومتر .

وتجاور الصومال إثيوبيا من ناحية الغرب والجنوب الغربي ، وكينيا من ناحية الجنوب . ولذلك فهي كانت وما تزال حلقة اتصال بين الأقطار المطلة على البحر العربي والمحيط الهندي والظهير الأفريقي . وموقعها الجغرافي له أهمية استراتيجية بالغة . لهذا سعت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا للسيطرة على جزء من أرض الصومال . وكانت المنافسة بين الدول الثلاث سبباً في تمزيق أرضها ، فاحتلت بريطانيا القسم الشمالي في عام ١٨٨٣ ، كي تشتد قبضتها ، وتحكم سيطرتها على مدخل البحر الأحمر بعدما احتلت مصر في عام ١٨٨٢ ، ومن قبلها عدن والجنوب العربي في عام ١٨٣٩ . واحتلت فرنسا أرض جمهورية جيبوتي الحالية في عام ١٨٨٤ . ولنفس الأسباب الاستراتيجية تقدمت إيطاليا ، واحتلت الصومال الجنوبي ، الذي استخدمته قاعدة لغزو إثيوبيا في عام ١٩٣٦ .

والواقع أن موقع الصومال حالياً له أهميته الخاصة بالنسبة للوطن العربي والعالم الإسلامي . فهي تشرف على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وهذا مهم في زمن السلم والحرب . وهي تمثل مدخلاً للإسلام في قلب إفريقيا المدارية والاستوائية .

الجغرافيا الطبيعية

مظاهر السطح

أرض الصومال هضبية بصفة عامة ، بل تمتد على هضبة تسمى باسمها « هضبة الصومال » التي هي جزء من أفريقيا العليا التي تتألف من مجموعة من

الهضاب المرتفعة . وتبلغ الهضبة أقصى ارتفاع لها في الشمال المطل على خليج عدن ، وتترك سهلاً ساحلياً ضيقاً .

والسهل الساحلي ضيق في الشرق ، بحيث لا يزيد اتساعه على ثلاثة أرباع الكيلومتر ، لكنه يتسع كثيراً في الغرب ليصل إلى مائة كيلومتر . وهو سهل حار وجاف ، لذلك يُعرف باسم جوبان Guban أي المحترق (من كلمة جوب بمعنى يحرق) ، دلالة على شدة الحرارة خصوصاً في الفصل الحار الذي يمتد من شهر يونيو حتى شهر سبتمبر ، حين يعظم القیظ مقروناً بالرطوبة العالية ، فلا يطيقها البشر . وتهبط الحرارة نوعاً في الفترة فيما بين شهري أكتوبر ويناير ، حينما تتساقط الكميات القليلة من المطر التي لا تتعدى سنة ستيمترات . وعند حضيض المرتفعات التي تتأخم السهل جنوباً ، يمكن الحصول على المياه عن طريق حفر آبار ضحلة ، في تربة السهل الرملية ، لذلك تتجمع القبائل على امتداده في الفصل المطير . وتنمو في السهل أشجار « اللبان الذكر » و « المر » ؛ وتتج الشعوب الإسلامية في القرن الأفريقي تسعة أعشار استهلاك المسيحيين من البخور . وليس هناك استقرار دائم في السهل باستثناء بلدة بربرة الساحلية .

والى الداخل يقع سهل أكثر ارتفاعاً بقليل ، تتركبه هنا وهناك حافات جيرية الصخر ، وتلال تتركب من صخور نارية ؛ ويبلغ اتساع هذا السهل الذي يقع في ظهير السهل الساحلي ، بين كيلومتر واحد وخمسين كيلومتراً . وهنا يتشجر وجود أشجار السنط ، كما نرى المجاري المائية جافة بصفة مستمرة .

وفي ظهير هذا السهل المرتفع ، تعلو الأرض في هيئة حافة قائمة الانحدار، تتركب من الصخور الجيرية ، وتسمو إلى علو ٢٣٩٧ متراً (٧٨٩٤ قدماً) في الجزء الشرقي من أرض ما كان يُسمى « بالصومال الانجليزي » ، أما في الغرب فيصل ذراها إلى حوالي ثلاثة آلاف متر . وهناك تتصل بالمرتفعات الإثيوبية بالقرب من بلدة هرر . وتنمو أشجار النفض حتى ارتفاع ١٨٠٠ متر ، كما تنبت أشجار الأرز على ارتفاعات أعلى من ذلك حيث تزيد كمية المطر على ٥٠

سم

وتنحدر الحافة نحو الجنوب إلى هضبة متوسطة الارتفاع ، يقدر ارتفاعها بحوالي ألف متر في المتوسط . وتتألف الهضبة من تكوينات طباقية من الصخور الرملية التي ترتكز فوق الصخور الأركية القديمة (مركب الأساس أو الركيزة) . فهي ليست بركانية النشأة كالهضبة الإثيوبية . وسطح الهضبة مضرس ، ووعر ، ويزيد من تضرسه ووعورته عمق الأودية النهرية التي تشق طرقها فيه .

والقسم الشمالي من هذه الهضبة وفير المطر نوعاً (نحو ٣٧,٥ سم) خاصة حول بلدة هارجايسة Hargeisa (كانت عاصمة للصومال البريطاني) ، حيث تزرع الذرة الرفيعة زراعة مطرية . وإلى الجنوب من منطقة هارجايسة يقع إقليم هود Haud . وهو هضبة محوجة تنحدر من ارتفاع ١١٤٠ متراً في الشرق إلى ارتفاع ٦٩٠ متراً في الغرب . ولا يقع من هذه الهضبة ضمن حدود الصومال إلا جزء يسير في الشرق ، أما الباقي فيدخل ضمن الحدود الإثيوبية .

وتنحدر الهضبة بعد ذلك انحداراً سهلاً نحو الجنوب والشرق ، وتتميز هنا بخلوها من الظواهر التضاريسية . لكنها تحتوي على مراعي ، وشجيرات شوكية ، وأشجار اللين ، وعلى النشاط البدوي .

ويتسع السهل الساحلي الشرقي في اتجاه عام من الشمال إلى الجنوب . وتصل إليه عدة سيول ووديان أهمها شيبلي Shibeale وجوبا Juba ، وهما ينبعان من هضبة الحبشة ، أما الأول (طوله ٢٠٠٠ كيلومتر) فيهبط من الهضبة إلى السهل الساحلي ، وبدلاً من أن يواصل سيره مباشرة إلى المحيط ، ينحرف نحو الجنوب الغربي ، ويجري بموازاة الساحل مسافة طويلة تصل إلى ٤٨٠ كيلو متر ، وقبل أن ينتهي إلى نهر جوبا يمر بمنطقة كثيرة المناقع . ويرجع السبب في انحرافه هذا إلى وجود نطاق كبير من الكثبان الرملية الساحلية التي تمتد بحذاء الساحل ، واعتراضها له ، مما اضطره إلى الانحراف جنوباً بغرب . والنهر يجري بالماء في الفصل المطير ، لكنه يجف أو يكاد في فصل الشتاء الجاف . وتستغل مياه النهر في ري مساحات واسعة .

وينحدر نهر جوبا من منابعه في هضبة الحبشة مباشرة إلى السهل الساحلي

فالمحيط . وهو أكثر غنى بمائته من شبيلي ، نظراً لغنى موارده المائية في ويرتفع منسوب مياهه في الربيع والخريف ، وينخفض في الشتاء ؛ لكنه لا يجف .

وفي هذا القسم الجنوبي من الصومال تزداد كمية الأمطار لتصل إلى ٤٠ سم على امتداد الساحل عند مقديشو (موجاديشو Mogadishu) ، وتزداد الكمية فتصل إلى أكثر من ٥٠ سم في الجنوب الغربي ، لكنها بوجه عام تتناقص بالاتجاه نحو الداخل .

وإلى الجنوب من نهر جوبا تزداد الغابة كثافة ، ويكثر فيها شجر المانجروف ، وتحوي من الحيوانات البرية أنواعاً كثيرة ، فنجد الأسود ، والفهود ، والنمور ، والأفيال ، والخراثيت ، وأفراس النهر ، والحمر الوحشية ، والغزال ، والتماسيح ، وفصائل أخرى عديدة .

أحوال المناخ والحياة النباتية

تقع بلاد الصومال بين دائرة الاستواء ، ودائرة العرض ١٢° شمالاً . وكان لهذا الموقع الفلكي أثره في أن أصبح مناخها مدارياً ، لكن بسبب الموقع الجغرافي في شرقي القارة ، وتوزيعات ونظم الرياح ، أصبح مناخها شبه جاف . ذلك أن الرياح الموسمية الشتوية الآتية من الهند تصل الصومال جافة ، إذ لا يزيد المطر بسببها في أي من أجزاء الصومال على ثماني بوصات . أما الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الصيفية ، التي تهب فيما بين شهري مارس وأكتوبر ، وتجلب المطر الغزير للأراضي الموسمية في آسيا وأفريقيا ، فإنها تهب على الصومال موازية للساحل ، وبالتالي لا تسقط إلا القليل من المطر فلا يزيد نصيب السهل الساحلي منها على ١٢,٥ سم (خمس بوصات) . وتزيد كمية المطر نوعاً في الداخل على سطح الهضبة ، وتتراوح بين ٣٥ - ٦٠ سم . ويكون للعامل التضاريسي أثر في زيادة المطر أو قلته فوق أراضي الهضبة .

ويقترن فصل المطر بالحرارة ، وبالتالي بارتفاع ملحوظ في معدلات

التبخر ، وتبعاً لذلك تقل قيمة المطر الفعلية . وكميات المطر متذبذبة ، فهناك انحرافات عن المعدل السنوي بالزيادة والنقصان من سنة لأخرى ، بشكل ملفت للنظر . ويتجلى ذلك في انعكاساته على الحياة النباتية ، ومن ثم على المجتمع الصومالي وحياته الاقتصادية .

وعلى عكس شمال السودان الذي يتميز بمناخ رتيب ، يمكن تمييز الفصول الآتية في الجنوب ، وذلك بحسب فترات سقوط المطر :

فصل دهير Dhair : ويمتد فيما بين شهري أكتوبر وديسمبر ويتميز بكثرة المطر .

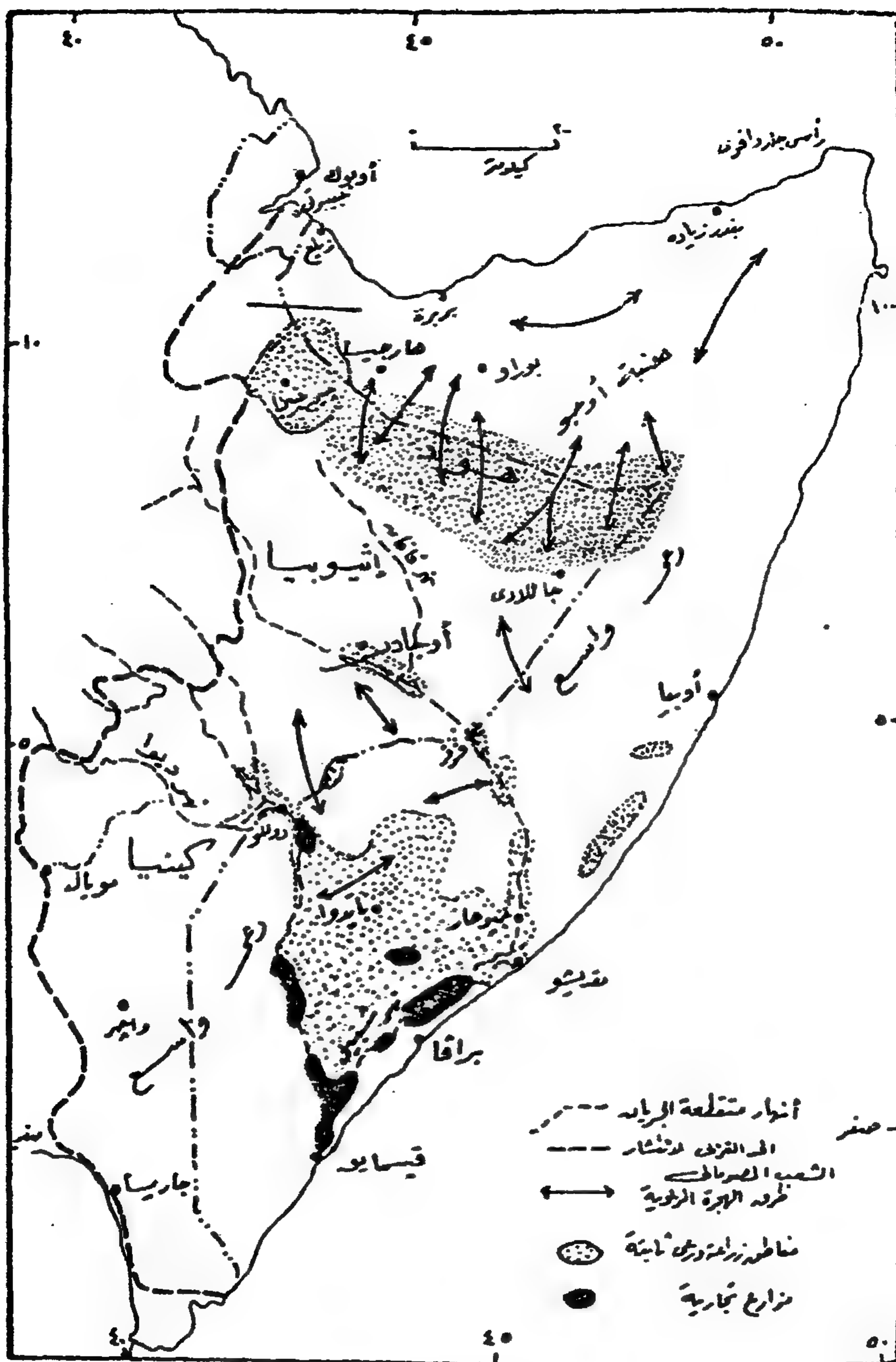
فصل جو Gu : فيما بين شهري أبريل ويونيو ، ويتميز بقلّة المطر عن الموسم السابق .

وفصل هذين الموسمين عن بعضهما فصلان جافان هما : فصل جيلال Jilal : ويمتد بين يناير ومارس ، حين تهب الرياح الشتوية الجافة .

فصل حاقاي Hagai : فيما بين يوليو وسبتمبر ، وفيه تهبط الحرارة نوعاً في جنوب الصومال . أما الشمال فيصبح شديد الحرارة .

هذا ويبلغ متوسط حرارة أبرد شهور السنة في العاصمة مقديشو ٢٥° م ، وأحر الشهور ٣٦° م . أما النهاية العظمى فتزيد على ٤٠° م . والمدى الحراري اليومي والفصلي كبير . والرطوبة النسبية عظيمة في السهل الساحلي ، وتقل بالاتجاه نحو الداخل .

هذا وتسيطر الأعشاب والحشائش على مظاهر الحياة النباتية الطبيعية في الصومال . وتشترك الأشجار في الغطاء النباتي حيثما سمحت ظروف المطر بذلك . وغو الحشائش فصلي ، فتزدهر وتكسو الأعشاب الأرض بغطاء أخضر ، يدوم نحو خمسة أشهر ، ثم تجف وتحترق بحلول فصل الجفاف . وتتكاثر الأشجار في هيئة أدغال على سطح الهضبة المتاخمة لكينيا ، وفي جنوب الصومال . أما السهل الساحلي الجنوبي فتسوده أشجار المانجروف على نحو ما وصفنا



شكل (٥٩) الأقاليم الصومالية - بيئة واقتصاد

الجغرافيا الاقتصادية

بعد دراستنا للظروف الطبيعية للصومال ، نتوقع أن نرى نشاطاً اقتصادياً يقوم أساساً على الرعي وتربية الحيوان . فالصوماليون رعاة ، والصومال بلد رعي بالدرجة الأولى . ويصلح للرعي من مساحة البلاد نحو نصفها ، وللزراعة ١٢,٥ ٪ ، يُزرع منها نحو ٢ ٪ فقط . أما باقي مساحة الدولة فصحراء جرداء .

ويتفوق الرعي على ما عداه من استخدامات الأرض ، إذ يقدر أن ٧٤ ٪ من جملة السكان هم من الرعاة البدو ، مع تباين في النسبة بين شمال الصومال الذي تصل فيه إلى ٨٥ ٪ وجنوبه حيث تهبط إلى ٦٦ ٪ . ويرجع ذلك إلى شدة الجفاف في الشمال ، وزيادة المطر وتوفر المياه في نهري شبيلي وجوبا في الجنوب حيث يمارس ٣٤ ٪ من السكان حرفة الزراعة .

ويعتمد سكان الصومال على قطعان الحيوانات من أغنام وماعز وإبل وماشية كمصدر للرزق ، وهي تمدهم بحاجاتهم من الغذاء ، كما أن الحيوانات ومنتجاتها كالجلود الخام والمذبوغة تأتي في مقدمة صادرات البلاد بعد الموز .

وتربي الإبل في الجهات الجافة في الشمال ، ولها شأن كبير هناك . فبالإضافة إلى الاستفادة من ألبانها ، واستخدامها في النقل ، لها قيمتها الخاصة من الوجهة الاجتماعية ، فهي مفخرة ودليل الغنى والثراء . وتمتلك العائلة الصومالية عادة ما بين ١٠ - ١٠٠ جمل ، لكن هناك من الأسر الثرية من تمتلك منها عدة مئات قد تصل إلى الألف . وثروة الصومال من الإبل تصل إلى نحو ٥ مليون رأس .

وتقدر ثروة الصومال من الأغنام بنحو ١٠٥ مليون ، ومن الماعز بنحو ١٦٥ مليون . ويتشرب وجودهما في الشمال . أما الأبقار فيشتيع وجودها في المناطق الزراعية المستقرة في الجنوب وعددها يصل إلى نحو ٢,٦ مليون رأس .

وتتقرر تحركات القبائل أساساً بواسطة الرعي الفصلي والماء . فالماء والكلاً هما سبب الحركة الرئيسي . (الآبار أكثر وجوداً في جنوب البلاد منها في شمالها) . ومع هذا فهناك أسباب أخرى منها حاجة الحيوانات إلى الحشائش

المالحة أو الملح ، والهجرة من المناطق الموبوءة بأمراض عارضة ، أو من مناطق التقاء الأنهر حين الفيضان ، أو بسبب النزاع القبلي .

وتتبع القبائل بصفة عامة طرقاً ومسالك ذات شكل بيضاوي من الساحل إلى الداخل ثم العودة . وهناك ميل طبيعي لاقتحام المناطق الأكثر رطوبة في أثيوبيا وكينيا . وبموجب اتفاقية عام ١٨٩٧ بين بريطانيا وأثيوبيا ، تخلت بريطانيا عن إقليم هود Haud ، وأعطته لأثيوبيا ، لكن قد نُصّ في الاتفاقية على حق القبائل الصومالية التي تعيش في الصومال البريطاني آنذاك في رعي قطعانهم في المراعي التي اعتادوا الرعي فيها في الإقليم . وحتى زمن قريب كان يُسمح لعدد من البدو والصوماليين يناهز ثلث مليون بالعبور إلى داخل الأرض الأثيوبية كل عام ، للرعي ، أساساً في إقليم هود ، رغم ما كان يحدث من نزاع ومضايقة . أما الآن وبعد توتر العلاقات ثم الحرب بين الصومال وإثيوبيا (١٩٧٨ / ١٩٧٩) ، فقد أصبح وضع هؤلاء الرعاة صعباً للغاية .

وقد كان وما يزال هناك ضغط سكاني على الموارد . فقد تحسنت الرعاية الصحية للسكان ، والعناية بمكافحة أمراض الحيوان ، لكن التحسن في الرعي لم يكن كافياً ، وكذلك لم يلق البحث عن موارد للمياه وتنميتها ، والاهتمام بالاستقرار الزراعي العناية الكافية . وينطبق هذا على الخصوص على ما كان يسمى « الصومال البريطاني » (الصومال الشمالي) الذي منه تبدو الهجرة الصومالية إلى الحبشة أكثر وضوحاً .

ويعاني الرعي مشاكل جمة . فبالإضافة إلى الظروف الطبيعية خاصة تذبذب الأمطار ، وجفافها في بعض السنين ، كما حدث في موسم ١٩٧٤ - ١٩٧٥ حين كانت الخسارة فادحة في الحيوان والإنسان ، هناك أسباب ترجع إلى الرعاة أنفسهم . فالرعي الجائر يهدد المراعي بالجدب ، لما يحدثه من تعرية للتربة . ومنذ الإستقلال تحاول الحكومة جاهدة بالتعاون مع الهيئات الدولية تحسين وتطوير الثروة الحيوانية . من ذلك استيراد سلالات أسترالية جيدة من الأغنام لتحسين نوعية اللحوم للتصدير الخارجي ؛ ثم الإشراف على

أراضي المرعى ، وتنظيم الرعي لصيانتها ، وتقليل ظاهرة الرعي الجائر . كما تكافح ذباب تسي تسي للقضاء عليه ، في مناطق وجوده بالقرب من المجاري المائية ، حيث يجد بيئة صالحة له في الغطاء النباتي الكثيف ، حتى لا يحرم الرعاة وقطعانهم من إستخدام موارد المياه المتوفرة في تلك المجاري المائية .

الزراعة

تلي الزراعة الرعي في الأهمية ، لكنها محدودة الانتشار . ورغم أنها تزداد أهمية في الصومال ، إلا أنه يُحدّ من التوسع فيها قلة الأمطار وذبذبتها ، ثم قلة وجود المجاري المائية الوفيرة المياه . ويعتمد على الزراعة نسبة صغيرة من السكان لا تتعدى ١٢٪ . وقد سبق أن أشرنا أن نحو ١٢,٥٪ من مساحة الصومال صالح للزراعة ، ولكن لا يزرع منه سوى ٢٪ فقط .

وهناك غمطان من الزراعة : زراعة تقليدية معاشية تستهدف الإنتاج لسد حاجات السكان الغذائية . وهذه في معظمها تعتمد على المطر ، لذلك فهي تشيع في الأراضي الواقعة بين نهري جوبا وشبيلي حيث يسقط من المطر نحو ٣٧,٥ إلى ٤٠سم ، وعلى امتداد الكثبان الرملية المتاخمة لخط الساحل . بالإضافة إلى مساحات يقوم الزراع بريها موسمياً وبطرق بدائية حين تكثر المياه في الأنهار وقت الفيضان ، فيقطعون الجسور ، لتساب المياه إلى أراضيهم المنخفضة ، وهو نوع من الري شبيه بالري الحوضي الذي كان سائداً في صعيد مصر .

وأهم الغلات الزراعية التي تنتجها الزراعة التقليدية الذرة الرفيعة ، والذرة الشامية والبقول والسمسم . وكما تعاني الزراعة المطرية من الجفاف أحياناً ، فإن الزراعة المروية بالطريقة الحوضية تقاسي الفشل أيضاً حينما يأتي الفيضان عالياً ، فيؤدي إلى تلف المزروعات وهلاك الحيوان والإنسان .

وتستخدم السفوح الشمالية للهضبة بالقرب من هارجايسا Hargeisa حيث تكثر الأمطار في زراعة التبغ والبن . كما تنتشر زراعة أشجار النخيل على طول الساحل الشمالي .

والنمط الثاني من الزراعة في الصومال هو النمط التجاري ، الذي باشره الإيطاليون منذ أوائل هذا القرن . فقد أقاموا مائتين وعشرين (٢٢٠) مزرعة لزراعة الموز في حوض نهر شبيلي وجوبا . وللموز أهمية خاصة في الاقتصاد الصومالي ، نظراً لأنه يسهم بنحو ثلثي صادرات البلاد . والسوق الرئيسية للموز الصومالي هي إيطاليا ، وهي تشجع إستيراده عن طريق تخفيض الرسوم الجمركية عليه ، حتى يستطيع منافسة الموز الوارد من كينيا ومن أمريكا الجنوبية الذي يتميز على الموز الصومالي بكبر الحجم .

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ الإيطاليون زراعة قصب السكر في وادي نهر شبيلي ، وبصفة خاصة حول منطقة تدعى فيلا بروزي Villa Bruzi على بعد مائة ميل (١٦٠ كم) من العاصمة مقديشو ، حيث تتم زراعة نحو ٢٢ ألف فدان ، تخدمها خطوط حديدية ضيقة يبلغ طولها نحو ١٠٠ كم .

وفي مناطق زراعة الغلات التجارية تزرع بعض المحاصيل الغذائية للإستهلاك المحلي خصوصاً الذرة بنوعيتها . كما بدأت مؤخراً زراعة الأرز والتوسع فيه بمساعدة الصينيين . وتزرع بعض الخضروات وقليل من القطن في وادي جوبا وشبيلي .

وبناء على تقرير لوكالة التنمية الدولية يوجد في منطقة ما بين نهر جوبا وشبيلي حوالي ٢,٥ مليون فدان ، يمكن زراعتها على المطر ، ونصح التقرير بزراعة الذرة الرفيعة والسمسم والفول السوداني .

وتحاول حكومة الصومال من خلال برامج خطط خمسية أن تنمي مواردها الاقتصادية في مجالات الرعي والزراعة والصناعة . تلك الخطط التي تصادف معوقات كثيرة طبيعية ، وأخرى بشرية تختص بالنقص في العمالة الفنية والمدربة . كما تلاقى صعوبات جمة في التمويل .

موارد اقتصادية أخرى

يمارس بعض السكان على طول الشواطئ الصومالية ، خصوصاً الشواطئ المطلة على خليج عدن حرق صيد الأسماك ، ويجمعون الإسفنج

واللؤلؤ . وتنتج سنوياً مقداراً يتراوح بين ١٢ - ١٤ ألف طن من الأسماك ، خصوصاً من صنف التونا .

والصومال فقير في الثروة المعدنية . وقد جرى البحث عن البترول والفحم ، لكن النتائج سلبية . ويستغل الفوسفات والفحم في نطاق محدود للغاية ، لكن الفوسفات والجبس بجوار بربرة قد يستغلان في نطاق تجاري . كما اكتشف خام اليورانيوم بكميات اقتصادية في غرب مقديشو ، ومنحت شركة إيطالية هي إيني ENI حق استخراجه .

والصناعة في الصومال صغيرة ، ومحصورة في تصنيع عدد من المنتجات الزراعية . وهناك مصنع للسكر تابع لجمعية الزراعة الصومالية الإيطالية (تأسست عام ١٩١٩) عند فيلا برونزي Villa Bruzzi على نهر شيلي ، ينتج يومياً نحو ٦٠٠ طن من سكر القصب . ومصنع آخر في بلدة ميركا Merca لصناعة الحبال من نسيج أوراق شجر الموز . ومصنع لتعليب نحو خمسة آلاف طن من التونا سنوياً في لاس كورش Las Korch في الشمال . ومصنع لإنتاج اللحوم المعلبة ، تبلغ طاقته السنوية عشرين مليون علبة في كيسماو ؛ والمصنعان الأخيران أقما بمساعدة الاتحاد السوفيتي في أواخر الستينات ، وأوائل السبعينات . ومصنع للغزل والنسيج في مقديشو ، أوقف العمل فيه عام ١٩٥٢ بسبب ارتفاع تكلفة الإنتاج ، لكن أقيم مصنع آخر بمساعدة ألمانيا الغربية . يضاف إلى ذلك عدة معامل تابعة للشركة الصومالية الإيطالية لتقطير الكحول ، وعصر الزيوت والصابون .

هذا وقد احترف كثير من الصوماليين الحرف البحرية ، فأصبحوا بحارة ، نجد منهم جماعات في كثير من الموانئ الكبيرة في بريطانيا وسواحل المحيط الهندي .

المدن الصومالية

يعيش في المدن الصومالية نحو عشر السكان فقط . وهي مدن قليلة ومنعزلة . ومقديشو هي العاصمة ، ويسكنها نحو مليون شخص وتضم عدداً من الأقليات الإيطالية والهندية والباكستانية . وهي ميناء تصدير واستيراد . وكانت

تتبع سلطنة زنزيبار ، وباعنها سلطان زنزيبار لإيطاليا في عام ١٩٠٥ . وهي مركز قديم أقامه العرب في حوالي القرن العاشر الميلادي لخدمة التجارة في شرق أفريقيا والمحيط الهندي .

أما كيسمايو Kismayu ، فهي ميناء يقع إلى الجنوب من نهر جوبا ، في نطاق ساحلي يخلو من الشعب المرجانية بسبب الماء العذب والرواسب التي يصبها جوبا في البحر . ويتم عن طريقها بعض الصادرات والواردات . ويسكنها نحو ٢٥٠ ألف شخص .

ويسكن بربره نحو ٧٥ ألفاً من السكان ، وتطل على خليج عدن ، والمرفأ في ظهير لسان رملي يحميها من الأمواج ، وعن طريق هذا الميناء يتم تصدير الثروة الحيوانية ، ويصلها طريق معبد بيلدة هارجايسا بالداخل ، ولها تجارة مع عدن .

أما بلدة هارجايسا Hargeisa ، فقد كانت عاصمة للصومال البريطاني ، ويسكنها الآن نحو ٥٠٠ ألفاً ، وهي على صلة بطريق معبد إلى هرر بأثيوبيا ، وهي سوق ريفية للمناطق الرعوية والزراعية المحيطة بها .

المواصلات

يفتقر الصومال إلى المواصلات ووسائل النقل . وتخدمه شبكة هزيلة من الطرق البرية المعبدة ، ويبلغ طولها زهاء ٢٥٠ كيلو متر ، وقد عبدها الإيطاليون بصفة خاصة . وتربط بين العاصمة وظهيرها . يضاف الى ذلك الطريق المعبدة للسيارات أنشأها الانجليز للربط بين بربرة وهارجايسا . وقد سبقت الإشارة إلى الخط الحديدي الضيق الذي يخدم مزارع قصب السكر والمصنع الملحق بها .

وبعد ، فالصومال بلد فقير، وليس عنده مايقابل به وارداته الضرورية وصادراته الأساسية هي الحيوانات والجلود . ويبدو أن المساعدات الخارجية ستظل لأمد طويل بالغة الأهمية. ولئن كانت ظروف الصومال الطبيعية وتركيبه الإجتماعي والاقتصادى مشابه لما في ليبيا، إلا أنه بلد بلا بترول. وإنه لمن الصعب رؤية تحسن اقتصادى قريب، خصوصاً مع استمرار الحرب والتناحر والتوتر الداخلى حتى الآن (نهاية عام ١٩٩٥) .

شمال غرب أفريقيا

يشمل إقليم شمال غرب أفريقيا الوحدات السياسية

الآتية :

- تونس

- الجزائر

- المملكة المغربية

ويحوى الكتاب دراسة للوحدة الآتية :

- المملكة المغربية

الفصل الثانى عشر

المملكة المغربية

تقع المملكة فى الركن الشمالى الغربى من قارة افريقيا ، وتحتل أرضها أقصى جزء غربى من العالم العربى . فلا غرو أن يسميها أهلها بالمغرب الأقصى . ونشا عن موقعها الغربى المتطرف اشراقها على مياه كل من البحر المتوسط والمحيط الاطلسى . وهى تواجه شبه جزيرة ليبيريا عبر مضيق جبل طارق الذى لا يزيد اتساعه على ٢٠ كيلو مترا ، وتبلغ مساحتها زهاء ٤٥٩.٠٠٠ كيلو مترا مربعا .

الجغرافيا الطبيعية

البنية ومظاهر السطح

ان أهم ظاهرة تضاريسية تميز أرض المملكة المغربية (والمغرب العربى بعامة) تتمثل فى سلاسل المرتفعات التى تعرف باسم عام هو جبال أطلس . وتختلف هذه الجبال من الوجهة التركيبية عن كتلة القارة الافريقية الرئيسية كل الاختلاف ، ذلك أن الجبال التوائية ، تم رعاها ، مثل الجبال الالبية فى أوربا ، أثناء الفترة الالبية البانية للجبال فى غضون عصر الزمن الجيولوجى الثالث . وهى لذلك تمثل اضافة حديثة ليابس القارة الافريقية ، تلك القارة التى لا تضم سوى القليل من الجبال الالتوائية .

ولقد كان الرفع والالتواء أقل تعقيدا وعنفا فى جبال أطلس منه فى أوربا ، لهذا نجد صخورها الرسوبية التى احتواها وتضمنها الالتواء ظلت محتفظة بخصائصها الاصلية ، فبى لم تتعرض لعمليات التحول الصخرى التى تصاحب عمليات الرفع والالتواء أحيانا . وهكذا نجد الصخور الجيرية منتشرة فيها منتشرة انتشارها وشيوعها فى كثير من أراضى حوض البحر المتوسط . ومع هذا فان حركة الرفع والالتواء فى بعض جبال الاقليم ، خصوصا فيما

يعرف باطنس العليا ، فد استطاعت أن تحتوى كتلا صخرية بللورية قديمة ، ربما كانت جزء من صخور الدرع والركيزة ، وأن ترفعها عاليا حتى أنها تبرز الآن شامخة تتوج هامات الجبال ، بعدما اكتسحت التعرية ما غطاها من صخور رسوبية .

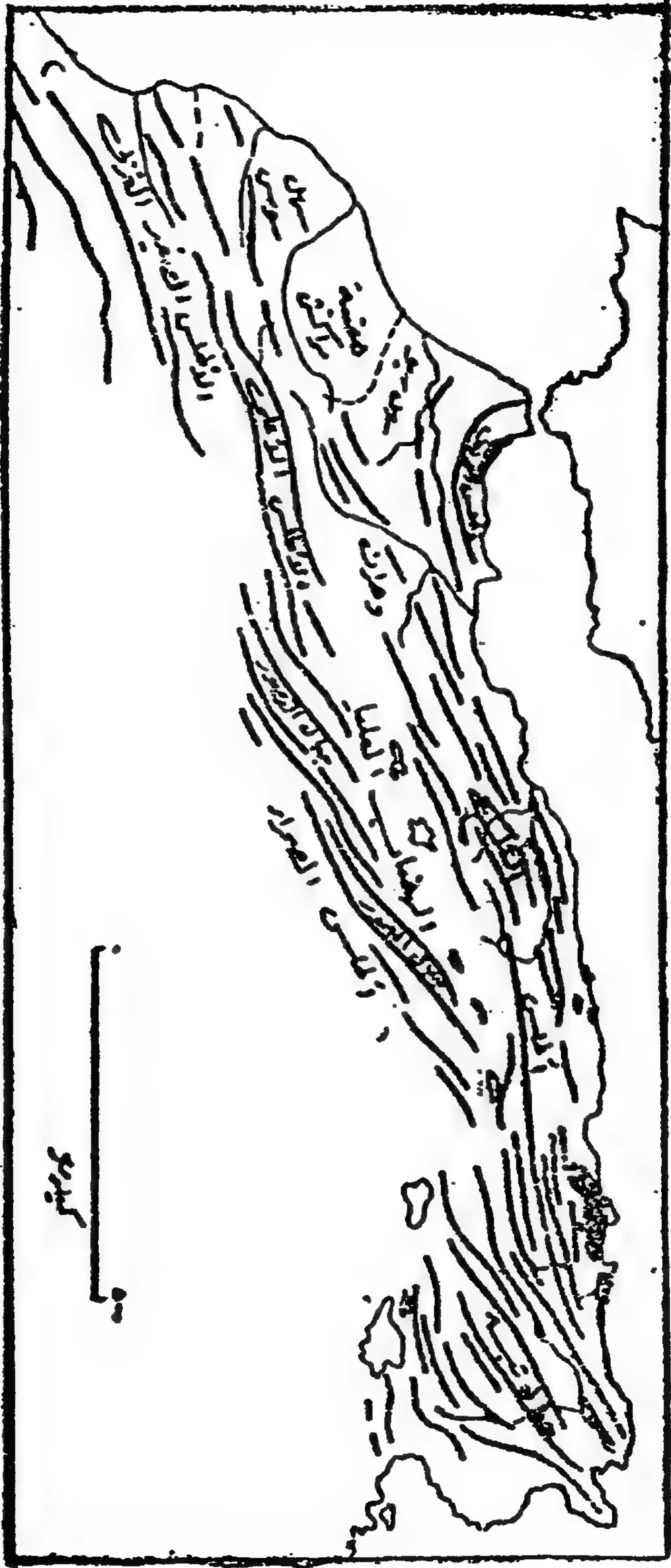
وتوجد أكثر سلاسل الجبال تعقدا في مراكش ، حيث يمكن التعرف على سلسلتين رئيسيتين : سلسلة شمالية ، وسلسلة جنوبية . وتقع بينهما هضبة مثثة الشكل قاعدتها تمتد مشرفة على ساحل المحيط الاطلسي ، فيما بين مدينتي الرباط والصويرة (موجادور) . وتعرف هذه الهضبة أحيانا باسم «مزيتا مراكش» ، وهى تمثل كتلة وسطى ، بين سلسلتين جبليتين متوازيتين . وهكذا يتمثل هنا أيضا نظام الالتواء الالبى ، كما يراه كوبر Kober ، وكما نلاحظه في كل النظم الالتوائية الحديثة في مختلف القارات .

سلاسل أطلس العليا :

ولعل أبرز ظاهرة تضاريسية في القسم الجنوبى من البلاد هى سلسلة أطلس العليا ، فهى أكثر السلاسل شموخا وروعة ، وهى تواصل امتدادها شمالا بشرق ابتداء من الساحل الاطلسي قرب أغادير ، وتتقطع أوصال الجبال عند الساحل ، فتبدو بهيئة جروف قائمة عظيمة ، كما تبرز في البحر برؤوس أرضية رائعة . ويتميز الجزء الاوسط من هذه السلسلة باحتوائه على كتل الصخور البللورية الاقدم ، التى أصابها الالتواء الكثيف واحتواها ، فدفعها ورفعها لتستقر في أعلى الجبال مكونة لقممها العالية .

وتعلو أكثر المناطق ارتفاعا منسوب ٣٣٠٠ متر ، وتبدو في معظمها بهيئة هضاب عالية . ويشمخ جبل تويكال الى ارتفاع يناهز ٤٧٠٠ متر . وهو أعلى جبال مراكش ، ويقع على بعد ٦٥ كيلو مترا جنوب مدينة مراكش . يليه في الارتفاع جبل ايغيل مجون الذى يصل ذراه قرابة ٤٠٠٠ متر ، ويقع على بعد ١٦٠ كيلو مترا شرقى مدينة مراكش وتغطى الثلوج معظم قمم أطلس العليا حتى ارتفاع ٢٤٠٠ مترا . لكنها تنصهر وتتلاشى تماما في الصيف .

وتشكل أطلس العليا نطاق تقسيم مياه شديد الوضوح . ومنها تنبع عدة أودية نهريّة بعضها دائم الجريان ، وبعضها موسمي . فعلى سفوحها الغربية المطيرة ينحدر أطول أنهار المغرب ، وهو نهر «أم الربيع» ، الذى يبلغ



شكل (١٠) ...
 أعدادات الالتواءات الرئيسية بشمال غرب أفريقيا
 المناطق المظلمة بالأسود تمثل كتلا قديمة

طوله نحو ٥٠٠ كيلو مترا . وهو ينبع من جبل ايغيل مجون ، ويجرى نحو الغرب ليصب في المحيط الاطلسي جنوب غرب الدار البيضاء عند بلدة أزموور .

السهل الساحلي :

يقسم سكان المغرب السهل الساحلي المطل على الاطلسي الى قسمين :

القسم الذي يقع الى الشمال من وادي نهر أم الربيع ، ويسمى «المغرب» والقسم الواقع جنوب النهر ويسمى «الحوز» . ومدينة مراكش حاضرة الحوز وسوقه ، ويخترق الحوز عدد من الانهار منها نهر «قانسيفت» ، الذي ينبع من جبل تيكال ، ويمر بمدينة مراكش ، ثم يتجه غربا ليصب في المحيط الاطلسي . ومياهه وفيرة في الشتاء لتساقط الامطار ، كما تغذيه مياه ثلوج جبل توبكال المنصهرة في الربيع والصيف .

وينبع وادي «سوس» من جنوب كتلة جبل توبكال ، وينتهي الى المحيط الاطلسي قرب أغادير ، ويتغذى صيفا بمياه الثلوج المنصهرة . أما وادي دراع فينبع من السفوح الشرقية للأطلس العليا ، ثم يتجه جنوبا بشرق ، ثم جنوبا بغرب مع الحدود المغربية الى ان ينتهي في المحيط الاطلسي جنوبى منطقة افنى . ونظرا لشح التساقط فوق السفوح الشرقية للجبال فان الوادي موسمي ، يجرى بالماء شتاء ويجف صيفا ، رغم انه أطول أودية المغرب ، اذ يبلغ طوله زهاء ١٢٠٠ كيلو متر . وهو يجرى جنوبا ثم يدور غربا على امتداد حضيض الهامش الجنوبي لسلسلة جبال أطلس الخلفية ، بينها وبين حمادة دراع ، الواقعة ضمن الحدود الجزائرية . وهو يشكل في جزء كبير من مجراه الحدود المغربية الجنوبية ، والى الشرق من المجرى الاعلى ذى الاتجاه الشمالى الجنوبي لوادى دراع ، يجرى وادي «زيز» الذى يروى واحة كبيرة مشهورة تسمى طاقيالت .

سلاسل أطلس الخلفية :

وتقع أطلس الخلفية الى الجنوب من أطلس العالية ، وهى كتلة ذات سطح شبه هضبي ، ويفصلها عن أطلس العالية منخفض «سوس» المثلثي الشكل . وخلال هذا المنخفض يجرى وادي سوس ، كما أسلفنا ، ليصل الى المحيط جنوبى أغادير مباشرة . وتعرف أطلس الخلفية أحيانا باسم جبال بانى ، وهى تتصل بأطلس العليا بواسطة كتلة جبلية بركانية النشأة

وتتألف أطلس الوسطى من عدة سلاسل متوازية ، أقل ارتفاعا من أطلس العليا ، ومتوسط ارتفاعها لا يزيد على ١٨٠٠ متر . وتبلغ أقصى ارتفاع لها في جنوبي ممر تازة ، حيث يصل ذراها ٣٣٤٠ مترا في قمة بني وادين . وتمثل أطلس الوسطى نطاق تقسيم مياه بين الانهار المتجهة نحو المحيط الاطلسي ، كنهر السبوع وام الربيع ، وتلك التي تجرى نحو البحر المتوسط كنهر مولوية .



شكل (٦٣)

تضاريس المملكة المغربية

ويجري نهر مولوية شرقى سلاسل أطللس الوسطى ، ويحدها من تلك
الجهة ، متجها نحو البحر المتوسط ليصب فيه فيما بين مدينة مليلة والحدود
الجزائرية ، ونابعا من السفوح الشمالية لجبل عياشى . ويتأخم وادى مولوية
من جهة الشرق اقليم وجده الهضبي ، وهو جزء من حصاب الشطوط العليا
التي تواصل امتدادها في الجزائر بين أطللس الصحراء وأطللس البحرية .

ومن بين الانهار التي تنبع من السفوح الغربية للأطللس الوسطى نهر
السبوع الذى يمر بجنوب شرقى مدينة فاس ، ثم شمالا ثم غربا الى أن ينتهى
في المحيط الاطللسى عند ميناء الحنق الثاى (القنيطرة سابقا) ويشكل وادى
السبوع مع ممر تازة وأدنى نهر مولوية طريقا سهلا يصل بين أطللس الريف
في الشمال ، وأطللس الوسطى في الجنوب ، ويوصل ما بين الجزائر والبحر
المتوسط من جهة ، ومراكش وأراضى المغرب المطلة على الأطللس من جهة
أخرى .

سلاسل أطللس الريف :

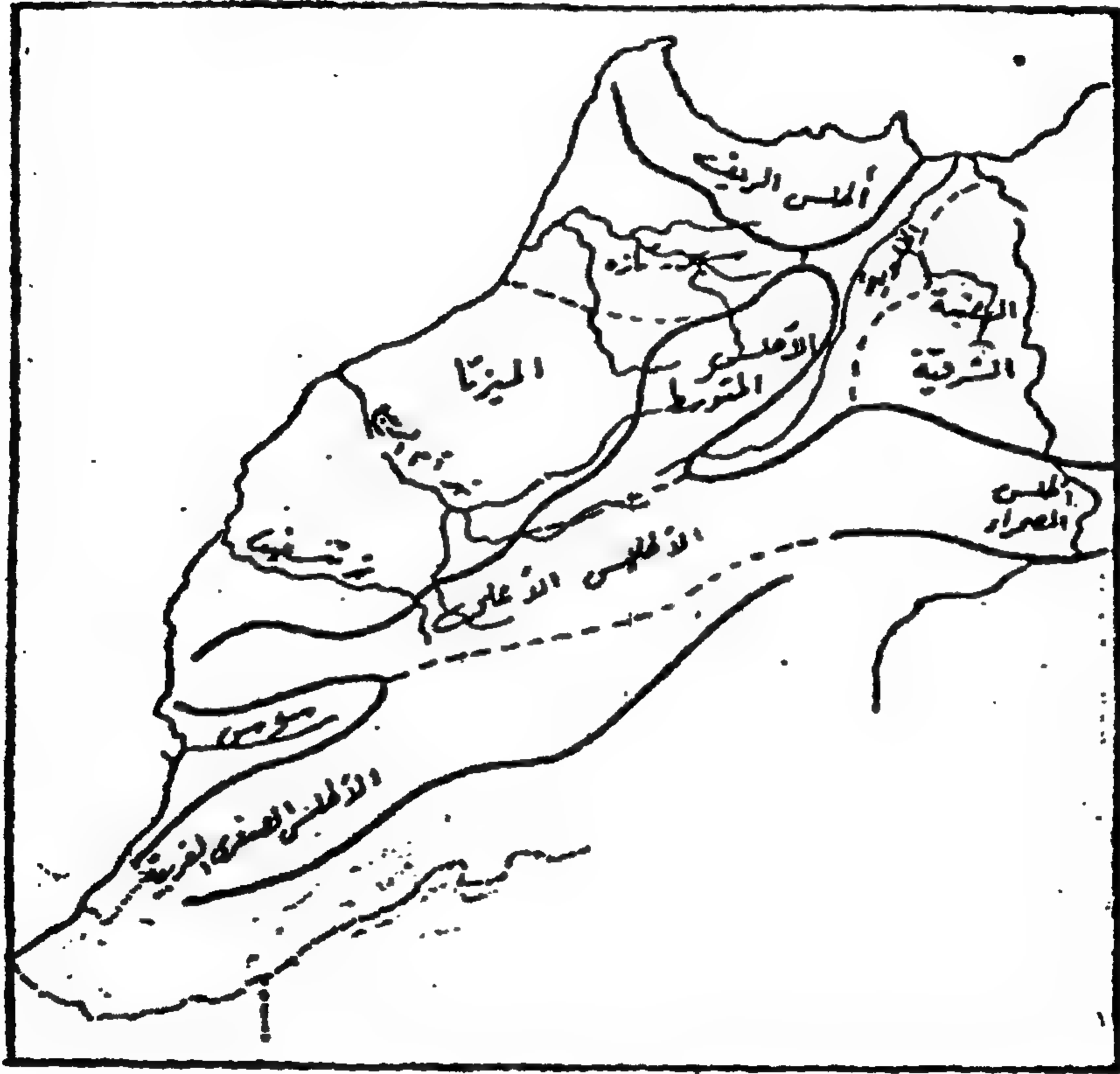
وتمتد أطللس الريف من الشرق الى الغرب بصفة تقريبية ، ويحدها
شرقا الوادى الادنى لنهر مولوية ، ومنه تمتد على طول ساحل البحر
المتوسط ثم تنحرف شمالا صانعة قوسا يتجه نحو مضيق جبل طارق . ويفصل
سلسلة أطللس الريف عن أطللس الوسطى ممر عريض ، يصل بين وادى
مولوية الادنى ووادى السبوع الخصيب . وعلى الرغم من أن أطللس الريف
ليست في شموخ أطللس العليا وأطللس الوسطى ، اذ لا يزيد ارتفاع أعلى
قممها وهى قمة تدغين عن ٢٤٨٠ مترا ، فانها وعرة وصعبة الاجتياز .
وهكذا كان الثوار بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابى يجدون في كهوفها
ومسالكها الوعرة الامن والأمان ، وتمكنوا من الصمود أمام جحافل الاسبان
مست سنوات كاملة .

مزيتا المراكشية :

وتقع الهضبة المغربية المسماة «المزيتا المراكشية» بين وادى السبوع في
الشمال ، وأطللس العليا في الشرق والجنوب ، والمحيط الاطللسى في الغرب ،
ويبلغ متوسط ارتفاعها نحو ٣٣٠ مترا . والمزيتا المراكشية هضبة قديمة ،
من حولها التوت الرواسب مكونة لسلاسل جبال الأطللس : وقد تسببت قوى
الالتواء والضغط الهائلة التي تعرضت لها كتلة الهضبة في أحداث تكسرات

في الجزء الجنوبي منها ، مما أدى الى هبوط نشأ عنه تكوين السهل المعروف باسم سهل مراكش .

ويخترق المزيता المراكشية عدة أنهار تنتهي الى المحيط الاطلسي . وهي دائمة الجريان . وتدين بدوام تدفق المياه في مجاريها الى كثرة التساقط متزايدة وثلجا فوق سلاسل الجبال العالية . ففي الشمال يجري نهر السبوع ونهر بورقراق ، لكنهما لا يخترقان سوى الركن الشمالي الشرقي من المزيता . أما نهر أم الربيع ؛ ونهر تنسيفت الذي يقع بالقرب من مدينة مراكش ، فانهما يجريان فوق الهضبة باستثناء منطقتي المنبع والمصب .



شكل (٦٤)

الاقاليم الجغرافية للمغرب

المناخ

العوامل المؤثرة في مناخ المغرب :

يقع المغرب كما رأينا في الجانب الغربي من كتلة اليابس الاوربية

الافريقية ، في مجال دوائر العرض المعتدلة الدفيئة . ويمكن القول بصفة عامة بأن مناخه ينتمى لنوع البحر المتوسط . ويعنى هذا تعاقبا فصليا لرياح غربية تصحبها الاعاصير التى تتحرك شرقا آتية من المحيط الاطلسي اثناء شهور فصل الشتاء ، تتلوها رياح تجارية شمالية في فصل الصيف . وهكذا يصبح الشتاء ممطرا ، والصيف جافا . ونظرا لوجود اختلافات محلية ملحوظة ، وجب علينا مناقشة احوال المناخ بشيء من التفصيل .

وهناك ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر في التفاوت المحلي لظروف مناخ المغرب هي : الامتداد بالنسبة لدوائر العرض ، ومدى الاختلاف في مظاهر السطح ، ثم درجة التأثير بالمؤثرات البحرية .

تأثير الموقع بالنسبة لدوائر العرض :

لاشك ان الامتداد بالنسبة لدوائر العرض يكون ذا أهمية خاصة بالنسبة لبلاد كالمملكة المغربية تقع أراضيها خلف الهامش الجنوبي الحدى لمناخ البحر المتوسط ، فيما بين دائرتي عرض ٢٧ و ٣٥ درجة شمالا ، أى تمتد فوق نحو تسع درجات عرضية ، لهذا فاننا نتوقع وجود اختلافات مناخية واضحة بين الجنوب والشمال .

مثال ذلك المطر الذى يتناقض مقداره بدرجة ملحوظة كلما اقتربنا من الصحراء التى تسودها الرياح التجارية . وهكذا تتلقى مدينة طنجة كمية سنوية من المطر مقدارها ٨٢ر٥ سم ، بينما يصيب الصويرة (موجادور) نحو ٧٠ر٥ سم من المطر سنويا ، وفيما بينهما الدار البيضاء التى يسقط عليها نحو ٤٠ سم من المطر .

اثر درجات العرض في الحرارة صيفا وشتاء :

ومرة أخرى تتدخل دائرة العرض في درجات الحرارة بالصيف على الخصوص ، فحرارة الصيف في الجنوب أعلى منها في الشمال . وهكذا نرى متوسط حرارة شهر أغسطس وهو أحر الشهور في طنجة نحو ٢٣ر٥ درجة مئوية ، أما في تاجوديت على الحدود الجنوبية لمراكش ، فان حرارة يوليو، وهو أحر الشهور بها ، متوسطها ٣٢ درجة مئوية . ولا تعطى المقارنات الحرارية في الشتاء نفس التأثير . وذلك بسبب الفعل اللطيف لمياه البحر والمحيط ، الذى يتضح في رفع حرارة الشتاء نسبيا على امتداد الساحل .

ولهذا نجد حرارة أبرد الشهور (يناير) في طنجة ٩ر٥ درجة مئوية ، وفي تاجوديت نحو ١١ درجة مئوية ، وهكذا نجد تأثير خط العرض في حرارة الشتاء قد توازى بسبب المؤثرات البحرية والقارية التي تسود الدولة في هذا الموسم .

أثر التضاريس في الحرارة :

وتأثير التضاريس على الحرارة كبير جدا ، وهكذا يمكن توقعه في دولة متنوعة مظاهر السطح . فنطاق أطلس أبرد بدرجة ملحوظة من الأراضي المنخفضة . ومع هذا فإن الميزة لا تبدو واضحة فوق الهضاب الداخلية كهضبة «وجدة» ، وهي امتداد لهضاب الشطوط ، في فصل الصيف ، حيث يسمح صفاء الجو ، وخلو السماء من السحب بأشعاع شمس مؤثر ، بما يصحبه من حرارة مرتفعة ، تكون في العادة أعلى من حرارة الساحل .

وفي الشتاء يحدث الأشعاع السريع الحرارة من الهضاب ، وبالتالي تهبط الحرارة . كما وتهب على الهضبة رياح شمالية باردة تنخفض معها درجات الحرارة إلى مادون درجة التجمد . ويتكرر هبوب عواصف الثلج في الشتاء . ومثل هذا لا يحدث على امتداد السهول الساحلية ، حيث يندر حدوث الصقيع ، وحيث يكون متوسط حرارة يناير حول ١٣ درجة مئوية .

أثر تيار كناريا في الحرارة :

هذا وينبغي أن نلاحظ فعل تيار كناريا البارد الذي يمر بجوار ساحل مراكش متجها نحو الجنوب ، والذي يؤثر في تخفيض حرارة الشريط الساحلي بمعدلات تزداد بالاتجاه جنوبا . وهكذا نجد حرارة الصيف في الصويرة أقل من حرارة الصيف في طنجة ، وتبقى حرارة الصيف منخفضة نسبيا بواسطة هذا التيار ، ومتوسطها ٢٠ درجة مئوية ، لكن تأثيره يتلاشى بسرعة بالاتجاه نحو الداخل . وترتفع درجة الحرارة حتى يبلغ متوسطها في شهر أغسطس نحو ٢٩ر٥ درجة مئوية في مدينة مراكش .

المطار والعوامل المؤثرة فيها :

ويتأثر توزيع الأمطار وكميتها تأثيرا كبيرا بالعوامل الثلاثة المشار إليها : دائرة العرض ، والمؤثرات المحيطية ، والتضاريس . فنجد كمية المطر تتناقص كلما اتجهنا من البحر المتوسط شمالا نحو الصحراء جنوبا . وذلك

بسبب اضمحلال تأثيرات الرياح الغربية وما يصحبها من أعاصير . كما
نتوقع تناقصا في كمية المطر كلما اتجهنا من المحيط الاطلسى غربا الى الداخل
شرقا . فكمية امطار طنجة تبلغ ٨٢ر٥ سم ، والندار البيضاء ٤٠ سم ،
ومراكش ٢٤ سم .

ويظهر اثر التضاريس جليا فيما يصيب منحدرات الجبال من امطار
تتفاوت كميتها حسب الموقع والتوجيه ، فمنحدرات اطلس المواجهة للبحر
كثيرة المطر . وهكذا تسقط على السفوح الغربية لاطلس الوسطى واطلس
العليا كمية من الامطار قد تصل الى نحو ١٥٠ سم (٦٠ بوصة) ، بينما يقل
التساقط على السفوح الشرقية الواقعة في ظل المطر .

وتعكس خريطة المطر اشكال السطح ، فهي مرآة للتضاريس ، وتمثل
قمم الجبال حدا فاصلا بين سفوح مواجهة للرياح الممطرة ، وأخرى مقابلة ،
تليها أراضي شحيحة المطر ، وهكذا نرى هضبة «وجدة» التى لا تبعد كثيرا
عن البحر المتوسط لكنها تقع في ظل امطار اطلس في الغرب واطلس الريف
واطلس التل في الشمال ، لا تتلقى من الامطار سوى كمية تقل عن ٣٠ سم .
بيما يحظى اقليم الريف واطلس الوسطى وسهل السبوع بامطار تزيد
كميتها السنوية على ٥٠ سم .

والصيف في جميع أرجاء المغرب العربى جاف فيما عدا اطلس المراكشية،
حيث يسبب الارتفاع الكبير سقوط بعض المطر . ويحدث نحو ٨٠% من
التساقط اثناء مرور الاعاصير في فصل الشتاء .

وقد أشرنا الى الرياح الشديدة البرودة التى تهب على أرض المملكة من
الشمال خلال فصل الشتاء ، والتى تسبب انخفاض الحرارة الى مادون
درجة التجمد ، وتتساقط الثلوج فوق الاطلس . ونذكر هنا الرياح الجافة
الشديدة القىظ التى تهب في فصلى الربيع والصيف من الصحراء ، حاملة
معها رمال الصحراء الناعمة ، فيغبر الجو ويتلبد بسحب التراب ، وتصبح
الرؤيا سيئة . وتعرف هذه الرياح الكريية التى تجلب معها الطقس السىء
باسم السيروكو . ومثلها معروف ، في كل النطاق الجنوبى للبحر المتوسط ،
وتسمى «القبلى» في ليبيا و «الخماسين» في مصر .

النبات الطبيعي

يتباين النبات الطبيعي في دولة المغرب تباينا كبيرا تبعا لتنوع التضاريس والتفاوت في كمية الامطار . مثال ذلك تنمو اشجار من النوع شبه الصحراوي فوق حضبة وجدده . ويمكن القول بصفة عامة ان النبات يضمحل ويزداد فقرا كلما ابتعدنا عن البحر المتوسط واتجهنا جنوبا وعن المحيط الأطلس نحو الداخل .

وينمو على امتداد النطاق الساحلي للبحر المتوسط نبات البحر المتوسط المثالي من نوع حشائش الماكي ، وادغال من الاشجار الدائمة الخضرة . واشجار البلوط الفليني ، ونباتات أخرى حشائشية مزهرة .

وتشغل غابات البلوط والصنوبر مساحات واسعة من سفوح الجبال الغزيرة المطر ، رغم ان كثيرا منها قد قطع بواسطة السكان أو قضت عليه الحرائق ، وتقع غابة مامورا المشهورة في شمال شرقي الرباط على الهامش المطر من المزييتا المراكشية ، وهنا قد جرى تعويض ما قطعه الانسان ، وأزالته الحرائق بغرس الكثير من اشجار الصنوبر ، ولا تقل عن هذه الغابة شهرة وجمالا غابة الارز فوق أطلس الوسطى .

ويصبح النبات فقيرا وهزيلا حيثما يقل المطر . فتتفرق أعشاب الماكي، وتصبح الحشائش خشنة ، وفي جنوب أطلس الخلفية وأطلس الصحراء ، يتحول هذا النبات شبه الصحراوي الى الصحراء ، وهي في معظمها عرق رملي قاحل . وتقع كثير من الواحات قرب حضيض الجبال ومنها تافيلالت وفجيج ، وتقعان قرب أسفل أطلس الصحراء في الركن الجنوبي الشرقي من الدولة المغربية قرب الحدود الجزائرية . وبعضها بعيد في الصحراء مثل تاجديت .

الجغرافيا البشرية

السكان

عناصر السكان وأصولهم :

يعتقد ان السكان الاصليين لدول المغرب الثلاث من العنصر الحامي ، وينتمون الى فرع يعرف بالفرع البربري ، ولهذا تعرف دول المنطقة لدى الاوربيين احيانا باسم الدول البربرية ، ويشبه البربر شيئا كبيرا بعضا من

شعوب جنوبى اوريا ، كالشعب الاسبانى والشعب الايطالى ، كما يشبهون الشعوب المجاورة فى ليبيا ومصر . فنجد البنية متوسطة ، والقامة طويلة الى متوسطة ، والبشرة ضاربة الى السمرة ، والشعر اسود مموج ، ولون العيون بنى فى العادة .

وقد وفدت الى المغرب موجة من المهاجرين أكثر عددا من البربر الحاميين هم العرب او المراكشيون ، وهم شعب سامى اتى فى سلسلة من الغزوات ، ابتداء من القرن السابع الميلادى ، ومنذ ذلك الوقت حدث تزاوج واختلاط كبير بين البربر والعرب ، خصوصا أن الجيوش العربية كانت كلها من الرجال ، فلما استقر بهم المقام تزوجوا من نساء البربر ، وهكذا نشروا الإسلام واللغة العربية ، ولقد وفد العرب أصلا من الشرق ، فدفعوا بغالبية البربر غربا ، ولعل هذا يفسر خلو تونس من البربر فى وقتنا الحاضر . بينما يتكلم اللغة البربرية ما يزيد على نصف مكان المملكة المغربية .

هذا ولم يتمكن الفرسان العرب من السيطرة الكاملة على جبال أطلس وجنوبى مراكش ولهذا فقد بقيت بربرية السكان . ولا يختلف العرب كثيرا فى مظهرهم وسماتهم عن البربر ، لكنهم بالطبع يتكلمون العربية التى تختلف عن اللغة البربرية ، بالإضافة الى الحرفة ، فهم أكثر بداءة ، ويحترقون الرعى أكثر من الزراعة . ويدير العرب شئونهم بنظام فردى ، فاشيخ هو القائد الذى لا يناقش فى تدبير شئونهم ، وله وضعه الخاص دينيا واجتماعيا .

وقد استوطن المغرب عدد كبير من الاوربيين خلال النصف الاول من هذا القرن ، وكلهم تقريبا من المزارعين الفرنسيين . وقد استقر معظمهم فى السهول الساحلية ، وكان عددهم فى عام ١٩٥٦ ، وهو عام استقلال المملكة ، نحو ٤٩٥ ألفا ، انخفض بعد التحرر والاستقلال وأصبح فى عام ١٩٧٠ نحو ٢٠٠ ألف ، وفى عام ١٩٨٠ - ١٤٠ ألفا ، وفى ١٩٨٣ نحو ١٢٥ ألفا ، وهم الآن (١٩٩٥) أقل من ٧٠ ألفا .

اعداد السكان ونموهم وتوزيعهم وكثافتهم :

وقد بلغ عدد سكان دولة المغرب حسب احصاء ١٩٨٢ نحو ٢٠ر٣ مليون نسمة ، وهم يزدون بمعدل سنوى مقداره ٣ر٣% . وهو معدل مرتفع وصل بالسكان فى عام ١٩٨٧ الى نحو ٢٣ مليون نسمة وفى ١٩٩٤ تقديريا الى نحو ٢٨ر٥ مليون نسمة . ومعدل المواليد بالمغرب من أعلى معدلات المواليد فى

العالم اذ يبلغ ٤٩.٥% . والهزم السكاني العمرى عريض جدا عند قاعدته فتبلغ نسبة فئة السن دون ١٥ سنة نحو ٤٦% ، وتقل أعمار أكثر من نصف السكان عن ٢٠ سنة .

وتبلغ الكثافة السكانية نحو ٦٢ نسمة فى انكيلو متر المربع ، لكن هذه النسبة تزيد أو تقل حسب ظروف الغنى والفقير فى مختلف الاقاليم المغربية، فهناك عدم توزن فى توزيع السكان على رقعة الدولة ، مثل المغرب فى ذلك مثل كل البلاد العربية .

وفى المغرب يتركز معظم السكان فى حوالى نصف مساحة المملكة ، وفيه تكثر المدن وتكبر حجما ، وفيه ترتفع الكثافة السكانية . مقابل نصف محدود الخيرات قليل السكان نادر المدن . ويمكن القول بصفة عامة أن الكثافة السكانية ترتفع فى السهل الساحلى ، وفى اقليم الريف ، وفى منطقة المزيقا المراكشية ، بينما تقل فى الجبال العالية ، وفى مناطق الشرق والجنوب شبه الجافة والجافة . وترتبط الكثافة السكانية أيضا بمدى السكن الزراعى والمدن . وفى الاقليم الساحلى والاودية الخصبة ، مثل اودية أم الربيع والسبوع ، يظهر تركيز مدنى كبير مما يؤدى الى مضاعفة الكثافة السكانية .

المدن

يسكن المدن فى دولة المغرب نحو ١١ مليون نسمة ، بينما يقطن الريف نحو ١٧ مليون نسمة . والعمران الحضرى أخذ فى النمو السريع . ورغم كثرة المدن المغربية فإن أيا منها لم يبلغ المليون حتى أواسط الستينيات . ومنذ بداية السبعينيات تضخم عدد سكان مدينة الدار البيضاء وفاق المليون . كما شهدت مدن أخرى نموا سريعا وخاصة مدينة الرباط . وفيما يلى عرض للعمران الحضرى معتمدين فى السكان على تقديرات عام ١٩٩١ .

• تقع مدينة الرباط (سكانها نحو ١.٣٦ مليون نسمة) فى نطاق سهل فسيح هو حوض السبوع الأدنى ، الذى يشمل سهل الغرب فى شمال مجرى النهر ، وسهل بنى أرسيد فى جنوبه ، وسهل ميدى قاسم . وهى عاصمة الدولة ، رغم أنها ليست أكبر مدنها ، وهى مدينة جميلة جذابة ، لكنها كميناء تقف وراء الدار البيضاء ، وميناء الحسن الثانى (القنيطرة) . والرباط إحدى العواصم الأربع فى الايام الخالية . وقد اختيرت عاصمة للمملكة فى عام ١٩٦٢ ، مما زاد من أهميتها ، ومن نموها السكانى الذى

تضخم بعد ذلك بسرعة ، حتى أصبحت تحتل المركز الثانى بعد الدار البيضاء ، بعد أن كانت رابعة المدن سكانا بعد مراكش وفاس .

أما مدينة الدار البيضاء (كازابلانكا) فتدين بنموها وعظمتها كأكبر مدن المغرب الى الفرنسيين . فقد كانت مجرد ميناء متواضع يسكنها نحو ١٠ آلاف نسمة فى عام ١٩٠٧ ، وأصبحت احدى الموانئ الرئيسية فى القارة الافريقية ، وأصبح سكانها الآن يناهزون ٢٤٠٩ مليون نسمة ، أى نحو عشر سكان المملكة ، وكان الاوربيون يكونون أكثر من ربع سكانها قبل الاستقلال ، لكنهم الآن لا يبلغون العشر . ويتركز فى الدار البيضاء نحو نصف الصناعات المغربية ، وبالتالي تحتل المركز المالى الاول بين مدن البلاد .

ويخدم الميناء معظم أراضى الدولة ، فعن طريقه يتم نحو ثلاثة أرباع التجارة الخارجية بين صادر ووارد ، ورغم أن المأوى الطبيعى للملاحة ليس ممتازا ، فإن مياه المرفأ عميقة ، ولا توجد عمليات اطماء تحتاج الى تطهير . والميناء مزود بارصفة كثيرة . وبكل ما يحتاجه المرفأ الحديث من أدوات وتسهيلات .

والمدينة هى المركز الصناعى الرئيسى فى البلاد . وفيها يتم تصنيع السوبر فوسفات ، وطحن الغلال ، وصنع المكرونة ، وعد زيت الزيتون الذى يستخدم فى عمل الصابون ، وتنتج مصانع المدينة الاسمنت الذى تشتد اليه الحاجة بسبب التوسع العمرانى ، كما تنتج الملابس والادوات المنزلية . وبالإضافة الى وظيفتها الصناعية والتجارية ، فإنها ميناء صيد الاسماك الاول فى المملكة . ويحفظ السمك ويعلب للتسويق فى الداخل ، وللتصدير الى الخارج . ومينائها الجوى ذو أهمية عالمية ، كما هى مركز للطرق البرية والسكك الحديدية .

ومدينة مراكش (تعدادها ٧٤١ ألف نسمة) هى أكبر مدن الداخل ، وعاصمة الجنوب المغربى . وهى تتوسط صقعا فسيحا من أشجار النخل ، مما يعطيها مظهر واحة فى الصحراء . وهى مركز تجارى وسوق كبيرة ، حيث يتم فيها تبادل منتجات المناطق الغربية والشمالية الرطبة من حبوب وفواكه ، بالإضافة الى السلع المستوردة ، بمنتجات الداخل والجنوب الشرقى الجاف من تمر وجلود . وبها الكثير من الحرفيين الذين يصوغون الذهب ، ويصنعون النحاس والالوانى ، والجلود والصوف

ومدينة فاس (سكانها نحو ٧٦٠ ألف نسمة) تشرف وتتحكم في شرقى سهل وادى السبوع (سهل رهاب) ومشارف دهليز تازا . وهى منذ القدم مركز طرق وسوق شهيرة ، كما ظلت قرونا عديدة عاصمة للمغرب ، وتستفيد من المياه الغزيرة الوفيرة التى تاتيها من عدد كثير من المجارى المائية النابعة من جبال اطلس . وهى مركز دينى له شهرته بين بلدان العالم الاسلامى ، ويطلق عليها (مكة المغرب) رغم أن شهرتها الدينية قد اضحت في وقتنا الحاضر . وهى ما تزال العاصمة الدينية لدول المغرب ، ولجامعتها احترامها في المجالات الثقافية والعلمية ، فهى احدى مراكز الاشعاع الفكرى في العالم العربى .

مكناس (سكانها نحو ٦٥٧ ألف نسمة) لم تستطع بلوغ شان مدينة فاس في يوم من الايام ، رغم انها المركز الرئيسى لاقليم زراعى كثير الانتاج . وتشتهر بصناعة السجاد وبالتطريز ، وهى مركز للاستشفاء بسبب جفاف هوائها . وبها آثار قصور لسلطين القرن السابع عشر الذين اهتموا بها ، وانشاوا الكثير من القصور والقلاع والحدائق ، ولذلك تسمى «فرساي مراكش» .

ويقع ميناء الحسن الثانى (نحو ٦٠٨ ألف نسمة) الى الشمال من الرباط ، وقد انشاه الفرنسيون باسم بورت لوتى ، بجوار مدينة المهدية القديمة ، وتغير الاسم الى القنيطرة ثم الحسن الثانى . وهو ثانى موانئ المغرب ، والمنفذ الرئيسى لسهل السبوع (سهل رهاب) ، ولكن يعيبه موقعه عند مصب السبوع مما يؤدى الى الاطماء الذى يحتاج الى تطهير مستمر . ويشتهر ظهورها بانتاج انحبوب والكروم ، والحمضيات والخضر والفواكه للتصدير .

وقد اضمحلت اهمية طنجة (سكانها نحو ٤١٠ ألف نسمة) كميناء تصدير واستيراد مغربى . وكانت المدينة فيما بين عامى ١٩٢٣ و ١٩٥٦ ذات صفة دولية ، بسبب موقعها الاستراتيجى الهام ، ثم ضمت لدولة المغرب . ورغم ما تتميز به طنجة من موقع جغرافى ممتاز ، على اهم طريق بحرى في العالم ، ومن ميناء عميق محمى من انواء البحر ، فانها لا تسهم في نحارة المغرب الخارجية بنصيب يذكر . ومرد ذلك الى تطرف موقعها بعيدا عن مناطق الانتاج والعمران .

ويأتي ميناء صافي (سكانه نحو ٣٤٥ ألف نسمة) في المرتبة الثانية كميناء تصدير واستيراد لدولة المغرب ، بحصة في التجارة الخارجية مقدارها ١٨٪ . وهي أكثر الموانئ مكانا جنوبي الدار البيضاء ، ويسهم الفوسفات بنحو ٩٥٪ من قيمة صادرات الميناء ، تليه معادن أخرى كالحديد والرصاص والمنجنيز ، ثم الحبوب . وهناك مرفأ خاص بالميناء مخصص لسفن صيد الاسماك . وهي الميناء الاولى لصيد الاسماك بالبلاد وبها أكبر مصانع حفظ وتعليب السمك .

وميناء أغادير هو المنفذ الرئيسي لتجارة سهل وادي سوس الخصيب ، وكان سكانها قد بلغوا أربعين ألفا قبل أن يدمرها زلزال عام ١٩٦٠ . وقد استعادت المدينة عمرانها ، وبلغ سكانها نحو ٣٣٣٠٠٠ في عام ١٩٩١ ، وتزخر مياهها بأسراب أسماك السردين . وهي ميناء صيد الاسماك الثاني بعد صافي ، وتصيد وحدها ما يناهز ثلث جملة الصيد بسواحل المغرب .

وتبقى الإشارة الى مدينة وجدة أكبر مدن شرق دولة المغرب ، وقد ناهز سكانها ٦٣٦ ألف نسمة . وهي مركز لهضبة وجدة وسوق لمنتجاتها ، كما تخدم مناطق استخراج الفحم في منطقة كولومب بيشار الجزائرية ، اذ يمر بها الخط الحديدي من الواحة المذكورة الى ميناء نيمورس أو الغزوات الجزائرى ، ولذلك فهي حلقة اتصال بين المغرب والجزائر .

الجغرافيا الاقتصادية

الزراعة والانتاج الزراعى

يتضح من المصادر الاحصائية أن القوة العاملة في المغرب قد ارتفعت من ٣ر٨ مليوناً في عام ١٩٧٠ ، الى ٥ر٢ مليوناً في عام ١٩٨٣ ، وإلى نحو ٦ر٧ مليوناً في عام ١٩٩٤ . وتتوزع هذه القوة على أوجه النشاط الاقتصادى بنسب متفاوتة . وتشغل أكبر نسبة ومقدارها ٥٤٪ بالقطاع الزراعى العام ، الذى يضم الزراعة والرعى والغابات ، أما قطاع النقل والتجارة والخدمات فيستحوذ على نحو ٤٥٪ من القوة العاملة . ويشغل بأعمال التعدين نسبة ضئيلة لاتتعدى ١٪ من قوة العمالة .

موارد المياه ومشاريع الري :

ويسقط على نصف مساحة المملكة مقدار من المطر لا يمكن أن يقى

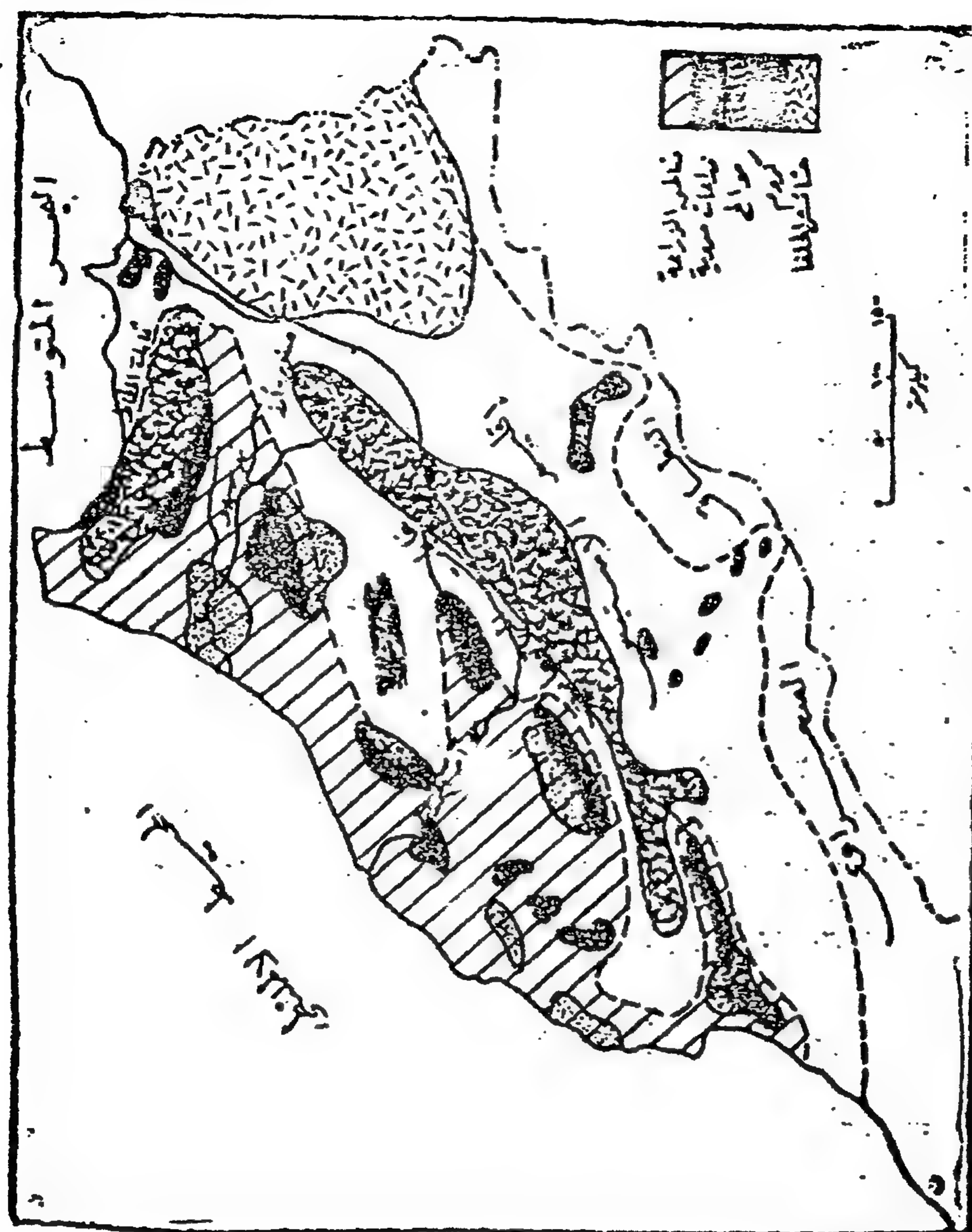
بحاجة الزراعة ، ومقداره يقل عن ٢٠ سم في السنة ، ولولا وجود مصادر مائية أخرى لاصبح هذا النصف كله مرتعا للبدانة والرعى . ويسقط على ربع مساحة الدولة قدر من المطر يتراوح بين ٣٥ و ٦٠ سم . وفيه تقوم الزراعة ، لكنها تتعرض للفشل اذا ما قل المطر في بعض السنين ، فهي هنا زراعة حدية رغم انتشارها . ويعتبر الربع الاخير من مساحة البلاد صالحا للزراعة على المطر ، اذ يحظى بمقدار سنوي منه يزيد على ٦٠ سم ، لكن يعيبه هذه المرة كثرة التضرس والانحدار ، وافتقاره الى الاستواء وبالتالي فانه لا يزرع بأكمله .

ويزرع بالمغرب نحو ٥ مليون هكتار (حوالي ١٢ر٣ مليون فدان) . وتبلغ نسبة الاراضي الصالحة للزراعة نحو ٦٠٪ من جملة مساحة الدولة . ولكنها تفتقر الى مشروعات الري . ذلك ان موارد المياه في المغرب كبيرة ، بل انها تعادل موارد الجزائر وتونس مجتمعتين ، بسبب اشراف اراضيها على المحيط الاطلسي من جهة ، وارتفاع اراضيها الشاهق من جهة اخرى . وتبعاً لذلك فان أنهارها عامرة بالمياه ، وتحتاج الى مشاريع خزن وتنظيم للمياه .

مشاريع الري :

وعدا السدود القديمة التي أنشئت قبل الحرب العالمية الثانية ومنها سد وادي باث ، أحد روافد نهر السبوع ، في مركز سيدي سليمان ، وسد وادي ملاح بالقرب من الدار البيضاء ، وخزان وادي النفيس بالقرب من مراكش ، أقيمت سدود جديدة ، بعد الحرب ومنها سد على وادي أم الربيع لري سهل تادالا ، وفي ايمفوت لري سهل دوكالا ، وسد طريقة على نهر مولوية الأدنى . وساهمت كلها في زيادة الرقعة الزراعية ، وهناك مشروعات أحدث ، وأهم تهدف الى توفير المياه لري مليون هكتار (حوالي ٢ر٣٧ مليون فدان) . ويعتبر سد محمد الخامس على نهر المولوية ، والذي انتهى العمل به عام ١٩٦٧ ، من أكبر السدود حيث يحجز المياه في بحيرة مساحتها ٤٢٠٠ هكتار ، ويبلغ تصرفه ٢٤ متراً مكعباً في الثانية .

وهناك مشروع سد حمادي الذي ينظم تصريف مياه سد محمد الخامس ، وكذلك تحول مياه نهر المولوية مع رفعها الى علو يكفي للسيطرة على ري ٨٠٪ من الاراضي المطلوب ريها دون الاستعانة بالآلات ضخ . ومن سد حمادي



شكل (٦٥) الرعي والزراعة بالمغرب

الذى يحجز ٤٢ مليون مترا مكعبا تخرج قناتان ، اليمنى اى الشرقية تصرفها ١٨ مترا مكعبا فى الثانية ، وتروى ٤٠ ألف هكتار ، وقناة يسرى اى غربية تكفى لرى ٣١ ألف هكتار . وتبلغ مساحة سهول وادى مولوية الادنى نحو ٣٠٠ ألف هكتار . يزرع منها حاليا ١٣٨ ألف هكتار ، كما يجرى تحسين حالة ٤٤ ألف هكتار بتحويلها الى اراضى رى دائم ، بدلا من اعتمادها على الامطار ومياه الآبار .

المحاصيل الزراعية

الحبوب الغذائية :

تحتل الحبوب الغذائية مكان الصدارة بين الغلات الزراعية بالمغرب ، فهى تشغل نحو أربعة اخماس المساحة المزروعة . وتتركز مناطق انتاجها فى السهول الساحلية ، ووادى السبوع .

القمح :

ياتى القمح فى مقدمة الحبوب الغذائية ، وتتركز زراعته فى اراضى شمالى البلاد ، وخاصة فى سهل الغرب ، وسهل الشاوية . وتزداد مساحة القمح باستمرار ، كما أن انتاجية الهكتار تتحسن من عام لآخر ، وإن كان عامل تذبذب المطر يؤثر تأثيرا بينا فى المحصول ، ولا شك أنه بازدياد الاعتماد على الرى الصناعى ، سيحدث توازن فى الانتاج السنوى ، الذى يحوم حاليا حول ٣٨ مليون طن ، أكثر من نصفه (نحو ٦٠٪) من القمح الصلب ، والباقى من اللين .

الشعير :

ويزرع الشعير فى الجهات القليلة المطر ، وفى التريات الاقل خصوبة ، خصوصا فى الاجزاء الجنوبية . ومساحته أكبر من مساحة القمح ، لكن انتاجه يوازى تقريبا انتاج القمح ، فهو يحوم حول ٣٧ مليون طن سنويا . ويتعرض المحصول للفشل بسبب تذبذب كمية المطر الساقطة من عام لآخر .

الذرة :

تزرع الذرة كغلة صيفية فى الجهات التى تعتمد على الرى ، لان صيف

المغرب جاف . ورغم اعتماد زراعته على الري ، وثبات المساحة المزروعة منه سنويا ، فإن المحصول متذبذب ، وهو يحوم حول ٣١٥ ألف طن .

الخضروات :

يزرع في اراضي المغرب عدد من الخضروات في مساحات متزايدة تنتج ما يكفي الاستهلاك المحلي ، ويفيض قدر مهم كل عام للتصدير . ويساعد المغرب على تنويع انتاجها من الخضار ، التباين في المناخ ، ووفرة المياه ، خاصة في السهول الساحلية التي تتركز فيها زراعة الخضار . وهي تمتاز عن الجزائر في أن خضرها تنضج مبكرة بنحو شهر ، مما يتيح لها فرص التصدير لاوريا في غياب منافسة خضروات الجزائر .

الاشجار المثمرة :

يهتم المغرب اهتماما كبيرا بالاشجار المثمرة، لما لها من مزايا متعددة ، بعضها يختص بفلاحة الارض ، وصيانة تربتها من التدهور ، خاصة فوق سفوح التلال . وبعضها الآخر يخص العائد من انتاجها الوفير ، الذي يستهلك جزء منه محليا كغذاء لا غنى عنه للسكان . وجز كبير يصدر الى الخارج .

الزيتون :

تنتشر زراعة اشجار الزيتون في انحاء كثيرة من المغرب لكنها تتركز على الخصوص في ثلاث مناطق هي : منطقة المزيقا المركشية، ووادي سوس، وحول اغادير .

ويزيد عدد اشجار الزيتون المثمرة على ١٥ مليون شجرة ، وتزداد مساحة الزيتون عاما بعد عام . وهناك برنامج تشجير الزيتون يؤخذ به منذ الستينيات ، يهدف الى زراعة ربع مليون شجرة كل عام .

التين واللوز والنخل :

يوجد بالمغرب نحو ٧ مليون شجرة تين ، وحوالي ٣ر٥ مليون شجرة لوز ، وحوالي نفس العدد (٣ر٥ مليون) لاشجار النخيل . ويستهلك محصول الانواع الثلاثة محليا ، فيما عدا محصول اللوز الذي يصدر قسم منه للخارج .

الكروم والمواالح والتبغ ؛

من بين اهم محاصيل المزارع الاوربية السابقة الكروم والمواالح والتبغ . وينمو نوع الكروم الخاص بصناعة النبيذ في سهل فاس ، ومكناس ، وحول مدينة الرباط . وتنتج المغرب حاليا كميات كبيرة من النبيذ يفيض عن حاجتها للتصدير . أما المواالح أو الحمضيات وخاصة البرتقال ، فتتركز في السهول الغربية ، وفي حوض نهر سوس . ويواجه التوسع في حدائق البرتقال صعوبات تختص بالتسويق الخارجى ، نظرا لكثرة انتاجه في كل دول منطقة البحر المتوسط . وتوجد مزارع الطبايق في الشمال بالقرب من تطوان ، وطنجة ، وتعنى الدولة بزراعتها ، والتوسع فيها ، لانه غلة تجارية مطلوبة .

الرعى والثروة الحيوانية :

للرعى في دولة المغرب اهمية كبيرة . وترعى الاغنام والماعز في كل مكان . ويبلغ عددها معا نحو ٣٠ مليون رأس ، هذا عدا قطعان الابقار ، والخنازير ، والابل . وليس بالمغرب بدابة كاملة . ولهذا فان تربية الحيوان ورعيه يتم في صورة من التنقل المحدود بين الوادى والجبل ، وفي هضاب الشمال الشرقى ، وايضا في سهل سوس ثم في مناطق شبه الجافة . ويقضى الرعاة قسما من السنة في قرى مستقرة ثابتة حيثما توفرت مصادر المياه ، وحين تجود السماء بالمطر . وتخضر سفوح الجبال بالاعشاب والحشائش ، ينتقلون اليها مع قطعانهم .

الثروة الغشائية .

تغطى الغابات مساحة تقدر بنحو ٥٤ ألف كيلو مترا مربعا . وتشمل الغابة انواعا من الاشجار تصلح اخشابها للتصنيع ، كما تغطى اشجار البلوط الفلينى مساحة تناهز ٤ آلاف كيلو مترا مربعا وينزع لحاء اشجار البلوط الفلينى ، ويعد للتصدير . وتحتل دولة المغرب المركز الثالث في انتاج الفلين بالعالم ، بعد كل من البرتغال واسبانيا ، كما تنتج كميات كبيرة من الاخشاب للاستهلاك المحلى وللتصدير .

صيد الاسماك :

صيد الاسماك حرفة عريقة مارسها سكان المغرب منذ القدم نظرا لطول سواحل البلاد على المحيط الاطلسى . وما تزال وسائل الصيد التقليدية

مستخدمة رغم ادخال الوسائل الحديثة ، وسفن الصيد الكبيرة . ويحترف صيد الاسماك وتصنيعها نحو ٨٣.٠٠٠ نفس .

ويمارس صيد الاسماك في سواحل البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ، والاخيرة هي الالهة . ويتم صيد السردين والانشوجا والتونا . وأهم مراكز الصيد هي ميناء صاقي ، الذي يصيد وحده نحو نصف المحصول الكلي ، يليه ميناء اغادير الذي يصيد نحو الثلث ، ثم ميناء الصويرة الذي يصيد العشر ، ويتوزع باقي المحصول على عدد من الموانئ الاخرى كالدار البيضاء ومليلة . ويحوم الصيد السنوي حول ٦٠٠ ألف طن .

الثروة المعدنية :

الثروة المعدنية في المغرب ذات أهمية كبيرة . وقد أنشئ العديد من الخطوط الحديدية للمساعدة في انمائها . وهي تحتل مكانة مرموقة في قائمة صادرات الدولة ، اذ تسهم بأكثر من نصف الصادرات ، وتنتج البلاد كميات تجارية من معادن متنوعة ، نجمل دراستها فيما يلي :

الفوسفات :

يأتي الفوسفات في مقدمة المعادن ، وانتاج المغرب منه مهم عالميا ، اذ تنتج نحو خمسين الانتاج العالمي من هذا الخام القيم الذي تصنع منه الاسمدة الفوسفاتية . ويسهم الفوسفات وحده بنحو ربع قيمة صادرات الدولة ، ويشغل في تعدينه نحو ثلاثين ألفا من العمال . والمغرب أكبر مصدر لهذا المعدن في العالم . وتصدر منه سنويا نحو ٢٠ مليون طن . ودولة المغرب هي ثانية دول العالم بعد الولايات المتحدة في إنتاجه ، لكنها الاولى في الاحتياطي الذي يقدر بنحو ٢١ مليار طن . ويقدر هذا الاحتياطي بنحو ٤٠٪ من جملة الاحتياطي العالمي البالغ حوالي ٥٢.٥ مليار طن . وانتاج المغرب من الفوسفات يزيد على ثلاثة أمثال ما تنتجه الجزائر وتونس مجتمعين . ويعدن الفوسفات من مناطق عديدة في إقليم المزيقا الوسطي ، منها خريجة Khouribga وبن جرير ، واليوسفية Yousseoufia .

الحديد :

وتعدن دولة المغرب الحديد من مناطق متفرقة أهمها : المنطقة التي كانت خاضعة للاسبان فيما مضى قرب مدينة مليلة . كما توجد خامات غنية

لـ قرب الصويرة والدار البيضاء ، وفي الداخل غربي كولومب بيشار ، وفي منطقة خنيفرة على بعد نحو ٥٥ كيلو مترا جنوبي مكناس . وتنتج المغرب من خام الحديد ما يتراوح بين ٢٠٠ ألف و ٣٠٠ ألف طن سنويا .

المنجنيز :

وتنتج المغرب خام المنجنيز من عدة مناطق في وادي سوس ، وفي منطقة الهضبة قرب الحدود الجزائرية ، حيث يستخرج في الاخيرة ويشحن من مركز بوعرفة بالسكك الحديدية الى الساحل ، حيث يصدر الى فرنسا عن طريق ميناء الغزوات (نيمور سابقا) . وتنتج البلاد من المنجنيز سنويا نحو ٤٥ ألف طن . والاحتياطي المؤكد نحو ١٠ مليون طن .

الزنك والرصاص ومعادن أخرى :

ويتم تعدين الزنك والرصاص حول وجده في الشمال الشرقي ، ويشحن معظم الانتاج الى فرنسا وبعضه الى ألمانيا . عدا ما ذكرنا ينتج المغرب كميات من معادن النحاس والنيكل والكوبالت .

الصناعة :

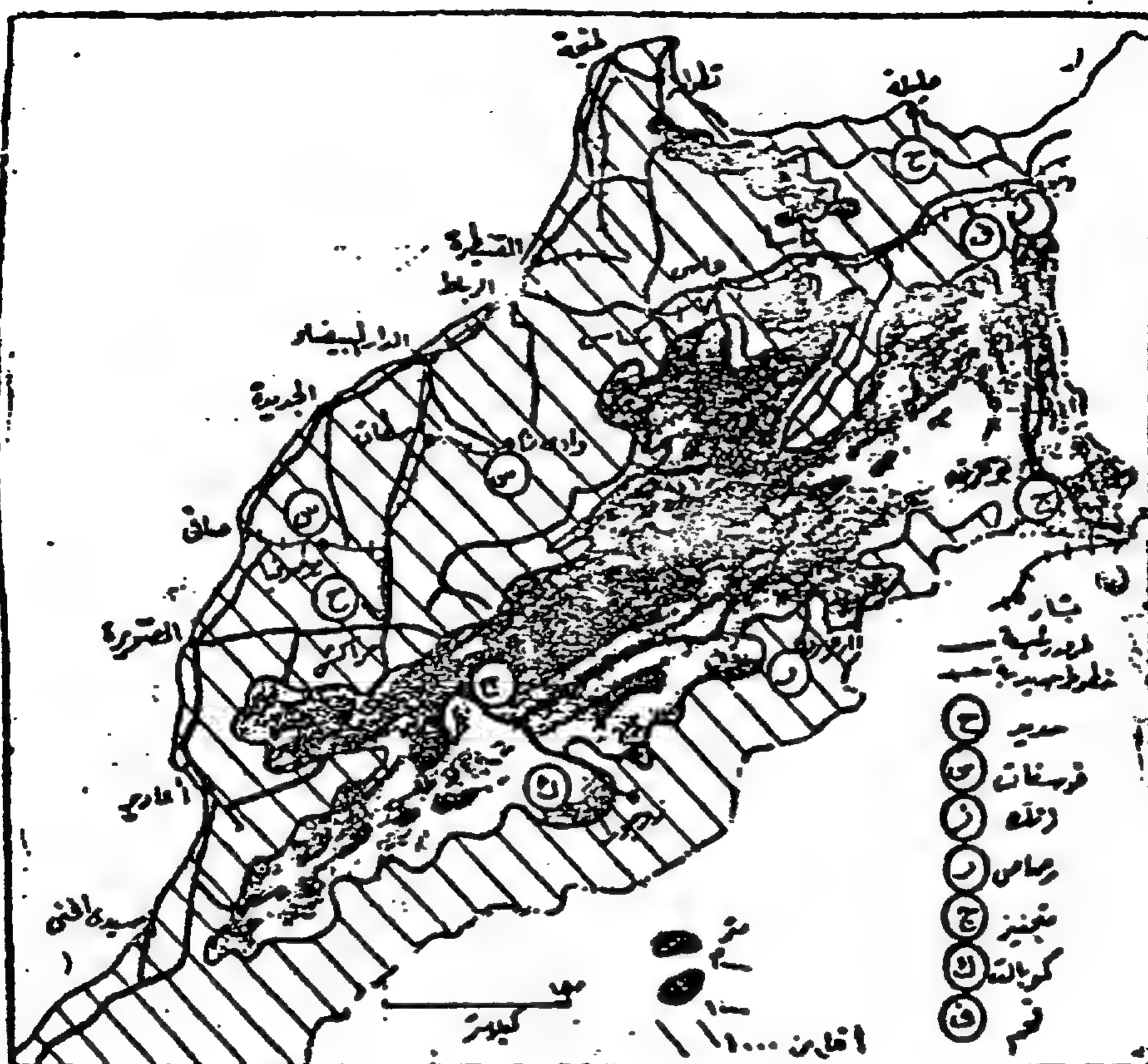
ما تزال الصناعة في المغرب في طور نموها المبكر ، وتشتغل نسبة عالية من عمال الصناعة في حرف وصناعات تقليدية ، كصناعة حفظ المواد الغذائية وتعليبها . وأهم معوق للنمو الصناعي في المغرب النقص في مصادر الطاقة . فمواردها الذاتية من الفحم والبترول والكهرباء قليلة ، لا تشجع نموا صناعيا كبيرا . يضاف الى ذلك قلة رؤوس الاموال المستثمرة المحلية منها والاجنبية .

وتصنع المغرب مواردها المحلية من منتجات زراعية وحيوانية ، كالصناعات الغذائية ، ومنها المكرونة والبسكوت ، وتعليب الخضر ، ومنتجات الالبان ، وحفظ اللحوم وصناعة الجلود والاحذية . كما تصنع السوبر فوسفات ، وتعالج منتج الفلين ، وتعلب الاسماك خصوصا السردين . وبالمغرب صناعة كيماوية ، وصناعة المنسوجات والتبغ ، هذا عدا المصنوعات المعدنية ، وتكرير البترول .

النقل والتجارة الخارجية :

السكك الحديدية : تبلغ اطوال الخطوط الحديدية بالمملكة نحو ألفي

كيلو متر . وهي تربط المدن الرئيسية بالملكة بعضها ببعض ، وبجمهورية الجزائر ، كما تخدم مناطق انتاج المعادن وخاصة الفوسفات .



شکل (۶۶)

الثروة المعدنية بالمغرب

الطرق البرية : ويخدم النقل في المغرب طرق برية مرصوفة تبلغ أطوالها الكلية نحو ١١٥٠٠ كيلو مترا ، بالإضافة الى المدقات ، وهى طرق ضيقة غير ممهدة تبلغ أطوالها نحو ٣٦ ألف كيلو مترا .

النقل البحري : وقد سبق ذكر أهمية الدار البيضاء كميناء يخدم التجارة الخارجية للمغرب ، وراينا أنه يقوم بمعظم تجارة الصادر والوارد ، بالإضافة الى موانئ تصدير الفوسفات مثل ميناء صافي .

النقل الجوي : وتخدم الملاحة الجوية بالمغرب عدة مطارات : في طنجة والرباط والدار البيضاء وأغادير ومراكش ووجده .

التجارة الخارجية : تصدر المغرب الفوسفات ، والحديد ، والمنجنيز ، والمالح ، وزيت الزيتون ، والنبذ . وتستورد السكر ، والتبغ ، والوقود والسيارات ، والمصنوعات الحديدية . ومعظم تجارة المغرب مع دول أوروبا الغربية خصوصا فرنسا . وأقلها مع دول أفريقيا ، بحكم الأوضاع الاقتصادية لأفريقيا ، وبسبب قلة المواصلات وصعوبتها .

الصحراء

يشمل إقليم الصحراء الوحدات السياسية الآتية :

- ليبيا
- مالي
- تشاد
- موريتانيا
- النيجر
- جمهورية الصحراء العربية

ويحوى الكتاب دراسة للوحدات الآتية :

- ليبيا

الفصل الثالث عشر

الفصل الثالث عشر

ليبيا

«الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى»

المساحة والموقع :

تشغل ليبيا مساحة من شمال قارة أفريقيا مقدارها ١٧٥٩ر٥٤٠ كيلو مترا مربعا ، وتمتد ما بين دائرتي عرض ١٨ر٥ - ٣٣ درجة شمالا ، وبين خطي طول ٩ - ٢٥ درجة شرقا . ويحدها البحر المتوسط من الشمال ، وتتصل حدودها من جهة الشرق بحدود مصر ، ومن جهة الغرب بحدود كل من تونس والجزائر ، ومن جهة الجنوب بحدود النيجر وتشاد والسودان . ويبلغ طول الساحل الليبي المطل على البحر المتوسط نحو ١٩٠٠ كيلو متر .

وموقع ليبيا الجغرافي له أهمية ، فهي حلقة اتصال بين أقطار الشرق العربي وأقطار الغرب العربي . ويرتبط سكانها بروابط التاريخ والقربى والنسب بسكان مصر والسودان وتونس . وليبيا تمثل عنقا استراتيجيا لمصر ولتونس لسهولة الاتصال برا وبحرا وجوا بشقيقتيها .

الجغرافية الطبيعية

البناء الجيولوجي ومظاهر السطح :

من وجهة نظر الجغرافيا الطبيعية ، ليبيا هي مصر بدون نهر النيل : مساحة شاسعة واسعة من الصحارى الصخرية والحصوية والرملية ، تمتد خصائصها من الداخل حتى تصل إلى الساحل ، ولا يقطع مظهرها القاحل سوى ظهور واحات متفرقة شديدة التباعد . وفي نطاق الساحل تظهر سمات توحى بتأثيرات بحرية ملطفة ، فالشريط الساحلي الطويل المتاخم لخليج سرت Sirte لا يتلقى من المطر سوى ١٢ر٥ سم سنويا . ولا تكثر

الامتار نسبيا الا حيثما برزت الارض الليبية في البحر المتوسط : في الشمال الغربى (اقليم طرابلس) ، وفي الشمال الشرقى (اقليم برقة) .

وليبييا ، مثل مصر ، في معظمها جزء من حزمة جندوانا io-dwana ويظهر مركب التكوينات القديمة التى أصابها التحول مكونا لمعظم جبال تبيستى Tebesti ، وما يصاحبها من جبال فى أقصى الجنوب ، كما يمثل هذا المركب الاساسى الصخرى لمعظم القسم الاوسط والجنوبى للبلاد . ولقد ادى تعاقب الطغيان البحرى على الهضبة وانحصاره عنها أثناء مختلف أعصر التاريخ الجيولوجى الى تراكم رواسب بحرية وأخرى هوائية فى طبقات تتفاوت فى سمكها من مكان لآخر . وتوجد هذه الطبقات حاليا فى معظمها فى وضع افقى أو مائلة بعض الميل مع قليل من التشوه . وما دام الطغيان البحرى كان يأتى دائما من الشمال ، والانحصار دائما نحو الشمال ، فان أقدم الطبقات تستقر فى الجنوب، وأحدثها يتواجد فى الشمال .

ولم تسلم أرض ليبيا من حركات التكسر التى أصابت كثيرا من أجزائها، وصحب التكسر انبثاقات بركانية غطائية فى الأغلب الاغم ، وهى التى تدعى بالحرار فى الشمال الغربى ومنها منطقة الهروج الاسود ، وجبل السودا .

ويبدو أن ركيزة ما قبل الكمبرى قد تقوست الى أسفل تجاه حوض البحر المتوسط، وأصبحت عمليات الانتقال والتزحزح الصخرى هى السائدة فى النطاقات الساحلية . وهنا تصبح ظاهرة الانكسار وما صاحبها من هبوط تجاه البحر هى الظاهرة المهمة . ونلاحظ ذلك بوضوح فى عدد من الحافات الانكسارية السلمية التى تنتهى الى ساحل برقة على البحر المتوسط . أما طرابلس فان الحافات تتراجع ابتداء من الخمس ومصراته على الساحل نحو الداخل فى هيئة قوس تاركة المجال لظهور سهل فسيح هو الجيفارا الذى يجد له امتدادا فى سهل تونس .

ولقد أصاب طبقات الصخور الرسوبية شئ من التعقد المحدود ، لكن كانت له أهمية فى تشكيل محدبات ومقعرات شحطة . وتمتد هذه الطبقات الرسوبية فوق مركب الركيزة الاركى بلا اضطراب على امتداد عشرات الكيلو مترات (كما هى الحال فى شبه جزيرة العرب) . ويسبب ذلك ، ونظرا لان

اتجاه الميل الطبقي نحو الشمال ، فان النفط والمياه قد تجمعت في أغوار ضحلة على امتداد الهوامش الشمالية .

وهكذا نرى تشابها تضاريسيا وتركيبيا بين ليبيا وشبه جزيرة العرب . وفي شبه الجزيرة نطاق جبلى ضيق يتمثل في جبال الحجاز وعسير يمتد من الشمال الى الجنوب ، وفي ليبيا مثيله في جبال تبستي لكنها تمتد من الشرق الى الغرب . وهى ، كجبال الحجاز وعسير ، تنحدر انحدارا تدريجيا نحو حصاب متفاوتة الارتفاع ومتباينة مظاهر السطح فيها تتشكل العديد من ظواهر الكويست ، وتتغطى في معظمها برمال مفككة . وتتواجد غطاءات لافية تكتنفها وتتركبها قمم مخاريط بركانية ، كالحال في جبال غربى الجزيرة العربية . بل ان الجبل الاخضر في سلطنة عمان نجد له شبيها في الجبل الاخضر ببرقة الليبية ، فكلاهما التوائى النشأة ، لكن التواء الاخير أقل كثافة وتعقيدا من الاول .

ويمكننا في ضوء النظرة العلما السابقة ان نقسم ليبيا الى الاقسام التركيبية والتضاريسية الآتية :

١ - الاقليم الطرابلسى : ويشمل السهل الساحلى المعروف بسهل الجيفارة ، والجبل للطرابلس ، والحمادة الحمراء .

٢ - اقليم الصحراء وفزان : ويشمل مناطق الجبال : أركنوا ، والعوينات ، والهروج ، والسودا ، كما يشمل المنخفضات الشمالية مثل جغبوب ، وجالو ، وأوجلة ، ومرادة ، والجفرة ، والمنخفضات الجنوبية التى تشغلها واحات الكفرة ، وفزان ، وغات ، بالإضافة الى مناطق بحار الرمال والادهان وسرير كلانشو .

٣ - اقليم برقة : ويشمل سهل بنغازى ، والسهول الشمالية الضيقة ، كما يشمل الجبل الاخضر ، وهضبة البطنان والدفنة .

الاقليم الطرابلسى

يبدأ الاقليم من جهة الشمال بسهل الجيفارة Jefara . وهو أوسع وأهم سهول ليبيا . ويمتد من ساحل البحر شمالا حتى حافة جبل طرابلس في الجنوب . ويتخذ شكل مثلث رأسه عند بلدة الخمس ، وقاعدته الحدود مع تونس . ويبلغ طوله من الشرق الى الغرب نحو ١٦٠ كيلو مترا ، وأقصى



شكل (٦٧)

تزاريس ليبيا

امتداد له من الشمال الى الجنوب حوالى ١٣٠ كيلو مترا . ويواصل السهل امتداده في تونس حتى مدينة قابس . وتبلغ مساحته الاجمالية نحو ٣٧ ألف كيلو مترا مربعا ، يقع نصفها في ليبيا حيث يسمى سهل الجيفارة .

وسهل الجيفارة نطاق هابط يتألف من صخور رسوبية ، تحدده في الجنوب حافة جبل طرابلس ، او جبل نفوسة كما تسمى أحيانا ، وتشرف عليه بشكل جروف قائمة . ويتكون سطح السهل في معظمه من رمال هوائية

وحصى ومجمعات صخرية (كونجلو ميرات) وقشور صحراوية . وترتكز هذه التكوينات فوق سلسلة من الطبقات الصخرية التابعة للزمن الثالث ، خصوصا لعصر الميوسين ، والزمّن الثاني خصوصا للعصر الترياسي ، والتي تظهر على السطح في بعض الأماكن .

ويرتفع سطح السهل تدريجيا من منسوب البحر في الشمال نحو الجنوب بمعدل ١ : ٣٥٠ ، وبينما نجد هامشه الشمالي يقع في منسوب البحر نجد سطحه يرتفع إلى ٥٠ مترا على بعد ١٥ كيلو مترا من الساحل ، وإلى ٣٨٠ مترا عند حضيض حافة جبل نفوسة (الجبل الطرابلسي) . وطبوغرافية سهل الجيفارة ليست متناسقة بأي حال فهو يشتمل على كثير من التلال خصوصا في قسمه الجنوبي ، بالقرب من حافة الجبل الذي يشرف على السهل بهيئة جروف قائمة يقطعها عدد عديد من الاودية العميقة ، كما تكتنف هوامشه الشمالية نطاقات من الكثبان المكونة من رمال جيرية بيضاء ، وتظاهرها بحيرات ساحلية طويلة تبدو في معظمها في شكل سبخات تملأها نباتات ملحية .

وتنتهي معظم الوديان التي تشق حافة الجبال في جنوب الجيفارة ، وبعضها يواصل سيره إلى قمة الاوسط ، وقليل منها يتمكن من مواصلة الجريان عبر السهل كله ، وينجح في الوصول إلى البحر . ومن بين الاودية الاخيرة وادي المجينين . وهو ينبع في منطقة الجبل الطرابلسي الواقعة بين بلدتي ترهونه وغريان ، ثم يجري مخترقا للسهل بين ضفتين واضحتي المعالم مكونتين من رواسب الرمال والطين إلى أن ينتهي في البحر عند مدينة طرابلس . وقد كان كغيره من الوديان الكبيرة يفيض بالمياه عقب سقوط الامطار ، ويحدث الكثير من الاضرار . وقد اقيم عليه سدان لخرن المياه للوقاية من فيضاناته الخطرة من جهة ، ولاستخدام المياه في الزراعة وتغذية مخازن المياه الباطنية من جهة أخرى .

ومن الاودية المهمة التي تخترق السهل وادي الرملية الذي ينتهي في البحر عند سيدي بانور ، ويبلغ طول مجراه نحو ٤٥ كيلو مترا . ويوجد في قاعه قرب بلدة ترهونة عدد من العيون على ارتفاع ٤٠٠ متر فوق منسوب البحر ، وتسيل مياهها فوق وجه حافة صخرية بهيئة شلال يسمى الشرشارة . ونصادف مثل هذه العيون وهذا الشلال في وادي درنة بالجبل الاخضر ايضا .

ويمثل جبل طرابلس الظاهرة المورفولوجية البارزة في هذا القسم الشمالي الغربى من ليبيا . وهو يواجه الشمال بحافة هضبية متفاوتة التقطع ، ومتباينة الارتفاع . وتبدو بنية قوس خطى الامتداد . وتمتد الحافة على طول مسافة تقدر بنحو ٢٢٠ كيلو مترا من الحدود التونسية بالقرب من وازن ، صوب الشرق وشرق الشمال الشرقى الى البحر المتوسط عند مشارف الخمس وابدة . ويطل الجبل الشامخ على سهل الجفارة العريض (فرق المنسوب بينهما يتراوح بين ٢٥٠ مترا وأكثر من ٥٠٠ متر) الذى ينحصر بين الحافة والبحر المتوسط كنصل سيف أحذب طرفه المديب في الشمال الشرقى .

وتبدو جيولوجية الجبل بسيطة جدا ، اذ تتركب مستوياته العليا من طبقات كريتاسية العمر ، وتظهر أيضا في جدراته . وهى تتألف من صخور كربونية وكلاستية وبعض الصخور المتبخرات ، وتنظم في وضع قريب من المستوى الافقى ، فهى تميل ميلا هينا جدا نحو الجنوب ، أى صوب هضبة الحمراء الشاسعة الرقعة ، التى يتكون هامشها الشمالى من نفس الصخور .

وقد تكسرت أجزاء من الحافة . وانبثقت من خلال الكسور ومصهورات لافية تراكمية مشكلة لقمة تصل ذراها بين ٨٠٠ - ٨٥٠ مترا ، ويبلغ سمك اللافا ذاتها فوق التراكيب الجيرية بين ٢٠٠ - ٣٠٠ متر . وتوضح هذه الظاهرة بوجه خاص في اقليم غريان حيث يشيع وجود التكوينات البركانية .

أما الحمادة الحمراء فهى هضبة ضخمة تبلغ مساحتها أكثر من ١٠٠.٠٠٠ كيلو مترا مربعا . وتمتد من النطاق الجبلى الطرابلسى في الشمال الى وادى الشاطيء في الجنوب . ذلك الوادى الذى يحدد تخوم اقليم فزان من جهة الشمال . وتنحدر الهضبة انحدارا هينا نحو الجنوب ، وهو انحدار يتمشى مع ميل الطبقات الصخرية التى تتركب منها الهضبة . وهى تكاد تشو من الاشكال الارضية ، ولا يقطع انتظام سطحها وتناسقه سوى بعض الكويستات التى تظهر على امتداد الحدود الفاصلة بين التكوينات الشائعة لكل من عصرى الباليوسين والكريتاسى الاعلى . كما تظهر على سطح الهضبة أحيانا سلاسل من القور (ميزات) ، وهى تلك التلال المنبسطة القمم ، والتى تمثل بقايا تعرية سطح هضبى قديم أعلى وأقدم من السطح الحالى ، ولا يزيد ارتفاعها عادة على ٥٠ مترا فوق المنسوب العام للحمادة الحمراء .

اقليم الصحراء وفسزان

كانت الصحراء الليبية اول قسم ظهر من الاراضى الليبية فوق سطح البحر ، فالجزء الاكبر من هذه الصحراء برز بالفعل كارض يابسة في بداية الزمن الثانى . وابتداء من الزمن الثالث اخذت رقعة اقليم طرابلس في الظهور فوق منسوب مياه البحر المتوسط ، وتحول قسم كبير منه الى يابس مع بداية عصر الايوسين ، ثم تبع ذلك انحسار مياه البحر عن كل من منطقتى برقة وسرت ، وكان ذلك حوالى نهاية عصر الميوسين .

وتتضم الصحراء الليبية عددا من المظاهر التضاريسية التى تتفاوت في ارتفاعاتها وتتنوع في أشكالها . وهى تنحدر انحدارا عاما من الجنوب ، من مرتفعات تيبستى التى ترتفع ذراها الى أكثر من ٢٨٠٠ مترا ، نحو الشمال ، وحيثما تصل الصحراء الى ساحل البحر ، كما هى الحال على امتداد ساحل خليج سرت ، لا يرتفع سطحها كثيرا عن منسوب سطح البحر .

ويحف بالصحراء الليبية من جهة الجنوب الشرقى والجنوب الغربى اطار جبلى . يبدأ في الجنوب الشرقى بجبل العوينات الذى عنده تتقابل الحدود بين مصر والسودان وليبيا ، ويتألف الجبل من صخور الجرانيت ، ويغطى مساحة مقدراها ٨٠٠ كم^٢ تقريبا . ويبلغ محيطه ١٦٠ كيلو مترا ، وارتفاعه ١٩٣٤ مترا فوق سطح البحر ، ونحو ٦٠٠ متر فوق سطح الصحراء المحيطة به . يقترب منه من جهة الشمال جبل أركنو Arcknu (ارتفاعه ١٤٣٥ مترا فوق سطح البحر) ومن جهة الجنوب جبل كيسو Chissu (ارتفاعه ١٧١٢ مترا) .

وتحد الصحراء الليبية من جهة الجنوب جبال تيبستى Tebesti وهى جبال تتركب من صخور بركانية فى الاغلب الاعم ، وتغطى مساحة شامعة تبلغ نحو ٣٠٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويقع معظم الجبال فى جمهورية تشاد ، وفيها أيضا أعلى القمم الممثلة فى ايمى كوسى Emi Koussi (ارتفاع القمة ٣٤١٥ مترا) وبيك توسايد Pic Tousse (٣٢٦٥ مترا) ، ولا يزيد ارتفاع جبال تيبستى فى ليبيا على ٢٢٨٦ مترا فى قمة بيك بيتى Pic Btte الواقعة على الحدود بين ليبيا وتشاد . وتقع كتلة جبل ايغاي Eghai الى الشمال الشرقى من تيبستى على مدار السرطان .

وتمتد مرتفعات تومو Toumo الى الشمال الغربى من تيبستى على جانبى الحدود بين ليبيا والنيجر ، وتصل قممها علوا يناهز الالف متر . وتجد هذه المرتفعات امتدادا لها فى جبال تاسيلى Tassili التى يقع معظمها فى الجزائر ، وارتفاعها فى ليبيا لا يزيد على الالف متر وهى مع تلال تومو تشكل الحدود الطبيعية لاقليم فزان الليبى من جهة الجنوب والغرب . وتقع واحة غات Ghat فى منخفض منحصر بين حافات جبلية من مرتفعات تاسيلى .

وتسند فى قلب الصحراء الليبية مجموعة ضخمة من المرتفعات البركانية النشأة . أضخمها وأعظمها امتداد جبال الهروج الاسود Al Haruj Al Aswad وجبل السودا Al Sawada وقد تم رقع الهروج والسودا واكتملت معظم الانبثاقات البركانية فى عصر الاوليجوسين من عصور الزمن الثالث ، وبذلك تحدد منخفض اقليم فزان من جهة الشمال الشرقى . ويبلغ أقصى ارتفاع لجبال الهروج الاسود ١٢٠٠ مترا . وتواصل جبال الهروج الاسود امتدادها نحو الشمال حتى المنخفض الذى تقع فيه واحات الجفرة حيث قرى واحات ودان وسواكن ، أما من ناحية الشرق فانها تختفى فى مريـر كالانشو .

ومن بين المظاهر التضاريسية الموجبة فى الصحراء الليبية تلك التلال والهضبات الصغيرة التى تبرز فوق سطح الصحراء ، وتأخذ أشكالا مختلفة . ويطلق على كل منها اسم قارة (جارة) ، وجمعها قور (جور) وهى عبارة عن مخلفات هضبية قديمة قطعها التعرية وازالت معظمها . وتوجد القور فى مجموعات متجاورة أحيانا ، كما توجد مفردة منعزلة أحيانا أخرى . وتتباين أشكالها فمنها ما يتخذ شكل المخروط أو هيئة المستطيل . وتتميز جميعها بسفوح شديدة الانحدار وأحيانا قائمة . وتستخدم القور علامات يسترشد بها البدو والرحالة فى الصحراء .

وتضم الصحراء الليبية عددا من المنخفضات العظيمة التى تظهر بها العيون والآبار فتصلح للسكنى والنشاط البشرى . وتنتظم هذه الواحات فى صفين : صف شمالى يقع بين دائرتى العرض ٢٩ - ٣٠ درجة شمالا . ويشمل من الشرق الى الغرب منخفض واحات جغبوب ، ومنخفضات واحات جالو وأوجلة وجخرة ، ومنخفض واحة مرادة، ثم منخفض غدامس . وصف جنوبى ويشمل منخفض واحات الكفرة ، ومنخفض فزان .

والمنخفضات الشمالية متفاوتة الاتساع ، لكنها جميعا عظيمة الرقعة ، وتقع كلها في وسط صحراوي شاسع ، وتشرف عليها الهضبة الميوسينية بجروف وحافات شديدة الانحدار في العادة ، لكنها تنتهي في الجنوب الى بحار من الرمال . وتشترك كل المنخفضات في وجود طبقة صخرية قريبة نوعا من سطح قيعانها ، وتحتوي الكثير من المياه الجوفية التي تنجر في صورة عيون وينابيع دافئة ، تروى الاراضى وتجمع البدو حولها .

ويضم نطاق المنخفضات الجنوبية منخفض الكفرة الذي يمتد حول دائرة العرض ٢٤ درجة شمالا ، حيث يمتد منخفض الواحات الخارجة في مصر على وجه التقريب . وهو منخفض ضخم محفور في هضبة تتركب من الصخور الرملية الكوارتزية المعروفة باسم الخراسان النوبي . ويمتد المنخفض من الشرق الى الغرب مسافة ٥٠ كيلو مترا ومن الشمال الى الجنوب مسافة ٢٠ كيلو مترا . وفيه يقع عدد من الواحات من بينها الجوف ، وبوما ، وبوينة ، والزويرق ، والطلاب .

ويتألف اقليم فزان من منخفض عظيم المساحة يمتد من الحمادة الحمراء ، وجبل السواد شمالا الى مرتفعات ايفاي وتيبستي وتومو Toummo جنوبا . ومن جبال تاسيلي وحمادة تنفرت غربا الى مرتفعات البروج في الشرق . وقد ظهرت معظم اراضى اقليم فزان فوق منسوب البحر واصبحت ارضا يابسة في بداية الزمن الثانى .

وينقسم الاقليم الى حوضين كبيرين هما : حوض اوبارى Aubari وحوض مسرزق Morzuq ، وتفصل بينهما هضبة صخرية طويلة هي حمادة مرزق . وتقدر مساحة حوض اوبارى بنحو ١٩٢٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ومساحة حوض مرزق بحوالى ١٧٨٠٠٠ كيلو مترا مربعا . وعلى الرغم من توفر معلومات كافية عن تكتونية الحوضين ، الا ان البحوث يرون انهما ليسا غورين انكساريين ، ولكنهما اساسا عبارة عن ثنيتين فسيحتين مقعرتين يتفق محوراهما بوجه عام مع محورى الحوضين . وقد تلت نشأة الثنيتين عمليات تشكيل وتعديل بواسطة قوى التعرية ، بالماء الجارى ثم بواسطة الرياح .

ويخترق كل حوض عدد من الوديان اهمها وادى الشاطيء الذى يجرى في حوض اوبارى على امتداد الهامش الجنوبى للحمادة الحمراء ، ووادى

الاجال الذى يجرى على امتداد جنوبى حوض اوبارى والجانب الشمالى
لحمادة مرزق .

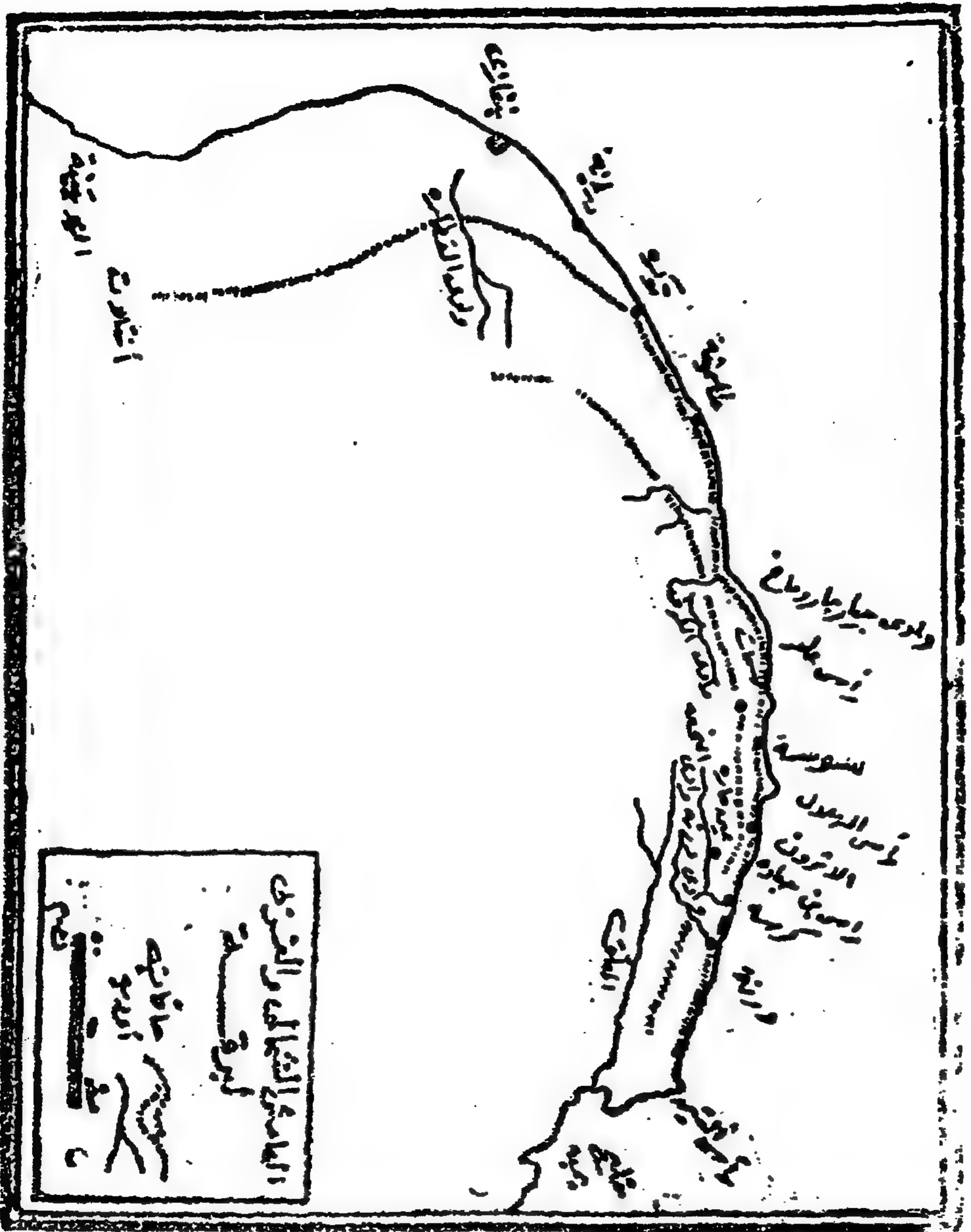
ويجرى وادى الحوف فى شمال حوض ادهان مرزق ، ووادى حكمة
فى شرقه . وفى اقصى الجنوب الغربى يجرى وادى تانيزوافت Tanezzuft
بالقرب من الحدود مع الجزائر . وفيه توجد بعض الواحات اهمها واشهرها
واحة غات Ghat .

اقليم برقة

يبرز اقليم برقة كشبه جزيرة البحر المتوسط محصورة بين خليج سرت
فى الغرب وخليج بمبه Bomba فى الشرق . والاقليم عبارة عن هضبة
مرتفعة تشتهر باسم الجبل الاخضر ، بسبب ما يغطى سطحها من نبات
البحر المتوسط الدائم الخضرة ، الذى يتألف هنا من أعشاب وشجيرات
تننظم أحيانا فى هيئة احراج كثيفة . وتشرف الهضبة من جهة الشمال
والغرب على سهول ساحلية ضيقة اهمها واشهرها سهل بقغازى ، المشرف
على خليج سرت .

ويتكون الجبل الاخضر من صخور ينتمى اغلبها الى الزمن الثالث ،
خصوصا عصر الميوسين . وتتميز حافة الجبل الاخضر المشرفة على السهول
الساحلية الضيقة بأن انحدارها يتم على ثلاث مستويات . ويبدو أن عملية
الرفع قد بدأت هنا فى اواسط عصر الميوسين واستمرت خلال عصر البليوسين .
وبرزت برقة فى البداية كجزيرة تمثل أوج علوها فى الجبل الاخضر ، وامتدت
تأثيرات حركة الرفع بالتدريج شرقا وغربا لى تشمل البطنان من جهة ،
وشرقى خليج سرت من جهة أخرى . ويبدو أن هذه الهضبة الضخمة كانت
ممتدة فى البحر المتوسط كارض يابسة أكثر من امتدادها الحالى ، وذلك
قبل أن تصيبها العيوب والانكسارات ، وبالتالي تهبط وتغوص أجزاء منها
تحت منسوب مياه البحر .

والهضبة البرقاوية ليست منتظمة الهيئة . فهى ذات شكل مائل ، اذ
ينحدر جانبها الشمالى انحدار شديدا ، وقائما فى بعض المواضع ، بينما يتدرج
انحدارها صوب الجنوب . ولكل من الجانبين ظواهر خاصة متميزة نجلها
فى السطور التالية .



شكل (٦٩) الهامش الشمالي والغربي لبرقة

الجانب الشمالى :

يتكون هذا الجانب من ثلاث مستويات أو درجات ، كل درجة منها تتألف من مستوى يصاحبه جرف أو حافة شديدة الانحدار . أما الدرجة الاولى وهى السفلى، فتتمثل فى السهل الساحلى أو الدرجة الساحلية . وهو سهل ضيق متقطع ، يمتد من خليج سرت ، حتى خليج بمبه . ويتضاءل اتساعه الى بضعة أمتار فى الشمال ، بل تشرف الحافة على البحر مباشرة فى بعض الأماكن ، لكنه يتسع على خليج سرت حيث يسمى سهل بنغازى .

ويبدو سهل بنغازى بشكل مثلث رأسه فى الشمال عند بلدة توكره ، وقاعدته فى الجنوب بين بلدتى الزويتية على الساحل وانتيلا فى الشرق ، وهنا يبلغ أقصى اتساع له الذى يبلغ ٥٠ كيلو مترا . ويشق الحافة الجبلية المطلة عليه عدد من الودىة التى يتجح بعضها فى اختراقه والوصول الى البحر حيثما تسقط أمطار الشتاء بغزارة . ومن بينها وادى السلايب فى الشمال ، ووادى القطارة الذى ينتهى الى خليج سرت جنوب مدينة بنغازى بقليل .

فاذا ما صعدنا الحافة الاولى التى تصل ذراها بين ٢٥٠ - ٣٠٠ متر ، فاننا نصل الى سطح الدرجة الثانية التى تسمى «الوسيطه» ، وأحيانا يشيرون اليها باسم «العرقوب» أو العرقب El Arkab ، اشارة الى وعورتها وصعوبة التنقل فوقها . وتتضح وعورة السطح فى الشرق حيث تكتنفه الحافات ، أما فى الغرب ، فان الدرجة تبدو أكثر استواء وانبساطا . وفيها شهر سهل المرج ، الذى هو عبارة عن حوض تغطيه التربة الحمراء ، وهو اكبر الاحواض ، وأهم منطقة زراعية فى اقليم برقة كله .

وتتمثل الدرجة الثالثة فى هضبة متوسطة الارتفاع ، وهى عريضة ومموجة فى الغرب ، وضيقة فى الشرق حيث ترتفع الى علو يتراوح بين ٤٥٠ - ٦٠٠ متر، وتقع عليها مدينة شحات التى تشتهر بأثارها الرومانية .

وتنتهى هذه الدرجة بحافة تقع فى الشرق تمثل ذروة علو الجبل الاخضر ، وهى مرتفع صغير المساحة بالقرب من بلدة ساونط ، يسمى سيدى الحمري ، نسبة الى مقبرة سيدى الحمري المقامة هناك، وأقصى علو للمرتفع ٨٨٠ مترا .

ويخترق القسم الشمالى من الجبل عدد من الوديان المهمة التى ينبع معظمها من أعلى الجبل فى منطقة سيدى الحمري ، وتتجه شمالا لتصب فى البحر . ومن أهمها وادى درنة الذى يعرف فى قسمه الأعلى باسم وادى بو الضحاك . ووادى الكوف ، ووادى الناقة ، وغيرها كثير . ومن الأودية التى تنصرف نحو خليج بمبه وادى المعلق .

الجانب الجنوبى للهضبة البرقاوية :

الى الجنوب من الجبل الاخضر ، ينحدر السطح تدريجيا الى هضبة الصحراء الليبية . وفيما يلى نطاق قمة الجبل مباشرة صوب الجنوب يمتد عدد من الوديان العميقة التى تشكلت فى عصر جيولوجى سابق . وهى الآن إما تجرى بالمياه اثناء أيام قليلة محدودة فى كل عام ، أو تظل جافة تماما . وتشهد طبوغرافية المنطقة التى أصابتها التعرية المائية بكثافة وعمق شديدين ، على سيادة ظروف مناخية مطيرة مغايرة تماما لظروف الحاضر ، فلا يوجد مجرى مائى حالى باستطاعته شق أودية بهذا الحجم والعمق ، ويطلق السكان على هذه المنطقة الوعرة الممزقة اسم «الحبشة» .

ويستمر الانحدار التدريجى شطر الجنوب الى نطاق أقل ارتفاعا يسمى «السروال» يتصف بنفس خصائص نطاق (الحبشة) ، فهو استمرار له من حيث الوعورة والتعزق ، ويغطيه حطام صخرى ، كما تبدو الأرض كثيرة التموج .

ويأخذ سطح الأرض فى الاستواء الى الجنوب من نطاق السروال . وهنا تظهر السبخات أو البلايات ، التى تتمثل فى أحواض قاحلة تملأها المواد الغرينية الناعمة ، تفصلها عن بعضها حافات منخفضة غير منتظمة . وهنا وهناك يظهر تل أكبر حجما . وهذا هو النطاق المعروف باسم «البلط» . وأكبر سبخة هناك تعرف باسم بلطة الزلاق ، التى تنتهى إليها عدة أودية تنحدر نحوها من الشمال . ومن أكبر الوديان التى تنحدر نحو الجنوب من نطاق تقسيم المياه عند سيدى الحمري ، وتنتهى الى سبخات البلط وادى الرملة ، ووادى سمالوس .

والى الجنوب من نطاق البلط تبدأ الصحراء الشرقية التى تدعى «الصحراء البرقاوية» وتبدأ ببحر الرمال العظيم ، الذى يدعى أحيانا «العرق الكبير» ويتألف من مساحة عظيمة من الرمال المتحركة والكثبان

الرملية الضخمة ، وله امتداد في مصر . ويلي بحر الرمال جنوبا اراضى شاسعة يغطيها الحصى ، تسمى سرير كالايشيو ، الذى يمتد مسافة ٤٠٠ كيلو متر مابين واحة جاثو في الشمال ومنخفض واحات الكفرة في الجنوب، كما يبلغ اتساعا عظيما فيما بين دائرتى عرض ٢٦ ، ٢٨ درجة شمالا يناهز ٦٠٠ كيلو متر ، فيما بين الحدود المصرية وداخلية ليبيا .

هضبة مارماريكا :

مارماريكا اسم تستخدمه المراجع الاجنبية للدلالة على هضبة تبدأ من خليج بمره غربا وتنتهى عند الحدود المصرية شرقا . ويستخدم الاهالى للدلالة على نفس الهضبة اسمين هما : البطنان ويطلقونه على القسم الغربى منها ، أى من خليج بمره حتى طبرق ، ثم الدفنة ، ويعبرون به عن القسم فيما بين طبرق والحدود المصرية .

وتختلف هذه الهضبة في خصائصها التضاريسية عن وسط وغرب هضبة برقة . فهنا نجد الارتفاع لايزيد على ٢٠٠ متر . كما نجد تتابعا بسيطا من ضواهر الكويستا بحيث تشرف واجباتها نحو الشمال بجروف شديدة الانحدار ، لكنها قليلة العلو ، بينما تنحدر ظهورها تدريجيا نحو الجنوب الى ارتفاع نحو ١٠٠ متر ، أى الى الحافة التى تحدد منخفض واحات جغبوب .

المناخ

ليبيا دولة صحراوية ، تخضع في جملتها للمناخ الصحراوى الحار الجاف ، الذى يسود معظم القسم الشمالى من قارة افريقيا . وتمايز طبوغرافية البلاد تأثيرا واضحا على ظروفها المناخية . ونظرا لطبيعة السطح المفتوحة وقلة انتشار سلاسل المرتفعات ، فان كتل الهواء المتباينة الاصول والانواع تستطيع التداخل بسهولة في عمق البلاد طولا وعرضا ، وتؤدي الى تشكيل ظروف طقس متنوعة ومتغيرة . ومن الكتل الهوائية التى تتفاعل وتتبادل التأثير في جو البلاد ، كتل صحراوية ، ومدارية بحرية ، وقطبية بحرية ، وقطبية قارية ، بل ان كتل الهواء القطبى قد تغزو اجزاء ليبيا في اوج الشتاء .

ويؤثر الموقع الجغرافى في شمال غرب افريقيا ، وعلى البحر المتوسط

في ايجاد اختلافات اقليمية متنوعة . ويقع اقليم طرابلس في أقصى الشمال الغربي في ظل المطر بالنسبة للرياح الغربية الحاملة للرطوبة ، بينما يساعد بروز اتنيم برقة في البحر بشكل شبه جزري على الاكثار من كمية الامطار الساقطة عليه . فتتلقى اجزاؤه المرتفعة كمية سنوية من المطر تتراوح بين ٤٠ - ٦٠ سم .

الحرارة :

هناك عوامل متنوعة تؤثر في درجة الحرارة بليبيا ! ههنا وأبعدها اثرا ، الموقع الجغرافي بالنسبة لدوائر العرض من جهة ، وبالنسبة لليابس والبحر من جهة أخرى ، ويدخل القسم الاكبر من البلاد في نطاق المناخ الحار نظرا لامتدادها بين دائرتي عرض ١٨ر٥ - ٣٣ درجة شمالا تقريبا . ولا يتمتع من رقعة ليبيا بمناخ معتدل سوى الشريط الساحلي والمنطقة الجبلية التي تظاهره .

وتدين الاراضي الساحلية في ليبيا باعتدال مناخها على مدار السنة للبحر المتوسط الذي يخفف من التأثيرات المتطرفة لمناخ الصحراء . فهو في فصل الشتاء يساعد على تخفيف حدة البرودة في النطاق الساحلي نظرا لدفع مياهه ، بينما يعمل على تطيف وخفض حرارة الساحل صيفا عن طريق رياح الشمال التي تهب منه باردة نوعا ومنعشة . ولا يتوغل اثر البحر كثيرا في الجنوب ، فهو لا يتعدى عشرة كيلو مترات في الاغلب .

ولا يرتفع الارض في الجبل الاخضر ببرقة والجبل الطرابلسي دخل في توزيع الحرارة ، فهما أولا عامل فصل بين المناخ المعتدل البحري السائد في النطاق الساحلي ، والمناخ الصحراوي الحار في الجنوب ، وهما ثانيا عامل خفض للحرارة في البلدان الواقعة فوقهما .

وشهر يناير هو أبرد شهور السنة في كل مكان بليبيا ، بينما شهر يوليو بالجهات الداخلية وشهر أغسطس بالبلدان الساحلية هما أشد الشهور حرارة . ويتراوح المعدل السنوي للحرارة بين ١٨ درجة في النطاق الساحلي و ٢٣ درجة في الداخل . لكن المدى اليومي والمدى الفصلي للحرارة كبير ، فهو في الساحل بين ١١ر٩ درجة مئوية ، وفي المناطق الجبلية بين ١٢ - ١٤ درجة مئوية ، وفي الداخل بين ١٥ - ١٨ درجة مئوية .

وأشد جهات ليبيا حرارة وتطرفا هو اقليم فزان ، تبعا لتطرف موقعه في جنوب غرب البلاد في قلب الصحراء الكبرى . فهنا يتراوح كل من المدى اليومي والمدى الفصلي للحرارة بين ٢٠ و ٢٥ درجة مئوية . ففي سبها عاصمة الاقليم يبلغ معدل النهايات العظمى لشهر يونيو نحو ٤٠ درجة ، ولشهرى يوليو وأغسطس نحو ٣٩ درجة ، بينما يهبط معدل النهايات الصغرى في شهر يناير الى ٥ درجة . أما الفرق بين المعدل الحرارى لشهرى يونيو (٣١ر٦١ درجة) ويناير (١٢ر٣ درجة) في نفس المدينة فيبلغ ١٩ر٣ درجة مئوية .

الضغط الجوى والرياح :

تقع اراضى ليبيا في فصل الشتاء تحت تأثير الضغط المرتفع الازورى الذى يمتد شتاء فوق الصحراء الكبرى . بينما يكون النطاق الساحلى ضمن ضغط منخفض يسود البحر المتوسط حينئذ بسبب دفء مياهه . وتهب على شمال ليبيا تبعا لذلك رياح تاتى في معظمها من الجنوب الغربى بينما يسود وسط ليبيا وجنوبها رياح شمالية شرقية .

ويؤثر في مناخ ليبيا مرور الانخفاضات الجوية على امتداد مواحلها الشمالية او بالقرب منها ، وتستطيع أن تتعمق وتتداخل في خليج مرت نفسه . ويتكرر مرورها في أشهر الشتاء ، خصوصا في شهر فبراير .

وفي فصل الربيع تنشأ انخفاضات جوية فوق شمال أفريقيا، التى تتسبب في هبوب رياح «القبلى» (الجبلى) . وهى رياح محلية جارة شديدة الجفاف، كالخماسين في مصر . وتهب في مقدمة الانخفاضات الجوية آتية من الصحراء، حاملة معها هواء مداريا قاريا شديد الحرارة والجفاف ، فقد يحدث أن تنخفض الرطوبة النسبية الى اقل من ١٠٪ . وتكون محملة بالأتربة ، فيتغير الجو بسببها وتقص الرؤية لبضعة أمتار . وتحدث هذه الموجات الحرارية المترية نحو سبع مرات في المتوسط في كل عام على النطاق الساحلى ، وبين ١٢ - ١٤ مرة في الداخل المعمور كسهل الجيفاره . ويتعرض اقليم طرابلس أكثر من اقليم بنغازى لهبوب هذه الرياح . وتدوم الاحوال الجوية السيئة في كل موجة نحو يومين او ثلاثة ثم تنتهى .

وفي فصل الصيف يتزحزح نطاق الضغط المرتفع الازورى شمالا ، ويمتد منه لسان فوق البحر المتوسط . أما صحراء ليبيا فتكون جزء من

طاق ضغط منخفض يعم الصحراء الكبرى . وهكذا تصبح الاراضي الليبية كلها واقعة في مهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية . وهي وان كانت جافة ، الا انها تساعد على تلطيف حرارة السواحل الليبية .

الامطار :

اتضح مما سبق أن أمطار ليبيا شتوية ، وتسببها المنخفضات الجوية . وتتراوح كمية الامطار على الساحل بين ١٠ - ٤٠ سم ، تبعا لشكل الساحل واتجاهه وبسبب ابتعاد الجبال عنه أو اقترابها منه . ويلاحظ أن الامطار تزداد في السواحل المواجهة للشمال الغربي بسبب هبوب الرياح الشمالية الغربية المطيرة متعامدة عليها . ولهذا نجد أن أمطار بنغازي أكثر من أمطار خليج بعبه الواقع في ظل المطر . وأمطار ساحل طرابلس أكثر من أمطار ساحل مرت ، لموقع الاول مواجه للريح الماطرة ، ووجود الثاني في ظلها .

وتقل الامطار كلما ابتعدنا عن الساحل واتجهنا في السهل نحو الداخل . ففي مدينة طرابلس تبلغ الكمية نحو ٣٨ سم ، بينما تتناقص عند حضيض الجبل الطرابلسي الى نحو ١٠ سم فقط . وفي اجدابيا على خليج مرت تبلغ الكمية ١٠ سم ، ثم تتناقص حتى تتلاشى تماما على بعد ١٢٥ كيلو مترا في الجنوب .

وتزداد الامطار في المناطق الجبلية في اقليم برقة وطرابلس . وطبيعي أن تكون المنحدرات الشمالية والغربية أكثر مطرا من غيرها لمواجهتها للرياح المطيرة . وأكثر جهات ليبيا مطرا نجدها في اعالي الجبل الاخضر في محيط مدينتي البيضاء وشحات حيث تبلغ الكمية ٦٠ سم في كل عام .

مصادر المياه :

تنقسم مصادر المياه في ليبيا الى قسمين رئيسيين هما :

١ - مياه الامطار التي تتجمع في الاودية، وتتشرب في مسام تكوينات التربة . وهي تكفي في مناطق معلومة لقيام حياة نباتية وزراعية في موسم سقوطها وهو الشتاء .

٢ - المياه الجوفية ، وهي اصلا مياه أمطار تسربت في الماضي ،

وتتسرب حاليا في مسام الصخور ، حيث تتجمع في الاعماق بعيدا عن السطح في طبقة واحدة أو أكثر من طبقات الصخور الرسوبية المسامية .

ومن الواضح أن كمية الامطار بليبيا غير كافية لوجود مجارى مائية سطحية ، اللهم الا بعض الجداول القصيرة التي تظهر في قيعان بعض الاودية الجبلية ، حينما تسقط امطار الشتاء وتنحدر اليها ، وتغذيها بعد ذلك مياه العيون في باقى السنة ، ومن بينها وادى درنة في الجبل الاخضر ، ووادى الرملة في جبل طرابلس .

ونظرا لأن الجبال تتألف من صخور جيرية مسامية ، فان قسما كبيرا من مياه الامطار يغور في مسام الصخور والحفر والشقوق ، ويتجمع في الكهوف والدهاليز الباطنية ، ويشكل أحيانا أنهارا باطنية . ويدل على غنى المياه الجوفية في الجبل الاخضر والجبل الطرابلسي وجود عدد من العيون التي تنبثق منها المياه طوال السنة . أما القسم الآخر من مياه الامطار فانه يتجمع في الاودية التي تنحدر نحو البحر المتوسط ، وكثيرا ما تجرى المياه فيها بشدة في هيئة سيول جارفة كانت تؤدي الى أحداث خسائر فادحة ، وذلك قبل انشاء عدد من السدود على أهمها ، ومن أمثلتها وادى درنة الذي كان في فيضانه خطر على مدينة درنة ، ووادى القطارة الذي كان يهدد مدينة بنغازي ، ووادى المجينين الذي طالما سببت فيضاناته تلفيات جسيمة بمدينة طرابلس .

وتؤدي السدود الى تحقيق عدة أغراض هي :

- ١ - خزن المياه لوقاية المدن ومناطق العمران من أخطار الفيضانات .
- ٢ - الاستفادة من المياه المخزونة للرى والزراعة .
- ٣ - تغذية وانماء الماء الباطنى في المناطق المتاخمة لمجاريها الدنيا .

وأهم مشاريع السدود التي تمت بالفعل هي مشروع وادى درنة الذي ينتهى في البحر عند درنة ، ووادى القطارة الذي يصب في خليج سرت جنوب بنغازي ، ووادى تلال الذي يصب في خليج سرت غرب بلدة سرت ، ووادى سوف الجين الذي يصب في خليج سرت جنوب بلدة مصراته ، ووادى المجينين الذي ينتهى في البحر عند مدينة طرابلس .

وتعتمد مناطق العمران في ليبيا اعتمادا كبيرا على موارد المياه الجوفية.

والجبل الاخضر والجبل الطرابلسي كما رأينا غنيان بتلك الموارد التي تتدفق في عيون وينابيع ، وتغذى الاودية بالمياه ، كما في وادي درنة الذي ينفرد بوجود شلال تتساقط فيه المياه من علو عشرة أمتار الى قاع الوادي .

وتتوفر المياه الجوفية في الواحات الداخلية بليبيا . وتتشكل الواحات في منخفضات متباينة في اشكالها وأحجامها . وتظهر فيها المياه الجوفية بأنماط متنوعة . ففي واحات جغبوب تنبثق المياه في عيون فوارة قوية دائمة . وفي اوجلة وجالو ينبغي حفر آبار ضحلة لا مكان الوصول الى المياه . وفي مرادة تتفجر الينابيع طبيعيا في بعض الاماكن ، وتحفر آبار في مناطق أخرى . وفي واحات الجفرة واقليم فزان ، وفي منخفض الكفرة ومنطقة السرير ، تتدفق المياه من الآبار الارتوازية الى ارتفاع يبلغ سبعة أمتار في البداية ، لكن التدفق يضعف مع كثرة الاستنزاف .

التربة والنبات الطبيعي

لقد نشأت معظم التربة في ليبيا نتيجة لفعل عمليات التجوية الميكانيكية ، ولم تشارك التجوية الكيميائية الا بدور متواضع . كما أنها هيكلية النمط . وتتكون من رواسب مفككة تختلف في أحجامها . وتنتشر التربة الرملية فوق مساحات واسعة جدا من سطح الصحراء ، كما تصطف في سلاسل من الكثبان الرملية تتاخم الساحل ، وفيها تنبت نباتات عشبية هزيلة . أما رمال الصحراء فهي قاحلة لا أثر للحياة النباتية فيها . وتخلو صحارى السرير (ومنها سرير كالانشيو) تماما من مظاهر الحياة النباتية ، وتغطيها تكوينات الحمى المكون في معظمه من حبات الكوارتز . ويشبه السرير في قحوته مناطق الحمادة، التي تتميز بأنها أراضي صخرية لا تغطي برواسب مفككة ، وأكبرها الحمادة الحمراء .

ويوجد بسهل الجيفاره عدد من التربة المتنوعة . ففي جنوب السهل تغطي التربة الفيضية أجزاء محدودة ، وقد جلبتها المجارى المائية المؤقتة من المناطق المرتفعة . أما في شماليه فتوجد تربة رملية ، وهي تشكل بجوار الساحل كثباناً رملية ساحلية . وفي وسط السهل تتوزع التربة من مكان لآخر ، وهي في معظمها ذات بناء متنوع يتألف من الرمال والصلصال واللوم بنسب متفاوتة ، ويتراوح لونها بين الرمادي والبني .

وفي المناطق الجيرية ذات الامطار الغزيرة نشأت التربة الحمراء، وهي

تربة طينية ذات لون أحمر داكن ، وتختلط بها رمال ناعمة ، وتحتوى على نسبة من أكاسيد الحديد التى أعطت للتربة لونها المحمر . وهى ناتجة عن تجوية كيميائية للصخور الجيرية . ولهذا فهى تختلط بنسبة طيبة من الجير . وتتميز بدقة حبيباتها ، وتبعاً لذلك فهى قادرة على الاحتفاظ بالمياه . والأراضي التى تتغطى بهذه التربة ، هى أصح أراضي ليبيا لنمو النباتات وللإستخدام الزراعى .

وتتوزع التربة الحمراء فى مناطق كثيرة فى شمال اقليم طرابلس ، وفى القسم الشمالى من الهضبة البرقاوية ، الذى يسمى باسم برقة الحمراء . وتغطى هذه التربة كثيراً من الأحواض الضحلة فى منطقة الجبل الأخضر ، وأشهرها وأغناها حوض المرج ، الذى يشتهر باسم سهل المرج . وكذلك حوض الابيار فوق هضبة الرجمة ، ثم سهل الفتاح جنوب مدينة درنة .

وتسود المظاهر الصحراوية معظم أراضي ليبيا . وفى الأجزاء غير الصحراوية ، ونسبتها ضئيلة محدودة ، تنبت الحشائش التى تتباين فى كثافتها ، وتتنوع فى فصائلها . والأعشاب من الأنواع الفصلية ، وبعضها من الأنواع الحولية . وأشهر أنواع الحشائش ما يسمى القندول ، والعنصل ، والشيح ، والحلفا ، والحصير ، والأسبارتو وهو الحلفا الذى يستخدم لصنع الورق ، ومن الأعشاب التى تنمو ما لة زهور جميلة مثل شقائق النعمان والاقحوان . وللحشائش والأعشاب الطبيعية أهمية كبيرة كغذاء للماشية فى ليبيا خصوصاً فى إقليم برقة والبطنان وفى سهول سرت وإقليم طرابلس .

وتنمو الغابات والأحراج فى بعض المناطق ، ولكنها محدودة المساحة ، وتتركز فى أجزاء من الجبل الأخضر ، وأجزاء من شرق الجبل الطرابلسى ، وهى كالحشائش فقيرة . وتزداد فقراً فى إقليم طرابلس حيث تنبت بصورة مشتتة متباعدة ، ومن أمثلتها الطلح والسدر . وتوجد بالجبل الأخضر مساحة مناسبة من الغابات تقدر بنحو ٥٠٠ كيلو متراً مربعاً . وأهم أنواع أشجارها السرو التى توجد منه غابات مساحتها نحو ١٠ كم^٢ حول مدينة البيضاء ووادى الكوف ، وأخشابها قيمة . والصنوبر الحلبي الذى يوجد فى شمال شرق الجبل الأخضر وحول سوسة فى الساحل . وأشجار العرعار التى تحتل مساحة تقدر بنحو ٢٥ كيلو متراً مربعاً فى أعالي الجبل الأخضر . وفى وديان شمالي الجبل الأخضر توجد أحراج من أشجار البلوط . كما تنتشر فوق الجبل أشجار الزيتون والخروب ، وأشجار الشمارى التى تشبه ثمارها

ثمار التوت الحمراء ، وأشجار البطوم التي تخرج ثمارا مكونة من حبات مسودة اللون ، تحوي زيتا . كما تستخدم قروعه الكثيرة في صناعة الفحم .
وترباه الحيوانات أيضا .

الجغرافيا البشرية

السكان

الاصول العرقية :

معظم سكان ليبيا من العرب ، وبعضهم من البربر المتعربين ، وقليل منهم من البربر الذين مازالوا محتفظين ببعض مظاهر ثقافتهم الاصلية الى جانب الثقافة العربية ، بالاضافة الى اعداد قليلة من الزنوج والزنوج المتعربين .

وينتسب العرب الانقياء في ليبيا الى قبائل بنى هلال وقبائل بنى منيم ، التي هاجرت الى مصر وشمال افريقيا في منتصف القرن الحادى عشر الميلادى . وقد سكن كثير من بنى سليم في برقة ، وهم من قيس عيلان ، بينما توغل فريق آخر من بنى هلال في شمال ليبيا وسائر بلاد المغرب . واختلط الجميع بالبربر سكان ليبيا الاصليين . وهكذا كان بنو سليم وبنو هلال ممن استقروا بليبيا ، وصبغوها بالصبغة العربية الاسلامية ، منذ منتصف القرن الحادى عشر الميلادى .

نمو السكان :

حتى عام ١٩٣١ لم تكن قد اجريت اية احصاءات منظمة لسكان ليبيا . فلم يهتم الايطاليون الذين غزوا البلاد واستعمروها عام ١٩١١ ، باجراء احصاءات علمية للسكان رغم أنهم كانوا يلاحقونهم بالقتل في كل مكان . وقد تبين من احصاء ١٩٣١ لسكان اقليم طرابلس أن عددهم بلغ حوالى ٥١٥ ألفا ، بينما وصل عدد سكان اقليم برقة نحو ١٤٥ ألفا ، وسكان واحات الكفرة ٣٥٢٠ نسمة .

وفي عام ١٩٥٤ أجرى أول احصاء رسمى للسكان في ليبيا بعد حصولها على الاستقلال بثلاث سنوات . واتضح منه أن عدد السكان قد بلغ ١٠٨٨٨٨٩ نسمة . وفي عام ١٩٦٤ أجرى الاحصاء الثانى وتبين منه أن

عدد السكان قد راد الى ١٥٥٩٣٣٩ نسمة . وفي عام ١٩٧٣ أجرى احصاء ثالث ، بلغ بمقتضاه عدد السكان ١٨٩٤٧٨ ر ٢ نسمة . وقد وصل عدد السكان الى ٢٦٣٧٤٨٨ ر ٣ تبعا لاحصاء عام ١٩٨٤ ، وتقديريا الى ٤٥٤٤٠٠٠ ر ٤ سنة ١٩٩٠ ، وتقديريا أيضا الى ٤٥٧٠٠٠ ر ٥ في عام ١٩٩٥ .

التوزيع والكثافة والهجرة الداخلية :

وتوزيع السكان في ليبيا غير متناسق على الاطلاق ، وذلك لاسباب جغرافية واضحة منها سيادة الظروف الصحراوية في أنحاء ليبيا ، باستثناء الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط . ويقدر أن سكان ليبيا لا يشغلون سوى ٦% من جملة مساحة الدولة . وتتركز المساحة الاهلة بالسكان في الشريط الساحلي الضيق . وان وجود مساحات شاسعة في ليبيا غير مسكونة أو نادرة السكان ، يخلق شعورا بالعزلة والانفصال عن المناطق البعيدة عنها في الشريط الساحلي حيث تتركز القوة السياسية والاقتصادية .

وتسبب هجرة السكان الدائمة الى الحضر اضطرابا في التوزيع والكثافة . فتوزيع السكان يظهر أن محافظتي طرابلس وبنغازي تحويان حوالي ٥٠% من مجموع سكان البلاد في عام ١٩٨٤ . وبالتالي فقد حققنا زيادة ضخمة بالنسبة لتعدادات ١٩٥٤ (٣٦%) - و ١٩٦٤ (٤٠%) و ١٩٧٣ (٤٦%) . وعلى النقيض من هذا الاتجاه نجد أن حصص المحافظات الاخرى في تدهور مستمر .

وهناك ظاهرة سكانية أخرى ذات أهمية كبيرة في ليبيا ، وهي أن ٢٠% من سكانها شعب رحل ، وبالتالي فإن علاقاتهم الاقتصادية والسياسية يباقي البلاد هامشية جدا . ويعيش نحو ٣٠% من الليبيين في قرى ومزارع مبعثرة حول واحات عديدة . ولكي يندمج هؤلاء السكان بالوطن والمواطنين ، تعمل الهيئات المسئولة من خلال خطط متتالية على تطوير اقتصادهم المعيشي ، وتوطينهم في مراكز عمرانية أكثر كثافة ، وانشاء شبكة من المواصلات الفعالة تصل بين هذه المستوطنات ومراكز السلطة السياسية .

المسكن

لم يكن يوجد بليبيا حتى عام ١٩٥٤ مدينة يزيد سكانها على مائة ألف نسمة سوى مدينة واحدة هي طرابلس ، التي وصل سكانها حسب تعداد

ذلك العام ١٢٩٨٠٠ نسمة . أما المدينة التي تليها وحى بنغازى فقد بلغ سكانها بمقتضى نفس التعداد ٦٩٨٠٠ نسمة ، وكان يقل تعداد باقى المدن عن ٢٥ ألف نسمة . وقد أدى اكتشاف البترول ، وتوفير السيولة المالية الضخمة الى زيادة عدد السكان بعامة وسكن المدن بخاصة . وكانت الزيادة السكانية أوضح فى مدينتى طرابلس و غازى ، فهما تمثلان مركزى الثقل السكانى والعمرانى الحضرى بالجمهورية العربية الليبية . وفيما يلى دراسة موجزة لهما ، ولبعض المدن الليبية الاخرى .

طرابلس :

نمت مدينة طرابلس نموا سريعا منذ عهد الاستقلال فى عدد السكان ، وفى كل مظاهر النشاط الاقتصادى والعمرانى والثقافى . وقد كان سكانها فى عام ١٩٣١ مائة ألف نسمة ، أصبحوا فى عام ١٩٥٤ نحو ١٢٩٧٠٠ نسمة ، وفى عام ١٩٦٤ نحو ٢١٢٦٠٠ نسمة ، وفى عام ١٩٧٣ نحو ٣٨٠ ألف نسمة ، وفى عام ١٩٨٤ حوالى ٩٩١ ألف نسمة ، ويقدرزون الان (١٩٩٥) بحوالى ١٤٤٤ مليون نسمة .

وقد نشأت المدينة فى موقع كان عامرا بالسكان منذ عهد ما قبل التاريخ . وتعتبر المنطقة المحيطة بهذا الموقع من أغنى المناطق على طول الساحل الليبى ، فهى من أكثرها مطرا ، وأخصبها تربة ، ومن أغناها بالمياه الجوفية . وقد أخذت المدينة منذ عهد الاستقلال بأسباب مظاهر المدن الكبرى . اذ تشتهر بها الحركة ، وتزدحم الطرق ، وتتعدد مظاهر النشاط المختلفة من ثقافية واجتماعية ، وسياسية وصناعية وتجارية وسياحية ، ويوجد بالمدينة عدد من أكبر مصانع الدولة منها مصنع التبغ الحكومى ، ومعامل حفظ الطماطم ، وتعليب الاسماك . وبها جامعة تسمى جامعة الفاتح استقلت عن جامعة بنغازى فى عام ١٩٧٥ . وترتبط المدينة ببقية أجزاء الجمهورية بعدد من الطرق المرصوفة . وحى العاصمة السياسية ومقر الحكم للجمهورية العربية الليبية .

بنغازى :

بدأت مدينة بنغازى ، مثل مدينة طرابلس ، تأخذ بأسباب مظاهر المدن الكبرى منذ عهد الاستقلال ، فاطردت زيادة مختلف مجالات النشاط بها صناعيا وتجاريا وثقافيا وترفيهيا . وصاحب ذلك نمو سريع فى عدد السكان

الذي وصل في عام ١٩٨٤ الى حوالي ٤٨٥ ألف نسمة ، بعد أن كان ٢٨٠ ألفا في عام ١٩٧٣ ، وحوالي ١٣٦٦٠٠ في عام ١٩٦٤ ، ونحو ٦٩٧٠٠ في عام ١٩٥٤ ، وسكانها حاليا (١٩٩٥) يقدرون بنحو ٨٩٠ ألف نسمة .

ويرجع تاريخها الى القرن الخامس ق.م عندما كانت جزءا من اتحاد المدن الاغريقية الليبية . وقد نشأت على شريط ضيق من اليابس بين البحر ونطاق السبخات والبحيرات الساحلية الممتدة بالقرب منه . ولا يزيد عرض هذا الشريط عن كيلو متر واحد . وهو يتصل بضاحية البركة بشريط أكثر ضيقا منه يخترق نطاق السبخات . وعليه انشئ الطريق الموصل الى تلك الضاحية . والى ضاحية الفويحات ، وحى الحدائق .

وتنقسم المدينة الى قسمين أحدهما يشمل الاحياء القديمة ، وكل مكانه تقريبا من الليبيين المسلمين ، وقسم آخر يشمل الاحياء الحديثة وسكانه خليط من العرب والاجانب ، وتقع به أهم المنشآت العامة والمحلات التجارية الرئيسية .

وتتصل بنغازي ببقية المدن الليبية اتصالا سهلا بالبر والجو . اذ يمر بها الطريق الساحلي الرئيسي الذي يبدأ من الحدود المصرية الليبية وينتهي عند الحدود التونسية الليبية . ويصلها ببلدة بنينة ، حيث يقع مطار دولي كبير ، طريق مرصوف يواصل امتداده الى بلدة الابيار الواقعة في منطقة الجبل الاخضر . والمدينة مركز اشعاع علمي تقوده جامعتها (جامعة قار يونس) التي أنشئت عام ١٩٥٦ باسم الجامعة الليبية .

البيضاء :

مدينة حديثة ، قامت على بقايا مدينة اعربية قديمة . وتقع على مسافة ٢٠٠ كيلو مترا شرق بنغازي على الطريق الرئيسي الذي يقطع الجبل الاخضر من الغرب الى الشرق، وتشتهر بمكانتها الدينية التي تمتعت بها منذ أن أنشئت بها الزاوية السنوسية في سنة ١٨٤٠ . وقد اتسعت المدينة بسرعة بسبب اهتمام الملك السنوسي بها ، لانها أهم المراكز الرائدة للدعوة السنوسية . وتقرر اعتبارها عاصمة للبلاد في العهد الملكي . وقد أنشئت بها منذ عام ١٩٥٨ مجموعة ضخمة من العمارات الحديثة ، كما انشا بها الملك ادريس السنوسي جامعة اسلامية كبيرة لتخليد ذكرى مؤسس الدعوة السنوسية .

ومنطقة البيضاء من المناطق الزراعية المهمة في الجبل الاخضر . وتشتهر
بزراعة الكروم .

مدن اخرى :

هذا وتحتوي ليبيا عددا آخر من المدن منها في اقليم طرابلس : مدنة
الخميس وهي مدينة سياحية لقربها من آثار لبدة الفينيقية والرومانية ،
ومصراتة ثاني أكبر مدن اقليم طرابلس بعد مدينة طرابلس (العاصمة) .
وهي تقع في منطقة زراعية متسعة ، وهي سوق مهمة للمنتجات الزراعية،
وسيرت التي ترجع اهميتها الى موقعها المتوسط على الطريق الرئيسي بين
طرابلس وبنغازي .

وفي اقليم برقة مدن اخرى اهمها : درنة وهي تعتبر بحق (جوهرة
برقة) بسبب جمالها وغنى المنطقة التي توجد بها والتي تشتهر بزراعة
الفواكه . وميناؤها من أنشط الموانئ في الحركة التجارية ، ومدينة طبرق
التي ترجع اهميتها الى مينائها الطبيعي الصالح لرسو السفن، وهي المحطة
الوحيدة المهمة على الطريق بين درنة ومصر ، ومدينة المرج ، وهي تقع
على الدرجة الاولى من الجبل الاخضر على ارتفاع ٣٠٠ متر تقريبا .
والمنطقة المحيطة بها هي أغنى مناطق برقة في الانتاج الزراعي خصوصا
القمح .

ونذكر مدينة سبها كمثال لمدن السواحات ، وهي عاصمة اقليم فزان
الصحراوي . ومركز لتفرع الطرق الحديثة التي أنشئت في فزان . وقد
ساعد انشاء هذه الطرق على قيام بعض مراكز العمران الحديثة ، ومن
امثلتها القرية التي نشأت عند بداية الطريق المرصوف الممتد من سبها شمالا
الى الساحل . وقد تطورت المدينة منذ الخمسينيات تطورا كبيرا فأنشئت
بها كثير من المرافق ، والمباني الحكومية ، والعمارات الحديثة .

الجغرافيا الاقتصادية

الزراعة

تعتمد الزراعة في ليبيا على مقدار ما يتوفر من موارد مائية ، سواء
عن طريق الامطار او المياه الجوفية . وقد تبين ان مساحة الاراضي التي
تعتمد الزراعة فيها على المطر تقل عن ١٪ من جملة مساحة البلاد . أما

المياه الجوفية فيمكن ضخها في مناطق عديدة بالسهول الساحلية ، وفي نطاق الهضاب ، وفي منخفضات الواحات بالصحراء .

ومن دراستنا السابقة للتربة ، تبين لنا أن معظم الاراضي الليبية لاتساعد تكويناتها على نمو النبات ، وهذه تشغل أكثر من ٩٠٪ من جملة مساحة البلاد ، وتشمل مناطق الرمال والكثبان الرملية ، ومناطق السريـر ، وأقاليم الحمادة . ولعل أصلح الاراضي الليبية للزراعة هي تلك التي تغطيها تربة طينية حمراء اذا توافرت لها المياه ، تليها الاراضي التي تغطيها تربة رملية ناعمة مختلطة بالطين أو المواد الجيرية ، والتي توجد بالسهول الساحلية وفي الواحات ، وفي قيعان الاودية الصحراوية .

والزراعة في ليبيا نمطين : نمط مطري (بعلى) متنقل ، ونمط مستقر : وفيما يلي دراسة مجملة لكلا النمطين .

الزراعة المطرية المتنقلة :

وهي تعتمد اعتمادا كليا على المطر ، لكن المطر غير كاف لقيام زراعة مستقرة . وهي تتوزع في أماكن متفرقة من هضبة البطنان والدفنة في شرقي برقة ، وفي الاجزاء الوسطى من الجبل الاخضر ، وفي سفوحه الجنوبية . كما توجد في جنوبي خليج مرت ، وفي كثير من اجزاء سهل الجفاره ، وفي الجبل الطرابلسي .

ويزرع القمح والشعير زراعة مطرية متنقلة ، لكن المحصول يتباين من سنة لاخرى ، فقد ينجح في عام بحيث يكفي حاجة الاستهلاك المحلي ، وقد يفشل في عام آخر فتضطر البلاد الى الاستيراد ، وذلك راجع للتذبذب في كمية المطر ، وعدم انتظام سقوطه واضطراب توزيعه على أشهر الشتاء وهو فصل النمو . ويتم حرث الارض ونثر بذور القمح والشعير في الخريف قبيل موسم سقوط المطر .

وهناك محاصيل أخرى تزرع زراعة مطرية من بينها التبغ الذي يزرع في بعض مناطق الجبل الطرابلسي ، والفول والخضر والمقاتي كالبطيخ (يسمونه الدلاح) والشمام .

الزراعة المستقرة :

وتوجد حيثما تتوفر المياه مزارع مستقرة . وهي قد تعتمد على مياه

تطر وحدها ، أو تعتمد على مياه العيون والآبار ، أو تعتمد على كليهما معا .

الزراعة المطرية المستقرة :

وتوجد في المناطق التي لا يقل معدل سقوط المطر فوقها عن ٢٠ سم ، وهذه المناطق محدودة الانتشار في ليبيا ، وتتحدد في شمال وغرب الجبل الأخضر ، حيث تتوزع فوق درجاته أحواض كارستية ضحلة ، تغطيها تربة حمراء متواضعة الخصوبة ، ومتفاوتة السمك ، ويزرع فيها القمح والشعير . ويساعد على نجاح المحصول ما ينصرف الى الاحواض من مياه الامطار بواسطة السيول التي تصدر في الحافات المجاورة . وتشتهر ثلاثة أحواض كبيرة بإنتاج القمح هي حوض الغريق في اقليم المرج ، وحوض النقمة في اقليم الابيار ، ثم سهل الفتايح في منطقة درنة . وتكثر الامطار في بقاع معلومة من الجبل بدرجة تسمح بنمو اشجار الفواكه ، مثل العنب الذي تنتشر بساكنه في المناطق المحيطة بمدينة البيضاء ، وبلدة مسة ، وبلدة شحات ، وكذلك اشجار التين والشمش واللوز والخضر والبقول .

وتنحصر الزراعة المطرية المستقرة في اقليم طرابلس في بقاع محدودة من الاطراف الشرقية للمرتفعات الطرابلسية خاصة فيما جاور مدينة الخمس حيث تنتشر زراعة القمح وبساتين الفواكه التي تضم الموالح والعنب والكمثرى ، كذلك توجد مزارع للزيتون واللوز .

الزراعة المستقرة المعتمدة على الري من مياه العيون والآبار :

وهي توجد بطبيعة الحال في حقول مختلف الواحات الليبية ، وأهمها في الشمال واحات جغبوب ، وأوجلة ، وجالو ، ومراده ، ثم واحات الجفرة ، وغدامس ، وفي الجنوب واحات الكفرة ، وواحات اقليم فزان . والمطر في كل هذه الاصقاع معدوم أو غير ذي تأثير ، فيصبح الاعتماد على الري من مياه العيون والآبار كليا . والمزارع في معظم هذه الواحات محدودة الرقعة ، وتنتج المحاصيل التقليدية من الحبوب كالقمح والشعير ، إضافة الى النخل والزيتون .

الزراعة المستقرة المعتمدة على الري وعلى المطر معا :

وتتوزع في شريط ضيق يتاخم الساحل الليبي على البحر المتوسط وتشمل زراعة الخضر والفواكه حول مدينة درنة ، وبلدة الآترون ، ورأس

الهلل ، وطمينة ، وتوكره ، وحول مدينة بنغازى ، وفيما جاور بلدة
قمينس ، ومدينة اجدابية .



شكل (٧٠)

الموارد الاقتصادية بليبيا

اما فى اقليم طرابلس فان المزارع والحدائق تكثر وتتجاور وتتسع ،
ابتداء من مدينة مصراته فى الشرق الى بلدة ازوراه فى الغرب . وترتبط
المزارع الواسعة بمراكز العمران الكبيرة خاصة مصراته ، وطرابلس ،
والزاوية ، وزليطن ، والخمس ، وصبراتة ، وكلها تقع على الساحل .
أضاف الى ذلك الحقول الفسيحة الواقعة حول محلات العمران الداخلية

مثل غريان ، ويفرن ، وجندو ، ونالوت . وتوجد في هذه المزارع الحبوب كالقمح ، والبقول كالفول ، والفول السوداني ، والفواكه ، كما تنمو اشجار الزيتون واللوز .

الرعى والثروة الحيوانية

الرعى حرفة قديمة في ليبيا . وكانت الى عهد قريب الحرفة الرئيسية للسكان . وهى توجد حيثما توفرت حياة نباتية صالحة لرعى الحيوان . ففى فى الاصقاع الممطرة تزامن الزراعة ، بينما تصبح الحرفة الرئيسية فى المناطق شبه الجافة . ولا تقتصر حرفة تربية الحيوان ورعيه على البدو الرحل وشبه الرحل الذين يعتمدون فى معيشتهم على هذه الحرفة ، وانما يقوم بها ايضا معظم الزراع فى مناطق الاستقرار .

ويعتمد البدو الرحل اعتمادا كليا تقريبا على رعى الابل والماعز . ويغلب على حياتهم طابع البداوة ، فهم فى ترحال مستمر ، احيانا فى اطار مساحات معلومة ، و احيانا اخرى ينتقلون الى اماكن بعيدة بحثا عن المراعى . وتتحدد مناطق رعى البدو الرحل على اطراف الصحراء المتاخمة لمناطق الاستبس التى ينتشر بها البدو شبه الرحل . وفى تلك الاطراف تنمو الاعشاب الفقيرة ، كما تنمو حول جبال اركنو والعوينات ، وحول واجات الكفرة ، وفى وديان اقليم فزان .

وترتبط حياة البدو شبه الرحل اساسا بالرعى ، لكنهم يمارسون الى جواره حرفة الزراعة الجافة فى بداية موسم المطر . ويتوزعون فى قبائل لكل قبيلة اراضيها الخاصة . وتتألف مساكنهم من الخيام ، ويتجمعون فى نجوع ، و احيانا فى قرى صغيرة فى الواحات حيث يبنون مساكنهم بالحجر او الطوب والطين او بسعف النخيل . ويمتلك البدو شبه الرحل معظم الثروة الحيوانية من الاغنام والماعز ، كما يربون اعدادا كبيرة من الابل والحمير يستخدمونها فى نقل امتعتهم عند التنقل والترحال . وينتشر البدو شبه الرحل فى كل مناطق الاستبس التى تتوزع فى الشريط الساحلى ، والسهول الشمالية ، والاجزاء الوسطى والسفوح الجنوبية للجبل الاخضر ، ومنطقة البلط فى برقة ، والقبلة فى اقليم طرابلس .

توطين البدو الرحل :

البداوة فى ليبيا طريقة حياة اخذة فى الزوال والاختفاء . وهناك تقدم

سريع نسبيا في توطين البدو الرحل . وتعمل الحكومة جاهدة في هذا السبيل عن طريق عديد من المشاريع ، كما وأن البدو يرحلون تلقائيا للإقامة في المدن بأعداد متزايدة منذ ظهور البترول ، أملا في المشاركة في الخير الذي اغدقه عليها . وتعمل الحكومة على تنظيم رعى قطعان الحيوان ، وادخال الممارسات والتقنية الحديثة ، والحفاظ على المراعى وصيانتها ، ونقل اسباب الحضارة الى أماكن تجمع البدو . ومن بين مشاريع التوطين ، وتنمية المراعى ، وانماء الثروة الحيوانية مشروع سهل بنغازي ، ومشروعات سهول سيرت الوسطى .

الثروة الحيوانية.

تتألف الثروة الحيوانية في ليبيا من قطعان الاغنام والماعز التي ترعى في مناطق الحشائش ، والى جوارها اعداد صغيرة من الابقار . وتزداد أعداد الماعز وتتفوق على أعداد الغنم في المناطق المرتفعة المضرسة في الجبل الاخضر والجبل الطرابلسي . وتكثر الابل في بقاع الحشائش الفقيرة التي تقع على أطراف النطاق الساحلى بينه وبين الصحراء .

وتعمل الحكومة على تحسين موارد العلف المحلية ، كما أنشأت محطات عديدة لتربية الابقار وتسمينها بلغ عددها في عام (١٩٨٥) ٩٢ محطة ، بطاقة اجمالية مقدارها ٤٦ ألف رأس . كما يجرى انشاء مزارع الامهات لانتاج اللحم بطاقة مقدارها ١٦٢ ألف أم . وبالبلاد نحو ٥٥ مليون رأس من الغنم ، و ١٥ مليون رأس من الماعز ، و ٣٠٠ ألف رأس من الابقار ، و ٢٥٠ ألف من الابل .

الثروة المعدنية والبترول

يوجد بليبيا عدد من المعادن ، لكن استغلالها في الوقت الحاضر لا يلعب دورا يستحق الفكر في اقتصاديات البلاد ، ومن بينها خامات الحديد التي اكتشفت في موضعين باقليم طرابلس ، احدهما قرب الكيلو ١٢٧ على طريق طرابلس - يفرن ، والثانى قرب مدينة نالوت ، كما عثر على كميات منه في اقليم فزان ، والجبس الذي تظهر تكويناته في مناطق كثيرة في اقليم طرابلس ، وفي الجبل الاخضر ، ويستخدم في أعمال البناء ، وفي صناعة الاسمنت . والبوتاس الذي يوجد في منخفض واحة مرادة على بعد نحو

١٢٥ كم جنوبي البريقة الواقعة على ساحل خليج سيرت ، وقد استغلها الايطاليون في عام ١٩٣٩ ، وتوقف الاستغلال بنشوب الحرب العالمية الثانية ، وظل متوقفا حتى الآن . ويستخدم البوتاس في صنع الاسمدة البوتاسية .

وقد بدأ انتاج البترول في ليبيا في عام ١٩٦١ ، ووصل الى الذروة في عام ١٩٧٠ حينما بلغ ١٥٩٦ مليون طن ، ثم تناقص فوصل الى ١٠٤٨٨ مليون طن في سنة ١٩٧٣ حينما قررت الحكومة تخفيضه حفاظا على الثروة البترولية . وظل الانتاج يتأرجح بالزيادة والنقصان حتى عام ١٩٨٧ حيث وصل الى ٤٦٥ مليون فقط . ويستخرج البترول من ٣١ حقل ، تتوزع في نطاق يمتد من الشمال الى الجنوب مسافة ٢٧٠ كم ، ومن الشرق الى الغرب مسافة ٩٠٥ كم . وينحصر النطاق فيما بين دائرتي عرض ٣٠ و ٢٧ - ٣٠ درجة شمالا وخطى طول ١٧٠٥ - ٢٣ درجة شرقا .

وتتوزع الحقول المنتجة للبترول على أربع مناطق تبعا لموقعها الجغرافي ، وهي كما يلي :

١ - منطقة السرير :

وفيها حقل السرير ، وهو أكثر الحقول تطرفا في الشرق ، وتوغلا في داخل ليبيا . وبدأ انتاجه في عام ١٩٦٦ ووصل الذروة ومقدارها ١٥٣٢٢ مليون برميل سنة ١٩٧١ ، ثم هبط في سنة ١٩٧٣ الى ٨٦١ مليون ، ويتأرجح انتاجه تبعا للسياسة البترولية للحكومة . ويضخ الخام الى خزانات مرسى الحريقة ، الواقعة على خليج طبرق في خط أنابيب طوله ٥١٣ كم ، وقطره ٣٤ بوصة ، وطاقته القصوى ١٨٤ مليون برميل سنويا .

٢ - منطقة حقول سيرت الجنوبية الشرقية :

تقع في جنوب شرق خليج سيرت . وتبعد عن ساحل الخليج بنحو ١٤٠ كم ، وهي بيضاوية الشكل ، وتمتد من الشرق الى الغرب زهاء ١٤٠ كم ، ومن الشمال الى الجنوب قرابة ١٩٠ كم . وتحدها في الشرق حقول أمال وابو الطفل وماجد ، وفي الغرب حقل الصحابي . وبداخلها سبعة حقول منتجة .

وتنتج هذه الحقول حوالى نصف انتاج ليبيا من البترول . وينقل بترولها عن طريق خطوط من الانابيب الى ثلاثة موانئ هي من الشرق الى

الغرب : رأس لانوف ، والزويتية ، والسدرة . وتتراوح قطار الخطوط بين ٣٠ و ٤٠ بوصة ، وأطوالها بين ٢١٢ كم و ٤٦٥ كم .

٣ - منطقة حقول سirt الوسطى :

يقع جنوبى خليج سirt ، ويبعد عن بلدة انبريقة الواقعة على ساحل الخليج بنحو ١٤٠ كم . وتمتد هى الاخرى فى هيئة نطاق بيضاوى طوله من الشمال الى الجنوب ٢٠٠ كم ، وأقصى عرض له ١٥٠ كم . وبالمساحة ١٥ حقلا ، معظمها فى الشرق ، وأهمها حقول ناصر (زلطن) والواحة ، والدفة ، والرقوبة، وحقول ناصر هو أقدم الحقول وأكبرها وأكثرها انتاجا . ويأتى ترتيب هذه المنطقة الثانى ، فهى تسهم بنسبة الثلث من الانتاج الكلى . وتمتاز المنطقة بانتاج الناز المصاحب للبترول على نطاق تجارى ، بدلا من حرقه فى الجو . وينقل البترول فى ثلاثة خطوط من الانابيب الرئيسية الى موانئ البريقة ، ورأس لانوف ، والسدرة ، وأقطارها بين ٣٠ و ٣٦ بوصة ، وأطوالها بين ١٧٢ كم و ٤٥٠ كم .

٤ - منطقة حقول سirt الشمالية الغربية :

تقع فى جنوب خليج سirt بين خطى طول ١٧° - ٣٠° شرقا ويبلغ طولها من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى ١٤٠ كم ، وأقصى اتساع لها من الشرق الى الغرب ١٢٠ كم . وتبعد المنطقة عن كل من ميناء رأس لانوف وميناء السدرة بنحو ١٢٠ كم . وتشمل المنطقة أربعة حقول منتجة معظمها فى وسطها ، وأهمها حقلا الظهرة وباهى ، ثم الحضرة وأم الغرود . وتنتج المنطقة نحو ٦٪ من جملة انتاج البلاد ، فهى أقل المناطق انتاجا . وينقل بترولها فى خطين الى ميناءى رأس لانوف ، والسدرة .

وقد مكنت عوائد البترول التى تضخمت بعد رفع أسعاره فى أعقاب حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ للحكومة الليبية أن ترصد مبالغ طائلة لخطط تنمية طموحة . فقد بلغت جملة الاستثمارات فى الخطة الخمسية ١٩٧٦ - ١٩٨٠ نحو ٩٢١٥ مليار دينار لیبى ، ويبلغ التكوين الرأسالى الثابت خلال خطة التحول ١٩٨١ - ١٩٨٥ نحو ١٦٨٩٤ مليار دينار لیبى .

الصناعة :

ليبيا دولة نامية ، وهى من أقل دول العالم تصنيعا ، ومزد ذلك الى

عوامل تاريخية وجغرافية واقتصادية ترتبط بالاحوال السياسية وسنورد
التبعية والبشرية . وبعد تدفق البترول ، وتوفر رأس المال في اوائل
الستينيات لم تكن هناك استراتيجيات واضحة لتنمية الصناعة وتصويرها
رغم انعكاس ذلك في نصيبها من الدخل القومي الذي لم يتعد في عام ١٩٨٠
نسبة ٢٢٪ .

وتتركز الصناعة في ليبيا في مجموعة صناعية واحدة ، هي مجموعة
صناعة المواد الغذائية والمياه الغازية والتبغ ، التي تحتل مركز الصدارة في
هيكل الصناعة التحويلية سواء من حيث عدد المنشآت الصناعية (٤٠٪ من
المجموع الكلي للمنشآت الصناعية بالبلاد) او من حيث عدد العمال
المشتغلين بها (٤٨٪ من جملة العمال) . وتحتل مجموعة صناعة مواد البناء
المركز الثاني في هيكل الصناعة التحويلية ، وتستوعب ما يقارب ١٩٪ من
المجموع الكلي للمشتغلين بالصناعة . وتأتي صناعة الاخشاب (النجارة)
والاثاث في المرتبة الثالثة ، ويشغل بها ١٢٪ من جملة العمال . وهكذا نجد
ان صناعة السلع الاستهلاكية ، وخاصة الغذائية تسيطر سيطرة كاملة على
هيكل الانتاج الصناعي في ليبيا .

وتعتبر صناعة النسيج من اقدم الصناعات الليبية ، ولكنها ما تزال
تقليدية في انتاجها الذي يعتمد على المنسوجات الوطنية الليبية مثل المحارم
والجرود . ومعظم منشآتها في مدينتي طرابلس وبنغازي ، لسهولة استيراد
مستلزماتها ، وتوفر الايدي العاملة وامكانية التسويق . وتقتصر صناعة
الملابس الجاهزة على مصنع واحد في مدينة درنة . وتتركز صناعة الجلود
في طرابلس وبنغازي وهي صغيرة وبدائية . وهناك صناعة صغيرة تعتمد
كليا على الاستيراد من الخارج وهي صناعة الطباعة والورق التي تتركز في
بنغازي وطرابلس .

وتوجد في طرابلس وبنغازي أيضا صناعة للاخشاب والاثاث في منشآت
صغيرة تنتج للسوق المحلي : كما تتركز بهما انصناعات الكيماوية التي
اهمها البويات والدهانات والصابون والكبريت والبطاريات والبلاستيك
والاسمدة ، ومن بين صناعات مواد البناء تظهر أهمية مصنعين لاسمنت
احدهما قرب بنغازي الاخر في الخمس . وتتوطن في مدينتي طرابلس
وبنغازي صناعة المواد المعدنية ومنها الاثاث المعدني ، وبعض أدوات

الالومنيوم ، وتشكيل المعادن والصفائح ، وهى صناعة ما تزال بدائية غير متطورة .

هذا وقد حظيت الصناعة فى الخطة الخمسية ١٩٧٦ - ١٩٨٠ ، وفى خطة التحول ١٩٨٠ - ١٩٨٥ بنصيب كبير من جملة الاستثمارات . ويرجى ان يؤدى النمو فى الناتج الصناعى ، تبعا للخطة الاخيرة ، الى تحقيق تحسن فى هيكل الاقتصاد الوطنى لصالح قطاع الصناعة مقاسا بالناتج المحلى الاجمالى ، وذلك برفع نسبة مساهمته فى هيكل الناتج من ٢٤ر٢ % فى سنة ١٩٨٠ الى ٣٦ر٢ % فى سنة ١٩٨٥ .

وتعطى الخطة اولوية للصناعات التصديرية الكيماوية والبتروكيماوية وتكرير البترول ، بالاضافة الى تنمية الصناعات المعدنية الاساسية . والمنتجات المعدنية والهندسية . ومن اهداف الخطة ايضا تنفيذ المرحلة الاولى من مجمع الحديد والصلب بمصراته ، واقامة مصنع المسبوكات والمطروقات ، والبدء فى بناء مجمع الالومنيوم فى زواره . وفى مجال تكرير البترول ، يجرى استكمال تنفيذ مصفاة رأس لانوف بطاقة ١٠ مليون طن للتصدير ، والبدء فى انشاء مصفاة جديدة بطاقة ١٠ مليون طن لانتاج المشتقات الخفيفة .

المواصلات :

يبلغ أطوال الطرق المرصوفة فى ليبيا حوالى ٦٠٠٠ كيلو مترا . وأهم الطرق البرية هو الطريق الساحلى الرئيسى ، ثم الطريق الذى يصل الى فزان . ويصل الطريق الساحلى بين أجزاء شمال ليبيا ابتداء من حدودها مع مصر حتى حدودها مع تونس ، وبلغ طوله ١٨٢٢ كم . وهو يربط جميع المراكز العمرانية الساحلية ببعضها .

وقد كان هذا الطريق أهم المسالك للنقل بين مصر فى الشرق وبلاد المغرب فى الغرب منذ أقدم العصور ، وبرزت أهميته فى عهد الاغريق والفينيقيين والرومان والعرب ، وهو عصب النشاط البشرى فى الماضى وفى الحاضر ، ويمر كما راينا بكل المراكز العمرانية فى النطاق الساحلى وهو النطاق المأهول بالسكان . ويمر الطريق فى منطقة الجبل الاخضر واقلينم طرابلس بظواهر ومناظر طبيعية غاية فى الجمال ، وذلك فيما بين مدينتى توكرة فى الغرب ودرنة فى الشرق ، وكذلك فيما بين مصراته فى الشرق وزواره فى

الغرب . أما حول خليج سرت فيما بين مدينتي بنغازي ومصراته ، فان الطريق يمر بأراضي صحراوية قاحلة .

وطريق فزان طريق مهم للغاية ، فهو الذي ربط بين اقليم فزان والساحل ، وكان السبب في النهضة الاقتصادية والعمرانية التي يشهدها اقليم ، ويبين طوله من مدينة سبها حتى التقائه بالطريق الساحلي ٦٢٠ كم. ويمر بعدد من المراكز العمرانية الصحراوية التي استفادت به، وأهمها : بونجيم ، وسوكنة ، وهون ، وودان .

وفيما يختص بالنقل البحري هناك خطوط ملاحية منتظمة بين كل من ميناء طرابلس وبنغازي من ناحية ، وبعض موانئ قارة أوروبا من ناحية أخرى . وقد أجريت تحسينات متعددة على كل من ميناء طرابلس وبنغازي ودرنة ونفذت برامج توسيع بموجبها أصبحت الطاقة الاستيعابية لها نحو ١٦ مليون طن .

ويعتبر النقل الجوي لليبيا الوسيلة الرئيسية لنقل البريد بين المراكز العمرانية الكبرى ، ولنقل كثير من المسافرين داخليا وخارجيا . وهناك مطاران دوليان أحدهما بجوار طرابلس والآخر قريب من بنغازي بجوار بلدة بنينة . وتتعدد المطارات الصغيرة للنقل الجوي الداخلي في سبها ، والكفرة ، وغدامس ، وهون .

التجارة الخارجية :

كان الميزان التجاري لليبيا سالبا في سنى الاستقلال الاولى ، وحتى اكتشاف البترول وتصديره . وكانت صادرات ليبيا تتألف مما يفيض من منتجاتها المحدودة من الاغنام والماعز والابل وزيت الزيتون . ومنذ أن أصبحت ليبيا دولة مصدرة للبترول في عام ١٩٦٣ ، تغيرت أحوالها بسرعة فائقة ، وتعادل ميزانها التجاري ، فأصبح صادرها يفوق واردها بكثير . وتضاءلت نسبة الصادر من المواد غير البترولية حتى أصبحت ٠.١٪ ابتداء من عام ١٩٦٨. وتحاول الحكومة من خلال برامج التنمية تصنيع البترول، وزيادة قيمة الصادرات من منتجات تكريره بالبلاد ، ومن البتروكيماويات .

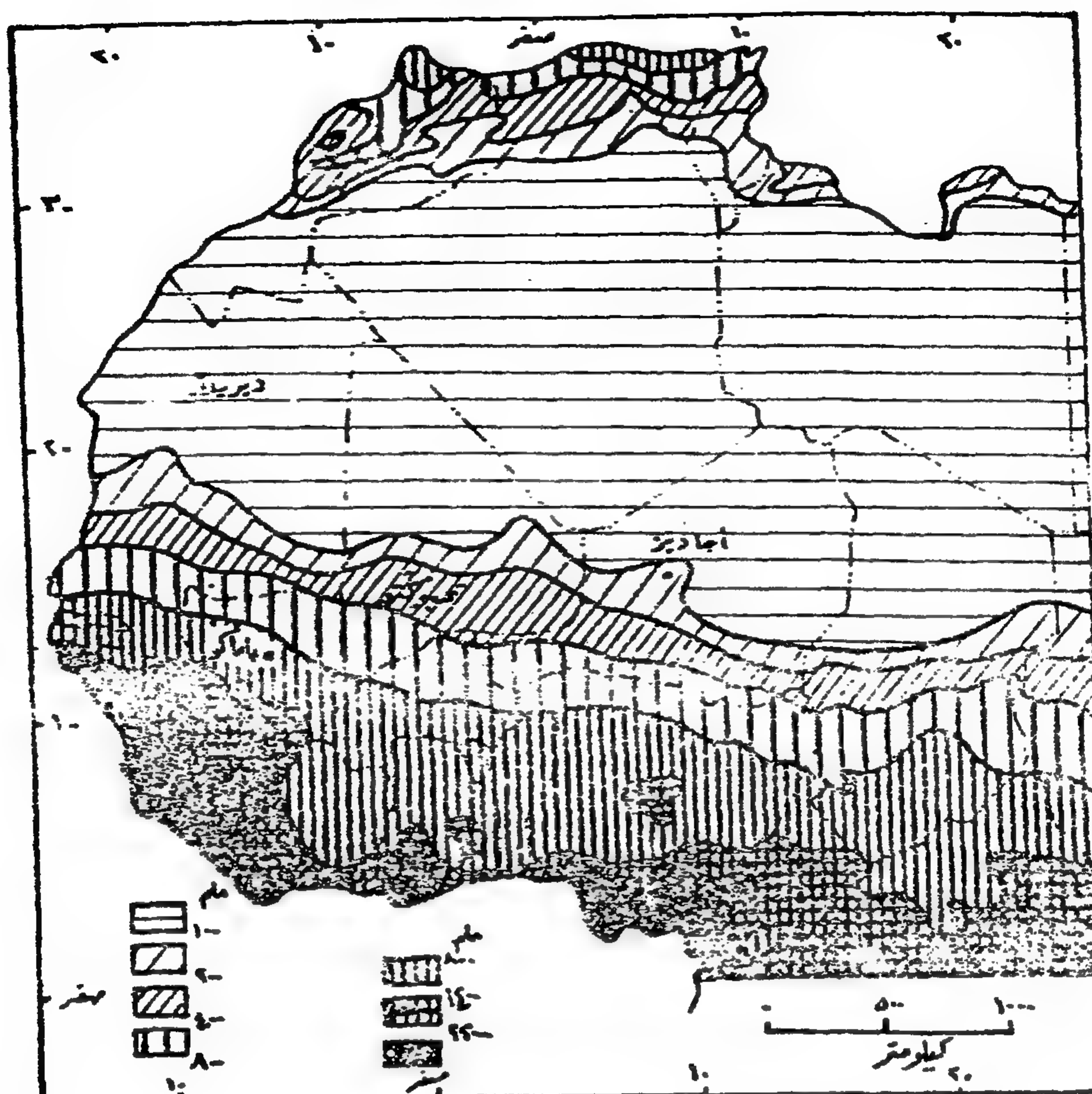
غرب أفريقيا

يشمل إقليم غرب أفريقيا الوحدات السياسية الآتية :

- | | |
|----------------|------------|
| - ساحل العاج | - نيجيريا |
| - فولتا العليا | - غانا |
| - سنغال | - سيراليون |
| - ليبيريا | - جامبيا |
| - غينيا | - توجو |
| | - داهومي |

ويحتوي الكتاب دراسة للوحدات الآتية :

- نيجيريا
- غانا
- غينيا



شكل (٧٢) المتوسط السنوي للتساقط في غرب أفريقيا

الفصل الرابع عشر

نيجيريا

الجغرافيا العامة :

تبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣,٧٧٣ كم^٢ (٣٥٦,٦٦٩ ميلاً مربعاً) ، وبذلك فهي أربعة أمثال مساحة المملكة المتحدة ، وضعف مساحة فرنسا ، لكنها ثلث مساحة السودان ، وأقل قليلاً من مساحة جمهورية مصر العربية . ويسكنها نحو ١٠٥ مليون شخص (في عام ١٩٩٥) ، فهي بذلك أكبر الدول الأفريقية سكاناً . وقد استقلت في عام ١٩٦٠ .

وبسبب حجمها الكبير ، وامتدادها على نحو عشر درجات عرضية (بين ٤° - ١٤° شمالاً) ، فإنها تحوي الكثير من الخصائص المتنوعة ، سواء في جغرافيتها الطبيعية والبشرية . وتتكشف صخور الأساس الصخري التابع لما قبل الكامبري في جهات كثيرة ، كما يتسع ظهور الصخور الكريتاسية في الشمال الغربي وفي وادي النيجر ووادي بنوي Benue ، بينما توجد مكاشف لصخور الزمن الثالث في أقصى الشمال الغربي ، وفي الشمال الشرقي ، وعبر نيجيريا في الجنوب . وتغطي رسوبيات الزمن الرابع القسم الشمالي الشرقي (حوض تشاد) ، والسهول الساحلية ودلتا النيجر . وتظهر الصخور النارية المتداخلة العائدة إلى ما قبل الكامبري ، وكذلك التداخلات النارية التابعة للزمن الأول على الخصوص في هضبة جوس ، بينما تبدو تداخلات الزمنين الثاني والثالث أكثر أهمية وانكشافاً في هضبة بيو Biu ، وعند حدود نيجيريا مع الكامبيرون

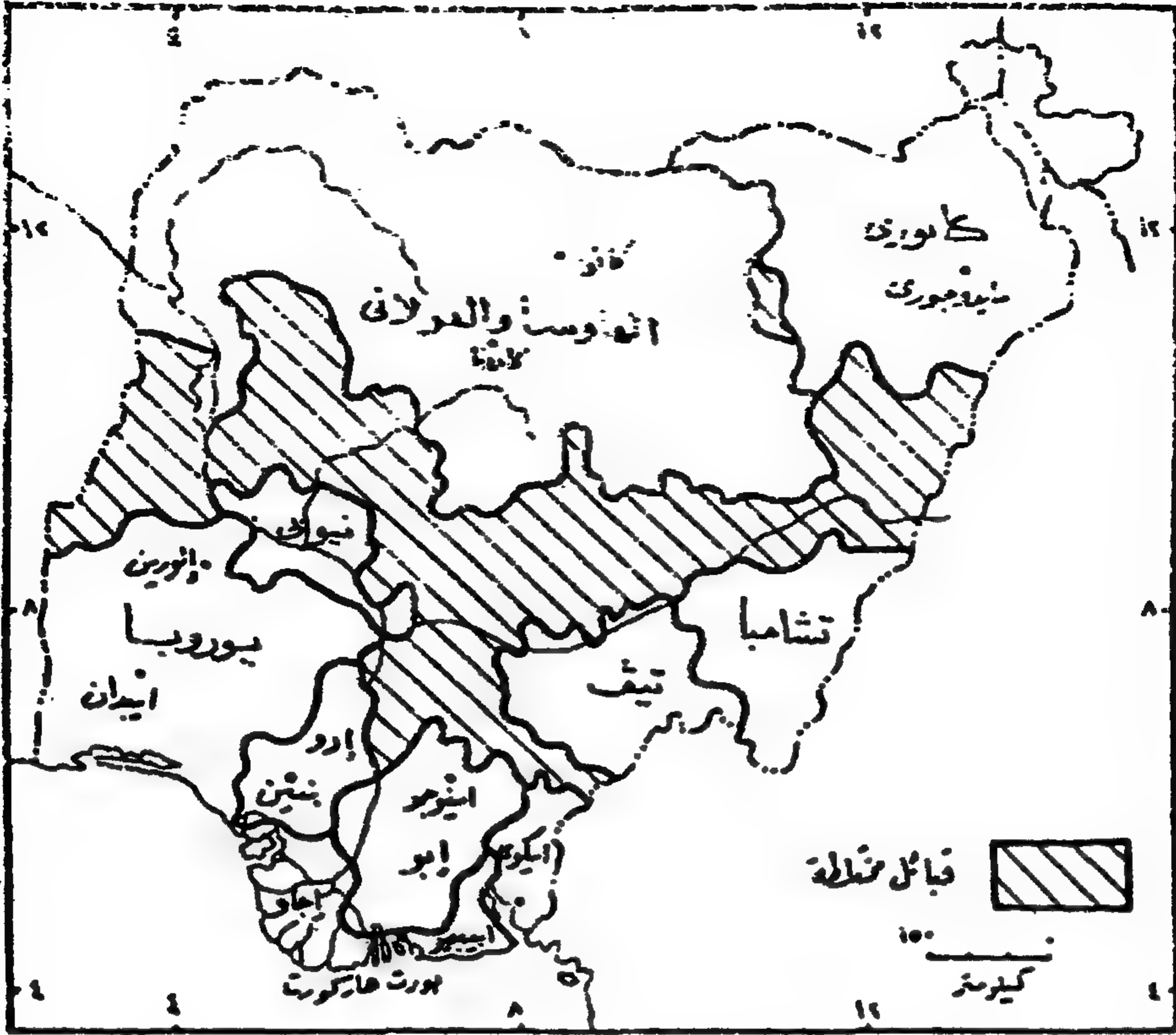
وترتفع هضبة جوس لما فوق ١٨٠٠ متر ، كما تناهز هذا الارتفاع مرتفعات كامبيرون وأداماوا Adamawa على الحدود الشرقية . وبإستثناء هذه الظاهرات التضاريسية البينة البارزة ، فإن معظم نيجيريا الشمالية يقع بين منسوب ٣٠٠ - ٩٠٠ متر . وهناك سلسلة من المرتفعات ذات امتداد غربي - شرقي تتركب من صخور ما قبل الكامبري في القسم الجنوبي الغربي من نيجيريا ، وهي تمثل نطاق تقسيم مياه بين نهر النيجر والمجاري المائية التي تصب في خليج غينيا . كما توجد حافات جبلية تتركب من صخور كريتاسية وإيوسينية إلى الشرق من المجرى الأدنى لنهر النيجر في نيجيريا الشرقية .

ويتميز القسم الجنوبي من نيجيريا بمناخ استوائي مثالي . فمدينة كالابار Calabar تتلقى كمية من الأمطار مقدارها ٣٠٠ سم في السنة ، بينما يسقط فوق لاجوس ١٧٥ سم . وفي الداخل ، يحل الجفاف في بعض الأشهر ، مثال ذلك خلال شهرين في مدينة إنوگو Enugu التي يسقط عليها مثلاً يسقط على لاجوس من الأمطار (١٧٥ سم سنوياً) ، وخلال ثلاثة أشهر في إبادان Ibadan حيث تصل كمية الأمطار السنوية ١٢٠ سم . وإلى الشمال من هذه المدن يسود مناخ مداري يتميز بوجود فصل جاف بطول تدريجياً حتى يصل إلى ثمانية أشهر في الشمال الشرقي . ويزداد المدى الحراري أيضاً كلما توغلنا في الداخل .

وتنمو غابات المانجروف ونباتات المستنقعات في النطاق الساحلي ، يليها نحو الداخل نطاق من الغابات الرطبة يقع على الخصوص إلى الغرب من النيجر الأدنى وشرقي مدينة كالابار ، حيث ، يتم استغلال الأخشاب . ويسود نيجيريا الوسطى غطاء فسيح من السفانا الغاية الرطبة ، يليه غطاء آخر من السفانا الغاية الجافة ، وذلك في الأجزاء الشمالية من نيجيريا الشمالية .

وفي نيجيريا تنوع بشري كالتباين الطبيعي . ولكي يتم الوثام تحت لواء وحدة ، فإن نيجيريا دولة فيدرالية تتكون من الأقسام الفيدرالية الآتية ، ولكل منها حكومة خاصة به :

أقسام الشمال : الشمال الشرقي ، كانو ، الشمال الأوسط ، الشمال الغربي .



شكل (٧٣) قبائل نيجيريا

أقسام الوسط : بنو والهضبة ، كوارا .
أقسام الجنوب : الجنوب الشرقي ، الأنهار ، وسط الشرق ، الغرب
الأوسط ، الغرب ، لاجوس .

وتسود القبائل المسلمة في شمال نيجيريا ووسطها ، وتمتد إلى جنوب غربها
(بينما يكثر المسيحيون في الجنوب) . فتسود قبائل الهوسا Hausa والفرلاني
Fulani في الشمال الغربي ووسط الشمال ، والفرلاني والكانوري Kanuri في
الشمال الشرقي . ويحوي ما يسمى النطاق الأوسط Middle Belt الذي يقع
جنوباً ، خليطاً من المسلمين والمسيحيين ، وكلما تقدمنا جنوباً كانت الغلبة
للمسيحيين . مثال ذلك قبائل تيف Tiv والنوب Nupe . وفي القسم الغربي
تسود قبائل يوروبا Yoruba ، وفي وسط الغرب قبائل إيدو Edo . وفي القسم

الشرقي تتمركز قبيلة إبو Ibo في الغرب ، وقبيلة إيبيو Ibibio . في الشرق .
وأكبر تجمع سكاني هو لقبيلة إبو Ibo (أكثر من ٦,٥ مليون
شخص) في وادي النيجر الأدنى في محافظتي أونيتشا Onitsha وأويري Owerri
(بالقسم الشرقي) ، حيث يوجد ضغط سكاني حاد يؤدي إلى هجرة موسمية
إلى جهات أخرى حتى إلى جزيرة فرناندو بو Fernando Po وجابون . وهناك
تجمع سكاني آخر كثيف ، لكنه مختلف جداً ، في منطقة قبائل يوروبا Yoruba
(القسم الغربي) حيث توجد مدن كبيرة متعددة أنشئت في الأصل كقرى كبيرة
وحصينة لأغراض الحماية والدفاع . أما التجمعات السكانية في نيجيريا
الشمالية ، فهي مختلفة أيضاً ، وهي تحتشد في مدن كانت تحيط بها أسوار
أهمها كانو Kano وكاتسينا Katsina ، وسوكوتو Sokoto ، وزاريا Zaria
وميدوجوري Maiduguri . وهنا تسود الزراعة الدائمة القائمة على أساس
التسميد العضوي . وفيما بين هاتين البؤرتين الكثيفتي السكان ، توجد مناطق
قليلة السكان بسبب الحروب التي كانت تحدث بين القبائل ومشكلات أخرى .
ويرجع سبب خلو أو شدة قلة السكان فيما يسمى « النطاق الأوسط Middle
Belt » إلى عهد الرقّ وغارات البيض لاقتناص العبيد من الشمال ومن
الجنوب ، وإلى ذباب تسي تسي ، وإلى فقر الموارد .

واقتصاد التصدير النيجيري متنوع أيضاً . فهي تصدر الكاكاو (من
القسم الغربي) ، والمطاط ، والأخشاب ومنتجات النخيل (من وسط الغرب)
ولب النخيل وزيت البترول (من القسم الشرقي) والفول السوداني والقطن ،
والقصدير والجلود الخام والمذبوغة (من القسم الشمالي) . وهناك تجارة داخلية
واسعة ومهمة ، خصوصاً في الأبقار من الشمال والكولا من الغرب . وتعتبر
نيجيريا الدولة الوحيدة في أفريقيا الغربية التي تنتج الكثير من الأخشاب في
الجنوب ، والكثير من قطعان الماشية في الشمال .

أقاليم نيجيريا

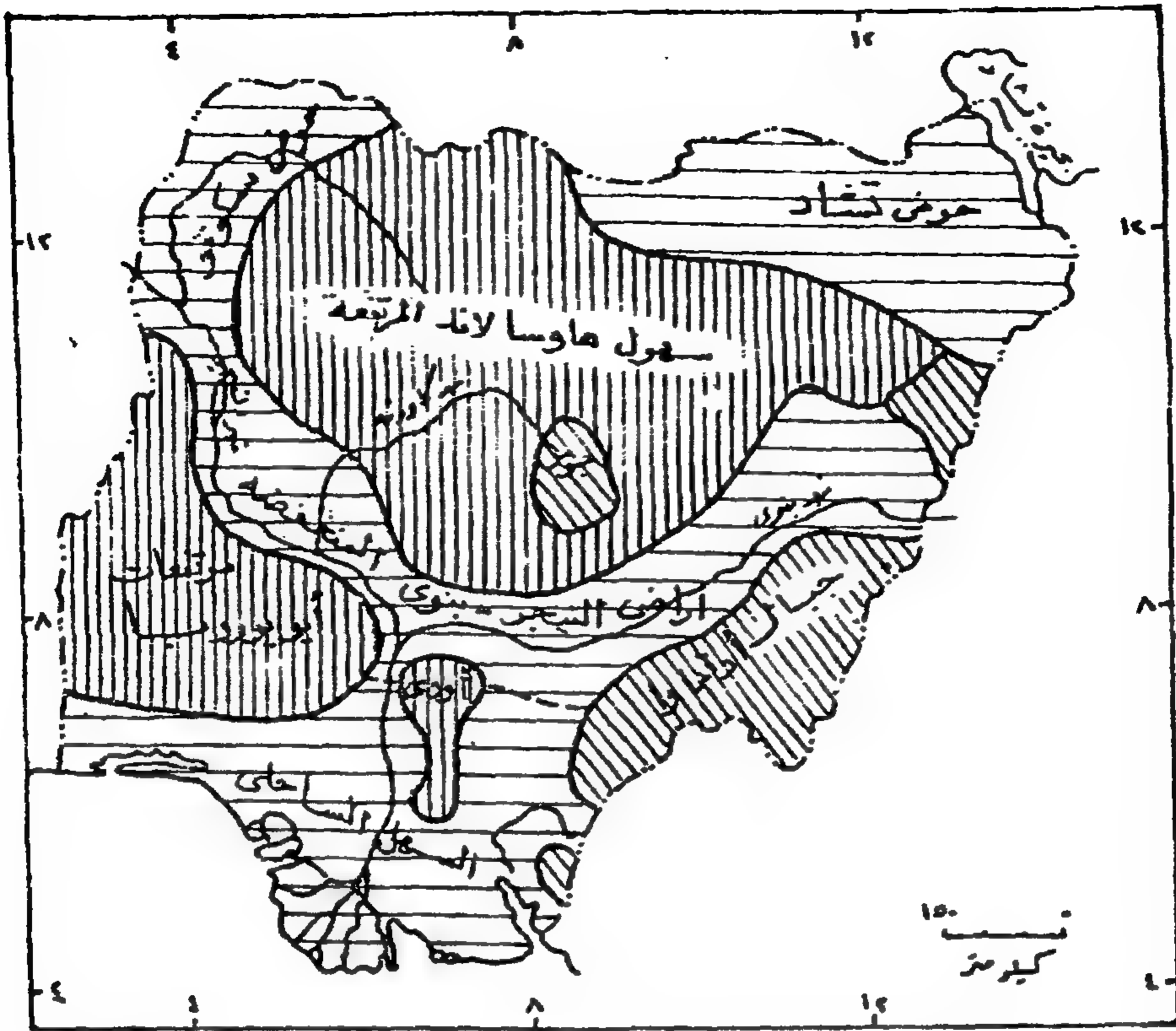
نيجيريا الغربية :

يستمر خط الساحل المنبسط الذي تظاهره البحيرات الساحلية ، والذي يميز سواحل ساحل العاج وتوجو وداهومي ، حتى دلتا النيجر التي تتصف بالفروع والمخارج الطينية . وعلى الساحل يشتغل السكان بزراعة جوز الهند وتربية الماشية وصيد الأسماك .

ويقطع خط الساحل هذا موقع مدينة لاجوس Lagos (سكانها حوالي ٥١ مليون). وقد أنشئت المدينة القديمة على جزيرة في بحيرة ساحلية ومنها اتسعت المدينة وامتدت إلى جزيرة إيدو Iddo في الشمال الغربي وجزيرة Ikoyi في الشرق ، وإلى اليابس النيجيري عند أبابا Apapa (وهو الحي الذي يتميز بمراقى عميقة المياه وبالصناعة) وإيبوت ميتا Ebute Metta (مستودع السكك الحديدية) ، وبابا Yaba وفكتوريا ، وقد عانت لاجوس من موقعها المنخفض وموضعها المستنقي الذي يواجه صعوبات جمة للتزود بالمياه العذبة ، وللوقاية من الأوبئة والأمراض ، ومن تشتت عمرانها في مساحات منفصلة ، مما يترتب عليه ازدحام وتكدس حركة المرور فوق المعابر (الكباري) التي تصل بينها. ومينائها الجوي يبعد عنها ١٩ كم (١٢ ميلاً) إلى الشمال.

ولاجوس هي ميناء نيجيريا الأول ، ومركزها الصناعي ، ومحطة النهاية للخط الغربي من السكة الحديدية التي تتجه إلى كانو ونجورو Nguru في أقصى الشمال الشرقي . وهو ينقل بعضاً من السلع إلى جمهورية النيجر ، بينما تستخدم بحيرة بورتونوفو Porto-Novo الساحلية في التجارة مع داهومي . وتعتبر لاجوس أهم مدينة في غرب أفريقيا من الوجهة التجارية .

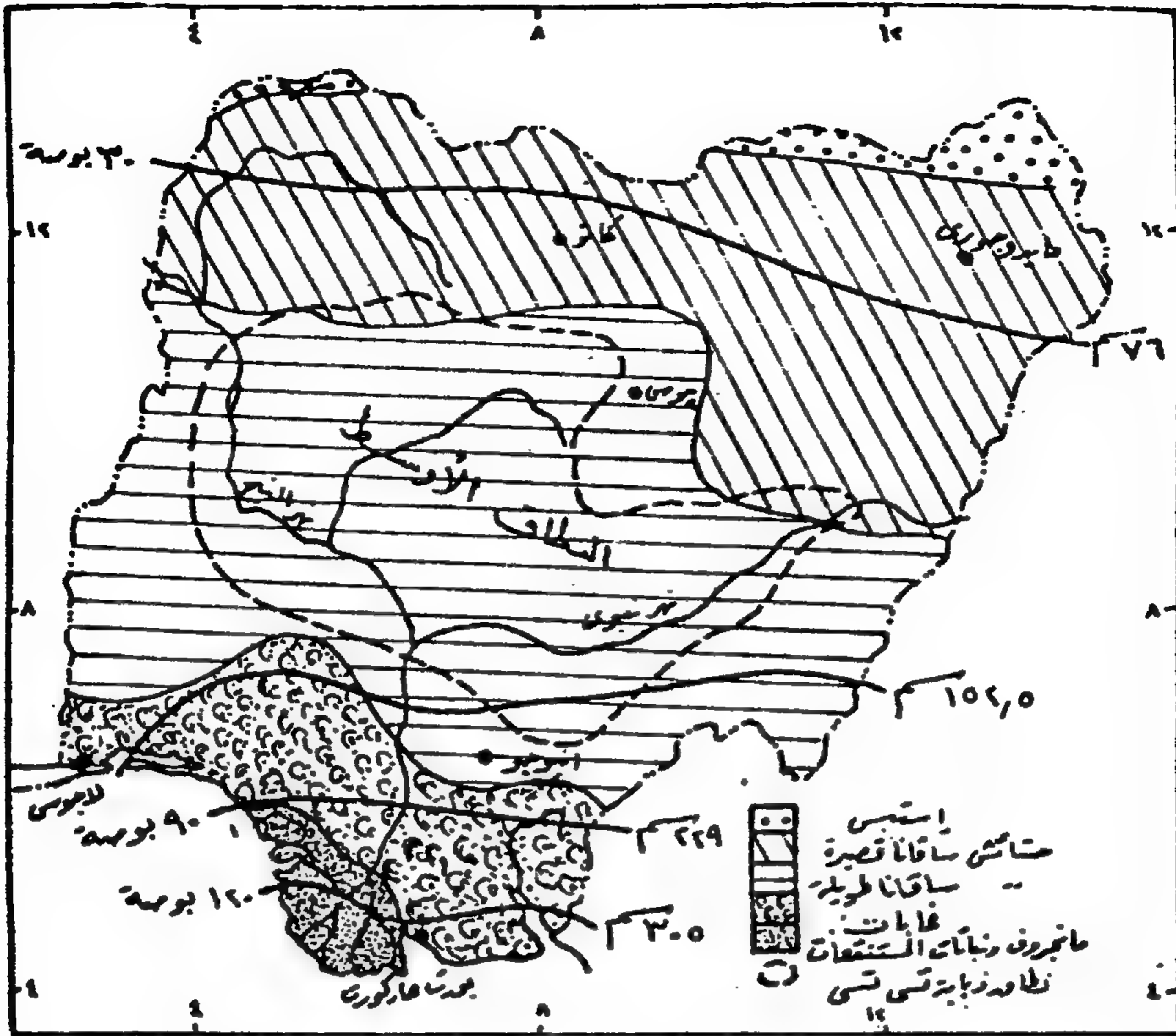
وفي الداخل بعيداً عن الساحل ودلتا النيجر ، تقوم زراعة كثيفة ، للكولا والحمضيات والموز والأناس ، وكذلك نخيل الزيت ، وتقع محافظة يوروبا الوسطى Central Yorubaland جنوب نطاق تقسيم المياه بين النيجر وساحل ج غينيا . وفيها توجد تربات لومية متوسطة الخصوبة ، يزرعها شعب



شكل (٧٤) الأقاليم الطبيعية لنيجيريا

اليوروبا زراعة كثيفة بالمحصولات الغذائية التقليدية ، وبالكاكاو كمحصول نقدي . ويُزرع الكاكاو في نحو مليون فدان يمتلكها نحو ٣٠٠ ٠٠٠ مزارع . وتمتد المساحة نحو شرق الشمال الشرقي مسافة نحو ٣٢٠ كم (٢٠٠ ميل) باتساع مقداره ٦٤ كم (٤٠ ميلاً) تقريباً . ويحد من امتدادها شمالاً وغرباً أكثر من ذلك عدم كفاية الرطوبة والمطر ، ومن امتدادها جنوباً وجود التربات الرملية الفقيرة .

وتنمو قرى اليوروبا الضخمة بسرعة وتتحول إلى مدن . وأشهرها مدينة إبادان Ibadan ، (سكانها حوالي ١٤ مليون) وهي أكبر مدينة داخلية في أفريقيا الإدارية . وهي عاصمة الإقليم الغربي ، ومركز تجاري كبير ، وبها صناعة نامية ، وجامعتان إحداهما تحوي مستشفى تعليمياً حسن التجهيز ، وهي مركز هام للمواصلات من طرق برية وسكك حديدية وخطوط جوية .



شكل (٧٥) أقاليم المطر والنباتات في نيجيريا

وفي غرب أويو Oyo تسود تربيات خفيفة ، والمطر أقل ، ولا يزرع الكاكاو . والمحصولات الرئيسية هي اليام وغيره من محاصيل المواد الغذائية والطباق .

وتحتوي نيجيريا الغربية بعضاً من أغنى التربات في نيجيريا ، تشغل معظمها أشجار الكاكاو المربحة . ومحصولات الغذاء والكمولا والمواالح هي الأخرى ذات أهمية . ويمكن القول أن نيجيريا الغربية هي أكبر قسم منتج في دولة نيجيريا .

غرب وسط نيجيريا

يشمل هذا الإقليم محافظتي بنين Benin والدلتا Delta الواقعتين إلى

الغرب من النيجر . وفي المداخل الغربية لدلتا نهر النيجر تقع مواني سايل Sapele و واري Warri وبوروتو Burutu . رغم أن سايل لا تقع مباشرة على فرع من فروع النيجر ، وهي ميناء لجميع الأخشاب ، وميناء تصدير ، وبها مصنع للأخشاب .

أما واري وبوروتو فهما ميناءان محيطيان ملك لشركات خاصة حيث يتم تبادل البضائع بين السفن المحيطة والبواخر النهرية التي تجوب نهر النيجر طول السنة إلى أونيتشا Onitsha ، وفصلياً إلى بارو Baro (حيث يوجد خط حديدي فرعي) . وتسير الصنادل فصلياً أيضاً إلى نهر بنوي Benue وخلالها إلى ماكوردي Makurdi ويولا Yola وجاروا Garoua (في الكامرون) . وتحمل الصنادل البترول إلى أعلى النهر ، والفول السوداني والقطن والجلود الخام والمدبوغة إلى أدانيه .

وتمتد الغابة الرطبة في الشمال حيث يتم استغلال أهم مصادر الأخشاب في نيجيريا . ويتم تعويم الكتل الخشبية إلى أداني الأنهار خصوصاً إلى ميناء سايل Sapele . ونيجيريا هي أهم دول أفريقيا في تصدير الأخشاب ، وأهم مصدر للأخشاب الصلبة للمملكة المتحدة . وتزايد أهمية المطاط في منطقتي بنين وسائيل تجاه نهر النيجر ، وحيث تداخلت قبائل إبو Ibo غرباً عبر النهر يسود نخيل الزيت .

نيجيريا الشرقية :

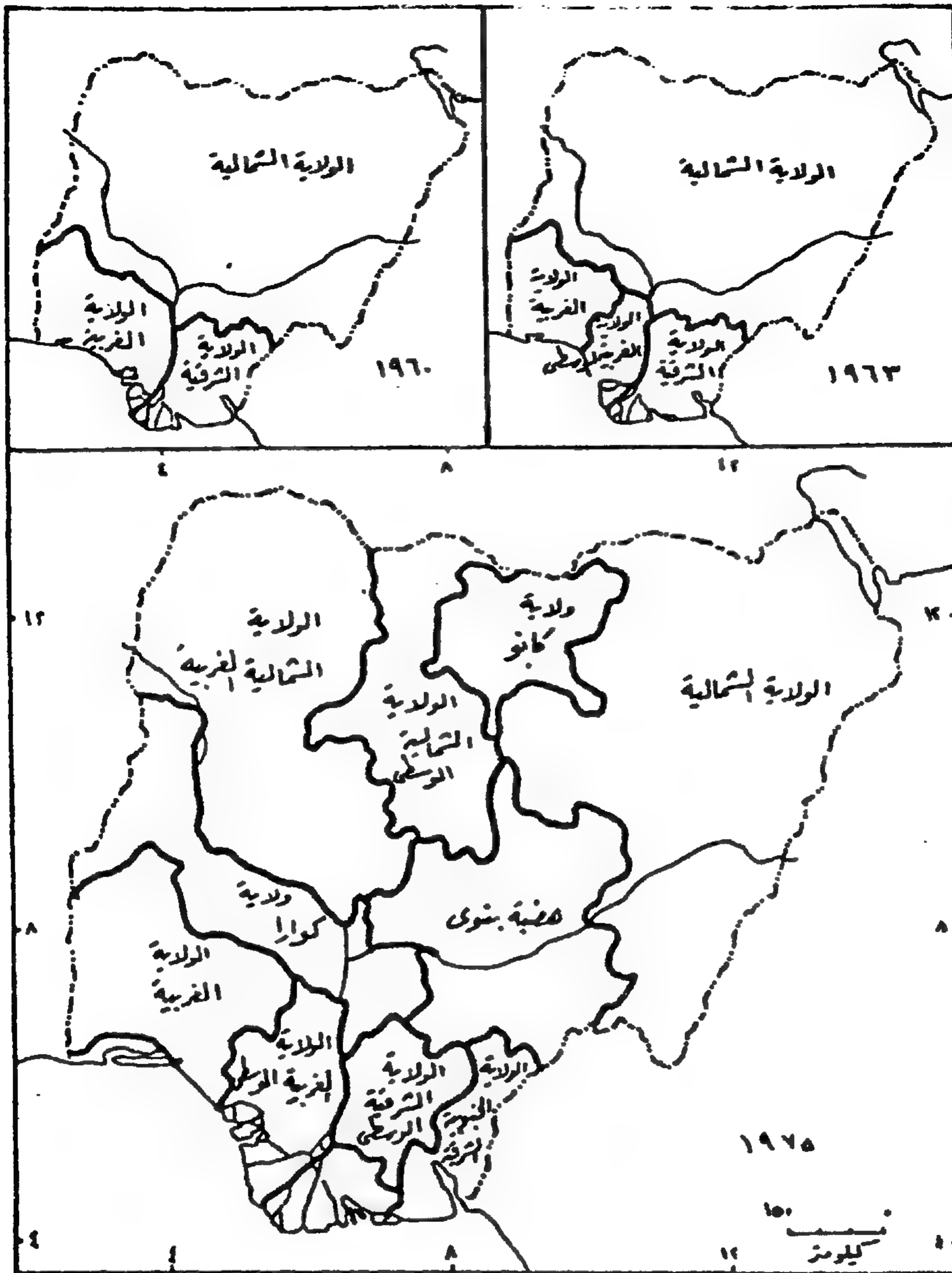
يحوي القطاع الشرقي من دلتا النيجر معظم حقول البترول النيجيرية . وقد بدأ الإنتاج في عام ١٩٥٧ ، وينقل الزيت والغاز عن طريق الأنابيب إلى ميناء هاركورت Port Harcourt حيث يوجد معمل لتكرير البترول ، كما أنشئ معمل للشحومات النفطية في أبابا Apapa . وقد ازداد الإنتاج بسرعة حتى وصل في عام ١٩٦٥ أكثر من ١٣ مليون طن ، ثم هبط بسبب الحرب الأهلية ، لكنه عاد إلى الصعود حتى وصل إلى ١٢٠ مليون طن . وهو الآن يمثل السلعة الرئيسية الأولى في الصادرات . ويستخدم الغاز الطبيعي لتوليد الكهرباء والصناعة في بورت هاركورت

وبورت هاركورت هي ثاني مواني نيجيريا ، وقد أنشئت لكي يتم تصدير الفحم عن طريقها حينما أنشيء الخط الحديدي الذي يصلها بمدينة إنوجو Enugu مركز تعدين الفحم . وقد كان لمد الخط الحديدي من إنوجو إلى كادونا Kaduna وجوس في نيجيريا الشمالية في عام ١٩٢٧ أثره في جعلها مخرجاً للشمال ، منافسة بذلك لاجوس ومواني دلتا النيجر .

وتتركب سهول منطقتي أويري Owerri وكالابار Calabar من رمال تابعة للزمن الثالث ، وهي تربات فقيرة غسلتها المياه الغزيرة فسلبتها مكوناتها العضوية . وأساس الاقتصاد الزراعي هنا هو نخيل الزيت الذي يتطلب أمطاراً غزيرة لكنه يستطيع النمو في التربات الفقيرة ، وتزرع بين أشجار النخيل محاصيل غذائية . وقد أنشئت عدة معامل صغيرة حديثة حسنت استخراج ونوعية زيت النخيل . ويستهلك نصف الإنتاج محلياً ، ونصفه يُصدّر ، أما اللب فيتم تصديره كله .

ويعيش مزارعوا قبائل إبو Ibo في قرى عديدة مبعثرة ، والكثافات السكانية هنا أعلى الكثافات في نيجيريا . ومدينة أونيتشا Onitsha تقع على نهر النيجر ، وهي سوق ضخم للمنتجات التي ترد إليها بالطريق البري وبالنهر . وإلى الشرق من مدينة كالابار Calabar ، وهي ميناء نهرية قديمة ، تقل كثافة السكان في أراضي قبائل إيبيو Ibibio ، ويوجد بعض مزارع لنخيل الزيت ، والمطاط والموز .

وإلى الشمال من السهول المذكورة تقع سهول أنامبرا Anambra الكريتاسية وهضبة يودي Udi وسهول كروس ريفر Cross River Plains . وغالباً ما تكون الأراضي المرتفعة فقيرة ، تحدها الجداول المائية بكثرة ، والسهول غير خصبة وجافة جداً لا تسمح بزراعة نخيل الزيت . وقد بدأ تعدين الفحم الكريتاسي في عام ١٩١٥ في هضبة يودي من مناجم حول إنوجو Enugu ولم يزد الإنتاج السنوي على مليون طن ، وقد فقد الفحم معظم أسرته لصالح النفط ويمكن تحويله إلى كوك ، رغم أنه أصلح للتصنيع وينبغي أن تنجذب إليه الصناعات ، خصوصاً أن النفط والغاز الطبيعي إلى



شكل (٧٦) الولايات النيجيرية

الجنوب منه ، واللجنيت وصلصال الطوب وخام الحديد إلى الشمال منه والرصاص والقصدير إلى الشرق. ومدينة إينوجو Enugu هي عاصمة نيجيريا الشرقية. ولنيجيريا الشرقية الآن آمال عراض في المستقبل لتحسين أحوالها عن

طريق ثروتها من النفط والغاز الطبيعي ، ومعادن أخرى للاستخدام في الصناعة . وما دامت الأسواق متوفرة فإن المستقبل طيب بالنسبة لصناعة الحديد والصلب وصناعة الكيماويات ، وكلها ستكون سبباً في تخفيف حدة الضغط السكاني .

نيجيريا الشمالية :

وتقدر مساحتها بأربعة أمثال نيجيريا الغربية ونيجيريا الشرقية مجتمعتين ، ولكنها أقل منها نمواً وتقدماً . وهي تنقسم إلى قسمين هما : النطاق الأوسط Middle Belt في الجنوب ، والسودان النيجيري في الشمال .

النطاق الأوسط :

وهو نطاق واضح في نيجيريا . ورغم أنه غير محدد بحدود حادة مقبولة ، فإنه يتميز بقلّة السكان ، وبإبنتلاته بذبذب تسي تسي (باستثناء هضبة جوس Jos) ، ويتّج عدداً قليلاً من المحصولات القيمة .

وتسير الحدود بينه وبين نيجيريا الغربية خلال تقسيم المياه مع النيجر ، حيث تنمو المحصولات الغذائية فقط . ومدينة إلورين Illorin هي مركز شعب اليوروبا الموجود بنيجيريا الشمالية .

وتربات حوضي النيجر وبنوي متوسطة الخصوبة ، يستغلها شعب التيف Tiv استغلالاً طيباً في زراعة السمسم والصويا ، والقطن . وقد كان استخدام الأراضي الفيضية قليلاً ، لكن مع ازدياد مشروعات التحكم في مياه الأنهار ، يزداد استثمارها في زراعة الأرز وقصب السكر .

وتعتبر الأجزاء الجنوبية من السهول العليا في أرض الهوسا ، إلى الشمال من أودية النيجر وبنوي ، قسماً من مركب الكتلة الصخرية الأفريقية التابعة لما قبل الكامبري ، وهي تقع على ارتفاع يتراوح بين ٣٠٠ - ٩٠٠ متر ، وهي قليلة السكان . ومدينة كادونا Kaduna التي أنشأها البريطانيون ، عاصمة

بيجيريا الشمالية ، وهي مركز للسكك الحديدية ، وبها مصنع كبير حديث للمسوجات

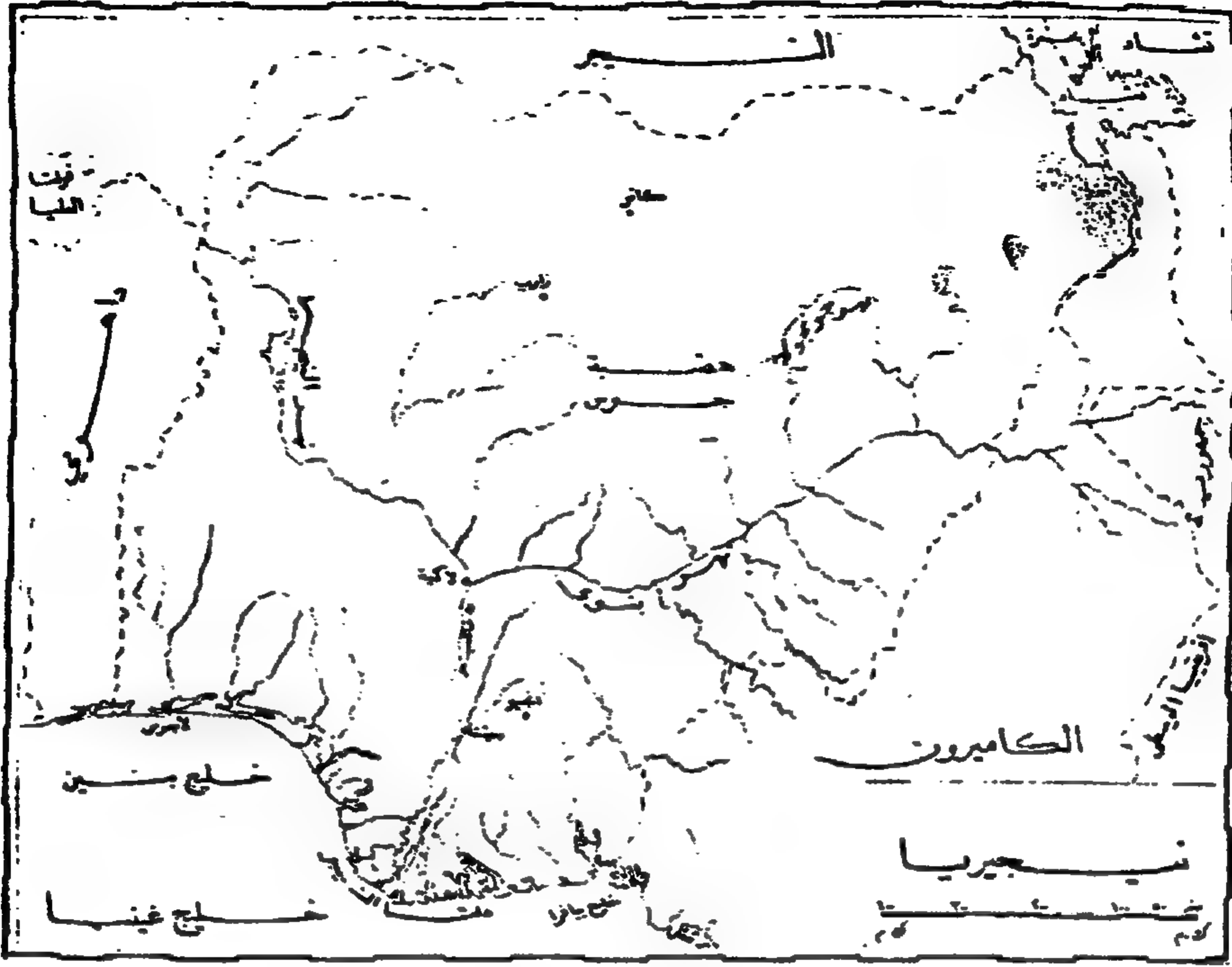
ويبلغ متوسط ارتفاع هضبة جوس ١٢٩٠ متر ، وطولها ١٠٤٠ كم وعرضها ٨٠ كم وقد قاومت كتلة الهضبة الجرانيتية عدة دورات تعرية ، وحدث بها عدة تداخلات وانثاقات بركانية . وقد معت الحافات الشديدة الانحدار التي تحيط بها دخول فرسان شعب الفولاني ، ولهذا أصبحت الهضبة ملجأ وملأذا للشعوب الغير إسلامية التي وقعت في نزاع مع قبائل الفولاني . وإمكانيات الزراعة محدودة ، وتنمو محاصيل الحبوب ، كما يمكن رعي قطعان الماشية ، لكن المراعي فقيرة .

وكان القصدير يعدن بصفة خاصة في الأودية السالفة للأنهار ، التي نحتت مياهها من صخور الجرانيت وجرفته معها من هضبة جوس . فيزال الغطاء السطحي ، ثم يُغسل الحصى إما بالوسائل اليدوية أو الميكانيكية . ولكن هذا المصدر السهل التعدين قد استنزف . ويجري الآن تعدينه أيضاً من صخور الجرانيت من مناجم عميقة في هضبة جوس ، التي تنتج حالياً نحو أربعة أخماس الإنتاج الكلي لنيجيريا ، والخمس الباقي يأتي من الشمال من الهضبة . ويتم إنتاج الكوليومبايت Columbite والتانتالايت Tantalite والزركون مع القصدير . ويستفاد من هذه المعادن في صناعة الحديد والصلب ، إذ ينشأ من خلطها مع الحديد نوع من الصلب شديد المقاومة للحرارة ، كذلك للمعادن الثلاثة أهمية خاصة في صناعة المحركات النفاثة والصواريخ . وتنتج نيجيريا معظم إنتاج العالم من المعادن الثلاثة .

وتقع مرتفعات أداماوا Adamawa في الشرق . وتسودها زراعة المدرجات ، مستخدمة السماد العضوي ، وفيها دورة محصولية ، وتربية للماشية .

السودان النيجيري :

يعتبر هذا الإقليم كثيف السكان . إذا ما قورن بالنطاق الأوسط ، كما



شكل (٧٧) نيجيريا : شبكة التصريف المائي

وتجود به الزراعة ، وتزداد أهمية تربية الماشية نظراً لعدم وجود ذباب تسي تسي . وهذا الإقليم هو الشمال المنتج ، رغم أنه يواجه أحياناً صعوبات في مصادر المياه ، وفي البعد عن الطرق الرئيسية والسكك الحديدية .

ويشبه القسم الشمالي من سهول الهوسا العليا سهول النطاق الأوسط ، لكن هنا يزرع القطن والطباق ، كما يزرع الفول السوداني والذرة حول كانو وشمالها . وتستغل أودية الأنهار عقب الفيضان الفصلي في زراعة الأرز والخضروات ؛ وتنتج الأرض المروية مختلف أنواع الخضروات والنيلة والخنة . وحول المدن تزرع الأراضي بصفة دائمة زراعة كثيفة . والمنطقة كثيفة السكان خاصة حول المدن .

وقد بقيت على الزمن نحو من ٤٠ مدينة مسورة ، أكبرها مدينة كانو Kano . فقد كان يشغل محيط تليها البارزين عمراناً لمدة لا تقل عن ألف

سنة وقد اكتشف هناك بقايا عمران يرجع للعصر الحجري الحديث . وكانت كانوا محطة نهائية هامة لطرق القوافل الصحراوية . وكانت مساحات للحقول ترك في داخل الأسوار كي تؤمن الطعام للسكان في أوقات الحروب حين يتم حصار المدينة . وحتى الآن ما تزال هناك مساحات فضاء لم تشغلها المباني داخل الأسوار . وخارج الأسوار توجد أحياء جديدة تسكنها جماعات من شعوب مختلفة كالأوروبيين واللبنانيين ، بالإضافة إلى جماعات وطنية وفدوا من الشمال أو من الجنوب .

وهناك حرف يدوية ما تزال باقية داخل الأسوار ، ومنها الصباغة بالنيلة . أما الصناعات الحديثة فقد نشأت ونمت خارج سور المدينة ، حيث يتم استخراج زيت الفول السوداني ، وتصنيع مختلف أنواع السلع الاستهلاكية . وتعتبر مدينة كانوا أيضاً مركزاً تجارياً كبيراً فإليها ترد الجلود الخام والمذبوغة والفول السوداني وتقوم بشحنها إلى الجنوب للتصدير ، وتستقبل البضائع المستوردة للقيام بتوزيعها . وتقوم أيضاً بتجارة مرور مع جمهورية النيجر . وإلى الشمال منها يقع مطارها ، وهو من أهم المطارات الأفريقية ، وإلى جنوبها حظائر ضخمة للخنازير من بين أكبر حظائر الخنازير في العالم .

ويشغل حوض سوكونو Sokoto منطقة شمال غرب نيجيريا ، حيث تمت تعرية الصخور الكريتاسية وصخور الزمن الثالث بشدة . والتربة خفيفة ومسامية^٩ ، ولهذا تشغلها محاصيل فقيرة من الذرة العويجة والفول السوداني . وقد كانت مدينة سوكونو عاصمة لشعب الفولاني ، وهي أيضاً نموذج مثالي لمدينة محصنة بالأسوار .

ويقع حوض تشاد Chad في شمال شرقي نيجيريا . وهو يمثل بالرواسب التابعة للزمنين الثالث والرابع . وتعرقل التربة الخفيفة والجفاف زراعة الفول السوداني ، لكن توجد مساحات من التربة الأثقل تناسب زراعة القطن ونوعاً غنياً من القمح . وحول بحيرة تشاد توجد مساحات تغمرها مياه الفيضان كل عام ، وهذه تشغلها زراعة الأرز والقمح الغني ، ويُصاد السمك من البحيرة .

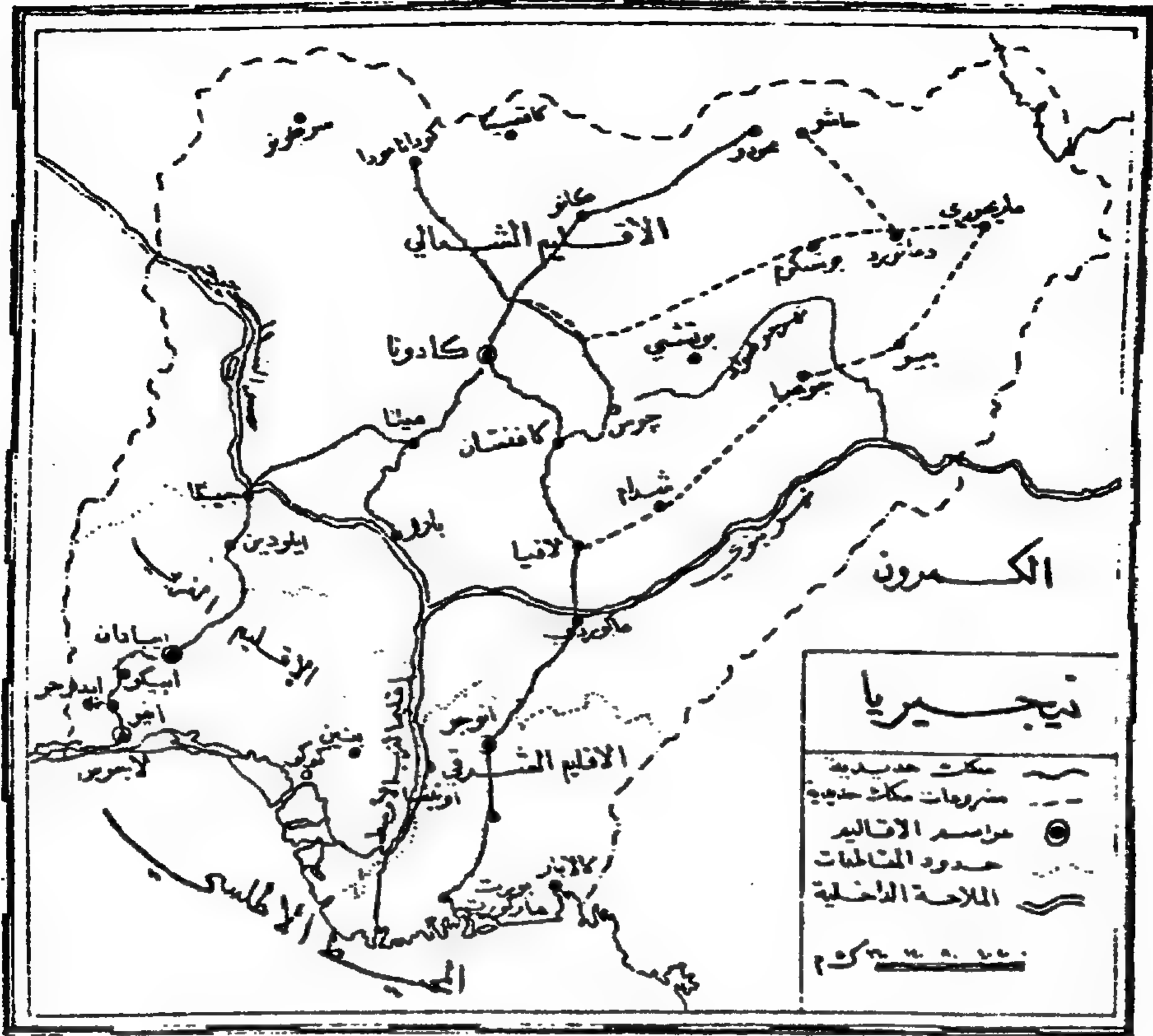


شكل (٧٨)

نيجيريا : دلتا النيجر

وفي حوضي تشاد وسوكوتو ، وغير بعيد عن مناطق الزراعة الكثيفة ، وبعيداً عن ذباب تسي تسي يصبح رعي قطعان الماشية بواسطة شعب الفولاني مهماً للغاية . وتربي الماشية للإعاشة أكثر من تربيتها لأغراض التجارة ، وتجارة الماشية مهمة للسوق النيجيرية الكبيرة ، خصوصاً في الجنوب حيث يرتفع مستوى المعيشة . وتشتهر سوكوتو بجلود ماعزها الحمراء ، وكانو بجلود ماعزها البنية ، والجلود الخام والمذبوغة لها أهميتها الكبيرة للتصدير .

ويتميز شمال نيجيريا بالتنوع ، وهو آخذ بأسباب النمو والتقدم السريع . ومحصولاته النقدية من الفول السوداني والقطن والجلود الخام والمذبوغة ذات أهمية في التجارة عبر البحار . كما وأن إنتاجها من الطباقي والماشية عنصر أساسي في التجارة الداخلية .



شكل (٧٩) نيجيريا : المواصلات والمدن

وتكمن قوة نيجيريا في تنوع مصادرها الاقتصادية ، وفي السوق الكبير المتوفر داخلياً خصوصاً مع ارتفاع مستويات معيشة السكان ، وهي في هذا كله تتميز عن كثير من دول أفريقيا . وكل جزء من الاتحاد الفيدرالي يضيف إلى الصادرات عناصر هامة وأساسية ؛ فمن نيجيريا الشرقية لباب النخيل وزيته ، ومن غرب الوسط المطاط والخشب ، أما الكاكاو فمن نيجيريا الغربية ؛ والفول السوداني والزيت من نيجيريا الشمالية . وكل إقليم يضيف بنوداً أخرى هامة للاقتصاد الفيدرالي من ذلك : الكولا من الغرب ؛ منتجات النخيل من غرب الوسط ، النفط من الشرق ؛ القصدير وما يرتبط به من معادن (الكوليومبايت والزركون ...) والقطن والجلود الخام والمذبوغة من الشمال . ونيجيريا هي أول دول العالم في إنتاج لباب النخيل وزيته ، واللباب يكفي لصنع أكثر من

ثلث مليون طن من الصابون سنوياً . وهي أولى دول العالم تصديراً للثول السوداني . ويكفي زيت الثول السوداني مع زيت النخيل لإنتاج ما يناهز نصف مليون طن من المارجرينا سنوياً . ونيجيريا هي ثانية دول العالم تصديراً للكاكاو ، وهي مصدر هام للسمن والأخشاب .

وبالاتحاد الفيدرالي وسائط مختلفة للمواصلات . فنه النيجر ونهر بنوي يستخدمان كثيراً للملاحة والنقل النهري . وللسكك الحديدية خطوط رئيسية من لاجوس وبورت هاركورت وتلتقي في كادونا ، بالإضافة إلى فروع عديدة . والطرق البرية كثيرة ، وأكثر من السكك الحديدية أهمية في معظم أنحاء نيجيريا . وهي كثيفة في المناطق الكثيرة السكان التي تشتهر بنخيل الزيت في نيجيريا الشرقية ، ومنطقة زراعة الكاكاو بنيجيريا الغربية . ويخدم الطيران النيجيري المدن الرئيسية ، وهناك خطوط جوية عديدة تربط نيجيريا بأقطار أخرى . والواقع أن نيجيريا تتميز بالتنوع الكثير طبيعياً وسكانياً واقتصادياً ، وهي جديرة بالرقى والتقدم السريع والكبير طالما احتفظت باتحادها .

الفصل الخامس عشر

جمهورية غانا

في عام ١٩٥٧ كان ساحل الذهب أول مستعمرة في غرب أفريقيا تحصل على استقلالها بعد ليبيريا التي استقلت قبلها بنحو قرن من الزمان ؛ وقد أطلق على الدولة المستقلة اسم غانا تيمناً بإسمها القديم . وتأتي غانا في المرتبة الثانية من حيث عدد السكان في غرب أفريقي ، إذ يبلغ سكانها نحو ١٦ مليون نسمة . وهي أيضاً أغنى دولة في غرب أفريقيا بالنسبة لدخل الفرد

وتبلغ مساحة غانا (٢٣٩٠٠٠ كيلو متر مربع) (٩١٨٤٣ ميل مربع) (قدر مساحة أوغندا ، لكن دخل الفرد بها يوازي ثلاثة أمثال دخل الفرد في أوغندا) ، فهي إحدى أصغر الدول الأفريقية مساحة ، ويعيش ثلاثة أرباع سكانها في مجال من العاصمة اكرا Acra لا يبعد أقصى مكان فيه عنها بأكثر من رحلة نصف يوم بالسيارة .

الجغرافيا الطبيعية

مظاهر السطح والأقاليم الطبيعية :

يمكن تمييز ثلاثة أقسام تضاريسية في غانا :

- ١ - السهول الساحلية . ٢ - هضاب أشانتي Ashanti المنخفضة ٣ - حوض الفولتا Volta .

وتتفق هذه الأقسام إلى حد كبير مع الاختلافات المناخية ومع التقسيم الثلاثي للنبات الطبيعي إلى :

١ - السفانا الساحلية ٢ - الغابات ٣ - السفانا الشمالية .

ومن ثم يمكن تقسيم غانا إلى أقسام طبيعية تتفق مع التقسيم التضاريسي الآنف الذكر :

١ - السهول الساحلية :

تتكون السهول الساحلية الواقعة إلى الغرب من أكرا Acra من تلال وحافات تقع كلها دون مستوى ١٨٠ متر فوق سطح البحر ، وتحدها شواطئ منبسطة إلى الغرب من رأس تري بويتس Three Points ، أما إلى الشرق من تلك الرأس فتحف بها خلجان تتعاقب مع رؤوس أرضية .

وعلى الساحل إلى الشرق من بلدة تاكورادي Takoradi يقل المطر عن ١٢٥ سم ، أما إلى الغرب منها فإن كميته تزداد لتفوق ٢٠٠ سم إلى الغرب من بلدة أكسيم Axim . وهنا يزداد الغطاء النباتي كثافة وغنى ، وتسود الغابات المطيرة . ومع هذا ، وفي هذه المناطق الرطبة ، نجد ثلاثة أشهر من السنة جافة نسبياً .

وفي هذا القسم من الساحل الواقع غربي أكرا لا توجد مرافئ طبيعية جيدة . وكانت السفن تفرغ حمولتها بعيداً عن الساحل ، إلى أن تم بناء مرفأ تاكورادي Takoradi في عام ١٩٢٨ .

وإلى الشرق من أكرا Acra تمتد السهول التي تعرف باسم سهول أكرا أو سهول فولتا الأدنى . وهي تتميز بكمية أمطار قليلة ، تبلغ نحو ٧٥ سم ، ونبات يتألف من الحشائش والشجيرات . وعلى الهوامش الرطبة تزرع الخضر والفواكه لأسواق المدن المجاورة ، ويشيع رعي الماشية على الأرض الحشائية ، نظراً لأن أرض الحشائش هذه تخلو تماماً من ذباب تسي تسي . ولا شك أن مشروعات الري الحاضرة والمستقبلية ستجعل من هذا السهل الساحلي منطقة زراعية مهمة

وفي دلتا نهر فولتا يشتغل السكان بحرف مختلفة أهمها صيد السمك وإنتاج جوز الهند . وفي الجزء الأدنى من نهر فولتا تصلح الملاحة للسفن التي لا يزيد غاطسها عن ٩ أقدام ، ويمكن للقوارب التجارية الوصول إلى مدينة كيتي كراشي Kete Krachi .

وتقع تلال أكواييم Akwapim إلى الشمال ، وتستمر ممتدة في اتجاه شمالي شرقي باسم تلال كبانكو Kpando ، نكونيا Nkonya ، ودوتوكين Dutukpene ؛ ولها تنمة في أراضي توجو Togo وداهومى Dahomey باسم جبال أتاكورا Atacora . وفي غانا تتكون هذه التلال من شريط ضيق من الحافات والتلال ، التي تتركب من صخور الشيست المتحولة والكوارتزيت ، يقطعها ، ويشق لنفسه طريقاً فيها نهر فولتا .

٢ - هضاب أشانتي المنخفضة :

يبلغ ارتفاع هذه الهضاب ٣٠٠ متر في المتوسط ؛ وهي تنفصل عن بعضها البعض بواسطة عدد من الحافات الممتدة من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي . وهي تشكل سلسلة من الأحواض فيها تتمركز مراكز الاستقرار الرئيسية ، التي يشتغل سكانها أساساً بزراعة الكاكاو .

وإلى الشمال من نطاق الأحواض ، تقع الهضاب ، التي تتركب أساساً من صخور الجرانيت ، أهمها هضاب غرب جونجا Gonja ، وهضاب Wal ، وهضاب شمال مامبروسي Mamprusi ؛ وعلى هذه الهضاب تقوم الزراعة إلى جوار رعي حشائش السفانا . وفي هضاب زوارنجو Zuarungu يتكاثف السكان ، حتى لتبلغ الكثافة السكانية زهاء ٢٥٠ شخص للكيلو متر المربع (٦٥٠ شخص للميل المربع) . يشتغل السكان بزراعة الفول السوداني وأنواع من البطاطا ، والذرة الرفيعة ، والقطن والتبغ .

٣ - حوض نهر فولتا :

وتحف بحوض نهر فولتا هضاب عالية تتركب من صخور رملية تشرف



شكل (٨١) الأقاليم الإدارية لغانا

بحافات نحو الخارج . وتسقط فوق الحوض كمية من الأمطار لا تزيد على ١٢٥ سم (خمسين بوصة) في السنة . وتتضمن أخضاب في الجنوب هضاب أشانتي - كواهو Ashanti-Kwahu التي تسقط عليها أمطار كافية للرعي ؛ وفي الوديان المحصورة بينها يشتغل السكان بزراعة الكاكاو ، والغلات الغذائية .

السكان

تتعدد القبائل في غانا ، حتى ليلغ عددها أكثر من مائة قبيلة ، وتباين القبائل في تعدادها ؛ إذ يتراوح عدد أفراد كل قبيلة بين ألفين وربع مليون (٢٠٠٠ - ٢٥٠٠٠٠) شخص . وقد رسم الانجليز الحدود بين غانا وجاراتها دون النظر إلى النواحي السلالية والقبلية ، وترتب على ذلك أن انقسمت بعض القبائل على جوانب الحدود السياسية .

وتتبع القبائل في غالبيتها إلى السلالة الزنجية ، ومن أشهرها في الجنوب : الغانتي ، كواهو ، كوماسي ، أشانتي ؛ وفي الوسط : الجوانج ؛ وفي الشمال : داجومبا ، مامبروسي .

ويعيش في غانا نحو ١٦ مليون نسمة فوق مساحة مقدارها نحو ٢٣٩٠٠٠ كيلومتر مربع بكثافة سكانية مقدارها ٦٥ شخص في الكيلومتر المربع ، وقد سبقت الإشارة إلى تركيز السكان في الجنوب غير بعيد عن أكرا ؛ وتزداد الكثافة في مركز أكرا لتصل إلى نحو ٢٢٥ شخص في الكيلومتر المربع . وتقل الكثافة في الثلث الأوسط من غانا فلا تتعدى عشرة أشخاص في الكيلومتر المربع .

وما تزال نسبة الجهل عالية في غانا خصوصاً عند كبار السن . وينمو السكان بنسبة عالية ، إذ تبلغ ٣٪ . لكن هنالك مجال للتوسع والإثراء لاستيعاب الأعداد المتزايدة .

الجغرافيا الاقتصادية

الاقتصاد الزراعي والثروة الخشبية :

تنتج غانا معظم احتياجاتها من الغلات الغذائية خصيصاً الموز وأنواع البطاطا ، والكسافا ، والذرة . يضاف إلى ذلك أن قسماً كبيراً من ثروتها يأتي من تجارة الصادر التي يسهم الكاكاو فيها بنسبة تتراوح بين ٥٠ - ٦٠٪ ، والأخشاب بنسبة ١٠٪ .

وقد بدأت زراعة الكاكاو في تلال أكوايم Akwapim منذ أكثر من قرن وربع قرن . ودخل الكاكاو غانا مرة أخرى في عام ١٨٧٩ بواسطة عامل غاني كان يعمل في جزيرة فرناندو بو Fernando Po ، وعاد معه بذور الكاكاو التي زرعها في منطقة مامبونج Mampong . وجرى توزيع نبت الكاكاو من مشاتل الحديقة النباتية الحكومية في أبوري Aburi (في منطقة تلال أكوايم) ، وانتشرت الزراعة بواسطة جمعيات من المزارعين نحو الشمال الغربي .

ويحتاج الكاكاو أراضي جيدة الصرف ، تتلقى كمية من المطر تزيد على ١٢٥ سم (٥٠ بوصة) في السنة ، ويكون موسم الجفاف أقصر مما يمكن ، وهو يحتاج أيضاً إلى ظلال أشجار أطول منه تنمو بجواره ومن حواليه ، تلك الأشجار التي تساعد على سد النقص في المحتوى العضوي للتربة ، حينها تتساقط أوراقها ، وتحلل في التربة . وقد تأثر الكاكاو بعدد من الأمراض النباتية ، منها مرض ظهر به منذ عام ١٩١٥ ، وأضر ضرراً بليغاً بمزارعه في الجنوب الشرقي ، مما اضطر مزارعوا الكاكاو إلى الهجرة بزراعته نحو الشمال الغربي . ولم يكتشف مبيد للقضاء على هذا المرض ، وتتم مقاومته بإتلاف الأشجار المصابة ، ومن ثم أمكن حصره والحد من انتشاره .

وقد بلغ الانتاج قمته في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٦ ، حين وصل إلى ٣١١٠٠٠ طن . ومن عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٥٩ تذبذب الانتاج بين ٢٠٧ ألف و ٢٦٤ ألف طن . وقد وصل الإنتاج إلى رقم قياسي في موسم ١٩٦٤ - ١٩٦٥ لم يبلغه بعد ذلك ، فقد وصل إلى ٥٥٧ ألف

طن ، أو ما عادل نصف إنتاج العالم في تلك السنة . ومنذ ذلك الموسم تنتج غانا في المتوسط ٤٠٠ ألف طن في السنة ، وهي بهذا المقدار تبقى محتلة للمرتبة الأولى كدولة مصدرة للكاكاو في العالم . وتعاني غانا أحياناً من ذبذبات الأسعار في السوق العالمية . وتستعين غانا بالعمال الموسمين الذين يفدون إليها من الأقطار المجاورة كالنيجر وفولتا العليا ، ويصل عددهم إلى ثلث مليون .

ونظراً لخطورة الاعتماد على محصول نقدي واحد ، معرض للتذبذب في الإنتاج بسبب الأمراض ، ولذبذبة سعره في الأسواق العالمية ، مما يؤثر في اقتصاديات البلاد ، قد انتهجت الحكومة سياسة تنويع الإنتاج منذ عام ١٩٦٦ . فشجعت زراعة محاصيل أخرى تجارية منها : البن ، والموز ونخيل الزيت ، والمطاط ، والطباق ، ثم الأرز والقطن وقصب السكر والفول السوداني .

وتأتي الأخشاب في المركز الثاني بعد الكاكاو في تجارة الصادر الغاني ، ومعظمها ينتجه القسم الغربي من أشانتي ، والقسم الجنوبي الغربي من منطقة الأمطار الغزيرة ، ويتم تصديرها عن طريق ميناء تاكورادي Takoradi حيث أنشئ كثير من أرصفة الشحن الخاصة بالأخشاب .

وغابات غانا غنية بالأخشاب الصلبة مثل الماهوجني ، وهي أنواع يشتد عليها الطلب . وغانا هي الدولة الأولى في أفريقيا لتصدير الأخشاب . وهي تصدر سنوياً نحو ٣٥ مليون قدم مكعب من الكتل الخشبية ، ونحو ٨,٥ مليون قدم مكعب من نشارة الخشب ، وخشب الأبلكاج ، والخشب القشرة .

الثروة المعدنية

كانت غانا تسمى في الماضي « ساحل الذهب » وكان إسمها على مسمى ، نالته عن جدارة ، ذلك أن الذهب كان يحتل مكان الصدارة في الصادرات المعدنية للقطر خلال القرون الأربعة الماضية ، رغم أن الكمية التي ينتجها حالياً ليست بذات أهمية بالقياس إلى إنتاج جنوب أفريقيا . وتتواجد أهم مراكز تعدين

الذهب في صخور المجمعات (الكونجلوميرات) بالقرب من تاركوا Tarkwa ، وأبوسو Aboso . وفي رواسب رمال وحصى المجاري المائية في الجنوب .

ويستخرج الماس أيضاً من الرواسب النهرية في أودية بيريم Birim وبونسا Bona . وتقوم بتعدينه شركات حديثة كبيرة ، بالإضافة إلى عدد كبير من الشركات الأهلية الصغيرة . وغانا هي المنتج الثاني للماس في العالم بعد جمهورية زائير في كمية الأحجار المنتجة ، لكن نوعيته رديئة ، وبالتالي قيمته منخفضة ، ولهذا فإن ٧٠٪ من الإنتاج هو من الماس الصناعي .

ويعدن المنجنيز في منطقة نسوتا Nsuta بالقرب من بلدة تاكورادي Takoradi ، ويُعدن منه سنوياً نحو ٢٠٠ ألف طن في المتوسط . كما يستخرج البوكسيت (خام الألومنيوم) من منطقة أواسو Awaso . وأكبر رواسب للبوكسيت في غانا تم اكتشافها في منطقة تقع إلى الغرب من كوماسي Kumasi .

القوى والصناعة

على الرغم مما يتم توليده من كهرباء من سد الفولتا ، فإن غانا ستستمر في اعتمادها ولو جزئياً ، على الوارد من الفحم والبتروول لمطالباتها الكهربائية الحرارية ، وليس بغانا مورد آخر للطاقة والوقود سوى الأخشاب والقوى المائية .

ومع هذا فإن عدداً من الصناعات ذات الحجم الصغير تنمو وتزدهر . ففيها معامل لاستخراج زيت النخيل ، ومطاحن لطحن الغلال ، ومصانع لإعداد الأخشاب ، وتصنيع المعادن ، وهذه جميعاً تنتشر منذ سنوات عديدة في مختلف المدن الغانية . ومنذ أواسط الستينات أنشئت مصانع حديثة لتعليب الأسماك وحفظ اللحوم ، وصناعة الصابون والتبغ ، والصناعات الخاصة بالإنشاءات .

وقد أقيمت عدة مصانع للمنسوجات تفي الآن بحاجة الإستهلاك

المحلي ، ومصانع للمصنوعات الجلدية ، والأحذية وإطارات السيارات . كما أنشئ مصنع للصلب ينتج نحو ثلث مليون طن سنوياً ومعامل لصهر الألومنيوم في مدينة تيمبا Tima التي تعتبر الآن أكبر مدينة صناعية على ساحل خليج غينيا (غانا) إلى الغرب من لاجوس . وصناعة الألومنيوم في غانا تعتبر أكبر صناعة تحويلية في الدولة وتديرها شركة تسمى شركة فولتا للألومنيوم VALCO ، وهي تعتمد على خام الألومنيوم (الألومينا) المستورد من الخارج . بالإضافة إلى مصانع لتجميع السيارات .

هذا وتعتبره غانا من أكثر دول أفريقيا المدارية تصنيعاً . وقد بدأت نهضتها الصناعية منذ بداية الخمسينات ، ومنذ ذلك التاريخ تسير في خططها الصناعية بخطى ثابتة . وتستخدم عدداً متزايداً من العمال يصل عددهم إلى نحو خمسين ألفاً يشتغلون في المصانع التي يزيد عدد العاملين فيها على عشرة أشخاص . وإذا ما اعتبرنا المؤسسات الأصغر حجماً ، والتي تستخدم أقل من عشرة عمال ، فإن عدد العمال المشتغلين بالصناعة يصبح أكثر من المشتغلين بأعمال المناجم والصناعات الاستخراجية .

سد نهر الفولتا

في عام ١٩٦٢ ، بدأ العمل في بناء سد يبلغ ارتفاعه ٩٣ متر (٣١٠ أقدام) عند بلدة أكوسومبو Akosombo حيث يضيق النهر في شكل خائق يسمى خائق الفولتا . وقد أغلق جدار سد أكوسومبو في عام ١٩٦٤ ، فتكونت بحيرة أمام السد تمتد مسافة ٣٢٠ كيلومتر ، ووصلت إلى أوج منسوبها في عام ١٩٦٨ . وقد ساعد في بناء السد كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي .

ويتم توليد ٨٨٠ ميجاوات من القوى الكهربائية عند بلدة أكوسومبو كل عام ، بالإضافة إلى ١٤٠ ميجاوات يتم توليدها عند بلدة كبونج Kpong في مرحلة لاحقة . وتنقل الكهرباء إلى مدينة تيمبا Tema ، حيث تمّ بناء معمل لصهر الألومنيوم . واستخدم للصهر في البداية الخام (الألومينا) المستورد من الخارج ، ويُعدن للمصاهر الآن الخام المحلي .

وتمثل البحيرة طريقاً ملاحياً جديداً ، رغم أن عبورها قد أصبح يستغرق وقتاً أطول (أقصى اتساع لها يبلغ ٨٠ كيلو متراً) . وهي تعتبر من أهم مصايد الأسماك في مياه غانا . وقد تم تهجير أكثر من ٨٠ ألف شخص نتيجة لتكوين البحيرة وإغراق أراضيهم ، وأعيد إسكانهم في جهات مجاورة .

ومن مزايا سد الثولتا توفير المياه اللازمة للري لأراضي سهول أكرا القليلة المطر نسبياً ، حيث يزرع الأرز وقصب السكر ، وقد كانت غانا إلى وقت قريب تستورد كميات كبيرة منها .

وعلى الرغم من أن تكاليف إنشاء السد ، ومحطة التوليد الكهربائية ، وخطوط الكهرباء قد بلغت ١٢٠ مليون جنيه استرليني ، وتكاليف إنشاء المرفأ الجديد في تيا ٣٥ مليون جنيه ، وهي مبالغ كبيرة بالنسبة للاقتصاد الغاني الذي يتحمل نصفها كديون واجبة السداد ، إلا أن المزايا التي تحققت واستمرارية ودوام الفوائد لا تقدر بمال .

المدن والموانئ

أكرا Accra هي عاصمة غانا ، ويسكنها مع الأحياء الجديدة زهاء ١٣ مليون نسمة . وكانت عاصمة لشعب الجا Ga ، ومحطة قديمة من محطات التجارة الأوروبية . وبها ثلاث قلاع قديمة ، بإحداها مقر الحكومة الحالية . ورغم ما يعترض أكرا من صعاب ، فقد بقيت العاصمة ، وأكبر مدينة في غانا ، ومرد ذلك إلى مناخها الأجف ، الذي كان أكثر ملاءمة للسكن ، وأفضل لإستخدام حيوانات النقل خلال القرن الماضي . وفي العشرينات كان موقعها مناسباً بالقرب من المراكز الرئيسية لإنتاج الكاكاو ، ثم أصبحت مركزاً رئيسياً للسكك الحديدية والتجارة .

وكانت غانا قبل افتتاح مرفأ تيا Tema تعتمد أساساً في التصدير والإستيراد على ميناء تاكورادي Takoradi في الغرب ، حيث أمكن إنشاء مرفأ عميق في عام ١٩٢٨ ، وجرى توسيعه وتعميقه في عام ١٩٥٣ . ويسكن

تاكورادي نحو ٢٣٠ ألف نسمة ، يشتغلون بالصناعة والتجارة .

هذا وتنبغي الإشارة إلى أن سواحل غانا رملية ، ولا تحري أية مواقع طبيعية تنفع كمراقي عميقة ، بالإضافة إلى تعرض السفن للأمواج التي تدفعها للرمال فتجنح . ولهذا لا بد للسفن من الرسو بعيداً عن الشاطئ ، ويتم عمليات الشحن والتفريغ في قوارب خاصة تبحر من السفن إلى الساحل ذهاباً وإياباً .

ويقع ميناء تيمما Tema شرق مدينة أكرا بنحو ١٨ ميلاً ، وقد تم بناء مرفأ كبير وعميق هنا ، ليخدم مصاهر الألومنيوم التي تكلف بناؤها ٦٠ مليون جنيه استرليني ، وبدأ إنتاجها في عام ١٩٦٦ . وبالمدينة معمل لتكرير البترول الخام المستورد طاقته ١,٢ مليون طن سنوياً . وتخدمها خطوط حديدية وطرق برية .

أما مدينة كوماسي Komasi فهي أكبر مدن الداخل ، ويسكنها نحو ٤٨٥ ألف شخص . وهي العاصمة التقليدية للأشانتي ، التي كانت أقوى دولة إلى الغرب من مرتفعات توجو- أتاكورا Togo- Atacora . وهي تقع الآن في وسط مزارع الكاكاو الرئيسية ، ومركز رئيسي لنظام الطرق في غانا . وتربطها سكك حديدية بمدينتي أكرا وتاكورادي . وبها جامعة غانا التكنولوجية ، وصناعات خفيفة .

ومن بين المدن الهامة الأخرى نذكر كوفوريدوا Koforidua وهي مركز لمزارع الكاكاو القديمة في منطقة الجنوب الشرقي ، ويسكنها نحو ٨٠ ألفاً . ثم مدينة تامالي Tamale وهي العاصمة الإدارية للإقليم الشمالي ، ويسكنها نحو ٩٥ ألفاً من الأنفس .

هذا وإن تنوع موارد الثروة الاقتصادية في غانا ، والإرتفاع النسبي في مستوى التعليم ، كلها تبشر بمستقبل طيب لغانا ، خصوصاً بعدما ينتهي اعتمادها الكلي على بيع محصول الكاكاو ، وتنتهي من سداد ديونها الخاصة بمشروع القولنا .

وقد تنبّهت غانا إلى خطورة الاعتماد على محصول واحد هو الكاكاو ،
خصوصاً بعدما تبين لها أن زيادة الأسعار في بعض السنين ، كما حدث في
أعقاب الحرب الكبرى الثانية ، ليست دائمة ؛ كما أُنذرتها أمراض الكاكاو التي
تهلك المزارع . وليس من شك في أن إنماء الثروة الغابية ، وتوسيع زراعة
الغلات الغذائية ، ومشروع سد الثولتا الذي خلق قاعدة واسعة عليها يرتكز
الاقتصاد الغاني .. كل ذلك يساعد البلاد على التقدم والازدهار .

الفصل السادس عشر

جمهورية غينيا

تقع جمهورية غينيا بين سيراليون وغينيا بساو ، ولها حدود مع دول أخرى مجاورة هي السنغال ومالي وساحل العاج وليبيريا . وتمتد فيما بين دائرتي عرض ٧,٥° - ١٢,٥° شمالاً . وتبلغ مساحتها ٢٤٥٨٥٧ كيلو متر مربع . ومعظم سكانها مسلمون . وقد دخلها الاستعمار الفرنسي في عام ١٨٤٩ ، عندما احتلت فرنسا إقليم بوكيه Boké ، ثم استكملت احتلالها للأرض الغينية الحالية في عام ١٨٩٣ . وقد استقلت غينيا عن فرنسا في عام ١٩٥٨ . ورفضت الانضمام إلى رابطة الشعوب الفرنسية . وكان من نتيجة ذلك أن سحبت فرنسا مساعداتها الفنية لغينيا ، وتوقفت عن استيراد البن والموز الغيني . وقد حلت دول شرق أوروبا محل فرنسا ، فقدمت مساعداتها لغينيا ، وفتحت أسواقها للمنتجات الغينية .

الجغرافيا الطبيعية

مظاهر السطح :

تتميز جمهورية غينيا عن سائر أقطار غربي أفريقيا في أنها تحتوي على أكبر مساحة من الأراضي المرتفعة . وتقع هذه الجبال في موقع عرضي بالنسبة لاتجاه الرياح الجنوبية الغربية الممطرة ، وبالتالي فإنها تتلقى كميات غزيرة من الأمطار ، وفيها يبدأ النيجر جريانه الذي يستمر مسافة ٤١٦٠ كم متر حتى يصل إلى البحر .

هذا ويمكن تمييز ثلاثة أقاليم طبوغرافية مختلفة عن بعضها هي :

١ - السهل الساحلي

٢ - مرتفعات فوتاجالون Futa Jallon الغينية .

٣ - حوض النيجر الأعلى .

١ - السهل الساحلي :

يختلف السهل هنا عن السهل الساحلي الممتد من الشرق إلى الغرب في ساحل العاج وغانا (ساحل الذهب) ، في عدم استمرار وجود تيار دفع على امتداد الشاطئ ، وبالتالي فإن الظروف غير ملائمة لتكوين حواجز وألسنة رملية وبحيرات شاطئية مستطيلة (لاجونات) . وعوضاً عن ذلك ، فقد عانى الساحل من عمليات هبوط حديثة ، وتبعاً لذلك نشأت الخلجان المعروفة باسم ريا Ria . وهي هنا عبارة عن مداخل طينية ، ومصببات خليجية تغطيها الآن أشجار المانجروف وترصعها المناقع .

وهناك لسانان صخريان ، أحدهما عند رأس فرجا Verga والآخر عند مدينة كوناكري ، يقطعان رقابة السهل الساحلي المنخفض بصفة عامة . ويتحدد مدى اتساع السهل بمواقع منحدرات مرتفعات فوتاجالون المشرقة عليه . فقد تقترب من البحر ، وتطل حينئذ على سهل ضيق نسبياً بصخورها القديمة النارية الصلبة ، خصوصاً في المسافة الواقعة إلى الشرق من رأس فرجا عبر ساحل كوناكري حتى الحدود مع سيراليون ، وفي هذه الشقة من السهل لا يزيد اتساعه على نحو ٥٠ كيلو متر. أما باقي الساحل فيصل عرضه إلى ٨٠ كيلومتراً ، وذلك لتراجع منحدرات مرتفعات فوتاجالون نحو الداخل ، ويواصل السهل اتساعه ليمتد عريضاً في أراضي غينيا يساو السهلية التي تقع غالبيتها دون منسوب ١٥٠ متر ، والتي لا يزيد أقصى ارتفاع لها عن ٣٠٠ متر في مناطق محدودة .

وتركب أراضي السهل من حصى ورمال نقلت إليه من المرتفعات بواسطة عدد كثير من المجاري المائية من أمثال نهر كونكوري Konkoure الذي

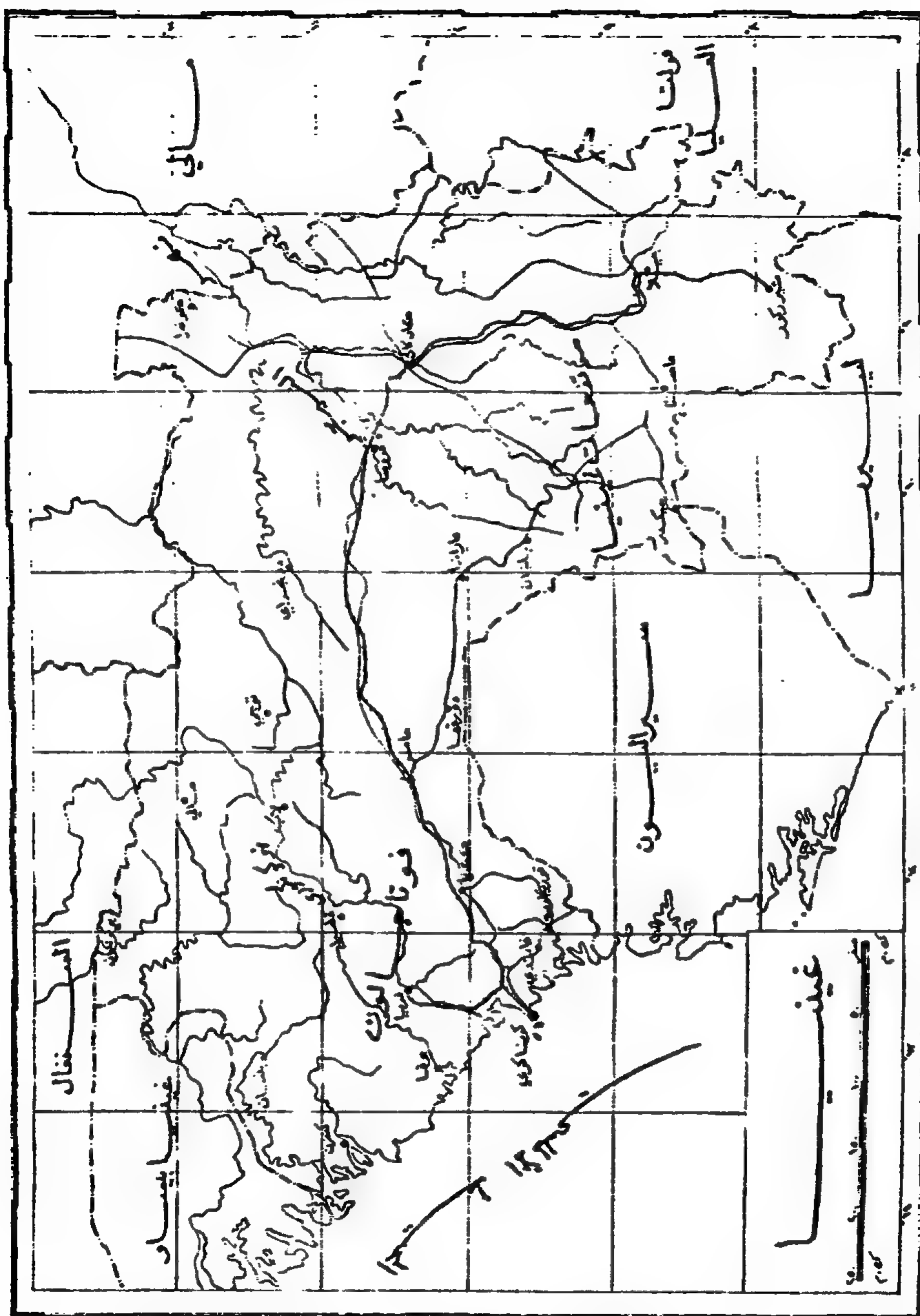
يصب في المحيط غربي كوناكري . وتغطي هذه الرمال والخصي صخور الأساس المكونة من أحجار أركية بللورية .

٢ - مرتفعات فوتاجالون ومرتفعات غينيا :

تتكون الكتلة الرئيسية لمرتفعات فوتاجالون من هضبة مستوية إلى حد كبير ، وهي تتركب من صخور رملية تابعة لعصور الزمن الأول الأسفل ، تتوجها في بعض الأماكن قشرة حديدية صماء . أما السطح الرئيسي ، الذي يرتفع قليلاً على ٩٠٠ متر ، فقد مزقته وخذلته شبكة لتصريف نهري من النوع الشجري . وبه أربعة مواقع ترتفع الأرض فيها إلى علو يزيد على ١٢٠٠ متر . وإلى الشرق والغرب تتكون حافة الهضبة من سلسلة متتابعة من الدرجات الإنكسارية ، أما تجاه الشرق فإن المنحدرات تكون هينة .

وتمتد من الشمال إلى الجنوب حافة طويلة تتضمن القمم البازلتية المعروفة بإسم مونت جانجان Mont Gangan التي يبلغ ذراها ١٠٩٠ متر (٣٦٢٧ قدماً) ، وكتلة كاكوليا Kakoulima التي تطل على السهل الساحلي ، والتي تنفصل عن كتلة الهضبة الرئيسية بواسطة واد عريض ومنبسط القاع . ويصرف مياه هذا الوادي نهر كونكوري Konkore السالف الذكر ، الذي يشق طريقه غرباً خلال الحافة حتى يصل إلى البحر غربي مدينة كوناكري . والمرتفعات العليا معمورة بشعب الفولاني Fulani الذين يرعون الأبقار ، ويزرعون ، فهم أنصاف بدو أو أشباه رعاة .

وتمتد مرتفعات فوتاجالون إلى الجنوب الشرقي فيما يعرف بمرتفعات غينيا . وهذه تتكون من سلسلة متتابعة من الحافات التي تمتد في إتجاه عام من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي في الصخور البللورية المكونة لمركب الأساس الصخري . وهي مع إلى علو ١٧١٠ متر (٥٦٩٥ قدماً) في جبال نمبا Nimba في نطاق تحومها مع لسييريا . يضاف إلى ذلك وجود عدد من الأسطح المنبسطة ، من بينها تلال مستديرة القمم ، تنمو الغابات على سفوحها السفلى ؛ وتتراوح ارتفاعات هذه الأسطح بين ١٨٠ - ٢٧٠ متراً .



شكل (٨٣) غينيا : التصريف المائي والمدن

هذا وتشكل جملة المرتفعات التي تقع ضمن حدود جمهورية غينيا نطاق تقسيم مياه لغربي أفريقيا . إذ ينبع فيها ثلاثة أنهار كبرى هي : نهر النيجر ، ومنابعه العليا في سفوحها الشمالية والشمالية الشرقية . ونهر السنغال ، وينبع في منحدراتها الشمالية الغربية ؛ ثم نهر غمبيا Gambia الذي ينبع في سفوحها الغربية .

٣ - حوض النيجر الأعلى :

يتضمن القسم الشمالي الشرقي من غينيا سهولاً مرتفعة بصرف مياهها المجرى الأعلى نهر النيجر ، وروافده العليا التابعة في مرتفعات فوتاجالون ومرتفعات غينيا . ويتركب هذا السهل العالي من أحجار رملية وصخور جرانيتية تغطيها جيماً تربة لاتيرايت Laterite . ولا يزيد ارتفاعه في الغالب على ٣٠٠ متر .

المناخ والنبات

تتميز غينيا بمناخ سوداني ، تسقط فيه الأمطار صيفاً بسبب هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية . وتزداد الأمطار على الساحل والسفوح الجبلية الشرقية عليه ، وتتناقص بالاتجاه نحو الداخل ، ولو أن زيادة الارتفاع في بعض الكتل الجبلية الداخلية يجعلها تنال أمطاراً غزيرة أيضاً .

والسنة في غينيا فصلان : فصل شتاء حار تقل فيه الأمطار قلة كبرى بسبب هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية . وفصل صيف حار مقرون بالرطوبة والمطر . وترتفع الحرارة ابتداء من شهر مارس ، وتسجل في أعالي الصيف : إيات عظمى تصل إلى الأربعين درجة مئوية ، لكن متوسطها ٣٠ م وتهب خلاله الرياح الموسمية الجنوبية الغربية آتية من المحيط الأطلسي مندفعة نحو نطاق الضغط المنخفض العميق فوق الصحراء الكبرى الأفريقية ، وتجلب المطر الغزير . ويتراوح موسم المطر بين ٦ شهور في الداخل و٨ شهور في الساحل .

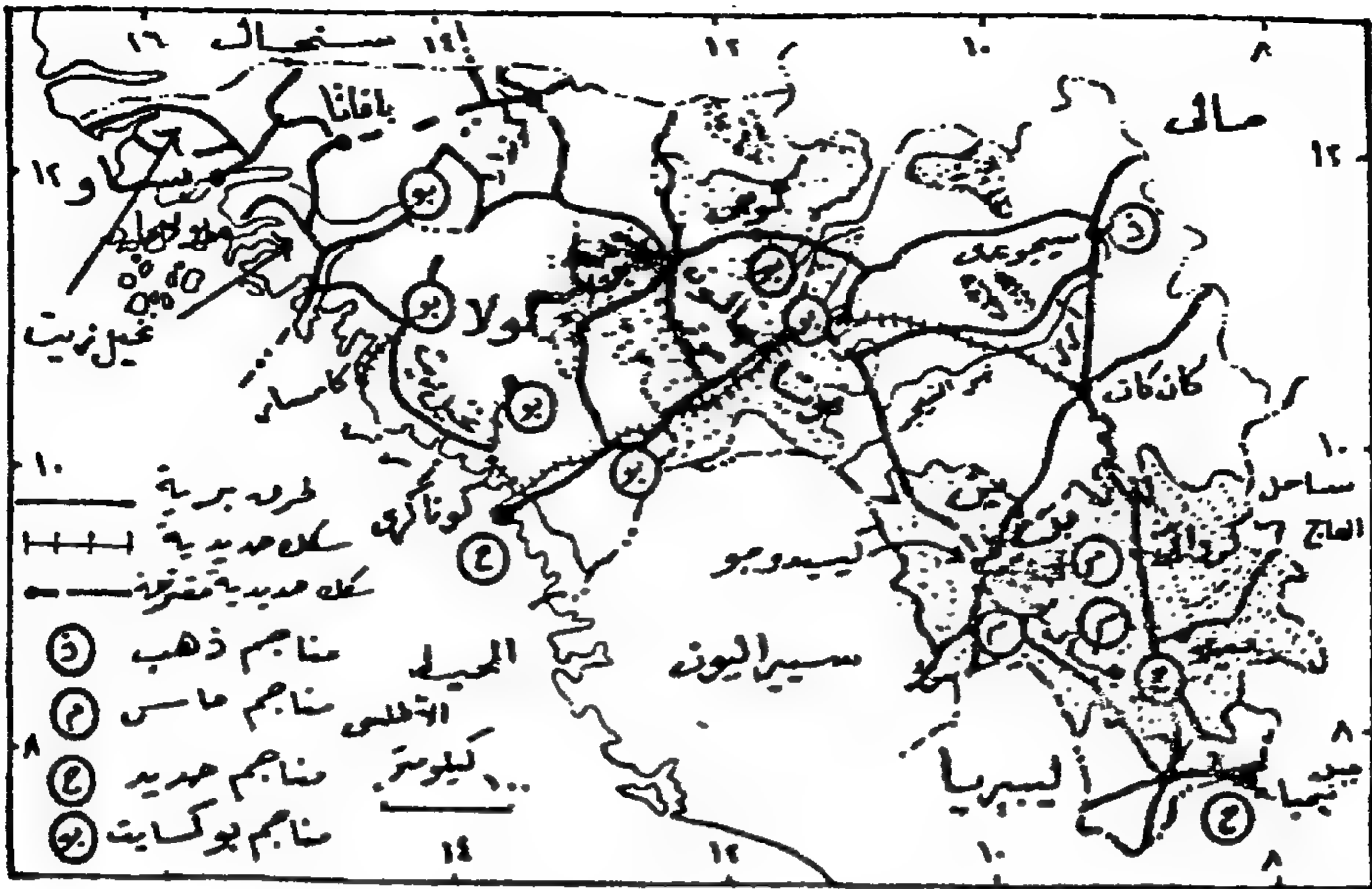
وتتفاوت كمية الأمطار الساقطة بين الساحل والداخل . ومتوسطها في كوناكري نحو ٢٠٠ سم ، لكنها قد تزداد لتصل إلى ضعف الكمية في حالات شاذة . وتتناقص الكمية فوق الهضبة لتصل إلى نحو ١٥٠ سم ، ثم إلى ١٢٥ سم في شمال شرق غينيا .

وتتنوع الحياة النباتية بسبب التباين في كمية الأمطار الساقطة وفي مدى طول فصل المطر ، ففي السهول الساحلية وحول هوامش المرتفعات وخصوصاً في بطون الأودية تنمو الأشجار التي تتكاثر في صورة الغابة التي تزخر بأنواع الأشجار المدارية ومنها شجر المانجروف في السهل الساحلي الرمي . وتنمو الحشائش فوق الهضبة ، والسفانا في حوض النيجر ، وحيثما ازدادت الأمطار تنتشر الأشجار ، فتعطي صورة السفانا الشجرية أو البستانية ، وعلى ضفاف الأنهار ، تنمو الأشجار بسبب الرطوبة والمياه الدائمة ، وتلك غابة الأبهاء أو الدهاليز . وقد أزيل الكثير من الغطاء النباتي الطبيعي الأصلي ، خصوصاً على السهل الساحلي ، حيث تحولت مناطق المانجروف إلى عدد كثير من مناطق الاستصلاح وزراعة الأرز .

السكان

يتألف شعب غينيا من مجموعات من القبائل الزنجية ، أشهرها وأكبرها مجموعة قبائل الفولاني Fulani الذين يكونون نحو خمسي السكان . ويقطنون الأجزاء الداخلية الأكثر ارتفاعاً . وفي السهل الساحلي ينتشر وجود مجموعة قبائل سوسو ، وبالو ، باجا . أما قبائل تندا فتعيش إلى الشرق من مرتفعات فوتاجالون . وتعيش القبائل ضمن حدود الدولة في ونام ، وقد وُحد بينهم الإسلام الذي يعتنقه نحو ٧٠٪ من جملة السكان ، والذي يدين به غالبية قبائل الفولاني على الخصوص .

والسكان في نمو سريع ، فقد كان عددهم بعد الاستقلال بعام (١٩٥٩) نحو ٢,٩ مليون شخص ، وبلغ في تقدير ١٩٧١ نحو ٤,١ مليون نسمة ، وفي



شكل (٨٤) : الخريطة الاقتصادية لغينيا وغينيا بيساو

تقدير ١٩٩٥ حوالي ٧,٥ مليون شخص . وتبلغ الكثافة السكانية نحو ١٩ شخص في الكيلو متر المربع .

الجغرافيا الاقتصادية

الزراعة وتربية الماشية يمثلان الحرفة الرئيسية لسكان غينيا . والزراعة في الغالب تقليدية . وتزرع الغلات الغذائية خصوصاً الأرز في مناطق المياه العذبة ، ومستنقعات المانجروف ، كما يزرع أيضاً فوق أخضاب . ومن بين الغلات الغذائية الهامة الأخرى نوع من الأرز يسمى فونيو Fonio ، يزرع على الخصوص في التربة الفقيرة في هضاب فوتاجالون ، ثم الذرة الرفيعة ، والذرة العريضة .

أما المحاصيل التجارية الرئيسية فهي البن ، والموز ، وزيت النخيل ولبه ، والفواكه . وتنمو أشجار البن أساساً فيما يعرف بمرتفعات غينيا وفوتا جالون ، حيث يسهل الصرف الطبيعي ، والموز في السهل الساحلي وفي أودية فوتاجالون . ويتم تجميع الموز وإعداده للتصدير بطريقة جيدة التنظيم في الجزء

الجنوب من السهل الساحلي بجوار السكك الحديدية . ومن الفواكه تزرع الموالح والآناس خصوصاً فوق الهضبة .

أما السهول الداخلية العالية ، التي تغطيها طبقة من تربة اللاتيرايت الفقيرة ، فتسودها زراعة تقليدية لإنتاج الغلات الغذائية مثل الذرة الرفيعة ، والأرز على جوانب المجاري المائية في فصل الفيضان .

وتتركز الثروة الحيوانية فوق الهضاب حيث يتوفر الرعى الجيد ، وحيث تعيش قبائل الغولاني ، أشباه البدو . وتقدر الثروة الحيوانية بحوالي مليوني رأس من الأبقار ، وحوالي ١,٣ مليون رأس من الأغنام .

وبالنسبة للثروة المعدنية ، يمكن القول بأن غينيا غنية بالبوكسايت ، وهو يعتبر منذ الستينات عماد الاقتصاد الغيني . فمعظم الإنتاج الأفريقي من خام الألومنيوم يأتي من غينيا ، التي يظن أنها تمتلك نصف مصادر البوكسايت المعروفة في العالم . ويُعدن الخام في جزر لوس Los ، التي تقع قبالة العاصمة كوناكري ، وعند بوكي Boké التي تنتج منها بين ٦ - ٧ مليون طن من الخام سنوياً ، وحول فريا Fria حيث شيد مصنع للألومينا . ويُدار مصنع الألومينا بالكهرباء التي تولدها محطة كونكوريه Konkouré المقامة على شلالات كاليتا Kaleta . وقد بدأ إنتاجه في عام ١٩٦٠ . وهناك رواسب أخرى للبوكسايت توجد حول دابولا Dabola ، وكنديا Kindia :

وكان الحديد يُعدن بكميات متوسطة مقدارها حوالي ٧٠٠ ألف طن سنوياً ابتداء من عام ١٩٥٢ ، وذلك في شبه جزيرة كالوم التي تقع على طرفها ميناء كوناكري . لكن الإنتاج اضمحل ابتداء من عام ١٩٦٧ ، وذلك بسبب منافسة حديد كل من ليبيريا وموريتانيا ، الذي يتفوق عليه في الجودة .

ويعدن الماس في منطقتي بيلا وماسينتا Beyla and macenta في الجنوب الشرقي .

ويعدن الذهب من رواسب أعالي النيجر شمالي بلدة كان Kan . Kan

وقد بدأ الإهتمام بالصناعة منذ بداية الستينات ، من خلال خطط إنماء رباعية وسباعية وخماسية . فأقيمت عدة مصانع ، معظمها في العاصمة ، للغزل والنسيج ، وللسجائر والكبريت ، وشيدت مناشر للتحشب ، ومعامل لتعليب الخضر والفواكه واللحوم . ومصانع للأثاث والزجاج والصابون ، ولتجميع السيارات وعربات النقل . وقد سبقت الإشارة إلى مصنع الألومينا في بلدة فريا ، وتبلغ طاقته الإنتاجية نحو ٦٠٠ ألف طن سنويا .

المدن

مدينة كوناكري هي العاصمة ، وهي الميناء الرئيسي لبغينيا ، ويسكنها نحو «مليون» شخص أي ما يزيد على نصف سكان الحضر في البلاد . وقد أنشئت على جزيرة تومبو Tombo ، وتم ربطها بشبه جزيرة كالوم Kaloum عن طريق معبر . والميناء محمية ، وذات مياه عميقة ، لكنها بقيت محدودة الأهمية ، بسبب ظهورها المنخفض الإنتاج ، إلى أن اكتشفت خامات الحديد ، وبدأ تصديرها عن طريقها ابتداء من عام ١٩٥٢ . ومنذ تلك السنة قد تزايد سكانها ، فأصبحوا ثلاثة أمثال عددهم حينذاك . كما نمت صناعاتها ، فأنشئت بها مصانع للمنسوجات والصابون ، وتعليب الفواكه ، والبلاستيك .

وتقع كان كان Kan Kan (سكانها نحو ١٢٥ ألفا) على رافد النيجر الصالح للملاحة والمسمى ميلو Milo . وهي تقع عند نهاية الخط الحديدي الوحيد بالبلاد الذي يبدأ من كوناكري ، وهي أيضاً مركز للطرق البرية ، ومركز إداري .

أفريقيا الإستوائية

يشمل الإقليم الوحدات السياسية الآتية :

- زائر
- رواندا وبوروندي
- كابتدا
- جابون
- الكنفو برازافيل
- جمهورية أفريقيا الوسطى
- كامرون
- غينيا الإستوائية .

ويحوي الكتاب دراسة للوحدات الآتية :

- زائر .

الفصل السابع عشر

جمهورية زائير

التاريخ السياسي

شهد حوض الكونغو ، الذي تشغل معظمه جمهورية زائير ، قيام عدد من الممالك فيما قبل العهد الاستعماري ، مثل مملكة بالوبا Baluba التي قامت في جنوب شرق كاتانجا Katanga (شابا حالياً) ، ومملكة لوندا Lunda في جنوب غرب كاتانجا وجنوب كاساي Kasai ، وذلك خلال القرن السادس عشر . ومن قبلهما قامت دولة الكونغو في القرن الثالث عشر فيما يعرف الآن بشمال أنجولا ووادي الكونغو الأدنى .

وفي مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ اتفقت الدول الأوروبية على تقسيم القارة إلى مناطق نفوذ . وكانت « دولة الكونغو الحرة » حسبها سموها ، من نصيب الملك ليوبولد الثاني Leopold 2 ملك بلجيكا ، ليدبرها بنفسه ، لأسباب إنسانية أهمها القضاء على تجارة الرقيق بالمنطقة . لكن الملك أساء استخدام سلطته ، واستغل شعب الدولة أسوأ استغلال ، وراح ضحية حكمه القتل والتشريد عدة ملايين من أهالي الكونغو . وقد أثار هذا احتجاج الرأي العام العالمي ، فاضطر إلى تسليم إدارتها للحكومة البلجيكية ، فأصبحت مستعمرة بلجيكية ابتداء من عام ١٩٠٧ . ومع هذا فإن السخرة والإجبار على العمل لصالح بلجيكا ظل على حاله ، وإن كانت عمليات القتل قد خفت حدتها نوعاً ما .

وفي خلال القرن التاسع عشر تضاءلت تجارة الرقيق التي جلبها للمسطنة البرتغاليون ، وحلت محلها تجارة العاج ، والمطاط الطبيعي ، وزيت النخيل . وفي عام ١٩٠٠ كان المنتج الرئيسي لدولة الكونغو الحرة هو المطاط الطبيعي . وحتى عام ١٩١٠ ، كان الكونغو ينتج ٤٠٪ من إنتاج العالم من المطاط . وقد شهدت أعوام ١٩١٢ - ١٩١٥ تناقصاً سريعاً لصناعة المطاط الطبيعي ، نظراً لأن المزارع الحديثة في جنوب شرق آسيا دخلت ميدان الإنتاج .

ولكن بينما كانت الأعوام عجافاً شديدة الرطوبة على صناعة المطاط في البرازيل ، لم يكن اضمحلال المطاط الطبيعي في حالة الكونغو ملحوظ الأثر ، وذلك لأنه في تلك السنوات تم اكتشاف مناجم المعادن الغنية في جنوب شرق حوض الكونغو . وتشتهر زائير الآن بأنها مصدر عالمي رئيسي للكوبالت ، والنحاس ، والماس ، واليورانيوم ؛ وبإستثناء الماس ، تُعدّ كل المعادن الأخرى في إقليم كاتانجا .

وفي خلال الأعوام التي تلت الحرب العالمية الثانية ، أصبح الاستثمار البلجيكي في الكونغو ضخماً للغاية ، وتبع ذلك نمو سريع في تصدير المعادن ، ويعزى هذا التكتيف في الاستغلال إلى أن الكونغو كان يمثل المستعمرة البلجيكية الوحيدة عبر البحار . وقد بقيت السياسة الاستعمارية البلجيكية على حالها ، فلم تجر أية محاولة لإلغاء أي شكل من أشكال الحكم المحلي ، أو لتحسين الوضع السياسي للأفارقة . وحتى عام ١٩٦٠ ، لم يكن لسكان البلاد ، ولا لغيرهم من المستوطنين الأوربيين ، حق التصويت .

ولم يكن هناك حاجز لوني أو تفرقة عنصرية من الوجهة النظرية ، لكن المدن في واقع الأمر ، كانت منقسمة إلى قطاعات أوربية وأخرى أفريقية . وكان الأفارقة محرومين من شغل الوظائف الحكومية والإدارية . ولم يسافر خارج الكونغو من أهله إلا القليل النادر .

وقد شهدت السنين التي سبقت الأحداث الدامية عام ١٩٦٠ ، علامات كثيرة للغضب وعدم الرضا من جانب الأفارقة الكونغوليين الذين عانوا أسوأ

استغلال استعماري منذ عام ١٨٨٥ . وقد أدى ذلك بسرعة مذهلة إلى موقف لم يعد حكام بلجيكا قادرين على التحكم فيه ، خصوصاً أن عدد المستوطنين البلجيكين لم يكن يمثل سوى ١٪ من جملة السكان .

وفي شهر يوليو عام ١٩٦٠ ، انتهت الإدارة البلجيكية للكنغو فجأة ؛ وأصبح الكونغو البلجيكي مستقلاً رسمياً ؛ وحلت القوضى لفترة في ربوع الكونغو . وترك نحو نصف السكان الأوروبيين الكونغو خلال الشهور السبعة التالية . ومعظم الذين تركوا كانوا من البلجيكين . وقد بقيت بعض أجزاء من الكونغو مستقرة نسبياً ؛ منها جنوب كاتانجا ، وهي المقاطعة التي قطعت صلتها بباقي الكونغو ، وحاولت الاستقلال . لكن الحكومة المركزية في الكونغو ، لم تعترف به إطلاقاً ، وتبعاً لذلك ، وبعد فترة عداة ونزاع وحرب أهلية ، تم ضم كاتانجا إلى الكونغو . وتوحدت الدولة تحت اسم « جمهورية الكونغو ليوبولدفيل » ، ثم تغير الاسم وأصبح « جمهورية الكونغو كينشاسا » وأخيراً تبدل إلى « جمهورية زائير » .

وينبغي أن نأخذ في الاعتبار حالة الكونغو عندما تركها الاستعمار البلجيكي عند النظر في اقتصاد البلاد . فلم يكن بها سوى أربعة عشر كونجولياً حصلوا على شهادات جامعية ، ونحو اثنا عشر موظفاً إدارياً ، وذلك بعد حكم أوربي دام خمسة وسبعين عاماً ، انتعشت خلالها اقتصاديات بلجيكا ، وأصبحت من بين دول أوروبا الصناعية الغنية ، على حساب الدماء التي سالت من ضحاياهم أهالي البلاد . فلا عجب وقد تركها الاستعمار بهذا الحال ، أن تتدهور بعد رحيله مباشرة أحوال الزراعة ، وتسوء المواصلات ؛ وتنتشر المجاعة والمرض ، ويصبح اقتصاد الكونغو في مركز حرج . وقد تأثرت الزراعة أكثر من غيرها ، فبينما ساهمت في عام ١٩٥٨ بنحو ٤١٪ من صادرات الكونغو ، فإن نصيبها من تجارة الصادر في عام ١٩٦٨ قد هبط إلى ١٨٪ .

وكان الوضع في كاتانجا خطيراً بالنسبة للدولة ، بعد انسلاخها وإعلان استقلالها ، فقد بقي بها نحو ثلاثة أرباع السكان الأوروبيين . وفي عام ١٩٦٣

عادت المناجم إلى العمل بكامل طاقتها . لكنه كان من الواضح أن دولة الكنفولس تتخلى عن جزء من أراضيها خصوصاً إذا كان هذا الجزء هو إقليم كاتانجا الذي ساهم بإنتاجه المعدني بنحو ٦٥٪ من جملة الدخل القومي في عام ١٩٥٩ (أي قبل الاستقلال بعام واحد) ؛ وكان واضحاً أيضاً أن الدولة لن تستعيد مركزها الاقتصادي السابق ولن يزدهر اقتصادها ما لم يعد إليها إقليم كاتانجا .

والواقع أن الحكم السياسي كان حكومة بلجيكا ، أما الحكم الفعلي فكان لمجموعة احتكارية عملاقة من الشركات والبنوك البلجيكية والفرنسية والبريطانية والأمريكية ، التي ربطت اقتصاديات الكنفو كلها معدنية وزراعية وغاية برباط واحد متين . وقد وجدت الحكومات الوطنية التي تعاقبت على حكم البلاد بعد الاستقلال صعوبات جمة للحد من غلواء هذه الاحتكارات . ولم تجد حكومة الكنفو مفرأ من تأميم شركات التعدين البلجيكية في عام ١٩٦٦ ، فأوعزت الشركات إلى موظفيها وخبرائها بمغادرة الكنفو على الفور لخلق فراغ ، وإحداث اضطرابات في أعمال التعدين . ومع هذا لم تعدم حكومة الكنفو وسيلة للنخلص من هذه الاحتكارات . ومع بداية السبعينات بدأت الأمور تستقر ، وعاد الاقتصاد الكنفولي إلى الانتعاش من جديد .

المساحة والموقع :

تبلغ مساحة جمهورية زائير ٢,٣٤٥ مليون كيلومتر مربع أو ٩٠٥ ألف ميل مربع . وهي بهذه المساحة ثالث دولة أفريقية بعد السودان والجزائر . ورغم هذه المساحة العظيمة ، ورغم أن لها حدوداً تبلغ أطوالها ٩١٦٥ كيلومتر ، إلا أن واجهتها على المحيط الأطلسي صغيرة للغاية ، فهي تبلغ ٣٥ كيلومتراً فقط . وتضم جمهورية زائير حوض نهر زائير (الكنفو) كله تقريباً .

وتقع البلاد بين دائرتي عرض ٢٠ ° شمالاً ، ٢٨ ° جنوباً . وهي بذلك تمتد على نحو ١٩ درجة عرضية في النطاق الاستوائي والمداري الرطب .

كما تقع بين خطي طول ١٠° ١٢' و ١٥° ٣١' شرقاً . وبذلك تمتد على نحو ١٩,٥° طولية . ويقدر أن خمسي مساحة الدولة يقع في النطاق الاستوائي . والباقي يدخل ضمن الإقليم المناخي المداري الرطب .

الجغرافيا الطبيعية

البناء الجيولوجي ومظاهر السطح

البناء الجيولوجي :

يتكون الأساس الصخري لحوض زائير (الكنفو) الذي يُكوّن الدولة ، أو تتكون منه الدولة على وجه التقريب ، من صخور أركية العمر ، بللورية التكوين ، وهي تبرز ظاهرة مكونة لجزء من هوامش الحوض ، من أنجولا إلى الكمبيرون ، ثم شرقاً على امتداد ما يعرف « بالحافة الغينية » . وفوق صخور الأساس الأركية التي تكوّن مركب جندوانا الصخري ، ترتكز غير متوافقة معها طبقات رسوبية تنتمي لزمن ما قبل الكامبري الأعلى ، وهي ذات أهمية اقتصادية كبيرة ، لأن المعادن توجد فيها . وتعرف هذه الرسوبيات باسم مركب كاتانجا ، وقسم منها معاصر لمركب الترانسفال في جنوب أفريقيا . وتظهر مكاشف لهذه الصخور بصفة خاصة على الجانب الشرقي من حوض نهر زائير ، ابتداء من هضبة كاتانجا إلى تخوم السودان .

وفي حوض نهر زائير نفسه توجد طبقات الكارو Karroo الشهيرة (وهي هنا تابعة للبصرين البرمي والترياسي) ، وهي هنا مطمورة في معظم مساحتها برواسب أحدث . وفي طبقات الكارو توجد مستويات من الفحم . وفي عصري الجوراسي والكريتاسي غطيت طبقات الكارو برواسب نهريّة وأخرى هوائية النشأة ، تعرف جميعاً باسم طبقات لوبيلاش Lubilash ؛ وبعض من هذه الرواسب النهريّة الحصوية غني بالماس . وفي نفس الوقت ، تراكمت رواسب بحرية على الساحل الأطلسي ، وهي الآن تمثل الأساس الصخري للسهول الساحلية حول مصب نهر زائير ، وحول ليرفيل Libreville ودوالا Douala .

والتاريخ الجيولوجي لحوض نهر زائير أثناء الزمن الثالث يتمثل في تعاقب فترات من التعرية ، والتقوس الطفيف ، والإرساب في وسط الحوض . والفترة الرئيسية للتعرية هي التي أنشأت السطح التجاعي الميوسيني العظيم الاتساع ، كما وأن عملية الهبوط (في شكل قوس أو تقعر downwarping) لصخور ما قبل الزمن الثالث هي التي خلقت الحوض الضحل الحالي ، رغم وجود منخفض في الأساس الصخري التابع لما قبل الكامبري ابتداء من العصر البرمي في أرجح الاحتمالات . وفي أثناء عصور الزمن الثالث كان الإرساب البحري شبه مستمر على الأراضي الساحلية ، كما نشطت الثورات البركانية التي أنشأت سلسلة جبال الكميرون .

مظاهر السطح

رغم أن حوض زائير يكون وحدة هيدروغرافية واضحة ، إلا أنه ينبغي النظر إليه باعتباره مجرد انخفاض طفيف في كتلة الرصيف أو الدرع القاري الأفريقي . ويتراوح ارتفاع قاع الحوض بين ٣٠٠ - ٥١٠ متر ، وهو يرتفع تدريجيا وبصورة غير محسوسة إلى سلسلة متتابعة من الأراضي المرتفعة والهضاب المكونة لهوامش وتخوم الحوض .

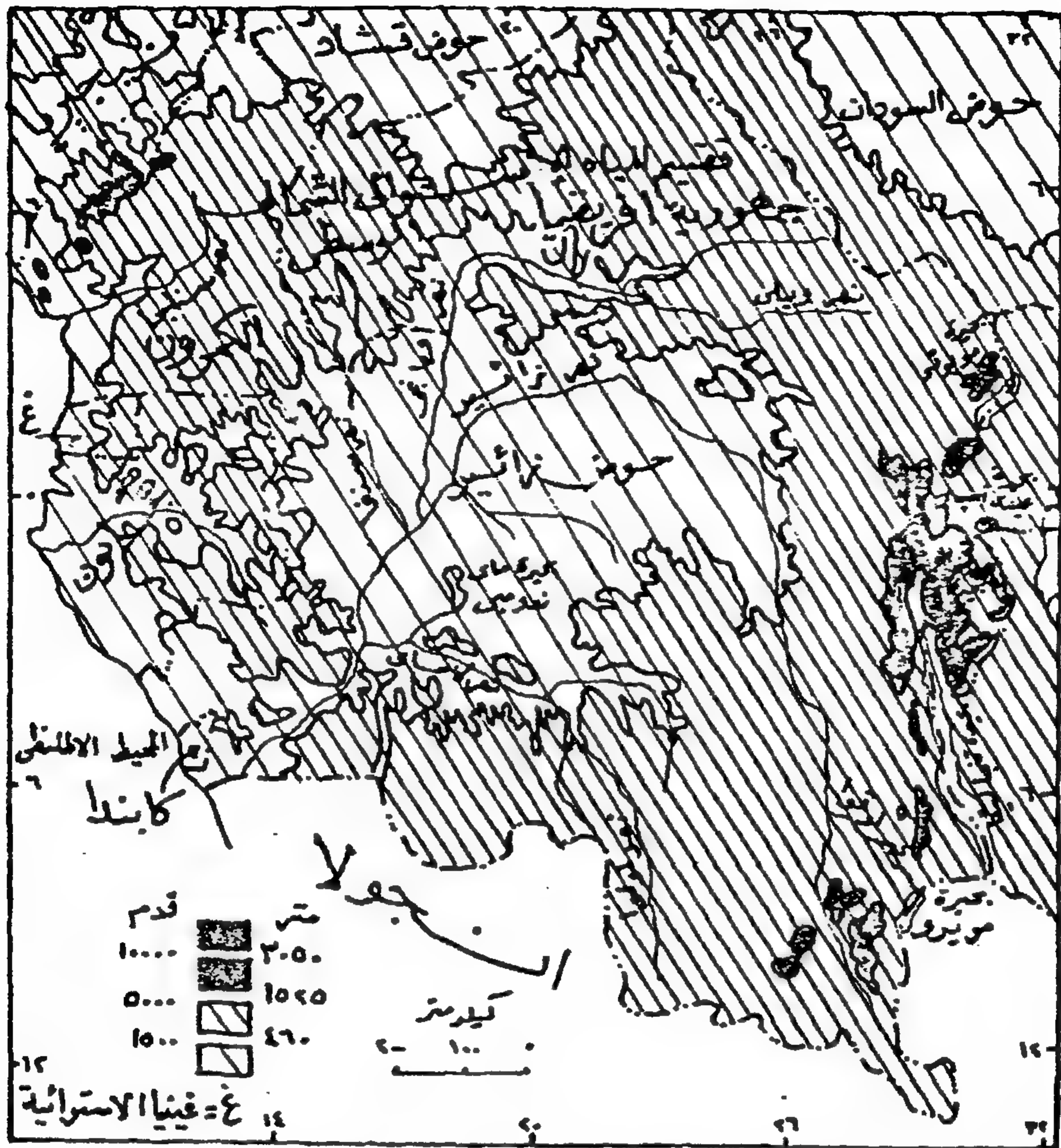
ونهر زائير ، الذي يعرف قسمه الأعلى باسم لوالابا Lualaba ، يتبع مجرى منحيا ، ويصنع قوسا في القسم الشمالي من الحوض ، قبل أن يشق طريقه خلال المرتفعات البللورية صانعا خائفا شديدا العمق ضيقا ، يبلغ عمقه ٤٨٠ متر ، وهو يمثل المخرج الوحيد للحوض إلى المحيط .

والتاريخ القديم لنهر زائير غامض بعض الشيء . ويقال إنه كان ينتهي في البداية إلى بحيرة تشاد ، ثم شق لنفسه طريقا بعد ذلك عبر أرض جمهورية الكاميرون الحالية ليصب في خليج غينيا . أما مصبه الحالي ، الذي يتمثل في مجراه الممتد من مدينة كينشاسا Kinshasa (كانت تسمى في العهد البلجيكي ليوبولدفيل) إلى ماتادي Matadi ، فهو حديث العمر جدا . ويرجح أن الحركات الأرضية عملت على سد وإغلاق المخارج القديمة لحوض زائير ، فاضطرت مياه النهر للاحتباس والتراكم مكونة لبحيرة عظيمة الرقعة .

ويرجح أن بحيرة زائير قد بقيت موجودة حتى ما بعد انتهاء العصر الجليدي أو البلايوسين ، وذلك بناء على أدلة وشواهد أثرية . وتقول الأدلة الأثرية بهجرة أماكن استقرار قديمة كانت تحف بشواطئ البحيرة نحو سفوح التلال ، وذلك عندما ارتفع منسوب البحيرة . وحدث بعد ذلك أن فاضت مياه البحيرة غربي موقع مدينة كينشاسا ، وشق النهر خائقه العظيم الذي يشاهد الآن في مجراه الأدنى . والآن ما تزال المناقع والبحيرات المحدودة الاتساع التي تتركز أرض الحوض الوسطى ، تمثل شواهد على وجود بحيرة زائير القديمة في داخلية الحوض .

وخلال الخائق فيما بين بحيرة ستانلي Stanley Pool وميناء ماتادي Mata-di ، ينحدر مجرى النهر فوق اثنين وثلاثين شللاً ، مجموع فروقها الرأسية ٢٦٠ متراً وتسمى شلالات ليفينجستون Livingstone . وعلى العكس من هذا الانحدار الشديد ، نجد المجرى ابتداء من بحيرة ستانلي باتجاه أعالي النهر إلى مدينة كيسانجاني Kisangani (ستانلي فيل سابقاً) ، قليل الانحدار ، لا يتعدى عشرة ستيمترات في كل كيلومتر . وفي هذا القطاع من المجرى ، يجري النهر بطيئاً في مجرى ضحل مضفر ، كثير الحنيات والمعطفات ، وكثير الجزر الإرسائية ، ويزداد عرضه حتى يصل إلى خمسة عشر كيلومتراً في بعض المواقع . وفي هذه المناطق يصبح السطح منبسطاً رتيباً ، تظله أشجار الغابة الاستوائية والمدارية الرطبة العظيمة .

وتغطي أرض حوض الكنفو رواسب نهريّة تنتمي إلى عصر البلايوسين والزمن الرابع ، أرسبت في البحيرة القديمة ، وفي أثناء مراحل تصريفها . وهناك بقايا لهذه البحيرة السابقة تتمثل في بحيرة تومبا Tumba ، وبحيرة ماي نودومبي (بحيرة ليوبولد الثاني سابقاً) ، بالإضافة إلى مساحات مستقعية شاسعة . ويبدو هذا القاع الرسوبي للحوض محاطاً بمكاشف صخرية تسمى لعصور ما قبل الزمن الثالث ؛ وتتمثل حافته في قطع سفح break of slope يبدو منخفضاً لكنه شديد الوضوح ، وينخذ شكلاً بيضاوياً في جملته ، وتقطعه الأنهر ، وتشق خلاله مجاريها في مسارع ومسبعات أو مساقط ، نذكر بعضاً



شكل (٨٥) زائير : الخصائص الطبيعية

منها : مسارع ستيفاني Stephanie عند بلدة كيكويت Kikwit على نهر كويلو Kwilu (أحد روافده الجنوبية أو اليسرى) ، وعند بلدة تشارلس Charlesville على نهر كاساي Kasai (رافد جنوبي أيضا) ، وشلالات ستانلي Stanley على نهر زائير نفسه ، وقرب بلدة زونجو Zongo على نهر أوبانجي Ubangi (رافده الشمالي الكبير) .

وفي جنوب وشمال الحوض تظهر عدة قطوع منحدر أكثر ارتفاعا ،

مرتبطة بالتنوع الصخري ، وبالتالي بالتباين في مقاومة الصخر للتعرية ، ويوضحها ، على سبيل المثال ، المساطط القريبة من بلدة كيندو Kindu على نهر لوالابا Lualaba ، وشلالات نهر أويلي Uele ونهر بومو Bomu قبل أن يلتقيا ليكونا نهر أوبانجي Ubangi .

ويحيط بالحوض مرتفعات وهضاب . ففي الجنوب الغربي ترتفع الأرض تدريجيا إلى هضبة بيه Bié في أنجولا ، وهذه تستمر شرقا ، وتنخفض بالتدرج إلى هضبة كاتانجا التي يتراوح ارتفاعها بين ٩٠٠ - ١٢٠٠ متر . وهذه بدورها تعتبر في معظمها استمرارا لهضبة زامبيا Zambia . وفي شمال كاتانجا وشرقها ، أصاب التكسر الهضبة ، وتبعاً لذلك فقد هبطت أجزاء منها مكونة لمنخفضات ملئت بالمياه مكونة لمناقع وبحيرات بانجويلو Bangweulu ، ومويرو Mweru ولوالابا Lualaba إلى الشمال من بلدة بوكاما Bukama . وفيما بين هذه الأغوار والأخاديد تبرز الضهور أو الهورسات Horsts ومثلها كتلة كونديلونجا Kundelunga التي تعلو ١٨٠٠ متر .

وعلى امتداد شرقي حوض نهر زائير ترتفع حافة الأخدود الغربي الأفريقي في شكل جدار عملاق يزيد ارتفاعه على ٣٠٠ متر ، يشمخ فوق بحيرات تنجانيقا Tanganyika ، وكيفو Kivu ، وعيدي أمين (إدوارد سابقا) في شكل حافات انكسارية مهينة . وقد صاحب الانكسار انشقاقات لائفة كونت مخروطات بركانية عظيمة الارتفاع ، يعلو بعضها في شمال رواندا Rwanda على ٤٢٠٠ متر . وينصرف فائض مياه بحيرة كيفو إلى بحيرة تنجانيقا . أما مياه الأخيرة فتصرف إلى حوض نهر زائير عبر خائق نهر لوكوجا Lukuga الذي يشق طريقه خلال مرتفعات الأخدود .

وأعلى قمة في محيط حوض زائير هي التي تتوج جبل مرجريتا ، وارتفاعها ٥٠٨٥ مترا ، وهي تبرز عالية وسط كتلة رويتزوري الجبلية ، التي تقع بين بحيرتي موبوتو (ألبرت سابقا) وعيدي أمين (إدوارد) شرقي نهر سمليكي Semliki . ويغطي الجليد الدائم القمم التي تعلو ٤٤٧٠ مترا في كتلة رويتزوري ومن بينها قمة مرجريتا الآنفة الذكر .

ومنطقة تقسيم المياه بين نهر زائير ونهر النيل ليست حسنة الوضوح ، فهي تتكون من هضاب موحدة تغطيها الغابات تعرف في مجموعها بهضاب الزاندي Zandi . وتتراوح ارتفاعاتها بين ٩٠٠ - ١٢٠٠ متر . وتشغل مرتفعات Bon-go التي يصل علوها إلى ١٣٨٠ متر نطاق تقسيم المياه بين النيل ونهر شاري (يصب في بحيرة تشاد) ونهر زائير . وتجاه الغرب تتناقص الأرض في الارتفاع بالتدريج حتى تصل إلى نقطة علوها ٦٠٠ متر ، وهنا يقترب حوض تصريف تشاد من حوض نهر أوبانجي ، فلا تزيد المسافة بين نقطة الارتفاع الأنفة الذكر وبلدة فورت بوسيل Fort Possel الواقعة على نهر أوبانجي على ٩٦ كيلومترا فقط .

وتعود الأرض إلى الارتفاع التدريجي مرة أخرى إلى هضبة يادي Yadé التي يبلغ ارتفاعها ١٣٥٠ متر في شمال الكاميرون ، وفوق هذه الهضبة ، في الشمال الغربي منها يتصب جزء من السلسلة البركانية العظيمة لمرتفعات الكاميرون . وتبلغ هذه السلسلة الجبلية ذروتها في جبل كاميرون البركاني النشط الذي يناهز ٤٠١٠ متر . وهو جبل شامخ مهيب الشكل بسبب انعزاله وانفراده ووقوعه على الساحل ، رغم كثرة ما تلفه السحب وتحجبه عن الأنظار . وتستمر السلسلة البركانية في البحر عبر عدد متتابع من القمم البركانية ، بعضها غارق في مياه البحر ، فيما بين جزيرة فرناندو بو Fernando Poo وجزيرة أنوبون Annobon .

أما نطاق تقسيم المياه بين حوض نهر زائير والتصريف الأطلسي لأنهار مثل نهر أوجوي Ogowé ونهر نيونج Nyong ، فيتضمن سلسلة من الهضاب الممزقة والمقطعة تقطيعا شديدا ، والتي يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ - ٩٠٠ متر ، وإن كانت تعلو عن ذلك وتصل إلى ارتفاع أقصاه ١٥٥٠ متر في مرتفعات تشيللو Chaillu في وسط جابون . وترتفع هذه الهضاب ارتفاعا فجائيا خلف السهول الساحلية . وتعرف أطرافها في شمال جابون باسم الجبال البلورية Crystal Mountains ، وفي الجنوب تدعى باسم جبال مايومي Mayombé .

هذا ويلقي نهر زائير في المحيط الأطلسي نحو ٣ مليون متر مكعب من المياه العذبة في كل دقيقة . ويصنع مياه المحيط بلون الطمي الذي تحمله المياه لمسافة خمسين كيلومترا من الساحل . ويأتي بعد نهر النيل من حيث طوله الذي يبلغ ٤٣٧٧ كيلومتر . وعلى امتداد هذه المسافة الطويلة من منبعه حتى مصبه في المحيط ، يتلقى من كلا جانبيه مياه عدد عديد من الروافد ؛ وبعض هذه الروافد يُعد بمثابة أنهار ضخمة في حد ذاتها ، مثل نهر أوبانجي ، الذي يساوي طوله طول نهر الدانوب في أوروبا .

ونهر أوبانجي يلتقي بنهر زائير من الشمال (أي من جانبه الأيمن) . ويتكون أوبانجي من التقاء نهرين كبيرين ، أحدهما شمالي ، ويسمى بومو Bomu ، ينبع من نطاق تقسيم المياه بين النيل وزائير . والثاني جنوبي ، ويسمى أويلي Uele وينبع من -افة الأخدود الغربي قرب التقاء حدود السودان وزائير وأوغندا . ويتجه النهران غربا ليلتقيا عند ياكوما ويتكون من اتحادهما نهر أوبانجي الذي يسير غربا مكونا الحدود بين جمهورية زائير وجمهورية وسط أفريقيا ، ثم يتجه جنوبا ليلتقي بنهر زائير غربي بحيرة تومبا Tumba

وأهم روافد زائير الجنوبية هو نهر كساي Kasai ، الذي يكون لنفسه شبكة تصريف مائي شجرية النمط عظيمة المساحة . وهو ينبع في شرق أنجولا ، ويتجه شمالا ؛ وعلى امتداده تسير الحدود بين جمهورية زائير وأنجولا . وترفده أنهر عديدة ، ترد إليه من شرق أنجولا ووسطها وبعد بلدة بورت فرانكي Port Franqui ، ينحرف النهر غربا ثم شمالا بغرب حتى يصب في نهر زائير .

أما نهر زائير ذاته ، فيسمى قبل مدينة كيسانجاني (ستانلي فيل) ، باسم لوالابا Lualaba الذي ينبع في أقصى جنوب شرقي البلاد غير بعيد عن منابع نهر زمبيزي ، وهو غير صالح للملاحة من منابعه حتى بلدة بوكاما Bukama بسبب شدة الانحدار وضيق المجرى . وبعدها يصلح للملاحة حتى منطقة المستنقعات والبحيرات التي تصعب فيها الملاحة بسبب كثرة السدود النباتية التي تذكر بمخيلاتها في بحر الجبل الأدنى بجنوب السودان . وبعد ذلك يلتقي بالنهر

رافده المهم المسمى لوفوا Luvua الذي يأتي بمياه المتابع الشرقية لنهر زائير

ويجري نهر لوالابا نحو الشمال ، وتلتقي به من كلا جانبيه روافد عدة ، أهمها ما اتصل به من جانبه الأيمن (ناحية الشرق) . ويصلح النهر للملاحة في أجزاء منه ، حيث لا تعترضه المسارح والشلالات ، التي من أشهرها شلالات ستانلي ، التي تبدأ من بلدة تسمى بونثير فيل Ponthierville وتنتهي عند مدينة كيسانجاني Kisangani (ستانلي فيل سابقاً) . وتتكون الشلالات من سبعة مساقط متتابعة ، تنحدر عليها المياه فوق حواجز صخور الجرانيت والحجر الرملي .

وبعد كيسانجاني ، يحمل النهر اسمه الشهير « الكنفو » Congo الذي تغير مؤخراً باسم زائير . وهو من المدينة الأخيرة وحتى مدينة كينشاسا صالح للملاحة على امتداد مجراه البالغ طوله ١٧٣٥ كيلومتراً .

وبعد أن يترك النهر كينشاسا بقليل ، يضيق مجراه شيئاً فشيئاً حتى ينحدر فوق ٣٢ شلالاً ومندفعا ، تسمى في مجموعها مساقط ليثنجستون ، ويبلغ مقدار الفرق الرأسي للسقوط ٢٦٠ متراً على نحو ما أسلفنا . ويمكن استغلال هذه المساقط وغيرها في توليد طاقة كهربائية لا مثيل لمقدارها في العالم . ويدخل النهر بعد أن ينتهي من اجتياز الشلالات منطقة مصبه الخليج الذي يبلغ اتساعه نحو عشرة كيلومترات ، وعمقه نحو سبعين متراً ، ويسمح بذلك للملاحة البحرية حتى ميناء متادي Matadi .

المناخ

رغم أن هناك تناسقاً عاماً في ظروف مناخ جمهورية زائير ، لكن ينبغي أن نعتبر عظم مساحة البلاد ، ومن ثم نتوقع تبايناً مناخياً . وينشأ التباين المناخي تبعاً لاختلاف المسافة من دائرة الاستواء ، والبعد من المحيط الأطلسي ، ثم التنوع في مظاهر السطح والاختلاف في مدى الارتفاع . فقاع جوض زائير على سبيل المثال يقع على منسوب أعلى من ٣٠٠ متر ، ولهذا ميزته المناخية ،

بالقياس إلى حوض الأمزون المنخفض على الجانب المقابل من المحيط الأطلسي .

والمناخ بوجه عام رتيب فوق معظم جمهورية زائير خصوصاً من الناحية الحرارية ، فالإختلافات في معدلات الحرارة الفصلية طفيف : فالمدى الحراري الشهري في كينشاسا $4,5^{\circ}\text{م}$ (8° فهرنهايت) . ولعل هضبة كاتنجا Katanga ، التي تقع على دائرة العرض 10° جنوباً ، هي الوحيدة من أراضي البلاد التي تتمتع بفصل « بارد » نسبياً (انظر جدول الحرارة - محطة أرصاد لوبومباشي Lubumbashi ، هي أليزابيت فيل سابقاً) . وبسبب كثرة السحب ، فإن درجات الحرارة لا تكون شديدة الارتفاع ، كما هو الحال مثلاً في صحراء كالا هاري Kalahare الواقعة في جنوب أفريقيا ، أثناء الصيف . ونادراً ما ترتفع معدلات الحرارة الشهرية على 27°م (80°ف) .

وفي مدينة كينشاسا ، نجد في المتوسط شهرين من كل ثلاثة شهور تكون السماء أثناءهما ملبدة بالغيوم ، فلا تسطع الشمس إلا قليلاً ندر . والرطوبة هي الصفة السائدة في مناخ البلاد . ففي مدينة كينشاسا يبلغ المتوسط اليومي للرطوبة النسبية ٨١٪ وتزداد هذه النسبة في الداخل أو في وادي الكونغو الأدنى .

وتتباين كمية الأمطار الساقطة سنوياً من مكان لآخر حسب الموقع ومدى التعرض للرياح ومقدار الارتفاع عن سطح البحر . ففي بلدة بانانا Banana الواقعة على مصب نهر زائير تسقط 75 سم (30 بوصة) فقط من المطر . وفي كينشاسا تبلغ الكمية 133 سم (53 بوصة) ، وفي كيسانجاني 200 سم (67 بوصة) ؛ لكنها ، للمقارنة ، تعظم فوق جبل كاميرون Mount Cameroon إذ تبلغ 1000 سم (400 بوصة) . ويمكن القول بصفة عامة أن كمية الأمطار فوق أراضي زائير تتراوح في المتوسط بين $125 - 175\text{ سم}$ سنوياً .

ويُعزى الجفاف النسبي للساحل الزائيري الذي تمثله محطة أرصاد بانانا إلى أنه بمثابة استمرار للنطاق الساحلي الجاف في أنجولا ، لتأثير الآثار النهائية لتيار بنجويلا Benguela البارد . فمن مصب نهر زائير شمالاً على امتداد

الساحل ، نلاحظ أربابا سريعا في كمية الأمطار (لوانجو Loango ،
١٢٠ سم - مايومبا Mayoumba في ساحل جابون الجنوبي ، ١٥٥ سم -
ليبرثيل في ساحل جابون الشمالي ، ٢٤٨ سم)

ومعظم الأمطار الساقطة أمطار انقلابية أو أمطار جبهات ، وتعكس عدم
الاستقرار والاضطراب الشديد في الهواء الاستوائي البحري . فالعواصف المربعة
تحدث كل يوم على دائرة الاستواء ، وكثيراً ما تتواتر بنفس الطريقة فوق عروض
بعيدة نوعاً عن الاستواء خصوصاً في الفصل الحار . ففي بلدة ليكاسي
(جادوت فيل Jadotville) : في شابا (كاتنجا) ، كان متوسط عدد
العواصف المربعة خلال أربع سنوات ١٢٩ في الأشهر من أكتوبر حتى أبريل ،
واثنتان لباقي السنة .

وليس هناك فصل جاف في جمهورية زائير في أراضيها الواقعة على امتداد
دائرة الاستواء ؛ لكن هناك فترتين يقل فيهما المطر أثناء الانقلابين
(انظر أرقام كيسانجاني في الجدول) . ويبدأ ظهور فصل جاف قصير حوالي
دائرة العرض ٣° شمالاً وجنوباً ؛ كما تبقى فترة تقل فيها الأمطار أثناء الفصل
المطير (انظر أرقام مدينة كينشاسا في الجدول) . وبالاتجاه شمالاً أو جنوباً يمتد
ويطول الفصل الجاف ، بينما يقصر ، وتخف أمطار أقل الفصلين المطيرين مطراً
(انظر أرقام لوبومباشي في شابا (كاتنجا) على دائرة عرض ١٢° جنوباً ،
وللمقارنة نجاوونديري Ngaoundéré على هضبة يادي Yaté في الكاميرون ،
دائرة عرض ٧° شمالاً) .

وفي نطاق الأخدود الغربي الأفريقي في شرق جمهورية زائير ، يتعدل المناخ
الاستوائي بسبب الارتفاع ، ويوجد بحيرات عظيمة المساحة . وتخفف
البحيرات من شدة الحرارة ، وتلطف من مناخ الأراضي المتاخمة لها مباشرة ، كما
تنقص من الفروق الحرارية الفصلية . وللمقارنة نجد هضبة رواندا - بوروندي
الطف حرارة (انظر أرقام نيونديو Nyundo في الجدول) . وتتلقى القمم التي
ترتفع فوقها كمية أكبر من الأمطار ، فعلى ارتفاع ٢٤٠٠ متر تسقط ٢٥٠ سم ،

الحرارة (بالدرجات الفهرنهايتية) والمطر (بالبوصة) لمحطات مختارة في زائير وأقطار إفريقيا الاستوائية

المدى الحراري	السنة	ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر	سبتمبر	أغسطس	يوليو	يونيو	مايو	أبريل	مارس	فبراير	يناير		الارتفاع بالقدم	محطة الرصد
٤	٧٧	٧٩	٧٨	٧٦	٧٧	٧٥	٧٥	٧٨	٨٠	٨٠	٨٠,٠	٨٠	٨٠	الحرارة		دوالا
	١٥٨,٥	٢,٥	٦,١	١٦,٩	٢٠,٩	٢٧,٣	٢٩,٢	٢١,٢	١١,٨	٩,١	٨,٠	٣,٧	١,٨	المطر	٢٦	(كامبيرون)
٤	٧١	٦٩	٧٢	٧٠	٧١	٧١	٧٣	٧٣	٧٢	٧٢	٧٠	٧١	٧٠	الحرارة		نجاووندي
	٧٥,٩	٠,٣	٠,١	٦,٣	٧,٩	١١,٢	١٤,٠	١٥,٨	١١,٦	٥,٦	٢,٨	صفر	٠,٣	المطر	-٣٥٧٥	(كامبيرون)
٥	٧٩	٧٩	٧٨	٧٨	٧٨	٧٧	٧٦	٧٨	٨٠	٨١	٨١	٨٠	٨٠	الحرارة		ليبريل
	٩٨,٨	٩,٨	١٤,٦	١٣,٦	٤,١	٧	٠,١	٠,٥	٩,٦	١٣,٤	١٣,٢	٩,٣	٩,٨	المطر	١١٥	(جابون)
٩	٧٦	٧٩	٧٩	٧٦	٧٢	٧٠	٧٠	٧٤	٧٧	٧٩	٧٩	٧٨	٧٨	الحرارة		باتانا
	٣٠,٣	٢,٧	٣,٧	٠,٤	٠,١	صفر	صفر	صفر	٤,٢	٥,٥	٦,٠	٦,٦	١,١	المطر	٧	(زائير)
٧	٧٨	٧٨	٧٩	٧٩	٧٧	٧٤	٧٣	٧٥	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٧٩	الحرارة		كينشاسا
	٥٣,٣	٥,٦	٨,٧	٤,٧	١,٢	٠,١	٠,١	٠,٣	٦,٢	٧,٧	٧,٧	٥,٧	٥,٣	المطر	١٠٦٦	(زائير)
٤	٧٧	٧٧	٧٦	٧٧	٧٦	٧٥	٧٥	٧٧	٧٨	٧٩	٧٨	٧٨	٧٨	الحرارة		كيسانجانج
	٦٧,١	٣,٣	٧,٨	٨,٦	٧,٢	٦,٥	٥,٢	٤,٥	٥,٤	٦,٢	٧,٠	٣,٣	٢,١	المطر	١٣٧٠	(زائير)
١٤	٦٩	٧٢	٧٤	٧٥	٧١	٦٥	٦١	٦١	٦٥	٦٩	٧١	٧٢	٧١	الحرارة		لوبومباشي
	٤٨,٧	١٠,٦	٥,٩	١,٢	٠,١	٠,١	صفر	صفر	٠,٢	٢,٢	٨,٤	٩,٦	١٠,٥	المطر	٤٠٣٥	(الزائير فيل)
٢	٦٥	٦٥	٦٤	٦٥	٦٥	٦٥	٦٤	٦٤	٦٤	٦٥	٦٥	٦٦	٦٥	الحرارة		نيوندي
	٥٣,٣	٤,٥	٤,٣	٥,٨	٤,٧	٢,٦	١,٠	٢,٥	٤,٦	٧,٤	٧,٢	٤,٦	٤,١	المطر	٦١٦٨	(رواندا)

بينما تتناقص الكمية إلى النصف (١٢٥ سم) على ارتفاع ١٥٠٠ متر . وعادة ما يكون تساقط المطر على الارتفاعات الكبيرة خفيفاً وأكثر استمراراً . ويلاحظ أن كمية الأمطار تتناقص على جبال الأخدود الأفريقي الغربي فوق منسوب ٢٤٠٠ متر .

ومن عرضنا السابق لظروف الحرارة والمطر في أنحاء جمهورية زائير ، وبالنظر إلى الجدول الذي يضم أرقام عدة محطات رصد مختارة لدرجات الحرارة والمطر ، يمكننا القول بأن الفروق الحرارية بين مختلف أجزاء البلاد ليست بذات بال ، فيما عدا إقليم شابا (كاتنجا) في أقصى جنوب شرقي زائير ، على نحو ما ذكرنا . أما التباين في كمية الأمطار وفصليتها فيختلف في القطر ما بين شماله ، شمالي دائرة الاستواء ، وجنوبه جنوبي دائرة الاستواء .

وعلى أساس الفروق الأنفة الذكر يمكننا تمييز الأقاليم الثلاثة الآتية :

١ - إقليم شمال زائير :

ونعني به أراضي الدولة الواقعة شمال دائرة الاستواء . وفيه تسقط الأمطار من مارس إلى يونية ، يليه فصل قليل المطر في شهري يونية ويوليه ، يعقبه فصل مطر يستمر من أغسطس إلى نوفمبر ثم يأتي فصل قليل المطر يمتد من ديسمبر وينتهي بنهاية فبراير (أنظر أرقام مدينة كيسانجاني في الجدول) .

٢ - إقليم جنوب زائير (باستثناء شابا) :

وهو الأراضي التي تقع جنوبي دائرة الاستواء . وفيه تسقط الأمطار أو يحل الجفاف في مواسم معاكسة لمواسم الشمال . ففصل المطر الطويل يبدأ هنا من سبتمبر إلى نهاية ديسمبر . يليه فصل قليل المطر قصير الأمد ، يدوم شهرين هما ديسمبر ويناير ، يتبعه فصل مطير من أول فبراير إلى نهاية مايو ؛ وأخيراً يحل فصل جاف طويل من أول يونية حتى منتصف سبتمبر . (أنظر أرقام مدينة كينشاسا في الجدول) .

٣ - إقليم شابا (كاتنجا) :

وفيه يبدأ سقوط المطر مع بداية شهر أكتوبر ، وينتهي بنهاية شهر أبريل .

ويتلوه فصل جاف ، يبدأ من مايو وينتهي بنهاية شهر سبتمبر (أنظر لرقام لوبومباشي - كاتنجا) .

النبات الطبيعي

تشغل الغابات الاستوائية الأجزاء المنخفضة من حوض نهر زائير ، ومن نطاق تقسيم المياه بين نهر زائير والأنهر التي تصب في المحيط الأطلسي إلى إرتفاع لا يزيد على ٧٥٠ مترا . وذلك باستثناء المساحات التي أزيلت منها الغابات لتحل محلها الزراعة ، أو حيث لا تناسب التربة نمو الغابات كأن تكون تربيات لاتيرايث شديدة التماسك والضحولة ، أو تكون مكونة من رواسب رملية نهرية .

وهامش الغابة ليس واضح التحديد ، فهناك انتقال تدريجي منها إلى أراضي تسودها سثانا غاية أو بستانية ، تمثل في جزء منها تخريب غطاء غاي سابق عن طريق الإحراق . وهناك امتدادات في شكل ألسنة غاية تتداخل خلال أودية الأنهار فيما يسمى بغابات الأروقة أو الدهاليز في نطاق السثانا المجاور . والغابة الاستوائية الحقيقية هي أساساً دائمة الخضرة ، وبها عدد كبير من الأنواع النباتية .

وأشجار الغابة طويلة ، يمكن أن تصل إلى ارتفاعات كبيرة ، وارتفاع ٤٥ متر شائع الوجود ، بل ذكرت ارتفاعات لأنواع من الأشجار تصل إلى ١٠٠ متر . والغابة تحوي عدداً عديداً من الأنواع ، للدرجة أن كل شجرة تختلف في العادة عن جاراتها . وتظهر بعض الأنواع التنضية على هامش الغابة الدائمة الخضرة .

ولا يمكن تحديد مدى التخريب الذي أحدثه الإنسان في الغابة الطبيعية على وجه الدقة . وما من شك في أن ممارسة السكان الأفارقة للزراعة المعاشية المتنقلة لفترة طويلة من الزمن ، قد أثر في مساحات واسعة جداً من غابات زائير . وتعود الغابة ، بعد القطع والحرق وممارسة الزراعة فيها ، ثم هجرها ،

إلى النمو الطبيعي مرة أخرى ، فهي تجدد نفسها بجيل جديد بعد مضي فترة من الزمن . ويتميز الجيل الثاني من الغابة بنمو نباتي سفلي أكثر كثافة من الغابة الأصلية ، وقد يحوي أنواعاً جديدة أدخلها الأهالي إليها ، ومثلها نخيل الزيت .

وفي جهات كثيرة من غابة زائير ، تكون الفترات بين الزراعة قصيرة ، وينشأ عن الإحراق المنتظم للنبات الأصلي إحلال الغابة بالسفانا . وتعاني التربة أيضاً بسبب هذه العملية ؛ فالحرق يزيد تربة اللاتيرايت صلابة ، وانكشاف التربة يعجل غسلها من محتواها العضوي ، كما أن تدمير الغابة يزيل أيضاً المصدر الأول للمادة العضوية في التربة . وفضلاً عن ذلك فإن نمو الزراعة الأوربية في المائة سنة الأخيرة قد ساعد أيضاً على إزالة الأشجار من مساحات واسعة . فقد أدخل البلجيكي إلى زائير النظام القسري لزراعة الغلات الغذائية ، كما أجبروا الأهالي على العمل في قطع الغابات وإحلالها بزراعة المحاصيل النقدية .

والمساحة الغابية تتضاءل ، بينما تتسع مساحة السفانا . وتقدر مساحة الأراضي التي ما تزال تغطيها الغابات في زائير بنحو نصف مساحتها ، وقد كانت قبل عمليات القطع والإحراق (أي بإضافة المساحات التي تحولت منها للزراعة) قرابة ٦٠٪ من مساحة البلاد .

ومحيط بالغابة الاستوائية في زائير نطاق من السفانا الشجرية ، ثم السفانا التي تتباين في اتساعها شمالاً وجنوباً . وفي السفانا يظهر فصل جاف يتراوح مداه بين ثلاثة وستة أشهر ، وفي هذا الفصل تجف الحشائش وتحترق ، بينما تنفض الأشجار أوراقها ، باستثناء غابات الدهاليز التي تنمو على ضفاف الأنهار .

وتتباين الحشائش في كثافتها وأطولها تبعاً لكمية الأمطار وفصليتها ، ولخصائص التربة . فتربة اللاتيرايت القديمة تحمل غطاء من الحشائش القصيرة ، طولها بين ٩٠ - ١٢٠ سم ، مع وجود بقاع جرداء لا نبت فيها تتخلل

الغطاء ، بينما تنبت في التربة الغرينية النهرية والتربة العضوية بالقرب من هامش الغابة ، حشائش عملاقة يصل ارتفاعها خمسة أمتار .

وتتغذى أرض كاتنجا كلها على وجه التقريب بأشكال متنوعة من حشائش السفنا . ففي الجنوب نجد الحشائش المتوسطة على امتداد المجاري المائية وفي أراضي المناقع ، بالإضافة إلى غابة مفتوحة ذات أشجار متفرقة ، تتخللها الحشائش . أما في النصف الشمالي من كاتنجا ، فإن الحشائش القصيرة تتوج قمم الهضبة العالية . بينما تزدهر السفنا الغاية على السفوح التي يقل ارتفاعها عن ١٥٠٠ متر ، ورقاع من السفنا الطويلة في قيعان الأودية النهرية .

وعلى غرار الحدائق الوطنية National Parks في أمريكا ، وبعض أقطار أوروبا ، حيث تخصص مساحات في بعض المناطق ذات الطابع الطبيعي المتميز ، يترك فيها النمو النباتي والحيواني الطبيعي لحاله دون تدخل من الإنسان ، إختارت السلطة البلجيكية عدة مناطق ؛ منها ثلاث ذات أهمية وحجم كبيرين ، نذكر من بينها حديقة ألبرت التي تمتد فوق مساحة مقدارها ٨٠٠٠ كيلو متر مربع في شرقي زائير . وتتميز الحديقة بمناظرها الطبيعية المتنوعة . ففيها بحيرات أخدودية تمثل في ألبرت وإدوارد ؛ وفيها نهر سمليكي يجري بين البحيرتين ، وغاية إيتوري الاستوائية الشهيرة بسكنى الأقزام ، ومجموعة من البراكين ، وكتلة رويتزوري الشاهقة الارتفاع التي تتوج الثلوج هاماتها ، وتندرج على سفوحها الأنماط النباتية المتعددة ، وتمرح على منحدراتها السفلى القردة والغوريلا .

السكان

قبائل زائير :

يسكن جمهورية زائير نحو ٣١.٨ مليون نسمة حسب تقدير ١٩٨٧ ، وإذا قارنا للزيادة السكانية في الثماني سنوات الأخيرة حتى نهاية عام ١٩٩٥ ، عددا متوسطه السنوي ٧٠٠.٠٠٠ نسمة ، فإن الرقم يصل إلى نحو ٣٧.٥ مليون شخص .

ويشمل هذا العدد مجموعات متنوعة الأصول السلافية واللغة . وأكبر هذه المجموعات هم قبائل البانتو الذين يكونون نحو ٨٠٪ من جملة السكان . ويتوزع الخمس الباقي من السكان على عدة مجموعات هي : زوج السودان ، النيلون ، الأقزام ، والحاميون ، ثم أخيراً قلة قليلة من الساميين ، ويسكن زائير نحو سبعين قبيلة رئيسية ، منهم ٤٩ قبيلة تنتمي للبانتو ، و١٦ قبيلة تنتمي للزوج السوداني وتعيش في أطرافه الشمالية ، بالإضافة إلى قبيلة نيلوتية وأخرى حامية .

وأهم قبائل البانتو أربعة هي : الباكونجو ، ويقطنون المنطقة بين كينشاسا والمحيط ، وكان لهم وزن سياسي خاص بسبب كثرة عددهم . ولوقوع العاصمة في ديارهم . والبالوبا : ويسكنون إقليم كاتنجا ، وامتد انتشارهم إلى إقليم كاساي . والبالوندا : ويسكنون جنوب كاتنجا . ثم البامنجو : الذين يقطنون مساحة كبيرة في النطاق الاستوائي من زائير .

ويتشر البانتو كما رأينا في المساحات الغابية وفي الشثانا . وفي الغابة تتحدد مراكز استقرارهم في العادة في مساحات أزيل عنها غطاؤها النباتي بجوار الأنهار ، ويتقلون فصلياً لاستخدام مساحات جديدة في الزراعة . وأساس اقتصادهم هو الزراعة المتنقلة ، وصيد السمك ، وجمع منتجات الغابة . أما في الشثانا فإنهم يرعون الأبقار في بعض المساحات التي تخلو ولو نسبياً من ذباب تسي تسي ، بعيداً عن مناطق الأدغال والشجيرات التي تعتبر ملجأ لذلك الذباب .

ويعيش في غابة زائير الاستوائية نحو ١٥٠ ألفاً من الأقزام . وهم سكان الغابة الأصليين ، لم يكتشفهم البيض إلا في عام ١٨٦٥ . وكلمة Pygmy تأتي من كلمة يونانية تعني « طول الذراع » أي القصير القامة أو القزم . وقد كانوا يسكنون أصلاً خارج الغابة في المناطق المكشوفة ، لكنهم دفعوا إلى داخل الغابة ، واحتتموا بداخليتها من اعتداءات قبائل أقوى وأنشط كالبانتو ، وفي الغابة واصلوا حياتهم البدوية ، لكن أعدادهم ليست كبيرة ، كما ذكرنا ، ويبدو أنهم في تناقص مستمر .

ويعيش أقزام زائير كلية على صيد الحيوان وعلى الجمع ، بالإضافة إلى نوع بسيط من التجارة الصائمة القائمة على أساس المقايضة مع زنوج البانتو المجاورين لهم . ويعتمد الأقزام على قبائل البانتو في تمييزهم بأصناف معينة من المواد الغذائية ، منها نوع من الذرة الرفيعة ، في مقابل ما يصيدونه من حيوان أو أسماك يعطونها للبانتو . وفي كثير من المناطق يعتبر الأقزام زنوج البانتو أسيادا لهم . ورغم أن الأقزام شديداً التخلّف في أمور كالتي ذكرناها ، إلا أنهم عباقرة في أمور أخرى ، منها بناء المعابر من الحبال لعبور الأنهار .

وفي شمال وشرق حوض زائير تعيش قبائل تختلف عن الزنوج وعن البانتو : إنهم الحاميون الذين وفدوا إلى هذه المناطق من حوض النيل ومن الحبشة منذ نحو أربعة قرون مضت . وهم في رواندا وبوروندي يكونون شعباً يُسمى واتوتسي Watutsi ، يشتهر أفرادهم بطول القامة ، والأنف ، وشدة البأس ، يبلغ تعدادهم نحو ١٥٪ من جملة السكان . والحاميون أصلاً رعاة غنم وأبقار ، وهم أحضروا معهم الأبقار المعروفة باسم أنكول Ankole ذات القرون الضخمة . وابتداءً من القرن الخامس عشر صار هؤلاء الحاميون حكاماً للبانتو العاديين ، الذين يعملون في تلك الأصقاع بالزراعة . وفي بوروندي ما زال الحاميون يحكمون شعب البانتو بها . أما في رواندا ، فقد حدث حينها حصلت على استقلالها في عام ١٩٦٢ ، أن أطاح البانتو ، الذين يسمون هنا باسم باهوتو Bahutu ، بالسادة الحكام من الواتوتسي الحاميين ، الذين هرب كثير منهم إلى تنزانيا .

وتقطن قبائل زنوج السودان حوض نهر أويانجي الأعلى وحوض نهر أويلي في القسم الشمالي من زائير . وأهم قبائلهم هي مانجيتو وزاندي وبوندو . وقد استطاعت مجموعة مانجيتو إقامة مملكة بلغت أوج ازدهارها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . أما قبائل زاندي فعلاوة على موطنها في شمال الكونغو ، تتوغل في القسم الجنوبي من حوض بحر الغزال بجنوب السودان .

أما النيليون فيسكنون التخوم الشمالية الشرقية المرتفعة فيما بين بحيرة

أُلبرت (موبوتو) والحدود السودانية . وموطنهم الأساسي في أوغندا ، ولهم تلك الامتدادات القبلية المحدودة في زائير .

أما العرب الساميون فهم آخر الوافدين إلى أفريقيا قبل قدوم الأوربيين . وقد دخلوا القارة من الشرق لأغراض تجارية . ولا يوجد في الواقع عرب خلصاء ، فلم يبق من الأنقياء أحد ، لكن تأثيرهم على الثقافة ، والملبس ، والمباني ، واضح جداً ، ويمكن مشاهدته في الأجزاء الشرقية من زائير ، وكذلك في رواندا وبوروندي . فالرجال يلبسون اللباس العربي الإسلامي التقليدي ، ويعتقون الإسلام ، ويزاولون شعائره ، بل إن بعضهم يذهب لقضاء فريضة الحج .

هذا ويتكلم هذا العدد الكثير من القبائل عدة لغات يمتزج وضعها في مجموعتين : مجموعة لغات البانتو ، ومجموعة لغات الزنوج السودانيين ، أما لغات التخاطب فهي الكيكونجو ، واللنجالا ، والبانجالا ، وتشيلوبا ، ثم اللغة السواحلية .

وما يزال غالبية سكان زائير على دياناتهم وعقائدهم القديمة . لكن وجود الأوربيين ، والنشاط التبشيري في البلاد ، قد حوّل عدداً منهم لا يقل حالياً عن ٥,٤ مليون شخص إلى الديانة المسيحية ، معظمهم على المذهب الكاثوليكي ، وأقلهم يتبع الكنيسة البروتستانتية . ولا يزيد عدد المسلمين على ربع مليون ، غالبيتهم في الشمال الشرقي موطن الهجرة العربية الإسلامية على نحو ما أسلفنا .

توزيع السكان والمدن

لم يحجر إحصاء دقيق يمكن الاعتماد عليه في زائير ، ولا في غيرها من دول أفريقيا الوسطى أو الاستوائية . ويُقال إن الإحصاءات التقديرية الرسمية فيها خطأ بالنقصان أحياناً ، وبالزيادة أحياناً أخرى ، يزيد على ١٥ ٪ ، ومع هذا فإن التوزيع العام للسكان يبدو واضحاً . ففي ما لا يقل عن نصف مساحة زائير

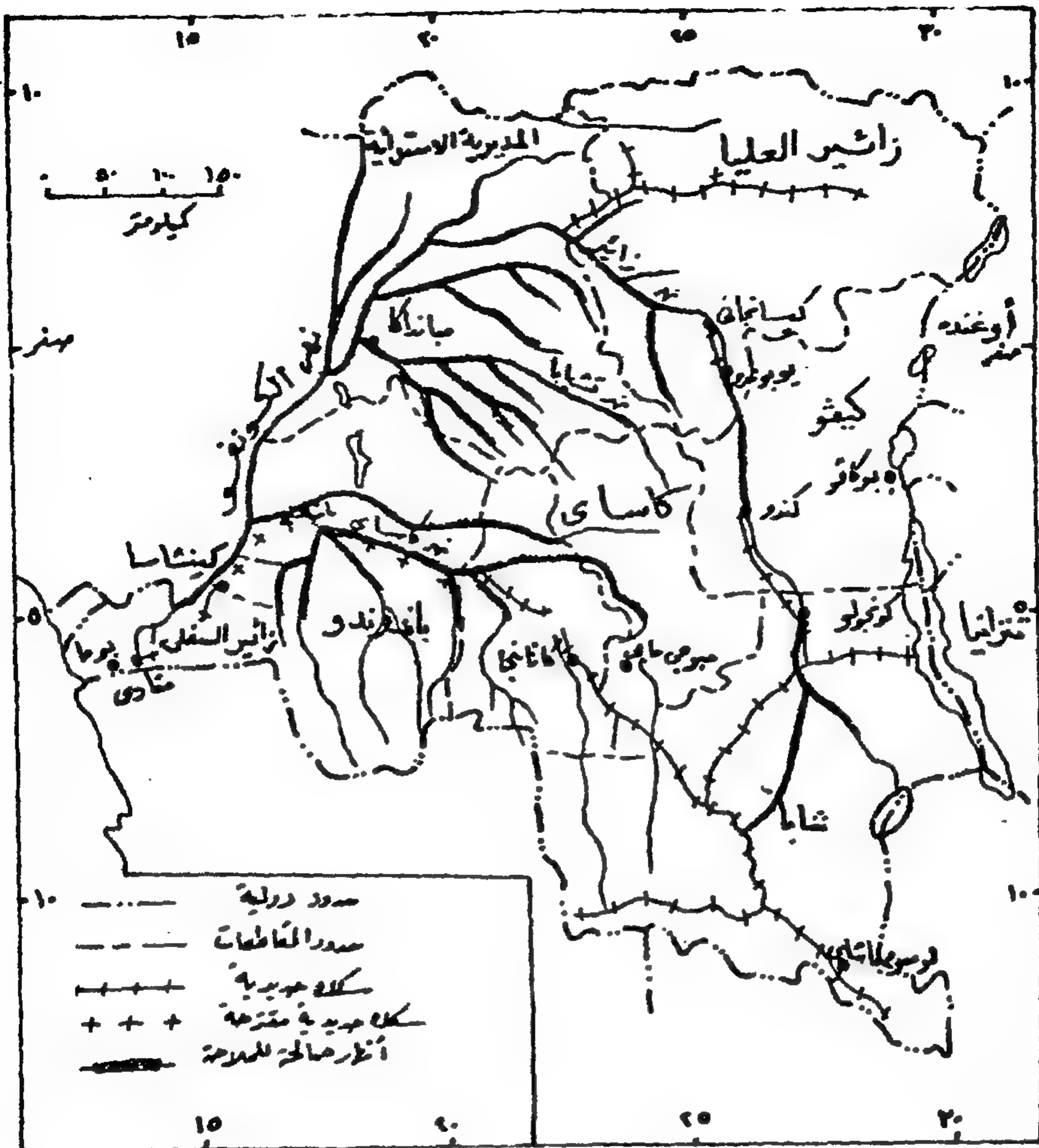
تزيد الكثافة السكانية عن نصف شخص واحد في الكيلومتر المربع ، وواضح أنها المناطق التي تكسوها الغابات الاستوائية ، والأدغال الموبوءة . أما مناطق الكثافة السكانية المرتفعة نوعا ، فتوجد حيثما لاءمت ظروف البيئة الطبيعية ، والموارد الزراعية والمعدنية سكنى البشر . ومنها الجزء الأدنى من حوض زائير ، ومنطقة كينشاسا ، وكساي ، وأواسط حوض لوالابا ، وكاتانجا . وكذلك في المنطقة الشمالية الشرقية بالقرب من أوغندا ورواندا وبوروندي . هذا وتبلغ الكثافة العامة في زائير نحو ١٦ نسمة في الكيلومتر المربع .

والواقع أن غالبية سكان زائير يمتشدون في القرى أو في المدن . فعدد المحلات العمرانية في الكونغو التي يزيد تعداد كل منها على ١٥٠ ألف شخص يناهز المائتين . وهذا يعني أنها تحوي نحو تسع أو عشر سكان زائير . ويبدو أن التكدس في مدن ومحلات عمرانية كبيرة تأثير أوروبي وقد عن طريق بلجيكا . فقبل وصول الرجل الأبيض ، لم يكن من عادة البانتو بناء قرى كبيرة أو محلات عمرانية تزيد في حجمها عن الحجم المعتاد لقراهم الزراعية الصغيرة والبسيطة التركيب .

ويتركز السكان الأوروبيون في المدن . إذ تحوي أكبر ست مدن في البلاد على نصف عدد الأوروبيين . وثلاث من هذه المدن يوجد في إقليم كاتنجا ، وهذه هي مدن التعدين : لوبومباشي Lubumbashi ويسكنها زهاء $\frac{3}{4}$ مليون . وليكاسي Likasi (جادوت فيل Jadotville سابقا) ويقطنها نحو ٢٧٠ ألف . وكولويزي Kolwezi وسكانها نحو ١١٥ ألفا .

وعاصمة زائير هي كينشاسا ، ويسكنها نحو ٢٠ مليون شخص ، وهي أكبر مدينة في أفريقيا الاستوائية ، ويعيش فيها نحو ٢٠ ألفا من الأوروبيين يكونون الآن نصف ما تبقى منهم في زائير . وفي كينشاسا بالطبع مقر الحكومة ، والمكاتب الإدارية الرئيسية . وهي مركز النقل والمواصلات .

ومن المدن الهامة الأخرى ميناء كيسانجاني Kisangani (ستانلي فيل سابقا) على نهر زائير ، ويسكنها نحو ٢٨٥ ألفا . ومتادي Matadi الواقعة عند



شكل (٨٦) : زائير : مدن ومواصلات وأقسام إدارية

نهاية المصب الخليجي لنهر زائير من الداخل على بعد ٨٠ كيلومترا من ساحل المحيط . وهي تتميز بمياه عميقة ، وتستقبل السفن المحيطة . وترتبط بالعاصمة بخط حديدي . وعن طريقها تتم غالبية صادرات وواردات البلاد .

ومن المدن الأخرى كانينجا Kaninga عاصمة إقليم كاساي Kasai ويسكنها نحو ٣٩٥ ألفا . وكانت تسمى في العهد البلجيكي لولوا بوجر Luluabourg لوقوعها على نهر لولوا Lulua . ومدينة كاليمي Kalimi على

متصف الساحل الغربي لبحيرة تنجانيقا ، واسمها القديم ألبيرت فيل -Albert ville ومدينة بوكافو Bukavu عاصمة إقليم كيفو . وتقع جنوبي بحيرة كيفو Kivu . وجميع المدن التي ذكرناها هي عواصم لأقاليم زائير .

الجغرافيا الاقتصادية

الزراعة

في خلال الخمسين سنة الأخيرة من الحكم البلجيكي لزائير ، بذلت بلجيكا مجهودات كبيرة في سبيل تحسين وسائل الزراعة وطرائقها ، ورصدت مبالغ كبيرة للأبحاث الزراعية . وأسست محطات تجارب زراعية لدراسة زراعة المطاط ، والبن ، ونخيل الزيت ومحصولات أخرى ، وكذلك لمحاربة الآفات الزراعية ، والتحكم في الأوبئة والأمراض ، واستنباط بذور تصلح للبيئة ، وغير ذلك من وسائل تحسين الإنتاج الزراعي . وقد تأكدت هذه العناية برعاية المعهد الوطني للدراسة الزراعية للكنغو البلجيكي Institut National pour l'Etude Agronomique du Congo Belge . وقد أنشئ المعهد في عام ١٩٣٣ ، ونمت أبحاثه ، وكبر ليصبح واحدا من أكبر المعاهد المتخصصة في الدراسات المدارية .

وقد ازدادت المساحة المشغولة بالزراعة ازدياداً كبيراً ، وذلك بسبب السياسة التي أدخلتها بلجيكا إلى الكونغو في الثلاثينات ، وهي سياسة السخرة ، والعمل الزراعي القسري ، الذي فرض على أهالي البلاد سواء بالنسبة للغلات الغذائية والغلات النقدية . وكانت الغلات تزرع تحت إدارة ملتزم محلي ، الذي يقوم بجمعها من الأهالي دورياً . وقد وجدت بلجيكا أن هذه السياسة ضرورية لزيادة الإنتاج الزراعي ، خصوصاً إنتاج المواد الغذائية لتموين مناطق المناجم ، والمدن الآخذة في النمو في أنحاء مختلفة من البلاد .

وفي الخمسينات من هذا القرن أدخلت بلجيكا ما سمي « مشروعات المزارعين » ، لتنظيم الزراعة الأفريقية المتقلبة . فقد قسمت الأراضي إلى قطع

مستطيلة أو أشرطة ، تقوم الزراعة فيها لمدة ثلاث سنوات أو نحو ذلك ، ثم يسمح بعد ذلك بتحويلها إلى التشجير لمدة تتراوح بين ١٥ - ٢٠ سنة . وفي عام ١٩٥٨ كان يعمل في هذه الحقول الجديدة نحو ٢٠٠ ألف من أهالي زائير ، ويتجون كميات كبيرة من الذرة العريضة ، والقطن ، والأرز ، رغم صغر حجم المشروعات .

ومع هذا ، فإن معظم الأجزاء الأخرى من أراضي زائير ، كانت تسودها أشكال أكثر بدائية من الزراعة المتنقلة ، وذلك نظراً لوفرة الأراضي الزراعية وكثرتها بالنسبة لأعداد السكان . فبعد اختيار مساحة جديدة للزراعة ، يعتمد أهالي البلاد إلى إخلائها من الشجر والنبات عن طريق الحرق (الذي من مزاياه إفناء الكثير من الحشرات والآفات ، إضافة إلى قيمة النبات المحروق كمادة عضوية) ، ثم يزرع الأرض زراعة كثيفة لمدة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات . ويشارك الرجال ويتعاونون في عمليات الإحراق وتطهير الأرض ، بينما يقوم النساء بما يلي ذلك من عمليات زراعية .

ففي أواخر يناير تذهب المجموعة من البانتو إلى داخل الغابة ، وتتقي مساحة مناسبة ، ربما تكون مجاورة لمساحة أخرى اختارتها جماعة أخرى . ويبدأ العمل في قطع النباتات الكثيفة التي تنمو بين الأشجار العالية وحواليها . وبعد تطهير المنطقة من هذه النباتات الطفيلية ، يقوم الرجال بقطع الأشجار الكبيرة . . . ثم يجري تجزئة غصون الأشجار وأفرعها إلى قطع صغيرة ، وتوقد فيها النيران . وما تلبث الغابة الكبيرة الكثيفة بالنمو النباتي أن تتحول إلى أرض خالية لا توجد عليها إلا جذوع الأشجار الضخمة . وفي الأرض التي تغطيها بقايا ورماد الحريق ، تغرس النساء نبات الموز ، وشتلات المانيوك (الكاسافا = نبات درني نشوي) ، ويدور القرع .

وفي الفصل المطير التالي ، تنضج النباتات بسرعة . وبعد الحصاد ، يجري تنظيف الأرض وتطهيرها من النبات من جديد . وتُعاد زراعتها في الفصل القليل المطر قبل بداية موسم صيد السمك .

ولا تعرف القبائل التي ما زالت تمارس الزراعة المتنقلة شيئاً عن الزراعة الكثيفة . وهم ، بهذه الزراعة البدائية ، يحتاجون إلى مساحات عظيمة لكي ينتجوا ما يكفي مجموعة صغيرة من البشر . وكل عام ، تتساقط أقسام جديدة من الغابة العذراء تحت ضربات فؤوسهم . وما دام التفكير في التنقل هو عرف حياتهم ، فإنهم لا يزرعون أشجار فاكهة حتى حيث تجود ، لأنها لا تحمل الثمار إلا بعدما يرحلون ، وبالتالي فإنهم لن يستفيدوا مما يزرعون .

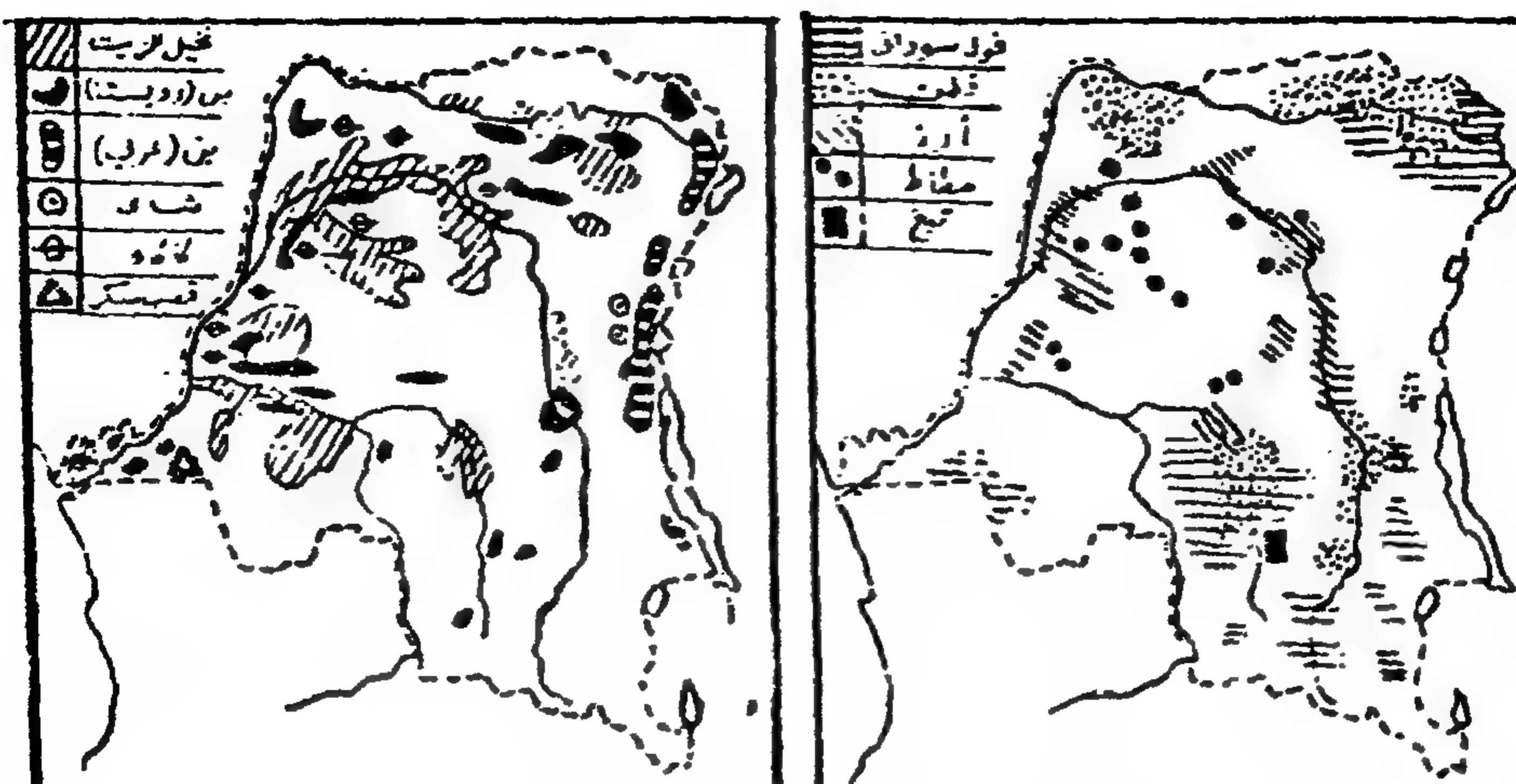
وطول الفترة التي يقيمون أثناءها في قرية ما يتباين ، وعموماً فإن عمر أية قرية يتراوح بين خمس وست سنوات في المتوسط .

ورغم أن الغلات الزراعية الرئيسية تختلف من جهة لأخرى ، إلا أن الكاسافا *cassava* هي الأكثر شيوعاً وانتشاراً . وقد أدخلها البرتغال إلى أفريقيا ، وزراعتها سهلة ميسرة ، لكنها سرعان ما تستهلك التربة وتضعفها . وجذورها مهمة للأهالي ، فهي تتحول إلى دقيق لعمل الخبز . وتشغل زراعة الذرة مساحة أقل . وهي عادة تزرع كمحصول ثانوي ينمو وينضج ويحصد قبل جمع محصول الكاسافا .

وفي مناطق السفانا الأجف تصبح الذرة الرفيعة هي الغذاء الأساسي للسكان . ويزرع الأرز بصفة رئيسية في الأقاليم الشرقية ، وقد جلب العرب زراعته إلى تلك الجهات من شرق أفريقيا . وكثيراً ما يكون هنالك فائض في الإنتاج لبيعه في المدن . ويمثل الموز محصول غذاء رئيسي أيضاً في الشرق . وهناك عدد كبير من المحاصيل الثانوية الغذائية ، تتجها أراضي زائير الزراعية ، ومع هذا تعاني بعض الجهات أحياناً من مجاعة أو نقص في الغذاء ، نتيجة لفشل محصول معين قبل أن ينضج غيره ، أو بسبب عدم تخزين كمية تكفي لفترة طويلة ، دون أن يحسب لموسم هزيل الإنتاج حسابه .

محاصيل أهالي زائير التجارية

من بين المحاصيل النقدية التي يزرعها سكان زائير الوطنيين ، ثلاثة محاصيل لها أهمية خاصة هي : القطن والبن ونخيل الزيت . والقطن هو الأكثر



شكل (٨٧) زائير : توزيع الغلات الزراعية التجارية

انتشارا ، ويزرع في مساحة تزيد على مليون فدان ، أي ما يوازي نحو (١/٨) ثمن مساحة القطن في القارة الأفريقية كلها . وإنتاج القطن يحتكره سكان البلاد ، ويبيعه للمحالج التي كانت بأيدي الأوربيين . ويستهلك نحو ربع الإنتاج في صناعة المنسوجات القطنية بمصانع مدينة كينشاسا ، ويتم تصدير الباقي إلى الخارج . ونظرا لأن القطن يوجد في الجهات التي تتميز بفصل جفاف منتظم ، فإنه يزرع في نطاقات السفانا بصفة خاصة .

ويزرع البن في حقول أهالي زائير ، كما تتم زراعته في المزارع الأوربية الأصل . وهو يزرع في جهات مبعثرة ، لكن أهم مناطق زراعته وأكثرها قيمة ، هي المرتفعات الشرقية والمحافظة الشرقية (أوريتال Orientale) ، حيث بقي التأثير العربي ، فالعرب هم الذين أدخلوا زراعته هناك . وتبلغ مساحة البن نحو ٢٠٠ ألف فدان ، تتج حوالي ٥٪ من إنتاج القارة الأفريقية من البن .

ونخيل الزيت نبات وطني أصيل في أفريقيا الغربية المدارية ، ينمو في المساحات التي تغطيها الغابات الاستوائية حيث تدوم الأمطار طول السنة . ويرعى سكان زائير أشجار نخيل الزيت الطبيعية ، كما يزرعون أشجارا جديدة بالقرب من قراهم . يضاف إلى ذلك مزارع هامة للأوربيين سيرد ذكرها بعد قليل . ومنتجات نخيل الزيت في زائير تأتي في مقدمة الصادرات بعد المعادن .

وهي الدولة الثانية في العالم بعد نيجيريا في الإنتاج . ويتركز نحو نصف مساحة الأراضي المشغولة بنخيل الزيت والتابعة لسكان البلاد في محافظة كينشاسا والمحافظة الاستوائية ، وتوجد على امتداد الأنهار وبالقرب منها ، ليسهل نقل منتجات النخيل بطريق النقل المائي النهري .

وهناك محصولان نقديان لهما أهمية لدى سكان زائير هما : السمس الذي تتركز زراعته وإنتاجه كلية بأيدي الأفارقة ؛ ثم الفول السوداني الذي تتج الحقول الأفريقية نحو ٩٨٪ من إنتاجه .

مزارع الأوربين التجارية

تأخذ الزراعة الأوربية شكلين رئيسيين : المزارع الواسعة الضخمة المساحة ، وهي المؤجرة للشركات . ثم المزارع المتوسطة المساحة والمتواضعة التي تخص المستوطنين الأوربيين ، ويتركز وجودها أساسا في المناطق التي تتميز بأفضل مناخ مناسب للأوربيين مثل مرتفعات كيفو Kivu وكاتنجا Katanga .

وتتخصص المزارع الأوربية أساسا في زراعة البن ، والمطاط ، ونخيل الزيت . وزراعة المطاط قد بدأت تنمو وتزدهر منذ الثلاثينات من هذا القرن . وكان أول الغرس نوع يدعى *Hevea Braziliensis* الذي بدأ إنتاجه في عام ١٩٣٨ . وتبلغ المساحة التي تشغلها أشجار المطاط في زائير نحو ٢٠٠ ألف فدان ، تتركز في النصف الغربي من الكنفو ، وهي نتج نحو ٢٪ من إنتاج العالم من المطاط الطبيعي . هذا وتحتكر المزارع الأوربية نحو ٨٥٪ من مساحة المطاط في زائير ، وتنتج ٩٢٪ من إنتاجه في البلاد .

نخيل الزيت ، كما أسلفنا ، نبات وطني أصيل في أفريقيا المدارية فيما بين دائرتي عرض ١٠° شمالا وجنوبا . وأشجار النخيل تجود بصفة خاصة حيثما كان المطر ٥٠٠ سم وأكثر ، ومع هذا فهي تنمو في جهات أمطارها أقل من هذا بكثير ، لكنها تتطلب أمطارا لا تقل عن ١٤٠ سم ، موزعة على مدار السنة ، بحيث لا يوجد فصل جفاف ملحوظ .

وأهم مزارع نخيل الزيت في زائير هي مزارع يونيليفر Unilever . وقد بدأ امتيازها في عام ١٩١١ ، حين تم توقيع عقد بين الحكومة البلجيكية وشركة إخوان ليفر Lever Brothers لتأسيس مزارع واسعة ، ولإنشاء معامل لعصر الزيوت في زائير . وقد امتد امتياز الشركة لاستغلال مساحة شاسعة مقدارها ١,٧٥ مليون فدان . أما المزارع الفعلية التي تم غرس النخيل بها فتصل إلى نحو ١٦٠ ألف فدان ، بالإضافة إلى مساحة (١/٤) ربع مليون فدان تحوي أشجارا طبيعية من نخيل الزيت يجري استغلالها بصفة منتظمة كل عام .

وشركة زيوت الكنفو Huileries du Congo Belge (HCB) ، وهي فرع من شركة يونيليفر ، تنتج وحدها ٤٠٪ من إنتاج زائير . ويعمل لديها أكثر من ٥٠ ألف عامل .

وأكبر امتياز فردي هو امتياز لوسانجا Lusanga ، ويشمل مساحة ٢٠٥ ألف فدان ، ومركز إدارته في ليفرفيل Leverville قرب كيكويت Kikwit (على نهر كويلو Kwilu رافد كاساي Kasai) . ومزارع أصغر حجما حول برابانتا Brabanta قرب بورت فرانكي Port Francqui ، وعند فلاندريا Flandria قرب مباداكا Mbandaka (كانت تسمى سابقا كوكويل هات فيل Coquilhatville) . وهناك خمس مزارع أخرى تقع حوالي وسط نهر زائير ، وواحدة توجد في شمال شرق كيفو Kivo .

وتقع المزارع ، وكذلك معامل عصر الزيوت إما على المجاري المائية الصالحة للملاحة أو بالقرب منها . وتعتبر زائير من أحسن الدول الأفريقية معالجة لمنتجات نخيل الزيت . وتمتلك « شركة زيوت زائير » وحدها ١٧ معملا حديثا للعصر . ولذلك يتم عصر معظم الإنتاج من النوايات في زائير بدلا من تصديرها خاما إلى الخارج .

وتوجد المعاصر الرئيسية في كينشاسا ، وليفرثيل ، وألبرتا Alberta وإليزابيثا Elisabetha ، والأخيرتان تقعان في الكنفو الأوسط ، ثم برابانتا . وقد تزايد عدد العمال من أهالي زائير من ٣٠ ألفا في عام ١٩٥١ إلى أكثر من

٥٠ ألفا . وقد وفرت شركة يونيليفر مساكن لكل العاملين فيها ، تتكفل في قرى منظمة ، تحوي محلات تجارية لمختلف السلع ، كما قد زودت القرى بالمدارس والمستشفيات .

الثروة الخشبية

تقدر مساحة الغابات في جمهورية زائير بنحو ٢٥٠ مليون فدان . وهو قدر هائل كان من المنتظر استغلاله لكي يسهم بقدر عظيم في الدخل القومي . لكن صناعة الأخشاب لم تفس سوى جزء صغير من الثروة الغابية . والإنتاج الخشبي في معظمه هدفه الاستخدام المحلي . والقسم الأعظم من داخلية الغابة بعيد ، يصعب الوصول إليه ، وليس هناك بقعة تخصص في وجود نوع واحد معلوم من الشجر يمكن استغلاله ؛ وكثير من الأنواع الشجرية غير معروف . والمساحة الوحيدة التي تستغل ثروتها الخشبية استغلالاً يفوق حاجة الاستهلاك المحلي هي ما يعرف بزائير السفلى والكتغو السفلى Bas-Congo أو منطقة مايومبي Mayombé ، وهي المساحة الساحلية والمجاورة للساحل ، حيث يتم تصدير بعض الأخشاب عن طريق ميناء بوما Boma .

الثروة الحيوانية

تبلغ مساحة المراعي في زائير نحو ٦,٣ مليون فدان . ومع هذا فإن الثروة الحيوانية في زائير قليلة . ويرجع هذا إلى أن غالبية أجزاء زائير تتأثر بوجود ذبابة تسي تسي ، باستثناء هضبي شابا (كاتنجا) وكاساي ، وفي الشمال في هضبة أويانجي ، بالإضافة إلى المرتفعات الشرقية .

وتقدر أعداد الماشية في زائير بنحو مليون رأس ، والماعز ٣,٢ مليون رأس ، والأغنام بنحو ٨٠٠ ألف رأس ، والخنازير بنصف مليون خنزير . ويتركز ما يوازي ٦٠٪ من الأبقار ، و ٤٠٪ من الأغنام والماعز في المحافظة الشرقية وفي محافظة كيفو . لكنها لا يحويان سوى القليل من الخنازير . ولعل سبب قلة الخنازير راجع إلى تحريم أكله لدى المسلمين ، ومن تشبه بهم هناك .

وغنى الأجزاء الشرقية بالثروة الحيوانية راجع إلى أنها بمثابة امتداد لمناطق الرعي الغنية في أوغندا ، وفي رواندا وفي بوروندي . يضاف إلى ذلك توفر المراعي الجيدة ، وعدم وجود ذباب تسي تسي .

ونظرا لوجود عدد كبير من المستوطنين الأوربيين في كينشاسا العاصمة وفي إقليم كاتنجا حيث الصناعات الاستخراجية ، فإن العناية بالثروة الحيوانية كبيرة ، لهذا فإن الإقليمين يحويان أعدادا لا بأس بها من أنواع الحيوان الثلاثة . ومعظم الماشية التي يمتلكها الأوربيون توجد في إقليمي كينشاسا وكاتنجا ، لكثرة وجود المستوطنين من جهة ، ولشدة الطلب على اللحوم في الإقليمين . وتقتصر تربية الماعز على أهالي زائير الذين يستفيدون منها استفادة كاملة ، من لحومها وألبانها وجلودها وقرونها . كما يمتلك الأهالي معظم الأغنام والخنازير ، وقدر لا بأس به من الأبقار ، خصوصا في محافظتي كيفو والشرقية . وماشية الأوربيين أفضل إنتاجا للحوم ، وإدارا للألبان من ماشية الوطنيين ، فالأولى تنتج من الألبان خمسين مثلا لما تنتجه الثانية . هذا ولا تظهر الماشية في صادرات زائير . فكلها يستهلك بالداخل ، علاوة على استيراد اللحوم في بعض السنين .

الثروة المعدنية

يستمر النطاق المعدني الغني في زامبيا الذي ينتج النحاس ممتدا عبر الحدود مع زائير في إقليم كاتنجا . ومن نطاق النحاس الغني هذا يقع الجزء الأكبر في زائير ، حيث تم الكشف عنه لأول مرة في عام ١٨٩٢ . وينتج نطاق النحاس في كلا البلدين نحو ١٨٪ من إنتاج العالم من النحاس . تنتج منه زامبيا ١١٪ ، ويأتي من زائير ٧٪ .

وقد بدأ التعدين في إقليم كاتنجا (يُسمى شابا حاليا) في عام ١٩٠٦ ، لكن الإنتاج ظل صغيرا ، حتى تم مد الخط الحديدي من روديسيا الشمالية (زامبيا الحالية) إلى المنطقة في عام ١٩١٠ . وفي عام ١٩٠٦ أعطى الملك ليوبولد حق التنقيب عن المعادن لاتحاد تعدين كاتنجا العليا Union Minière du Haut Katanga في مساحة قدرها ٢١٠٠٠ كيلومتر مربع . وهي شركة

بلجيكية بريطانية . وقد وصلت أول شحنة من النحاس إلى ميناء أنتويرب Antwerp البلجيكي في عام ١٩١٢ .

وقد ازداد إنتاج النحاس بسرعة في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وفي السنين الأولى من العشرينات لهذا القرن أصبحت شركة اتحاد تعدين كاتنجا (شابا) أكبر منتج للنحاس بين شركات إنتاج النحاس في العالم ، لكنها أخلت مكان الصدارة في الإنتاج فيما بعد ، لمصادر أخرى عظم إنتاجها بسرعة في أمريكا الشمالية ، وروديسيا الشمالية ، وشيلي .

والتكوينات التي تُستغل الآن بصفة أساسية هي أكاسيد النحاس التي تحتوي على نسبة عالية من النحاس تتراوح بين ٦ - ٨٪ ، بالإضافة إلى معادن أخرى ثانوية مصاحبة للنحاس في الخام ، ومنها الكوبالت Cobalt . ويُعدن الخام في تكوينات ما قبل الكامبري من صخور الشست والكوارتيزايت ، كما يُعدن أيضا في صخور الدولومايت . ويجري تعدين النحاس في غالبية المناجم بطريقة الحفر المفتوحة Opencast ، ويستخرج الخام آليا على امتداد لوحات عملاقة .

وتقع مناجم النحاس في ثلاث مناطق رئيسية هي :

١ - حول لوبومباشي Lubumbashi . وأشهرها المنجم المسمى « نجمة الكونغو » « Star of The Congo » ، وقد كان عظيم الغنى بالمعدن حين افتتاحه في عام ١٩٠٨ .

٢ - حول ليكاسي Likasi (جادوت فيل Jadot ville سابقا) وكامبوف Kambove .

٣ - منطقة مناجم كولويزي Kolwezi . وهي أهمها الآن جميعا ، إذ تنتج وحدها ٨٠٪ من إنتاج شابا من النحاس ، بالإضافة إلى أنها تنتج معظم الكوبالت . ويظهر خامها على السطح في صورة أكاسيد تستغل في شكل مناجم مفتوحة ، مما يساعد في رخص تكاليف الاستخراج .

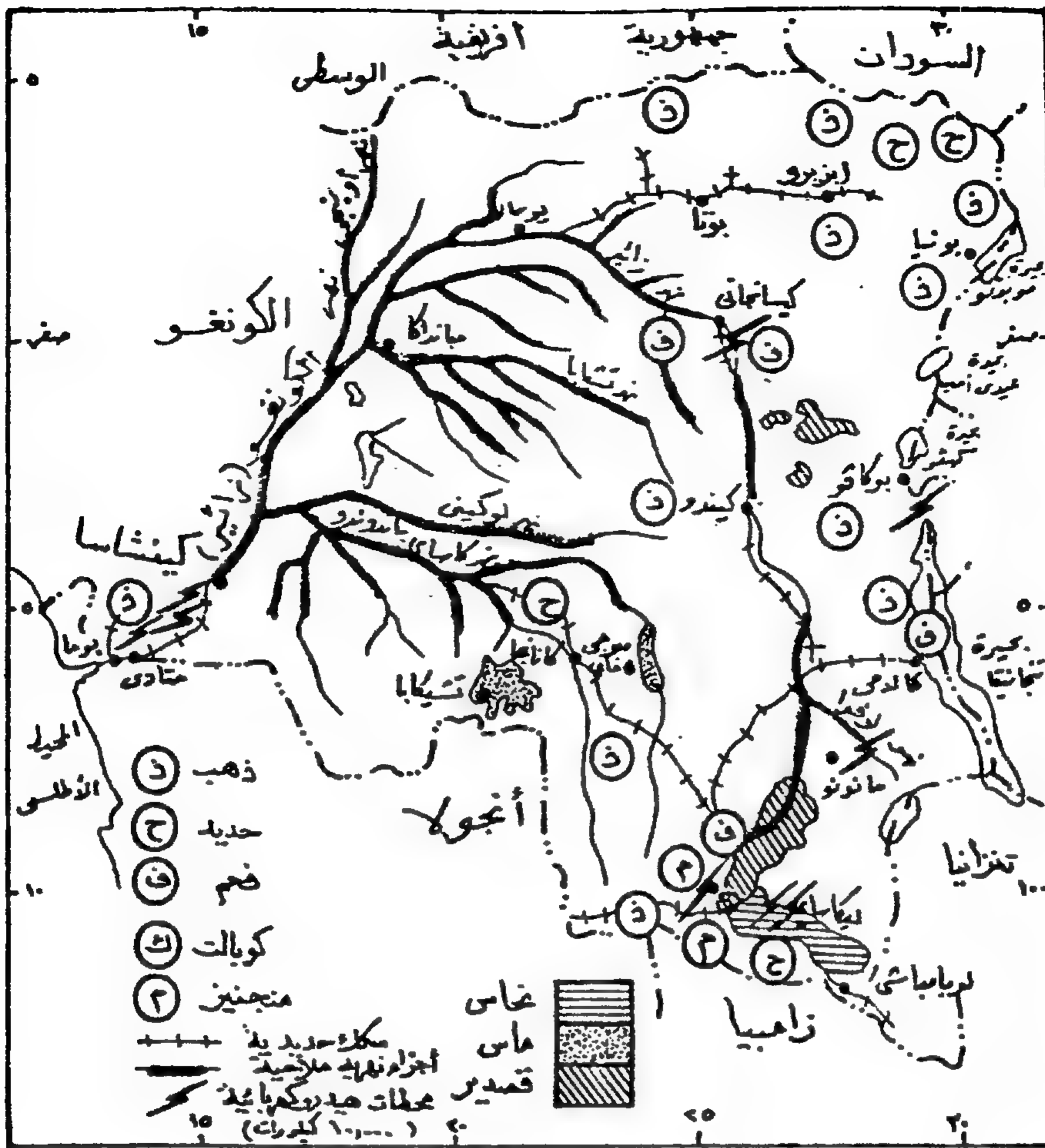
وتستغل المعادن عادة بالارتباط ببعضها : فالنحاس والكوبالت يعدنان سويا من مناجم كولريزي ؛ بينما في منطقة كيبوشي Kipushi يستخرج مع النحاس سلسلة من المعادن تشمل الرصاص ، والقصدير ، وجرمانيوم Germa-nium وكادميوم Cadmium .

ونظرا لبعد الشقة بين مناطق الإنتاج والسواحل الأفريقية ، وما يترتب على عمليات النقل بالسكك الحديدية من تكاليف باهظة ، كان لا بد من إجراء الصهر في مناطق المناجم ذاتها . ويمكن تصور مدى الوفرة في مصاعب النقل وتكاليفه إذا ذكرنا أن كمية الخام المنتجة لكل المعادن تبلغ حوالي عشرة ملايين طن كل سنة ، لكن جملة وزن ما يتم تصديره من المعادن بعد استخلاصها من الخام لا يزيد كثيرا على نصف مليون طن .

وقد شيد أول مصهر لاستخلاص النحاس في إيزابيت فيل (لوبومباشي حاليا) في عام ١٩١١ ، معتمدا على الخشب كوقود ، وعلى الفحم المستورد . وفي عام ١٩٢٩ بدأ إنتاج أول مصهر كهربائي في مدينة جادوت فيل (ليكاسي حاليا) . وفي وقتنا الحاضر تستطيع محطات توليد الكهرباء المائية إمداد كافة المصاهر باحتياجاتها من القوى . ويحتاج إنتاج طن واحد من النحاس الكهربائي ، بنسبة نقاوة تصل إلى ٩٩,٩٥ ٪ ، إلى ٢٥٠٠ كيلووات / ساعة ، بينما يحتاج إنتاج طن واحد من الكوبالت إلى ١٠٠٠٠ كيلووات / ساعة .

وكان أول مشروع كهربائي مائي ضخم هو مشروع فرانكي Francqui الذي أقيم على أعالي نهر ليوفيرا Lufira ، وتم افتتاحه في عام ١٩٣٦ . وتوالى مشروعات توليد القوى الكهربائية المائية بعد ذلك خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ووصلت إلى الذروة في مشروعين كبيرين هما مشروع ديلكوميون Delcommune وتم في عام ١٩٥١ ، ومشروع لومارينيل Le Marinel وتم في عام ١٩٥٦ ، وشيد كلاهما على أعالي نهر لوالابا Lualaba .

وفي مدينة لويلو Luilu افتتح معمل آخر للصهر ، يُعتبر واحدا من أكثر معامل الصهر الكهربائية في العالم حداثة ، وذلك في عام ١٩٦٠ ، وتكلف



شكل (٨٨) : زائير : توزيع المعادن

بأسعار أواخر الخمسينات أكثر من مليونين من الجنيهات الاسترلينية . ويتج هذا المصهر وحده ١٠٠ ألف طن من النحاس سنويا ، بالإضافة إلى ١٧٥٠ طنا من الكوبالت . يضاف إليه معمل أصغر ، افتتح في عام ١٩٦١ في مدينة كامبوف Kambove ، سعته نحو ٧٥٠٠٠ طن من الخام سنويا .

ولم يقتصر الأمر على استمرار توسيع وإنشاء الجديد من معامل تركيز النحاس في زائير ، وإنما تعداه إلى افتتاح مناجم جديدة بصفة مستمرة ، ومن

بينها مناجم فونجوريم Fungureme وكاكندا Kakanda .

ولم يتأثر إنتاج المعادن كثيرا في شابا (كاتنجا) إبان أحداث ١٩٦١ - ١٩٦٢ . فما إن حل شهر أبريل من عام ١٩٦٣ حتى عاد نشاط التعدين إلى سابق عهده ، وعمل بكل طاقته . ولم تتناقص كمية المنتج من النحاس إلا بقدر ضئيل ، فقد كان الإنتاج في عام ١٩٥٢ نحو ٢٩٥٢٠٠ طن ، صار في عام ١٩٦٣ حوالي ٢٦٩٩٠٠ طن . ثم تواصل نمو الإنتاج ليصل في عام ١٩٦٩ إلى ٣٦٢٠٠٠ طن ، أي بزيادة قدرها ٧٪ عن إنتاج ١٩٦٠ ، وفي عام ١٩٧٠ إلى ٣٨٥٠٠٠ طن . وهو الآن ، ومنذ عام ١٩٧٥ يتعدى ٤٠٠ ألف طن .

وقد ظل اتحاد التعدين شركة بلجيكية حتى عام ١٩٦٥ ، عندما آلت ملكيتها إلى الحكومة الزائيرية التي تديرها عن طريق هيئة تدعى هيئة « المعادن الكونغولية العامة La Générale Congolaise des Minerais » ويختصر اسمها إلى GECOMIN .

وقد كان تزويد المناجم بالعمال مشكلة في السنين الأولى لعمليات التعدين ، لأن إقليم كاتنجا حينذاك كان قليل السكان ، فقد كانت كثافة السكان به شخصين في الكيلومتر المربع . وفي يناير من عام ١٩٦٣ كانت الشركة البلجيكية تستخدم ٢٣٢٥٠ عاملا ، زاد العدد فيما بعد ليصل إلى أكثر من مائة ألف بعد أن أصبح التعدين تحت سيطرة الحكومة الزائيرية . وقوة العمالة دائمة بصفة رئيسية منذ عام ١٩٣٠ ، باستثناء بعض العمال من رواندا وبوروندي . ويسكن العمال في قرى جيدة التخطيط .

وتحوي أرض زائير ثروة معدنية ذات أهمية استراتيجية كبيرة . ففي عام ١٩١٣ عثر على اليورانيوم Uranium بالقرب من لوبومباشي ، وبدأ استغلاله في عام ١٩٤٣ . ومنذ ذلك الحين وحتى عام ١٩٥٠ كانت كل الأسلحة الذرية المنتجة في دول العالم الغربي من يورانيوم (شابا) الذي يمتاز بنسبة معدن عالية جدا تتراوح بين ١ - ٤٪ مقابل ٠٢ و ٠٪ في يورانيوم جنوب أفريقيا . وكانت كاتنجا حينذاك تنتج وحدها أكثر من نصف إنتاج العالم غير الشيوعي من هذا

المعدن . ومنذ أن بدأ الإنتاج في عام ١٩٤٣ ، بقيت كميته سرا غير مذاع ، لكن يبدو أن الإنتاج في عام ١٩٥٧ وصل إلى نصف إنتاج جنوب أفريقيا . ويبدو أن الاحتياطي ليس كبيرا ، لأن المناجم أغلقت أبوابها في عام ١٩٦١ .

وتنتج شابا الراديوم ، وتصدره إلى بلجيكا . كما تنتج الكوبالت مع النحاس على نحو ما أسلفنا ، وهو من المعادن الاستراتيجية ، ويبلغ إنتاجها منه نحو ١١ ألف طن في المتوسط ، وهو ما يعادل أكثر من نصف إنتاج العالم الغربي .

ويُنتج إقليم شابا (كاتنجا سابقا) معادن أخرى كثيرة . ويأتي المنجنيز في المقدمة من حيث الحجم ، إذ تصدر منه زائير نحو ٢٧٠ ألف طن كل عام ، يتلوه الزنك في المركز بمقدار ٩٠ ألف طن . وهناك معمل حديث لصهر الزنك في مدينة كولويزي Kolwezi ، كانت له أهميته في إنقاص وزن خامات القصدير التي أصبحت ٥٠ ألف طن . ويعدن القصدير في أجزاء عدة من شمال كاتنجا ، فيما بين بلدي بوسانجا Busanga ومانونو Manono بواسطة عدد من الشركات من بينها اتحاد التعدين . ويبلغ الإنتاج نحو سبعة آلاف طن من القصدير المركز ، و ١٨٠٠ طن من القصدير المصهور .

ومن بين المعادن النادرة ، تنتج زائير الذهب والفضة أيضا . ويتشر تعدين الذهب في المحافظة الشرقية ، وفي محافظة كيفو . ويأتي معظم الإنتاج من الصخور النارية ، وجزء يسير يستخلص من التكوينات الرسوبية . وكمية الإنتاج متذبذبة وهي بين ٦ - ١٠ ألف طن سنويا .

وليست شابا (كاتنجا) هي المحافظة الوحيدة في جمهورية زائير ذات الثروة المعدنية ، إذ أن المحافظة التي تجاورها في الغرب وهي كاساي ، مشهورة بأنها أكبر مصدر لإنتاج الماس الصناعي ، فهي تنتج أكثر من ثلثي الإنتاج العالمي منه في السنين العادية . وقد تم اكتشاف حقول الماس وامتداداته في إقليم كاساي في عام ١٩٠٩ . وهي في المساحة توازي مساحة روديسيا كلها . والصخور الحاوية للماس هي صخور مجمعات (بكونجلوميرات) جوراسية

العمر ، وهي تكوينات رسوبية نهرية قديمة . هذا ومعظم ماس كاساي ، كما أسلفنا ، من النوع الذي يستخدم في الصناعة . أما الماس الثمين المستخدم للزينة كحجر كريم فلا تزيد نسبته على ٤٪ من جملة إنتاج الماس ، هذا بعكس المنتج في القسم الجنوبي من جنوب غرب أفريقيا ، فمعظمه من الماس الثمين .

مصادر القوى والوقود

زائير فقيرة في الفحم . وهناك حقولان صغيران في شابا (كاتنجا) هما حقول لوينا Luena وحقول لوكوجا Lukuga . وهناك احتياطي ضخم في طبقات الكارو Karroo ، كما وأن طبقات الفحم سميكة ، لكن الفحم من نوع رديء ، يحوي كمية كبيرة من الشوائب والرماد .

ويعرض النقص في الفحم والبتروول وجود إمكانيات هائلة من القوى الكهربائية المائية تقدر بنحو ١٣٪ من جملة القوى المائية في العالم . وقد سبق لنا ذكر المحطات الكهرومائية في منابع نهر زائير بإقليم كاتنجا . وهي التي تنتج معظم احتياجات زائير من القوى الكهربائية ، وتبلغ قدرتها الكلية ٥٢٥ ميجاوات ، وهو قدر كبير بالنسبة للقوى الكهربائية الحرارية التي يتم توليدها من حرق الفحم في محطات القوى بزائير ومقدارها ٩٠ ميجاوات .

ومنذ أواخر الستينات يجري العمل في الاستفادة من إمكانيات القوى المائية الهائلة في الجزء الأدنى من نهر زائير . فبعد أن يترك النهر كينشاسا تتدفق مياهه الغزيرة فوق سلسلة من الشلالات لمسافة رأسية مقدارها ٢٥٥ م (٨٥٠ قدما) . وفي عام ١٩٥٧ أختير موقع مناسب لإنشاء محطة توليد كهرباء على وادي إنجا Inga ، لكن تعطل القيام به بسبب الاضطرابات والأحداث السياسية التي نشبت في أوائل الستينات . وقد تمت الموافقة على المشروع بعد المراجعة وإجراء التحسينات ، وقدرت التكاليف الكلية بحوالي ٢٠٠ مليون جنيه استرليني ، كما قدرت كمية الكهرباء الممكن توليدها بنحو ٢٦٠٠ ميجاوات . وفي عام ١٩٦٩ بدأ العمل في المرحلة الأولى من المشروع ، وهي إنشاء سد يعرف باسم

فان ديورين Van Deuren ، الذي تم في عام ١٩٧٢ . وأمكن توليد ٣٠٠ ميجاوات .

والقصد من توليد هذه القوى الكهربائية ليس تزويد إقليم كاتنجا الذي يبعد عن محطات التوليد هذه بنحو ١٦٠٠ كيلومتر ، وإنما لتموين مصانع جديدة تنشأ في المنطقة وما يجاورها ، وهي مصنع للألومنيوم طاقته ٥٠٠ ألف طن ، ومصنع للأسمدة الأزوتية ، ومصانع أخرى ثانوية منها مصنع للب الأخشاب ، وكلها بالقرب من متادي Matadi . والبوكسايت موجود ومتوفر في المنطقة ، ويمكن استيراده ، لودعت الحاجة ، من غينيا أو غانا . كما ويمكن تكرير مركبات معادن معينة تأتي من كاتنجا قبل شحنها بالسفن لتصديرها إلى الخارج ومنها خام اليورانيوم .

الصناعة

ما تزال الصناعة في أدوار نموها المبكرة ، رغم إمكانيات زائير الكبيرة في الإنتاج الزراعي والمعدني ، وتنوع هذا الإنتاج ، ورغم توفر مصادر القوى الكهربائية على نحو ما أسلفنا . وأهم الصناعات القائمة هي الصناعات الاستخراجية ، وتحويل خامات المعادن إلى مركبات معدنية أو تكريرها وتنقيتها ، وذلك بقصد خفض تكلفة النقل من مناطق الاستخراج البعيدة في إقليم كاتنجا ، وقد سهل قيام هذا النوع من الصناعة وجود مصادر للقوى الكهربائية في كاتنجا ، وتوفر خامات الفحم بالإقليم .

وفي شابا (كاتنجا) تشتهر عاصمتها لوبومباشي بالصناعات الغذائية ، لسد احتياجات العمال والعاملين من الأوربيين ، وبها صناعات كيميائية وأخرى هندسية .

وتستأثر العاصمة كينشاسا بجزء كبير من الصناعات الغذائية ، والصابون ، والمنسوجات القطنية ، والسجائر ، والبلاستيك ، والاسمنت ، ويشغل هذه الصناعات نحو ٤٠٠ ألف عامل ، يتركزون في المدينتين .

وبالإضافة إلى صناعة الألومنيوم ، والأسمدة الأزوتية ، ولب الخشب في مدينة ماتادي ، هناك مشروع كبير لإقامة مصنع للحديد والصلب بالقرب من سد إنجا Inga ، يعتمد أيضا ، كالصناعات المذكورة ، على الطاقة الكهربائية المولدة من السد . وتقدر طاقة المصنع بنحو ٤٠٠ ألف طن .

المواصلات والمواني

هناك ميناء محيطية واحدة في زائير هي ميناء ماتادي Matadi . وحتى منتصف عام ١٩٦٠ قامت بحركة نقل وتصدير واستيراد بقدر ما تتحمل طاقتها ، وبلغت أكثر من نصف مجموع الصادرات بالوزن ، و٨٠٪ من واردات زائير . وتبعاً لحجم الحركة ، وحقيقة أنها كلها تقريباً تستخدم خطاً حديدياً واحداً هو خط كينشاسا - ماتادي ، فإن هذه الميناء كانت تمثل عنق زجاجة خطير جداً ، ومع هذا فإن استخدام هذا المخرج المحيطي كانت تشجعه الحكومة ، نظراً لأن كل الطريق المؤدي إليه يقع ضمن الممتلكات البلجيكية . وكانت الإدارة البلجيكية تخفض رسوم النقل لكي تتمكن من مواجهة المنافسة التي تقابلها من الطرق الأخرى ومن الموانئ غير البلجيكية .

ومن منتصف عام ١٩٦٠ ، توقفت ميناء ماتادي عن استقبال أية حركة نقل تأتي من كاتنجا ، كما وأن حركات النقل الأخرى قد تناقصت بشكل كبير . وفي السنوات العادية كانت صادرات ميناء ماتادي تتكون من : ٤٠٪ بالحجم عبارة عن زيوت نباتية ، ويزور زيتية ودهنيات ، و٢٥٪ بالحجم من المعادن التي يكون النحاس نصفها . أما مجموعة السلع المستوردة عن طريق الميناء ، فإن البترول ومنتجات البترول تكون معظمها إذ تصل نسبتها إلى أكثر من ٤٠٪ .

وحركة نقل المعادن من كاتنجا تستخدم ميناء لوبيتو Lobito في أنجولا ، أكثر مما تستخدم ميناء ماتادي بكثير . وقبل عام ١٩٦٥ ، كان يتم تصدير ما يزيد على ٦٠٪ بالحجم من معادن كاتنجا عن طريق ميناء لوبيتو ، بالمقارنة بنسبة ٢٥٪ فقط عن طريق ميناء ماتادي الزائيري ، و١٥٪ عن طريق ميناء بيرا Beira في موزمبيق .

السكك الحديدية :

ومما لا شك فيه أن أهم خط حديدي في زائير هو الخط الذي يصل ماتادي بمدينة كينشاسا . وهو خط منفرد ، تم إنشاؤه في عام ١٩٣٢ ، وأقصى انحدار له ٦٠ : ١ . وعليه أكتف حركة نقل بالنسبة لباقي الخطوط في زائير . وتمت كهربة هذا الخط بعد إتمام مشروع كهربة سد إنجا Inga ، الذي انتهى العمل بآخر مراحله في العام ١٩٨٠ ، وكان لذلك فائدة عظيمة .

والخطوط الحديدية الأخرى في زائير تخدم إقليم شابا (كاتنجا) . وقد افتتح الخط الموصل إلى بورت فرانكي Port Francqui في عام ١٩٢٨ ، والخط الواصل إلى لوبيتو Lobito خلال أنجولا في عام ١٩٣١ . وفي عام ١٩٥٦ انتهى العمل في إنشاء خط حديد كامينا - كابالو Kamina- Kabalo لإيجاد صلة مباشرة بين لوبومباشي وبحيرة تنجانيقا ، وعبر البحيرة بالمعديات إلى سكك حديد شرق أفريقيا التي توصل السلع والمعادن إلى ميناء دار السلام في تنزانيا .

ويبدو من هذا أن جنوب شابا (كاتنجا) يتمتع بخدمة أربعة خطوط حديدية ، وهي شبكة من السكك الحديدية يبررها ما في باطن أرض كاتنجا من ثروة معدنية كبيرة . وكثير من هذه الخطوط أعيد إنشاؤه أو تجديده في السنوات الأخيرة ، كما تم كهربة عدد منها ، ومنها الخط من لوبومباشي إلى كولوزي Kolwezi والبالغ طوله ٣٢٠ كيلومترا .

ولكي تتقل الحمولة من كاتنجا إلى ماتادي ، فإنها تستخدم السكك الحديدية إلى بورت فرانكي ، ثم تتقل بالصنادل في نهر كاساي ثم في نهر زائير إلى مدينة كينشاسا ، ومنها تتابع رحلة جديدة بالسكك الحديدية إلى ماتادي . وهناك مشروع لإنشاء خط حديدي يربط بورت فرانكي بمدينة كينشاسا . ولا شك أن هذا الخط سيعزز من مركز ميناء ماتادي ، ويوفر عمليات الشحن والتفريغ في موقعين على الطريق . وهو سيحتاج إلى بناء عدد من المعابر (الكباري) الباهظة التكاليف ، كما وأن الطريق سيكون أطول من الطريق الموصلة إلى ميناء لوبيتو Lobito (أنجولا) بنحو ٧٠٠ كيلومتر ، لكنه سيزود زائير بميناء وطنية بديل ، وفي هذا مكسب عظيم يبرر ارتفاع التكاليف .

جدول : السكك الحديدية في جمهورية زائير

اسماء الخطوط	الطول بالكيلومتر	نسبة الحركة على الخط	الكثافة النسبية للحركة
ماتادي - كينشاسا كاتنجا (إلى بورت فرانكي ، ديلولو Dilolo ، كابونجو (Kabongo المحافظات الشرقية : كيسانجاني - أوبندو (بونتير فيل) كيندو - كاليمي (ألبيرت فيل) كابونجو - كابالو خطوط أخرى	٤٣٢ ٢٥٤٠ ٨٣٥ ١٠٦٨	%٢٩ %٦٠ %٦ %٥	١٠٠ (الأساس) ٣٩ ١٢ ٤

النقل المائي :

حينما استطاع الملك ليوبولد ملك بلجيكا امتلاك الكونغو ، كان أفضل شيء في المنطقة كلها شبكة النقل المائي الطبيعية بها . وما يزال النقل المائي داخل زائير من الأهمية بمكان ، لكنه لم يعد بالأهمية التي كانت له في البداية . فمن جملة حركة النقل التي كانت تنتهي في ماتادي قبل استقلال زائير ، كان ٤٠٪ من جملة الحركة يتم بالنقل المائي ، بينما كان الباقي وقدره ٦٠٪ يتم بالسكك الحديدية .

والواقع أن نهر زائير وروافده العديدة تقابل معوقات من ناحية استخدامها للملاحة . فكثيرا ما يعترض مجاريها الشلالات والجنادل والمسارح ، ولكي يمكن تفاديها ، كان لا بد من إنشاء خطوط حديدية على امتدادها ، بما يصاحب ذلك من منشآت لعمليات الشحن والتفريغ من السكك الحديدية إلى الصنادل وبالعكس . وعقبة أخرى تتمثل في أن أجزاء كثيرة من مجاري الأنهار ضحلة ،

تبرز في قيعانها الشطوط الرملية ، كما وأن فروعها أو مخارجها تتعرض للذبذبة في مناسب مياهها .

وفي كل رقعة الجمهورية لا يوجد سوى ٢٦٤٠ كيلومترا من المجاري النهرية التي لا يقل عمقها عن ١٢٠ سم ، و ٦٤٠٠ كيلومتر أخرى لمجاري نهريه عمق مياهها لا يقل عن ٩٠ سم . ولهذا فإن الصنادل والمراكب الطويلة الضحلة هي السائدة في الملاحة النهرية . وقد أجري العديد من التحسينات على وسائل النقل ، فحلت ماكينات الديزل في المراكب ، و جهزت بالرادار ، وتستخدم المرايا العاكسة في أركان ومنحنيات المجاري المائية . ومع هذا فما تزال الرحلات في الأنهار بطيئة ، مثال ذلك الرحلة من مدينة كينشاسا إلى مدينة كيسانجاني تأخذ من الزمن أسبوعا كاملا نحو أعالي النهر ، وخمسة أيام نحو أدانيه أي من كيسانجاني إلى كينشاسا . وقد ظهر مصدر جديد لمضايقة النقل المائي يتمثل في النباتات المائية .

وفي زائير نحو ٤٠٠٠ سفينة من مختلف الأنواع القديم منها والحديث ، وتقدر حمولتها الكلية بنحو ٣٥٠ ألف طن . وعدا العقبات الملاحية المشار إليها ، هناك مضايقات للبشر تتمثل في الذباب والبعوض وغير ذلك من الحشرات .

الطرق البرية :

النقل على الطرق البرية ضعيف للغاية ، باستثناء النقل المحلي . وتقول الأرقام الرسمية إن أطوال الطرق البرية يبلغ ١٣٦ ألف كيلومتر ، لكن هذا الرقم فيه الكثير من التفاؤل ، كما وأن الطرق الصالحة للنقل في كل الأوقات قليلة جدا . فما تزال الفيضانات تقطع الطرق من وقت لآخر ، والمعابر (الكباري) ضعيفة في معظمها وليست آمنة ، وهذا كله يجعل الرحلة من العاصمة كينشاسا إلى مدينة لوبومباشي ، ثاني أكبر مدينة في زائير ، محفوفة بالمخاطر بالطريق البري . هذا وتحل المعديات محل الكباري على المجاري النهرية العريضة .

حركة المواني :

حتى عام ١٩٦٠ كانت ميناء ماتادي تقوم بحوالي ثلثي الحركة التجارية في جمهورية زائير ، بحمولة سلع جملتها مليونان من الأطنان ، لكن هذه الحمولة تناقصت إلى النصف (مليون واحد) في عام ١٩٦٢ بسبب الاضطرابات والحروب الأهلية التي أعقبت الاستقلال . لكنها عادت إلى سابق عهدها ابتداء من السبعينات .

وكانت الأسباب الرئيسية لاختيار موقع ميناء ماتادي على الضفة الجنوبية لنهر زائير ، إمكانية وصلها بخط حديدي بالعاصمة كينشاسا ، دون الحاجة إلى إنشاء معابر (كباري) على النهر (لتفادي نفقات إنشائها) ، ودون الاضطرار إلى المرور خلال أرض غير كثغولية (زائيرية) .

وعلى بعد ١٦٠ كيلومتر من البحر أنشئ أول رصيف بالميناء في عام ١٨٩٠ ، وأنشئت مراسي عميقة للسفن في عام ١٩٣٣ . والوصول إلى الميناء ليس سهلا ، نظرا لكثرة المنعطفات الحادة التي يصنعها النهر في مجراه الأدنى ، بالإضافة إلى التيارات المائية القوية ، والدوامات المائية ، وشطوط الرمال المتحركة . كما وأن الميناء تفتقر إلى أراض لتوسعاتها ، فالأرض في ظهيرها ترتفع بانحدار شديد .

وعلى بعد ١١ كيلومتر منها في اتجاه مصب النهر ، تقع ميناء البترول منفصلة عن ماتادي ، وتسمى أنجو أنجو *Ango Ango* ، ومنها يربط خط أنابيب يوصل البترول إلى العاصمة كينشاسا .

ومعظم حمولة التصدير عن طريق ماتادي تتألف من منتجات زراعية وغاية . ذلك أن نسبة كبيرة من معادن كاتنجا كانت وما تزال تفصل التصدير عن طريق لوبيتو ، حيث يمكن الوصول إليها بطريق واحد هو السكك الحديدية ، على نحو ما أسلفنا .

أما كينشاسا ، فهي الميناء الأول في جمهورية زائير ، ففيها حركة نقل تجارية أكبر من ماتادي ، ذلك لأن الأخيرة ليس بها صناعات . بينما تعتبر

كينشاسا مركزا رئيسيا للتصنيع وللاستهلاك . وحركة الميناء النهرية حتى عام ١٩٦٠ كانت تزيد سنويا على ١,٥ مليون طن ، كانت تستوعب ربعها مصانع النسيج ، والأغذية ، وتصنيع الأخشاب . وهبطت الحركة إلى ٨٥٥ ألف طن في عام ١٩٦٢ ، لكنها عادت إلى سابق عهدها في بداية السبعينات ، وتعدته إلى المليونين بعد ذلك . وبالميناء مخازن ومستودعات كبيرة للبترول ولزيت النخيل . ويعبر قليل من الحمولة نهر زائير إلى مدينة برازافيل Brazzaville للاستفادة من السكك الحديدية للوصول إلى ميناء بوانت نوار Pointe- Noire ؛ فقبل عام ١٩٦٠ كان قسم صغير من نحاس كاتنجا يصدر إلى الخارج مستخدما هذا الطريق (٢٨ ألف طن في عام ١٩٥٨) .

وتبقى ميناء كيسانجانج وميناء بورت فرانكي . وكل منهما تقع عند رأس طريق ملاحى نهري : الأولى على نهر زائير ، والثانية على نهر كاساي . وكل منهما تتعامل في نحو نصف مليون طن من الحمولة سنويا .

جنوب أفريقيا

ويشمل الوحدات السياسية الآتية :

- جمهورية جنوب أفريقيا .
- ليسوتو (باسوتولاند سابقاً) .
- سوازيلاند .

ويحوي الكتاب دراسة للوحدات الآتية :

- جمهورية جنوب أفريقيا .

الفصل الثامن عشر

جمهورية جنوب أفريقيا

تقديم

يشتمل جنوب أفريقيا على جمهورية جنوب أفريقيا التي تبلغ مساحتها نحو ١,٢٢٤,٠٠٠ كيلومتر مربع ، ومملكة ليسوتو Lesotho التي استقلت في عام ١٩٦٦ ، والتي كانت تسمى قبل الاستقلال بأسوتولاند Basutoland ، وسوازيلاند Swaziland التي استقلت في عام ١٩٦٨ . وكانت الدولتان الأخيرتان ، مع بيتشوانالاند Bechuanaland التي استقلت عام ١٩٦٦ وسُميت باسم بوتسوانا Botswana ، محميات بريطانية يحكمها الحاكم البريطاني العام في جنوب أفريقيا .

وتُوصف ليسوتو (مساحتها ٣٠,٤٠٠ كم^٢) بأنها جزيرة في مُحيط من أراضي جمهورية جنوب أفريقيا . أما سوازيلاند (مساحتها ١٧,٤٠٠ كم^٢) ، فتاخم أيضاً موزمبيق ، فلها حدود معها يصل طولها إلى ٩٦ كيلومتر . وللأقطار الثلاثة صلات وثيقة من الوجهة الاقتصادية مع جمهورية جنوب أفريقيا . فمعظم صادراتها تمر إليها أو من خلالها ، كما أنها جميعاً ، خصوصاً ليسوتو ، تشارك في النشاط الاقتصادي للجمهورية عن طريق إمدادها بما تحتاج إليه من الأيدي العاملة .

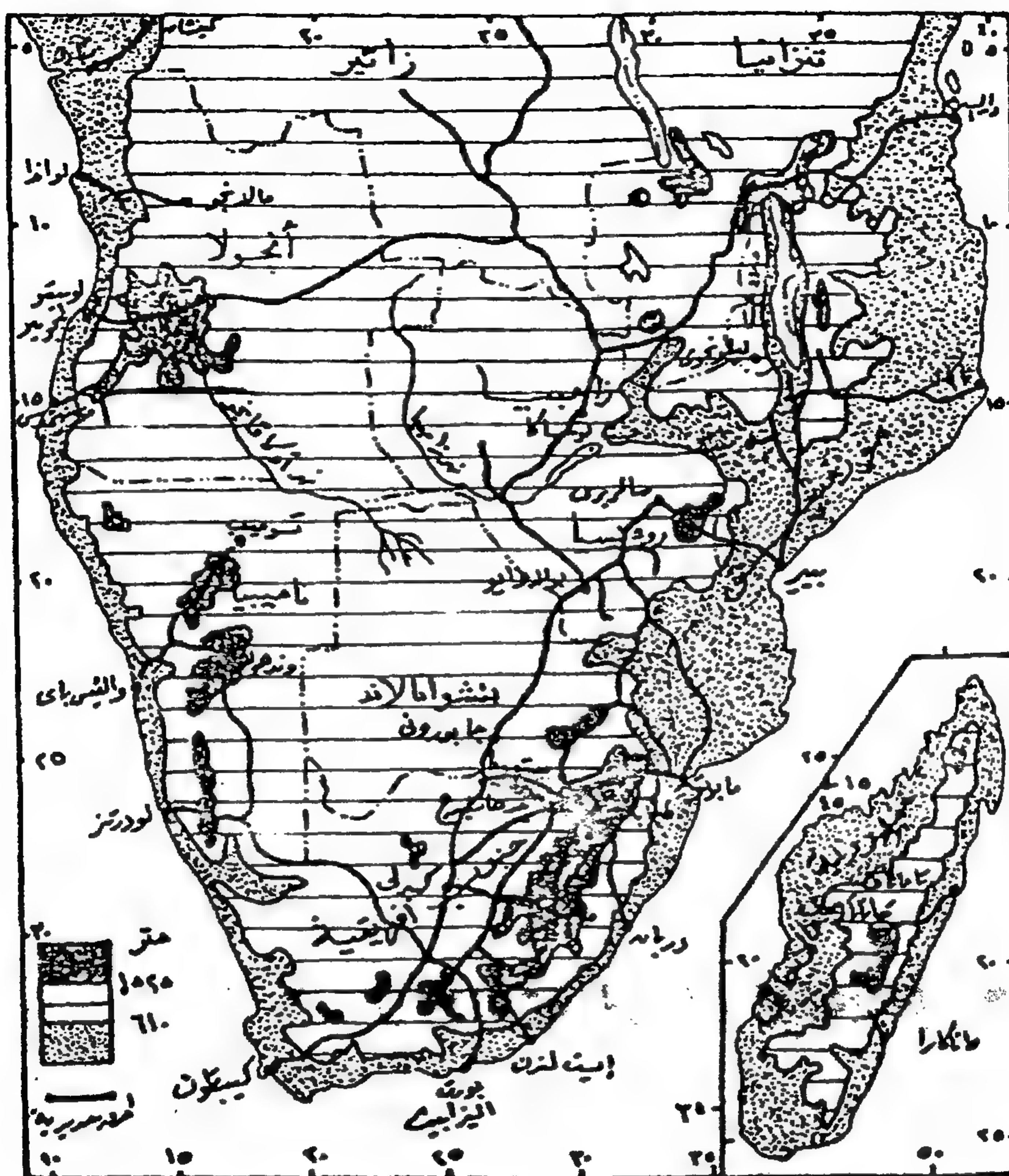
ويتميز جنوب أفريقيا بأنه الرقعة الرئيسية للإستيطان الأوربي في القارة . ويعيش فيه حالياً أكثر من ثلثي السكان الأوربيين في أفريقيا . وقد استمر سيل

الهجرة إليه والاستقرار فيه أكثر من ثلاثة قرون . هذا الاستمرار في الهجرة والاستيطان الأوربي لا نجد له مثيلاً في أى قسم آخر بالقارة وقد ظلت السلطة والحكم دائماً في أيدي الأوربيين، رغم التفوق العددي الكبير لأهل البلد الأصليين ، حتى نالت الأغلبية السوداء حقوقها، وانتخب « مانديلا » رئيساً للجمهورية الجديدة، و « دى كليرك » زعيم البيض نائباً للرئيس، وذلك منذ عام

١٩٩٣

وتعتبر جمهورية جنوب أفريقيا أغنى أقطار القارة في مواردها الاقتصادية . فهي غنية بثروة معدنية متنوعة تشمل الماس والذهب ، وخام الحديد ، وفحم جيد النوع ، ومعادن الخليط alloys ، والنحاس ؛ بالإضافة إلى ترببات خصبة ، وموارد مائية كافية في عدد من مناطقها . والجمهورية أكثر دول أفريقيا تقدماً من الوجهة الاقتصادية ، فهي تملك صناعة حديد وصلب كبيرة ، ومعامل لتحويل الفحم إلى بترول ، وهي تحوي نحو نصف المنشآت الصناعية في القارة .

وتنتج الجمهورية نسبة كبيرة من المواد الخام اللازمة لصناعاتها التحويلية أكبر من أي دولة أفريقية أخرى . وهي في مقدمة دول القارة إنتاجاً للذهب والبلاتين ، والفحم ، والكروم ، وقصب السكر والقمح . وهي تنتج وتستهلك من الكهرباء ما يوازي نصف القوى المحركة الأفريقية ، وفيها نحو خمسي سيارات القارة . وبها نظام نقل كفء يتمثل في شبكة من الطرق البرية ، والسكك الحديدية ، والخطوط الجوية يربط المدن ببعضها ، ومدنها من بين أكبر المدن الأفريقية .



شكل (٨٩) أفريقيا الجنوبية

وليس من السهل رسم حدود جغرافية طبيعية لجنوب أفريقيا ، نظراً لأن هضبة أفريقيا الجنوبية ما هي في الواقع إلا الأطراف الجنوبية للكتلة القارية أو الدرع الأفريقي الأركي القديم . ومع هذا يمكن القول بصفة عامة أن المجرى الأدنى لنهر الأورانج Orange يرسم حدوده الشمالية من جهة الغرب ، ونهر ليمبوبو Limpopo من جهة الشرق . أما في الجزء الأوسط من الحدود الشمالية فلا نجد حدّاً طبيعياً واضحاً يخترق امتداد الأرض شبه الجافة المعروفة باسم كلاهاري Kalahari ، والحدود السياسية في هذه المنطقة حدود تقليدية ليس لها مبرر جغرافي . والواقع أن مشكلة وضع وتحديد الترخوم الإقليمية الرئيسية مشكلة تتكرر كثيراً في أفريقيا ، بسبب التناقض بين الحدود السياسية وخطوط تقسيم المياه من جهة ، وعدم وضوح مظاهر سطح معينة وأحواض تصريف مائي من جهة أخرى .

الجغرافيا الطبيعية

البناء الجيولوجي ومظاهر السطح

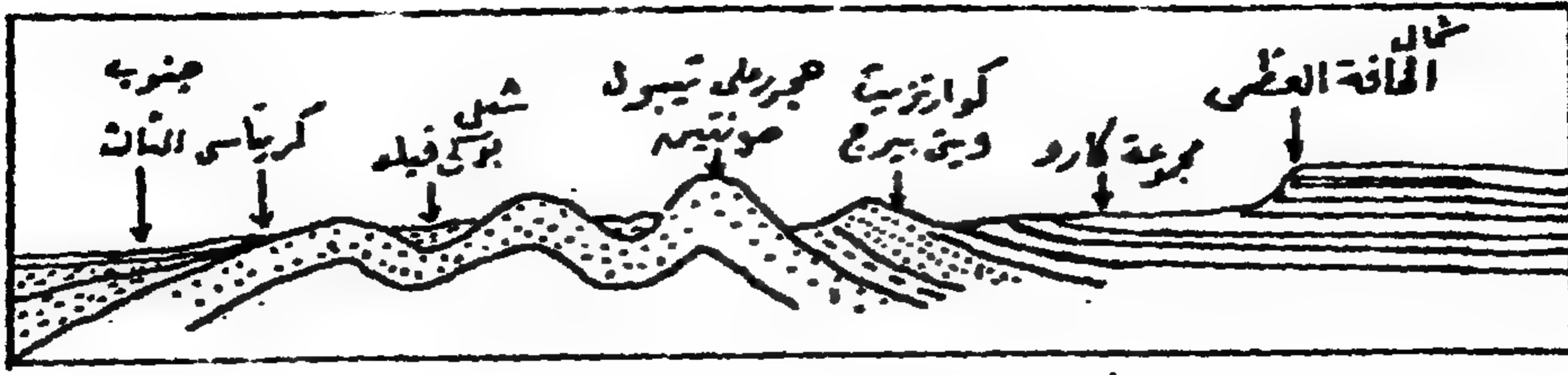
البناء الجيولوجي :

تتكون أرض جمهورية جنوب أفريقيا من تكوينات صخرية سحيقة في القدم . فهذه كانت ، على ما يبدو ، تمثل قلب قارة جندوانا . فالأساس الصخري إذن أركي العمر . وتنطمر صخور الركيزة هذه المكونة من تكوينات نارية ومتحولة ، أسفل غطاء من الصخور الرسوبية التي بدأ إرسائها في عصر ما قبل الكامبري ، واستمرت في الزمن الأول وما بعده .

وتظهر صخور الركيزة الأركية واضحة فوق سطح نحو ثلث مساحة جمهورية جنوب أفريقيا . فهي تظهر في هيئة كتلة باثوليتية جرانيتية عظيمة في القسم الغربي ، وفي صورة تكوينات نارية متحولة في إقليم الرأس (الكاب) ، وفي أرض سوازيلاند في الشرق .

وهناك ثلاث مجموعات من الصخور الرسوبية لها أهمية خاصة . أولى هذه المجموعات وأقدمها تلك المجموعة التي تتركز مباشرة على الأساس الصخري الأركي العمر ، وهي تسمى لما قبل الكامبري . وتبدأ هذه المجموعة من أسفل بمركب رسوبي يرتكز مباشرة على الركيزة الأركية يعرف باسم « نظام شعاب الدومينيون Dominion Reef System » . وعليه تتركز مجموعة صخرية رسوبية ذات شهرة خاصة تعرف باسم « ويت واترزرااند Witwatersrand » ، وهي تتركب من صخور الكوارتزيت ، والإرتواز ، وما يعرف « بالعروق أو الشعاب reefs » وهي المجمعات الصخرية (كونجلوميريت) التي تحوي الذهب . ويبلغ سمك هذا التكوين الصخري في إقليم جوها نسيرج Johan-nesberg نحو سبعة كيلومترات .

وتستمر هذه السلسلة الجيولوجية إلى أعلى بمجموعة (تسمى فيترزدورب Vintersdorp) أغلبها تكوينات بركانية ، تعلوها مجموعة هامة هي الترانسفال



شكل (٩٠) قطاع جيولوجي تخطيطي من الشمال إلى الجنوب خلال القسم الشرقي من نطاق الكاب الإلتوائي في محافظة الكاب . ويتضح من القطاع أن تكوينات مجموعة الكارو تبدو أفقية تماماً ، باستثناء ما يوجد منها في الجنوب حيث احتوته حركة الرفع الإلتوائية في نطاق سلاسل الكاب .

Transvaal System ، التي تحوي رواسب هائلة من خام الحديد ، كما تشمل على صخور جيرية ، وبالتالي فهي تزود صناعة الحديد والصلب بخامين أساسيين . وتنتهي سلسلة صخور ما قبل الكامبري بمركب صخري ناري يُدعى بوش فيلد Bushveld Igneous Complex ، وهو يمثل تداخلاً نارياً عملاقاً حدث في أواخر عصر ما قبل الكامبري ، ويحوي مجعاً من المعادن يكاد يكون فريداً من نوعه في العالم ، فيشمل معادن البلاتين ، والكروم ، والذهب ، والفضة ، ثم الأسبستوس . يضاف إلى ذلك أن تكوينات لافا فيترزدورب ، ودولوميت الترانسفال تحملان أعظم مصادر المياه في جنوب أفريقيا ، وتسهمان بشطر هام في سد الاحتياجات المائية للزراعة والصناعات والاستعمالات المنزلية في جنوب وغرب منطقة الترانسفال .

والمجموعة الصخرية الثانية ، توجد في الجنوب الغربي ، وهي تنتمي للعصرين السيليوري والديفوني ، وقد التوت فيما بعد مكونة لسلاسل الكاب Cape Ranges . وفي أسفل هذه المجموعة توجد الصخور الرملية المعروفة باسم « تيبول » Table Mountain Sandstone ، ويبلغ سمكها الكلي نحو ١٥٠٠ متر ، وترجع أهميتها من الوجهة التضاريسية إلى أنها تكون هضاباً كتلية صلبة ، كما أنها تحتل قلب سلاسل الكاب . وما يلي هذه الصخور صُعداً في هذه المجموعة مركب صخور شيل يعرف باسم « بوكي فيلد Bokkeveld Shales » الذي مهّد السبل لتكوين أودية أو أراضي منخفضة في إقليم

الكاب . والعضو الثالث في هذه المجموعة الصخرية ، ويتواجد في بقاع محدودة ، يتمثل في سلسلة « ويني بيرج Witteberg Series » المكونة من صخور الشيل والكوارتزيت .

وتبقى المجموعة الصخرية الرئيسية الثالثة وهي مجموعة الكارو Karroo . وتغطي مساحة عظيمة من جنوبي أفريقيا وتظهر فوق سطح ما يناهز نصف مساحة الجمهورية . وقد تكونت أثناء الفترة الممتدة من منتصف العصر الكربوني حتى أوائل العصر الجوراسي . وهي سمكة جداً ، يبلغ أقصى سمك لها ثمانية كيلومترات . وتمثل مستوياتها السفلى سلسلة من التكوينات المهمة (تُسمى تكوينات « دويكا Dwyka ») تتألف من رواسب جليدية وشيل ، ترتكز على السهل التحتي وسطح ما تحت الكارو الذي أصابه فعل الجليد . ويتلو هذه السلسلة ويعلوها مجموعة إيكّا Eccca Series ، التي تحوي طبقات عظيمة من الفحم ذات أهمية خاصة للصناعة في جمهورية جنوب أفريقيا . وتعلو تكوينات المجموعة كلها وتغطيها أشربة من اللاقا ، يبلغ سمكها ١٣٥٠ متراً في دولة ليسوثو ، وهي هنا تُتّوج حافة مرتفعات دراكنزبرج .

مظاهر السطح والتصريف المائي

جمهورية جنوب أفريقيا في مجموعها هضبة مضغوطة في الوسط ، وتنتهي عند الأطراف بحافات عالية عملاقة تطل بها على النطاقات الساحلية . ويرتفع ما يزيد على نصف مساحة الجمهورية عن ١٢٠٠ متر . وفي القسم الشرقي للهضبة نرى أجزاء منها تشمخ إلى علو يناهز ٣٠٠٠ متر . وتنصرف مياه الهضبة أساساً نحو الغرب بواسطة نهري أورانج Orange وڤال Vaal . وينتهي قسم صغير من مياهها في الشمال إلى نهر ليمبوبو Limpopo . ويجري خط تقسيم المياه بين حوضي تصريف نهري ليمبوبو وڤال في اتجاه شرقي غربي عبر إقليم جوهانسبورج Johannesburg .

وتُعرف هوامش حافة الهضبة ، التي تطل على النطاقات الساحلية أو

الأراضي الهامشية المنخفضة باسم عام هو «الحافة العظمى - Great Escarpment» . وهي تتقدم أحياناً نحو خط الساحل فلا يفصلها عنه سوى مسافة لا تزيد على ٥٦ كيلومتراً ، وتراجع بعيداً عنه أحياناً أخرى بحيث تصبح الشقة بينهما نحو ٢٤٠ كيلومتراً . وعلى امتداد الحافة العظمى الكبير تُسمى أجزاؤها بأسماء محلية عديدة . ففي الشرق والجنوب الشرقي تعرف باسم دراكنزبيرج Drakensberg ، التي يرتفع ذراها إلى ٣٣٠٠ متر ، وهي في محافظة الكاب تُعرف بأسماء كثيرة نذكر من بينها ستورم بيرج Stormberg . وخط القمة في أجزاء الحافة العظمى الغربية لا يزيد علوه على ١٥٠٠ متر .

والحافة العظمى هي في واقع الأمر حافة تعرية ، نشأت عن النحت التراجعي لأنهر شديدة الانحدار تتجه نحو الساحل . وتركب الحافة من صخور متنوعة ، لكنها تبدو رائعة حينما تتعاقب في تكوينها الصخور الهشة مع الصخور الصلدة ، أو حينما ظهرت صخور صلبة تتوج عاماتها . ومن أمثلة النمط الأخير في قسمها الشرقي مستويات اللاقا في ستورم بيرج (لافا الكارو العليا) ، وكوارتزيت مجموعة الترانسفال . وتضمحل حدة هامش الحافة في المناطق التي تركب من صخور النيس والجرانيت الأركي العمر .

والحافة العظمى ظاهرة موهلة في القدم ، تراجعت بواسطة التعرية عن خط الساحل بمسافة تصل الآن إلى نحو ٢٤٠ كيلومتراً . وهي تمثل ، حسبما يرى كينج L.C. King التخطيط التدريجي لبقايا جندوانا بواسطة دورات تعرية أحدث بدأت في أوائل العصر الكريتاسي .

وفيا وراء ظهر الحافة العظمى ، تتألف الأرض من سهول مموجة فسيحة تنحدر انحداراً تدريجياً هيناً إلى علو ٩٠٠ متر في وسط الهضبة . وهذه السهول العالية ذات أصل تحاتي ، لكن انتشار وجود طبقات أفقية قد أضاف الكثير إلى مظهر الاستواء العام الذي تتصف به البيئة الطبيعية . وفي دولة ليسوتو وحدها تصبح الجبال والأرض الوعرة سمة من سمات قسم من الداخل ، حيث تصل

أعلى نقطة في دراكيتزيرج إلى نحو ٣٤٣٠ متراً ، وهي أعلى ذروة في جنوب أفريقيا .

وتتألف صخور أرض ليسوثو من مجموعة الكارو ، وتتصف بطبقة أفقية ، وتتضمن تكوينات سمكة من اللافا . وقد شقت الأنهر الكثيرة مجاريها العميقة في مستويات اللافا والصخور الرملية ، وخلقت بذلك أجمل المناظر الطبيعية وأروعها في جنوب أفريقيا . مثال ذلك نطاق شلالات مالتيتسونيان Maltetsunyane حيث تسقط المياه من علو ١٨٠ متراً . وتنصرف مياه معظم هذا الإقليم الجبلي إلى نهر أورانج Orange الذي ينتهي في الجنوب الغربي إلى المحيط الأطلسي .

وتحيط بدولة ليسوثو من الغرب والشمال هضبة الفيلد المرتفع High Veld . ولفظ فيلد Veld يُستخدم مدلولاً نباتياً وتضاريسياً أيضاً . فتعبير « الفيلد » يستخدم للدلالة على مجرد أرض عالية يزيد ارتفاعها على ١٢٠٠ متر ، وإذا قل الارتفاع عن ٦٠٠ متر سميت الأرض « الفيلد المنخفض Low Veld » . وعادة ما يستعمل التعبير للدلالة على مساحة تسودها الحشائش فوق ارتفاع ١٢٠٠ متر . ولهذا فإن التعبير شائع الاستعمال في الهضاب الداخلية الشرقية الواقعة في جنوب الترانسفال ، وإقليم الأورانج ، حيث الحشائش هي النبات السائد ، وحيث تتراوح ارتفاعات الأرض المموجة بين ١٢٠٠ - ١٨٠٠ متر .

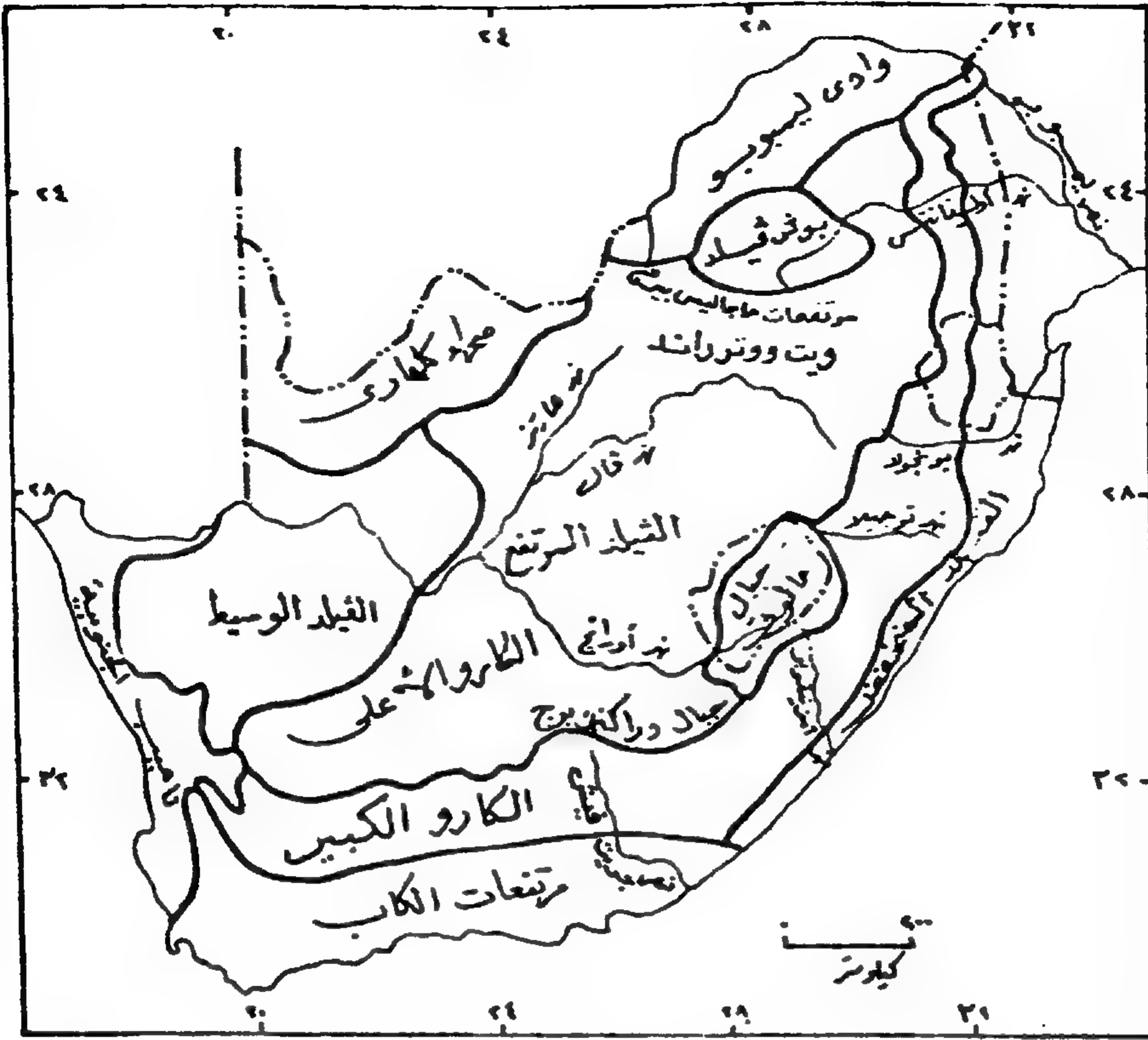
وتنصرف مياه الفيلد المرتفعة غرباً عن طريق أنهار قال ، وكاليدون -Cale- don ، وأورانج . ويحدها شمالاً حافة تُسمى ويت ووترزرااند Wetwatersrand ، تسمخ فوقها مدينة جوها نسبورج على ارتفاع ١٨٠٠ متر . ولا يوجد حد طبوغرافي للفيلد المرتفعة من جهة الغرب ، فهنا لا نحس سوى الجفاف والجذب التدريجي المتزايد . وترتكز المنطقة على صخور أفقية الطباقية تابعة لمجموعة الكارو باستثناء الشمال ، حيث تظهر على السطح صخور ما قبل الكامبري الأقدم عمراً .

والى الشمال من حافة ويت ووترزراند يقع إقليم يُسمى عادة بوش فيلد .
الترانسفال Transvaal Bushveld . ويشير لفظ « بوش فيلد » إلى غط من بيئة
نبات السقانا الجافة تتصف بأرض حشائشية مكشوفة ، توجد بها بعض الأشجار
والشجيرات المبعثرة . وتقع المنطقة ضمن نطاق الثنية الكبيرة التي يصنعها وادي
الليمبوبو . وهي أقل ارتفاعاً بكثير من الفيلد المرتفعة ، إذ تهبط أجزاء منها إلى
علو ٦٠٠ متر ، لكن متوسط الارتفاع يبلغ ٩٠٠ متر . وطبوغرافية المنطقة ،
وإن كانت معقدة في تفصيلاتها ، إلا أنها تتألف بصفة عامة من حوض
مركزي ، تنصرف مياهه بواسطة نهري أوليفانتس Olifants ، وكروكودايل
Crocodile ، وتحيط بالحوض سلاسل جبلية ممزقة .

وتتميز منطقة البوش فيلد جيولوجياً بانكشاف تكوينات ما قبل
الكمبري ، التي تتضمن هنا مركب بوش فيلد الناري Bushveld Igneous
Complex ، فقد استطاعت التعرية أن تكتسح الغطاء الصخري التابع
لمجموعة الكارو .

والى الغرب من إقليم الفيلد المرتفع ، تمتد هضبة فسيحة مترامية
الأطراف شبه جافة ، تُعرف أحياناً باسم « الكارو الأعلى Upper Karroo » ،
وهي تصل إلى الحافة العظمى في الجنوب والغرب . ويشق نهر الأورانج طريقه
خلالها ، صانعاً خانقاً متعمقاً بعدما تسقط مياهه من شلالات أوجرايسس Au-
ghrabies Falls . ومظهر الهضبة هينّ التضرس في جملته ، يتكون من أسطح
تسوية في طبقات الكارو ، أو من أجزاء السطح التحتاني التابع لما قبل الكارو .

ويقل الارتفاع بصفة مستمرة من حافة الفيلد المرتفع (على علو ١٢٠٠
متر) ، ومن ذروة الحافة العظمى في الجنوب (على ارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠
متر - ١٥٠٠ متر) إلى ٦٠٠ متر في منطقة أداني نهر أورانج . ونظراً لظروف
الجفاف ، فإن نظم التصريف المائي من النوع المتقطع غير المنتظم ، فلا تجري
المياه بالأنهر إلا عقب سقوط الأمطار السيلية في الصيف ، هذا باستثناء نهر
أورانج الدائم الجريان .



شكل (٩١) الأقاليم الفزيوغرافية لجنوب أفريقيا

وعلى الجانب الآخر المواجه للمحيط من الحافة العظمى ، توجد بيئات طبيعية ، وأنماط من التضاريس أكثر تنوعاً وتبايناً . فهناك نجد بيئة الكارو المتنوعة على سبيل المثال . وبلغت النظر هنا إلى أن كلمة كارو مشتقة من كلمة لعناصر الهوتنتوت Hottentot تعني «جاف أو عديم الماء Waterless» . وقد استخدم اللفظ كمطلوب جيولوجي (مجموعة صخور الكارو) ، وكمطلوب نباتي (يشير إلى نبات عشبي) ، واستخدمه هنا كمفهوم طبوغرافي .

وتتألف المنطقة من الكارو الكبير Great Karoo ، الذي يقع مباشرة أسفل الحافة العظمى ، والكارو الصغير Little Karoo ، الذي ينفصل عن الكارو الكبير بواسطة جبال سوارت Swartberge . ويرتكز الكارو الكبير على

صخور الشيل والحجر الرملي التابع لمجموعة نكارو ، وهي جميعاً أفقية الطباقية بصفة عامة ، باستثناء ما اقترب منها من جبال سوارت حيث يبدأ إلتواء الرأس في الظهور . ويتراوح ارتفاع سهول الكارو الكبير Great Karroo Plains بين ٤٥٠ - ٧٥٠ متراً . ويقل ارتفاع سهول الكارو الصغير عن ذلك بعض الشيء ؛ وتجري بها بعض أنهار دائمة ، من بينها نهر أوليفانتس Olifants ، ونهر جوريتس Gouritz ، بينما يتصف الجريان المائي فوق سهول الكارو الكبير بالتقطع وعدم الانتظام .

وتكتنف سلاسل الكاب إقليم انكارو من الجنوب والغرب . وهي تمثل تركيباً التوائياً ، ارتبط بحركات بانية للجبال حدثت أساساً في العصر الترياسي ، وهي تتألف من صخور تابعة للعصرين السليوري والديفوني .

وتتألف سلاسل الكاب من مجموعتين :

المجموعة الأولى : تتألف من « جبل الأرز Cedarberg » وجبال أوليفانتس Olifants Mountains ، وهذه تمتد في اتجاه شمال الشمال الغربي لتقترب من الساحل الغربي بالقرب من أداني أوليفانتس . وتنتهي هذه المجموعة من سلاسل الجبال عند الساحل الجنوبي حول رأس هانج كليب Cape Hang-klip .

والمجموعة الثانية : تتألف من جبال سوارت Swartberge الآتفة الذكر ، وجبال لانجي Langeberg (ينبغي عدم الخلط بينهما وبين جبل آخر يحمل نفس الاسم ويشكل قسماً من الحافة العظمى في غرب محافظة الكاب) . وتمتد هذه المجموعة في اتجاه عام تقريبي من الشرق إلى الغرب ، وهي تبدأ بقطع المجموعة الأولى حول وورسيستر Worcester ، وبالتالي تنشأ منطقة معتدة التضرس ، وتستمر بعد ذلك لمسافة تقرب من ٦٤٠ كيلومتراً . وتنتهي عند الساحل حول ميناء إليزابيث Port Elizabeth . وتتكون هذه السلاسل من عديد المحدثات ، بينما تكون المفجرات فيما بينها أودية منخفضة ؛ ويتروكب معظم السلاسل الرئيسية من الحجر الرملي ؛ ونشمخ أجزاء منها إلى علو ٢١٠٠ متر .

وكثير من أجزاء الأودية النهرية التي تقطع السلاسل عرضياً من النوع المنطبع ، فهي قد انطبعت من الرواسب التابعة للعصر بين الجوراسي والكريتاسي التي تمزقت وأزيلت من سلاسل الجبال الأصلية عقب الرفع ، وامتلات المقعرات ، مكونة بذلك سطحاً جرت عليه الأنهار . واستطاعت الأنهر فيما بعد أن تعيد تعرية وكشف السلاسل الإلتوائية ، وأن تشق لنفسها خلالها ثغرات تعرف هناك باسم بورتس أو كلوفس Poorts or Kloofs . واستطالت الروافد التالية بالنحت التراجعي على طول الرواسب اللينة التي ما تزال باقية في المقعرات . واستطاعت أحياناً أن تأسر مجاري أخرى أدنى قدرة . وتبعاً لذلك فقد نشأ نظام تصريف مائي مستطيل .

ويمتد من حضيض جبال دراكنزبيرج إلى الساحل الشرقي نطاق يتراوح ارتفاع معظمه بين ٣٠٠ - ١٢٠٠ متر . وهنا نجد السهل الساحلي ضيق جداً وقد ينعدم ، باستثناء أرض الزولو Zululand (شمال شرق ناتال) .

وفي الداخل ، نجد الأرض ممزقة بواسطة عدد من المجاري المائية التي تتدفق بانحدارات شديدة صوب البحر من مرتفعات دراكنزبيرج . ورغم ما تبدو عليه الأرض من تمزق ووعورة ، فلقد أمكن التعرف على عدد من الدرجات أو الأسطح التحتائية ، خصوصاً على ارتفاعات ١٣٥٠ ، ٧٥٠ ، ١٨٠ متراً . ويرتكز ثلثا مساحة المنطقة على طبقات من مجموعة الكارو . وهناك منطقة وحيدة منخفضة السطح نسبياً في القيلد المنخفض Low Veld في شرق ترانسيفال ، فهنا نجد سهولاً موحجة دون ارتفاع ٦٠٠ متر ، لا يقطع استمرارها سوى عدد من الجبال الجزيرية (المنفردة) Inselberge المبعثرة .

وفيما بين الساحل الأطلسي والخافة العظمى في غرب الجمهورية يمتد شريط صحراوي ضيق ، وهو امتداد جنوبي لصحراء ناميب Namib في جنوب غرب أفريقيا . والأساس الصخري هنا يتألف من تكوينات نارية ومتحولة أركية العمر ، ويجوار الساحل تظهر صخور تنتمي للزمنين الثالث والرابع . وترتفع الخافة العظمى خلف قسم من الشريط الصحراوي إلى علو يناهز ١٦٨٠ متراً ، وذلك في قمة جبل لانجي Langeberg .

المناخ

الحرارة :

تقع جمهورية جنوب أفريقيا بين دائرتي عرض 23° - 35° جنوباً . ويوحي هذا الموقع الفلكي لأول وهلة بسيادة مناخ شبه مداري . ولكن النظرة الفاحصة توضح وجود عدد من الأنواع المناخية ، تتباين من نمط دافئ رطب على امتداد الساحل الشرقي إلى مناخ بارد نوعاً شائع في مرتفعات ليسوتو ، التي تتوج أعاليها نباتات شبيهة بالتندرا . وتنشأ الاختلافات الحرارية من التباين في الارتفاع أكثر من درجة العرض . ولهذا فإن مدينة جوهانيسبرج ، التي تقترب من دائرة الاستواء بنحو ٨ درجات أكثر من مدينة الرأس Cape Town ، أقل حرارة بنحو درجتين مئويتين في المتوسط الحراري الشهري ، وذلك بسبب ارتفاعها الذي يناهز ١٨٠٠ متر . هذا رغم وقوع جوهانيسبرج على بعد ٤٨٠ كيلومترا من أقرب ساحل .

ومدينة بيللا Pella ، التي تقع في أدنى نهر أورانج ، على دائرة عرض جنوبي جوهانيسبرج بثلاث درجات ، لكن لا ترتفع بأكثر من ٤٥٠ مترا ، تتمتع بمتوسط حراري لشهر يناير يزيد بنحو $9,5^{\circ}$ مئوية عن جوهانيسبرج . وعلى نفس دائرة العرض تقريباً ، لكن على الساحل الغربي تقع ميناء نوللوث Port Nolloth التي يبلغ فيها متوسط حرارة يناير نحو $15,5^{\circ}$ م فقط (بيللا 30° م ، جوهانيسبرج 20° م) . ويتضح بذلك تأثير القرب من المحيط على الأحوال الحرارية . ويظهر ذلك التأثير جلياً أيضاً حينما تجري مقارنة بين أرقام المدى الحراري السنوي لكل من بيللا ، التي تقع في الداخل بعيداً عن الساحل بنحو ٢٢٥ كيلومترا ، وميناء نوللوث . ففي بيللا يبلغ المدى السنوي 16° م ، وفي بورت نوللوث 4° م فقط . ولا شك أن درجات الحرارة على الساحل الغربي لجمهورية جنوب أفريقيا تتأثر تأثيراً كبيراً بتيار بنجويلا Benguela البارد ، وخير مثال لذلك ميناء نوللوث الآنف الذكر . أما الساحل الشرقي لجنوب أفريقيا فإنه يتأثر بمياه المحيط الهندي الدافئة خصوصاً بمياه تيار موزمبيق الدافئ ؛ فمدينة ديربان Durban ، التي تقع على درجة عرض جنوبي بورت

نوللوٲ بنحو درجة عرضية واحدة ، يرتفع فيها المعدل الحراري شهر يناير بنحو ٨,٥ م عن معدل الأخيرة .

الصقيع :

ويقع معظم جنوب أفريقيا دون مدار الجدي . ويعني الارتفاع النسبي لكثير من أراضي الجمهورية أن الصقيع يحدث في كل مكان في أوقات معلومة . فقد تنخفض درجات الحرارة في ليالي شهر يوليو بمدينة جوهانسبيرج إلى ما دون الصفر المئوي . ويسجل الترمومتر أدنى درجات حرارة في مدينة كارولينا Caro-lina في شرق الترانسفال على ارتفاع ١٦٨٠ مترا . وقد يتكون الصقيع حتى في المناطق الساحلية ، خصوصا في بطون الأودية المنخفضة . ويحدد حدوث الصقيع الحاد والمنتظم في الأجزاء العالية من أراضي جنوب أفريقيا تخوم زراعة محاصيل معينة ومثلها قصب السكر ، وأشجار الموالح .

معدلات الحرارة في محطات أرصاد مختارة بجنوب أفريقيا (بالدرجات المئوية)

المحطة	الارتفاع بالمتر	يناير	يوليو	المعدل السني	المدى الحراري السني
كيب تاون	١٢	٢١	١٣	١٧	٨
بورت نوللوٲ	٧	١٦	١٢	١٤	٤
جوهانسبيرج	١٦٤٠	٢٠	١١	١٥,٥	٩
ديربان	٥	٢٤	١٦	٢٠	٨
كيمبرلي	١١٨٠	٢٥	١٠	١٧,٥	١٥
بورت إليزابيث	٨٣	٢١	١٣	١٧	٨
ماسيرو (لوسوتو)		٢١	٧	١٤	١٤

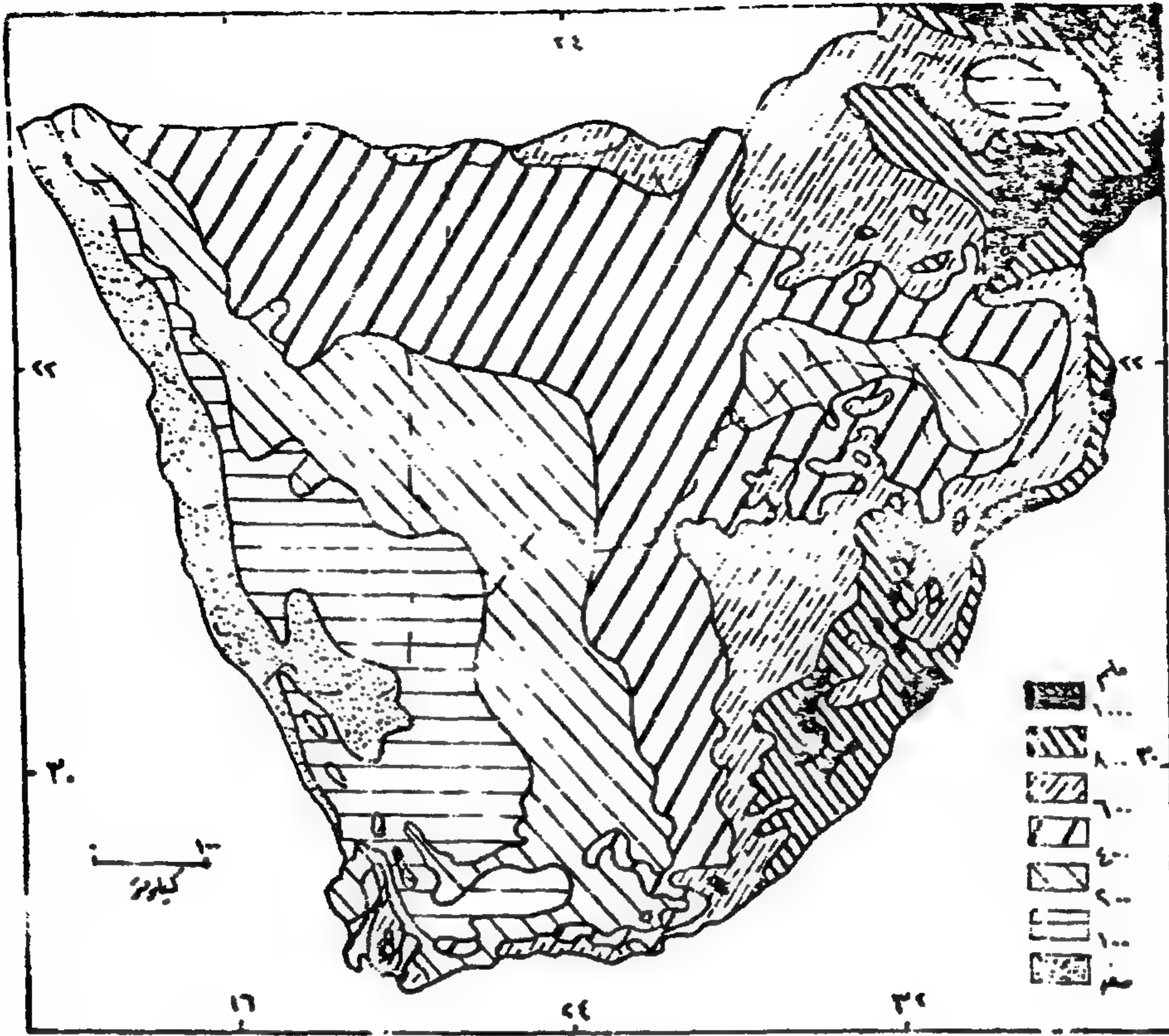
الأمطار :

ولا تقتصر الصلة بين التضاريس على عنصر الحرارة ، وإنما نجدها أيضا مع التساقط . فالمناخات الرطبة ترتبط بالأراضي المرتفعة ، هذا باستثناء نطاق ساحلي منخفض ضيق يوجد في الشرق . وتقع معظم الأجزاء الأكثر جفافاً من جنوب أفريقيا في شمال وغرب محافظة الكاب ، حيث تنخفض الأرض إلى ما دون ٩٠٠ متر . وتوجد أكثر أجزاء الدولة أمطاراً فوق مرتفعات دراكنز بيرج حيث يتساقط نحو ١٩٠ سم من المطر سنوياً ، وفوق بعض من سلاسل الكاب التي ترتفع إلى ما فوق ١٥٠٠ متر ، وتتلقى نحو ٥٠٠ سم من المطر سنوياً (مرتفعات دراكنز شتاين Drakenstein) .

ومع هذا فإنه يندر أن تسقط أمطار تزيد على ١٠٠ سم في جنوب أفريقيا . والواقع أن ٩٠٪ من مساحة الإقليم يتلقى أمطاراً سنوية تقل عن ٧٥ سم . ويمكن القول أن ما يقرب من نصف مساحة جنوب أفريقيا يعتبر جافاً أو شبه جاف . ويزداد القلق والشكوى خلال الأربعين عاماً الماضية من جراء مصادر المياه المحدودة التي تعتمد عليها الجمهورية في غموها الزراعي والصناعي . ولا تدوم الأمطار في كل الشهور إلا في ركن صغير من أراضي جنوب أفريقيا ، وذلك على امتداد جزء من الساحل الجنوبي . وتسود باقي الأراضي أمطار فصلية ، وتسقط على نحو ٨٥٪ من مساحة الدولة أمطار صيفية .

وأكثر جهات جنوب أفريقيا جفافاً تتمثل في الشريط الساحلي الغربي ، رغم أنه يتصف ببرودة نسبية . ويقع هذا الشريط في مهب رياح مدارية محيطية تأتي من المحيط الأطلسي لكنها تمز فوق تيار بنجويلا البارد الذي يسلبها رطوبتها قبل أن تصل إلى الساحل ، ولهذا فإن مدينة مثل بورت نوللو لا تتلقى من المطر سوى ٦ سم كل عام (انظر أرقام بورت نوللو) .

وتتميز منطقة جنوب غرب الكاب بأمطار شتوية ، تأتي بها كتل هوائية قطبية بحرية معدلة ، وتزيد من كميتها سلاسل المرتفعات (أمطار تضاريس) ،



شكل (٩٢) المتوسط السنوي للتساقط على أفريقيا الجنوبية

مع ما يصاحب ذلك من قلة المطر في الأودية البينية ، وخلف الجبال ، وفوق الكارو الصغير (أنظر أرقام كيب تاون) .

وينعزل نطاق الساحل الجنوبي من جنوب أفريقيا بتوزيع عادل نسبياً للأمطار على مدار السنة . فالمطر الشتوي تجلبه كتل الهواء القطبي البحري ، التي تترك على امتداد الساحل من الرأس . وتأتي بانظر الصيفي كتل الهواء المداري البحري من المحيط الهندي (أنظر أرقام بورت إليزابيث) .

يسقط المطر على امتداد النطاق الساحلي التسامي في كل شهر من شهور السنة . لكن هناك تركيزاً في المطر لتساقط أثناء نصف ، تجلب كتل الهواء الرطب من المحيط الهندي (أنظر أرقام ديربان)

ويتراوح المطر الساقط فوق الهضبة الداخلية لجنوب أفريقيا بين ما يزيد على ١١٠ سم فوق مرتفعات ليسوثو إلى ما يقل عن ٧ سم حول أداني نهر أورانج . وينحصر سقوط المطر في شهور الصيف ، فالشتاء هنا موسم جفاف .

ويشتمل غرب الداخل على قلب الجنوب الأفريقي شبه جاف ، وهو إقليم فسيح يجد له امتدادا شماليا في صحراء كلاهاري في بوتسوانا . ويشيع الجفاف التام فيما بين مايو وسبتمبر ، حينما يسود الهواء المداري الجاف . وفي الصيف يسمح ضعف ضد الإعصار المحلي بتداخل هواء رطب من الشمال والشمال الشرقي (أنظر أرقام محطتي أوبنجتون Upington ، أودتسهورن Oudtshoorn) . أما في وسط الداخل فإن الجفاف تخف حدته نسبيا .

ويقع القيلد المرتفع وجبال ليسوثو إلى الشرق من خط المطر ٥٠ سم . ومنه تزداد الأمطار كلما اتجهنا شرقا إلى ٧٥ سم حول ماسيرو Maseru عند حضيض مرتفعات ليسوثو ، ثم إلى ١٩٠ سم على ذرى دراكنزبيرج . ويستمر جفاف الشتاء فوق القيلد المرتفع طوال أشهر يونيو ويوليو وأغسطس ، حينما يسود الإقليم هواء مداري جاف . وفي بقية السنة تجلب الأمطار ، المتباينة في كميتها ، اضطرابات جوية بعضها مداري النشأة وبعضها الآخر آت من عروض وسطى . ويقطع حاجز دراكنزبيرج الجبلي مسار الرياح التجارية الجنوبية الشرقية ، كما يقع القيلد المرتفع وليسوثو في غالب الأحيان فوق مستوى الطبقات الضحلة للهواء البحري الذي يؤثر في هوامش ناتال . وقد اتضح الآن أن المطر الفصلي الصيفي الذي يسقط فوق القيلد المرتفع ليس بسبب الرياح الموسمية .

خصائص الأمطار :

يصاحب سقوط المطر فوق القيلد المرتفع عواصف مرعدة ، يسببها الاضطراب التصاعدي والانقلاب لكتل الهواء المارة فوق سطح اليابس الحار . وتشتهر هذه المنطقة بأنها إحدى مناطق العالم الكثيرة الرعد . ويتصف سقوط المطر هنا بخاصية الشدة ، فهو يسقط في وابل . مثال ذلك ، منطقة ويت

كمية الأمطار بالسنتيمتر

المحطة	الارتفاع بالمتر	يناير	يوليو	المجموع السنوي
بورت نوللوث	٧	٢	٧	٥,٧
كيب تاون	١٢	١,٥	١٠,٨	٥٧,٧
بورت إليزابيث	٨٣	٣,-	٥,-	٥٨,-
ديربان	٥	١١,-	٢,٥	١٠٤,٩
أوبينجتون	٧٩٣	٠,٢	١,٥	١٥,٥
أودتسهورن	٣٣٠	١,-	٢,-	٢٢,٥
كيمبرلي	١١٨٠	٦,-	٠,٥	٤١,٢
جوهانيسبيرج	١٦٤٠	١١,٣	٠,٨	٨٥,٦
ماسيرو (ليسوثو)	-	١٠,-	١,٢	٦٣,-
بلوم فونتاین	-	٩,-	١,-	٥٦,٤

ووترزراوند Witwatersrand، التي فوقها يسقط ربع كمية المطر في رخات مقدار كل منها نحو ٢,٥ سم. ويتميز بهذه الخاصية أيضاً نطاق الساحل الشرقي حيث يُسبب الهواء المداري البحري سقوط أمطار غزيرة في فترات قصيرة. ففي شهر مارس من عام ١٩٤٠ سقط على مدينة إيشوى Eshowe، عاصمة الزولولاند Zululand، نحو ٥٨ سم من الأمطار في ٣٦ ساعة، ورغم أن سقوط مثل هذه الكمية الكبيرة في هذا الوقت القصير نادر الحدوث، إلا أن تركيز سقوط الأمطار بهذا الشكل، يتسبب في أضرار بالغة تنشأ عن حدوث الفيضانات، وتعرية التربة، ناهيك عن تبديد مياه الأمطار بدون طائل.

خاصية أخرى للمطر في جنوب أفريقيا تتمثل في عَوَلها، وهذه ذات أهمية خاصة بالنسبة للزراعة. ويبدو بصفة عامة أنه يمكن الاعتماد على الأمطار حيث تكثر، ولا يُعَوَّل عليها حيث تقل. وهذا يفسر ضرورة الاعتماد على الري في

أغلب أجزاء جنوب أفريقيا ، كما يوضح خطورة الاعتماد على المطر في الزراعة في المناطق التي تتصف بكمية أمطار حدية . ولا يوجد في جنوب أفريقيا سوى بقاع محدودة لا تقاسي الجفاف . وتعرض الأجزاء الداخلية وقليم القيلد المرتفع أكثر من غيرها لشح المطر .

وينبغي أن ننظر بعين الاهتمام إلى التأثير الشعلي للمطر ، وهذا له أهمية خصوصاً في المناطق التي تسقط أمطارها صيفاً ، حين تشتد الحرارة ، وتبعاً لذلك يعظم التبخر . وتتراوح أرقام التبخر من المياه المكشوفة سنوياً بين ١٢٥ - ٢٧٥ سم في أجزاء مختلفة من جنوب أفريقيا . ولا يوجد بجنوب أفريقيا سوى أجزاء قليلة جداً يسقط عليها مضر يتكافأ مع هذا القدر الكبير من التبخر ، لكن ينبغي أن نشير إلى أن هذه الأرقام مضللة إلى حد ما ، ذلك أن الأرض لا تبقى مبللة بالمياه بأي حال .

وقد أجريت عدة قياسات للفاقد بالتبخر من أنواع مختلفة من سطح الأرض بجنوب أفريقيا ، وكذلك بالتج من مختلف المحاصيل . فقد دلت التجارب في بريتوريا Pretoria ، أن الذرة التي تنبت على منحدر هين تحتاج لكمية أمطار تتراوح بين ٦٣ - ٩٠ سم في السنة . يستهلك المحصول ٥٠٪ من هذا القدر ، و ٣٥٪ يُفقد بالتبخر ، والنسبة الباقية وقدرها ١٥٪ للجريان السطحي والتسرب .

النبات الطبيعي

أكثر الأنواع النباتية انتشاراً في جنوب أفريقيا هو نوع نبات المناطق شبه الجافة ، ويعرف هنا باسم نبات الكارو والصحراء . يليه في سعة الانتشار ، لكن أهم منه بكثير من وجهة النظر الاقتصادية ، أنماط عديدة من الحشائش ، خصوصاً فوق القيلد المرتفع . وهناك أجزاء صغيرة المساحة تشغلها حشائش الماكي Maquis في منطقة الكاب ، ثم السفانا أو القيلد الشجرية في الشرق والشمال الشرقي ، هذا فضلاً عن أنواع مختلفة من الغابات .

وينبغي أن نؤكد أن التغير النباتي من نطاق لآخر يحدث بصورة تدريجية . مثال ذلك حشائش الفيلد المرتفع تتدرج بصورة لا تكاد تحسّ غرباً إلى نبات شبه الصحراء . وتؤكد المساحات الشاسعة التي تتدرج تحت اسم شبه الصحراء عدم كفاية الأمطار الساقطة للنمو النباتي فوق قسم عظيم من جنوب أفريقيا . ونشير أيضاً إلى أن تأثير الإنسان في تعديل النمط النباتي كبير جداً . فلا نشك في أن الغابة المعتدلة الدائمة الخضرة ، التي لا تغطي الآن سوى رقعة محدودة المساحة لا تزيد على ١٪ من جملة مساحة جنوب أفريقيا ، كانت أكثر انتشاراً قبل وصول عناصر البانتو Bantu ، والأوروبيين . كما وأن حشائش الماكي قد اضمحلت ، وأصابها الذبول والفقر عن طريق الرعي الجائر بواسطة الماعز . وما تزال تتعرض رقاع فسيحة في الفيلد لعمليات إحراق وإخلاء منتظمة .

وتشغل الحشائش الأراضي الواقعة في مستوى يزيد على ١٢٠٠ متر ، والتي يسقط عليها ما يزيد على ٣٨ سم من المطر سنوياً . بينما ينحصر النمو الشجري في الأصقاع التي تتميز بشتاء حرارته منخفضة نسبياً . وأهم أنواع الحشائش ، التي تشغل نحو ٦٠٪ من المساحة ، يُسمى « الحشيش الأحمر red grass » ، الذي يُدعى بذلك نظراً لاتخاذها اللون الضارب إلى البني ، حينما يذبل ويحجف في الخريف بعد انتهاء الأمطار . وبحسب الأنواع ، يتراوح ارتفاع النبات بين ٣٠ - ٩٠ سم ، وهو معروف بأنه من أجود أنواع المراعي في جنوب أفريقيا .

وأهم مشكلة تواجه رعي الماشية في الفيلد المرتفعة ، الافتقار إلى المطر في الفترة الممتدة بين مارس وأكتوبر . فالنمو النباتي يقتصر على الفترة بين أكتوبر ومارس حين يتساقط المطر الصيفي ، بينما تفقد الحشائش قيمتها الغذائية أثناء أشهر الشتاء . ويستدعي الأمر تغذية إضافية للماشية . لكي تتمكن الحشائش الجديدة من النمو الصحي مع بدايات سقوط الأمطار ، لا بد من إزالة الحشائش الجافة الميتة . ويلجأ الفلاحون غالباً إلى إحراق الفيلد ، ويترتب على ذلك أضرار جسيمة ، بعضها يتعلق بالنبات الجديد نفسه ، وبعضها الآخر يتصل بالتربة التي تصبح عارية مكشوفة ، فقد تنحرف برخات المطر الغزير .

ويتألف نبات الكارو المثالي في غربي محافظة الكاب من أدغال وشجيرات مبعثرة ، تتباين في ارتفاعاتها من بضع سنتيمترات إلى نحو ٩٠ سنتيمترا ، تبعاً لدرجة الجفاف . لكنها جميعاً لها القدرة على مقاومة الجفاف . وقد تنبت حشائش خشنة قليلة فيما بين الشجيرات ، لكن هنالك دائماً مسافات ، كثيرة تخلو تماماً من النبات ، وتزداد هذه الأراضي المكشوفة العارية باستمرار الرعي الجائر . ولا يصلح كلاً الكارو لسوى رعي الأغنام . ولقد قُدرت كفاية مراعي الكارو الجيدة بنحو ستة خراف لكل فدان .

وتتدرج مراعي الكارو صوب الجنوب إلى ماكي Maquis الرأس ، وهذا المرعى هو الآخر محدود القيمة ، ولا يصلح لسوى الأغنام والماعز ؛ والماعز تضر بالمرعى كما هو معلوم . ويتألف الماكي من شجيرات قزمية دائمة الخضرة مقاومة للجفاف ، وتظهر الحشائش حيثما ازدادت الرطوبة في بعض الأجزاء . ويتنوع النبات ويتباين بالارتفاع من جهة ، وبتوجيه وامتداد السلاسل الجبلية ، ومنها سلاسل الكاب ، من جهة أخرى .

وتعرف السقانا في جنوب أفريقيا باسم بوش فيلد Bushveld . وهي توجد في الأراضي التي يقل ارتفاعها عن ١٢٠٠ متر ، وتلقى كمية مطر لا تقل عن ٤٠ سم سنوياً . وهنا أيضاً نرى انتقالاً تدريجياً إلى المراعي الأعلى منسوباً ، وإلى الكارو ، والماكي في الجنوب . وتتباين كثافة وأنواع النمو الشجري في مناطق السقانا تبايناً كبيراً . وهنا نرى كل أنماط السقانا ممثلة : من النمط الغابي المكشوف إلى غطاء الأرض الحشائشية التي تتركسها الأشجار المبعثرة المتباعدة . ويوجد من الأشجار ما هو نافض لأوراقه ، وما هو دائم الخضرة .

التربة

تنوع التربات في جنوب أفريقيا تنوعاً كبيراً ، ويرجع ذلك إلى التباين في مظاهر السطح وكمية الأمطار الساقطة ، وإلى حقيقة أن درجات الحرارة في المناطق الشبه مدارية تكون في العادة حرجة بالنسبة لعمليات تكوين التربة . وتوجد تربات البودسول Podsol واللاتيرايت Laterite في جنوب أفريقيا

ويوجد عدد وفير من التربات غير الناضجة ، وذلك بسبب التضاريس الوعرة المصحوبة بحافات متباينة ، وتقطع الهوامش الساحلية . وفي مثل هذه المناطق يصبح صخر الأساس هو المقرر لخصائص التربة . وترتبط التربات ارتباطاً وثيقاً بصخر الأساس أيضاً في مساحات معينة تتألف من الصخور البركانية والنارية المتداخلية ، مثل ما يوجد في بوش فيلد الترانسفال Transvaal bushveld ، أو في المساحات المكونة من البازلت في الكارو الأعلى Upper Karroo .

وتربات جنوب أفريقيا فقيرة في الدبال humus ، فقليل منها ما يحوي كمية كافية منه . وذلك بسبب الغطاء النباتي المحدود الذي يغطي ثلثي الدولة الغربي ، بما في ذلك منطقة الكاب ؛ ويسبب عمليات الغسل leaching للتربة في المناطق الرطبة ، بالإضافة إلى ممارسة استخدام سيء للأرض ، كالرعي الجائر . ولهذا ينبغي دائماً إضافة الأسمدة ، واتباع شكل أو آخر من أشكال الدورة الزراعية ، لتعويض التربة. هذا النقص في المواد العضوية .

وتوجد تربات اللاتيرايت في المساحات التي تتلقى ما يزيد على ٥٠ سم من المطر سنوياً ، وتوجد وتتخذ قطاعها المثالي إذا ما زاد المطر على ٩٠ سم ، مصحوباً بمتوسط حراري سنوي يزيد على ١٨,٥° مئوية . وفي الظروف العادية تنبت في هذه التربات الحشائش ، والغابات أحياناً . وتنجح الزراعة في البداية ، لكن سرعان ما تتعرض التربة للإرهاق والتعرية .

ويتصف القيلد المرتفع بتربات بودسولية متوسطة الحموضة ، وهي عادة فقيرة نوعاً في المواد العضوية ؛ لكنها تتحول إلى تربة طينية سوداء في المناطق التي تظهر فيها صخور الدولورايت dolorite ، ويوجد فيها حيثئذ زراعة الذرة .

وتصاحب التربات الطينية السوداء وجود الصخور النارية في حوض البوش فيلد Bushveld Basin . ولعل تراكم المعادن في هذه التربات الصلصالية هو الذي يجعلها أفضل التربات وأنسبها للزراعة في جنوب أفريقيا ، لكن الأمطار هنا غير مواتية ، فهي قليلة . أما تربات إقليم الكاب فتميل إلى النوع البودسولي ، وهي على العموم غير ناضجة وتفتقر إلى المواد العضوية .

ولعل أفضلها هنا هي التربة اللومية Loam الخفيفة الحموضة التي تصاحب وجود الشيل في منطقة بوكي فيلد Bokkeveld .

وتتعرض تربة جنوب أفريقيا للتعرية ، مثلها في ذلك مثل كل المناظر التي تتلقى أمطاراً فصلية ، تسقط عليها في هيئة وابل ، وفي رخات قوية قصيرة الأمد . وقد عُرف جنوب أفريقيا منذ الثلاثينيات ، بأنه واحد من أكثر مناطق العالم تأثراً بعمليات جرف وتعرية التربة ، ولقد تضافرت عدة عوامل طبيعية واقتصادية لإحداث هذا الأثر السيء . فالتضاريس المموجة والممزقة سمة مميزة للمناطق النواقعة خارج أحافة العظمى ، ولأجزاء أخضبة التي مزقتها التعرية النهرية ؛ وعلى المنحدرات الشديدة العديدة يصبح الجريان السطحي سريعاً ، ويعظم بالتالي نحته واكتساحه . وتسقط الأمطار الغزيرة بطبيعتها العنيفة المتقطعة عقب فصل جاف تشقق خلاله التربة ، فتكتسح موادها مع سيولها الجارفة . وفي الأجزاء القليلة الرطوبة تزداد حدة هذا العامل ، لافتقار التربة إلى غطاء نباتي يحميها ، ويعمل على تماسكها .

وقد زاد الإنسان الأمر سوءاً لاستخدامه وسائط وطرائق زراعية غير مناسبة . ففي أيام الاستعمار الأولى ، لم يفكر الأوروبيون المستوطنون كثيراً في هذه الأمور ، وكان من نتيجة ذلك ، أن تحولت المراعي إلى مناسف أثرية ، وتغيرت الأرض الزراعية والقبالة للزراعة إلى أرض وعرة قد خدّتها السيول . واكتسحت مياه الأمطار حبات التربة في الأرض التي أصابها الرعي الجائر ، والأرض المهجورة لفشل محصول زراعي فيها . يضاف إلى ذلك عمليات إحراق حشائش الفيلد الجافة ، التي ما تزال تمارس حتى الآن . ثم الإقتصار على زراعة الذرة في مساحات واسعة في العشرينيات ، كان هو الآخر عاملاً مؤثراً في تدهور التربة ، وكان هذا نذيراً بإعلان الخطر الداهم من تعرية التربة في الثلاثينيات .

ولقد تحسن الوضع الآن ، وأصبح أفضل كثيراً عما كان عليه قبل عام ١٩٤٠ . فلقد وجدت الحكومة من واجبها التدخل لحماية التربة ، بعد التلف الذي أصاب مساحات واسعة منها ، كما وجدت الحاجة قد أصبحت ماسة

للتوسع الزراعي أفقياً ورأسياً . ولهذا فقد بدأت بالتدخل في المحافظة على القبلد ، وصيانة الثروة الغابية ، فأصدرت لذلك تشريعاً في عام ١٩٤١ . ومنذ ذلك التاريخ بدأ العمل الجاد ، وسار حثيثاً لمداواة الوضع . فانتعشت المراعي ، واخضرت الأرض بالزراعة المحسنة . وقد ساعد على ذلك محطات الأبحاث الزراعية التي انتشرت في مختلف المناطق ، بالإضافة إلى المعاهد المتخصصة بالجامعة التي شاركت في أبحاث مكثفة للتربات ، وللدورات الزراعية ، وإدارة المراعي . وتلعب نظم الزراعة الحديثة . واستخدام الآلات ، والأسمدة ، دوراً فعالاً في المحافظة على التربة .

وتبقى مناطق المعازل الوطنية التي ما تزال تعاني من مشكلات جرف التربة . فليس هنالك إشراف على الرعي ، وهو جائر ، وواسع الانتشار . ورغم أن ممارسة الزراعة غير متشيرة ، إلا أن الأراضي الزراعية تعاني من تحديد السيول ، التي تترك وراءها جروفاً شديدة الانحدار .

الجغرافية البشرية

السكان

يتكون سكان جنوب أفريقيا البالغ عددهم ٢٦,٩ مليون نسمة (إحصاء تقديري عام ١٩٩٣) من أربع مجموعات رئيسية : الأفريقيون ، والبيض ، والملونون ، والآسيويون (أنظر قائمة غم السكان) . ويكوّن الأفريقيون ثلاثة أرباع السكان (١٩ مليون) ، ومعظمهم من عناصر البانتو Bantu . وهم من الوجهة الثقافية والعرقية متباينون ، ويتضمنون أربع مجموعات لغوية رئيسية ، وعديداً من الوحدات الوطنية . وأكبر المجموعات اللغوية هي نجوني Nguni (-, ١١ مليون نسمة) وهذه تشمل على قبائل زولو Zulu ، وأكسهوسا Xhosa ، ونديبيلي Ndebele ، وسوازي Zwazi . ومجموعة لغة سوثر Sotho (٦,٢ مليون نسمة) ، وتشمل تسوانا Tswana ، وبيدي Pedi ، وسوثر الجنوبيون South Sotho أو باسوتو Basuto . أما المجموعتان اللغويتان

الصغيرتان فهما : فيندا Venda (٧٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وشانجانا - تسونجا Shangana — Tsonga (١,١ مليون نسمة) .

وعلى الرغم من أن هؤلاء السكان المتباينين يختلطون في المناطق المدنية وعلى هوامش أوطانهم التقليدية ، إلا أن كل مجموعة عرقية ترتبط بمساحة معلومة . فالزولو Zulu (٤,٥ مليون نسمة) يتركزون في قلب ناتال Natal إلى الشرق من حافة دراكينزبيرج . ويتمركز الاكسهوسا Xhosa (٤,٤ مليون) في منطقة ترانسكاي Transkei في شرقي الكاب ، بينما يكثر فيندا Venda في شمال ترانسيفال .

ولقد كانت عناصر اكسهوسا أول من واجهوا البيض الأوروبيين ، وعرقلوا تقدمهم في شرقي الكاب خلال القرن الثامن عشر . وشهد نهر السمكة العظمى Great Fish River سلسلة من المعارك الطاحنة بين الفئتين . واشتد ساعد الزولو Zulu حينها وجدوا قيادة قادرة قوية في ناتال ، ونتج عن هذا ما نراه الآن من غط توزيعهم . ولقد تحطمت قوة الزولو عن طريق الغزو الأبيض منذ قرن مضى ، لكن أمة الزولو ما تزال باقية حتى اليوم .

وما دامت المجموعات الأفريقية قد وفدت إلى ما يسمى الآن جمهورية جنوب أفريقيا من الشمال الشرقي ، فإنه ليس عجباً أن نراهم الآن يتركزون في شمال الدولة ، وعلى امتداد الساحل الشرقي . ولقد اصطدم شعب البانتو فوق الهضبة أول الأمر بالبوشمن Bushman (ساروا Sarwa) ، والهوتنتوت Hottentot ، ثم نازلوا البوير Boer فيما بعد ، وفي القرن السابع عشر وصلوا إلى نهر أورانج . ولقد كان توزيعهم وانتشارهم عاماً ، لكن الكثافات العالية كانت تتواجد على الخصوص في الأراضي العالية الخالية من الأويئة والأمراض ، وفي المناطق الرطبة . ولقد كان حضيض الحافة العظمى ، والنطاق الساحلي بمثابة طرق سهلة للهجرة ، ولهذا فقد سلكها الزولو والاكسهوسا ، وبلغوا أقصى تقدمهم صوب الجنوب .

والتوزيع الحالي مشابه إلى حد كبير لتوزيعهم في الماضي ، باستثناء مراكز

جمهورية أفريقيا

النمو السكاني بالآلاف ، فيما بين عامي (١٩١١ - ١٩٩٢)

السنة	الأفريقيون		البيض		الملونون		الآسيويون		المجموع الكلي
	بالآلاف	%	بالآلاف	%	بالآلاف	%	بالآلاف	%	
١٩١١	٤,٠١٩	٦٧,٣	١,٢٧٦	٢١,٤	٥٢٣	٨,٨	١٥٢	٢,٥	٥,٩٧٣
١٩٢١	٤,٦٩٧	٦٧,٨	١,٢٧٦	٢٢,٠	٥٤٥	٧,٩	١٦٤	٢,٣	٦,٩٢٧
١٩٣٦	٦,٥٩٧	٦٨,٨	٢,٠٠٣	٢٠,٩	٧٦٩	٨,٠	٢٢٠	٢,٣	٩,٥٨٨
١٩٤٦	٧,٨٣٠	٦٨,٦	٢,٣٧٢	٢٠,٨	٩٢٨	٨,١	٢٨٥	٢,٥	١١,٤١٦
١٩٦٠	١٠,٩٠٨	٦٨,٢	٣,٠٨٨	١٩,٣	١,٥٠٩	٩,٤	٤٧٧	٣,٠	١٥,٩٨٣
١٩٧٠	١٥,٠٩٨	٧٠,٢	٣,٧٥١	١٧,٥	٢,٠١٨	٩,٤	٦٢٠	٢,٩	٢١,٤٤٨
١٩٩٢	١٩,٠٠٠	٧١,٥	٤,٣٥٠	١٦,٣	٢,٤٧٠	٩,٣	٧٦٢	٢,٩	٢٦,٥٨٢

الحضر التي جذبت إليها مئات الألوف من الأفريقيين ، وانتزعتهم من مقار إقامتهم الأصلية . ويتضح من إحصاء ١٩٨٥ (آخر إحصاء رسمي) أن ٤٦,٥ % من الأفريقيين يقيمون في المعازل المخصصة لهم ، و ٣٥ % منهم يسكنون المدن .

ويكون البيض المجموعة العرقية الكبيرة الثانية ، ويبلغ عددهم ٤,٤ مليون نسمة . وهم ، كالأفريقيين ، يختلفون فيما بينهم عرقياً وثقافياً . ورغم أنهم لا يمثلون سوى ١٦,٣ % من جملة السكان ، إلا أنه كان يدهم مقاليد الأمور كلها في جنوب أفريقيا .

ويرجع أول استقرار دائم للبيض إلى عام ١٦٥٢ حينما أسس جان فان ريبك Jan van Riebeeck محطة في خليج تيبول Table Bay ، لتموين السفن الخاصة بشركة الهند الشرقية الهولندية ، التي كانت تجوب البحار فيما بين هولندا وجنوب شرق آسيا . ولم تكن السلطات تسمح باستيطان على نطاق واسع ، لكن السكان أخذوا في النمو ، وازدادوا كثرة بمرور الهوجينوت الفرنسيين French Huguenot ، والمهاجرين الألمان ، والعبيد المستوردين من

الملايو، ومن موزمبيق، ومن شرق وغرب أفريقيا ولقد جلت المجموعات المهاجرة معها لغتها، وقيمها، وضرورات الحياة، بما في ذلك المحاصيل الأصلية كالقمح، والكروم، والمواالح والتقنية (التكنولوجيا)

وبدأت مجموعات المهاجرين تنتشر شرقاً للبحث عن أرض جديدة، بعيداً عن تسلط الهولنديين. وفي خلال القرن الثامن عشر، وجدوا أنفسهم في مواجهة عناصر اكسهوساس Xhosas الذين كانوا في سبيلهم للهجرة صوب الجنوب.

وفي عام ١٨٠٦ سيطرت بريطانيا على الرأس Cape، ولأول مرة ظهر الاستعمار معلناً سافراً. فقررت بريطانيا أن تكون الإنجليزية هي اللغة الوحيدة الرسمية، وتحولت نظم التقاضي والتعليم إلى الإنجليزية. وشجعت بريطانيا الإستيطان البريطاني. والغى الرق في عام ١٨١٤. وانتشر الاستعمار البريطاني إلى ناتال Natal في عام ١٨٤٠ وما بعده، بينما اضطر المستوطنون البيض القدامى «التأفرقون Afrikaners»، وهم أحفاد المهاجرين الهولنديين الأصليين، أن يتجهوا نحو الداخل ابتداء من عام ١٨٣٦، وتبعهم بعد ذلك بزمان قصير مجموعات بريطانية وأوربية أخرى.

وقد انفصل المتأفرقون الهولنديون تماماً عن المهاجرين البيض. وهم يدعون التعلق الشديد، والاتصال الوثيق بأفريقيا، كما يفعل الأفارقة السود. وهم يفخرون كل الفخر بلغتهم، وهي لغة مشتقة من الهولندية، ولها الآن لكنة فريدة. وهم لا يفكرون من أوروبا في سوى وطنهم البعيد، هولندا. أما سكان جنوب أفريقيا من الانجليز والمتكلمين بالانجليزية، فإنهم يعتبرون أنفسهم أوروبيين أولاً وقبل كل شيء.

ولم يكن المتأفرقون الهولنديون هم الذين جلبوا إلى داخلية جنوب أفريقيا سبل الحياة الحديثة، التي ينظرون إليها الآن بكبرياء وفخار. فلقد رغب هولنديو القرن التاسع عشر الهروب من سيطرة الإنجليز في إقليم الكاب، فهبوا للداخل بالرغبة في تأسيس جمهوريات رعوية، يقومون تحت ألويتها برعي

قطعان البقر والأغنام . وتبعاً لذلك فقد لصق بهم اسم البوير Boer ، وهي كلمة هولندية تعني حرفياً « فلاح » ، وكان طراز حياتهم ونهج معيشتهم أكثر شبهاً بمثيله الأفريقي الأصلي منه بنمط الحياة المتطور في أوروبا .

وحينما اكتشف الماس قرب مُلتقى نهرى أورانج وقال (عام ١٨٦٧) ، وأعتبه اكتشاف الذهب على امتداد الويت ووترزrand Witwatersrand (عام ١٨٨٦) ، اندفع آلاف المهاجرين البيض إلى تلك المناطق ، ومعهم رأس المال ، والمهارات الفنية ، ومعارف أوروبا المتقدمة إبان الثورة الصناعية . ولما وجد هؤلاء البيض الجدد مواجهة عنيدة من جانب البوير ، تجنبوا جمهورياتهم الداخلية إلى حين ، وشيدوا المدن ومنها كيمبرلي Kimberley ، وجوهانيسبيرج ، واستغلوا مصادر الثروة المعدنية ، التي لم يكن باستطاعة الرعاة من البوير استخراجها . وانتهى عهد عزلة الداخل ، رغم أنف البوير ، حينما اخترقت سكك الحديد الجبال ، وامتدت الطرق البرية تربطه بالسواحل ، وانتشر الحضر في كل مكان .

وبعد هزيمة المتأفرقين البوير في حرب البوير Anglo-Boer War ، كان عليهم أن يشاركوا في التقدم الاقتصادي الذي قام على أكتاف المهاجرين الأوربيين الجدد . وقد ازدادت مشاركة المتأفرقين باستمرار ، وهم الآن قد بدأوا يتبوأون مناصب كبرى . وقد تغيرت نسبة سكان المدن إلى سكان الريف من المتأفرقين لصالح الأولى باستمرار . ففي الأيام الأولى من عمر الاتحاد ، كانت الغالبية العظمى من المتأفرقين ما تزال تعيش في الريف ، بينما كان يعيش معظم المتكلمين الانجليزية ، وغيرهم من المهاجرين الأوربيين في المدن النامية . والآن قد أصبح المتأفرق ساكن حضر ، مثل نذّه المتكلم بالإنجليزية .

وتبلغ نسبة سكان المدن من البيض في جنوب أفريقيا أكثر من ٨٦٪ (أنظر جدول سكان المدن) . وهم يتمتعون بأعلى مستوى معيشة بين المجموعات العرقية في الدولة ، فهم يسيطرون على الغالبية العظمى من الثروة ، والموارد المعدنية والصناعية ، والأرض ، وكانوا أصحاب السلطة السياسية

المطلقة . ويزداد عددهم كل عام بورود نحو ٣٠,٠٠٠ مهاجر من دول غرب أوروبا . لكن هذه الزيادة ، مع معدل النمو السكاني الطبيعي المنخفض (وهو ١,٤ ٪) ، لن يؤمن هؤلاء البيض استمرار السيطرة السياسية والاقتصادية في المستقبل . وهو موقف تعيه الحكومة العنصرية ، وتحذر من عواقبه .

سكان المدن (نسب مئوية)

بين عامي ١٩١١ - ١٩٩٣

السنة	الأفارقة (السود)	البيض	الملونون	الآسيويون	المجموع
١٩١١	٪١٣,٠	٪٥٣,٠	٪٥٠,٤	٪٥٢,٨	٢٤,٧
١٩٢١	٪١٤,٠	٪٥٩,٧	٪٥٢,٤	٪٦٠,٤	٢٧,٩
١٩٣٦	٪١٩,٠	٪٦٨,٢	٪٥٨,٠	٪٦٩,٥	٣٢,٤
١٩٤٦	٪٢٤,٣	٪٧٥,٦	٪٦٢,٥	٪٧٢,٨	٣٦,٤
١٩٦٠	٪٣١,٨	٪٨٣,٦	٪٦٨,٣	٪٨٣,٢	٤٧,٢
١٩٩٣	٪٣٥,٠	٪٨٦,٧	٪٧٤,٣	٪٨٦,٢	٤٨,٠

ويبلغ عدد الملونين Coloured ٢,٥ مليون نسمة ، وهم يؤلفون القطاع الغالب في غربي الكاب (أنظر جدول سكان المناطق الحضرية بحسب المجموعات العرقية) . وتبلغ نسبتهم ٦٠ ٪ من جملة سكان مدينة الرأس Cape Town . وهم يمثلون غالبية في كل مدن محافظة الكاب .

ولا يقتصر تعداد الملونين على نتاج اختلاط الدماء السوداء والبيضاء ، بل يشمل أيضاً المهاجرين من الملايو ، الذين استطاعوا الاحتفاظ بصفاتهم العرقية لأجيال عديدة . ولقد نشأ هؤلاء المولدون في البداية عن طريق الاتصال بالنساء العبيد . ويبدو أنهم يحملون دماء أخرى عدا دماء البيض ، من بينها الهوتنتوت Hottentot ، والعبيد السود ، بالإضافة إلى الدماء الآسيوية . ولقد

تزاوج اهوتتوت أيضاً مع العبيد . وتبعاً لذلك فقد ازداد عدد الملونين ووصلوا إلى رقم ذي أهمية .

ولقد حدث هذا كله ، حينما كانت الكاب الغربية المنطقة الوحيدة في جنوب أفريقيا التي يديرها ويستقر فيها البيض بصفة مستمرة . وكانت كيب تاون هي المدينة الحقيقية الوحيدة ، وفيها كان يعمل الملونون ، وفيها جاورها من مزارع .

ولقد كانت المجموعة الملونة تنمو بنسبة ٣٪ سنوياً في جلال الستينات ، لكن النسبة بدأت في الانخفاض منذ عام ١٩٧٠ ، فأصبحت ٢,٤٪ ، بسبب النقص في المواليد قياساً بالوفيات . ويتكلم الملونون اللغة الانجليزية أو لغة المتأفرقين Afrikaans (البوير) . لكن اللغة المتأفرقة هي اللغة السائدة بينهم ، إذ يتكلمها منهم نحو ٩٠٪ ، وذلك بسبب اتصالهم المبكر بالمستوطنين الهولنديين في مقاطعة الكاب . ومع هذا فإن المجموعة الهولندية لم تحاول إطلاقاً أن تدمج معها جماعة الملونين .

ويأمن ثلث الملونين ، الذين يؤدون الصلاة ، الكنائس الهولندية ، وثلث ثان يذهب للكنائس الإنجليزية . ولا يعتنق الإسلام سوى ٥٪ . والإسلام منتشر في كيب تاون ، حيث يعتنقه السكان الآسيويون الذين وفدوا أصلاً من الملايو .

ويعاني الملونون ، كغيرهم من أصول غير بيضاء ، من التفرقة في كل شيء : في الأعمال ، والمرتبات ، والمساكن . . . وكانوا محرومين من التمثيل في البرلمان الوطني . وكان وما يزال قسم كبير من هذه المجموعة يعيش في فقر ، سواء في المدن أو في الريف .

والملون لا يستطيع أن يدخل مجال المنافسة مع الأوروبي الماهر في الأعمال التي تتطلب مهارة خاصة ، حتى ولو أتاح له القانون ذلك . كما أنه لا يطول الأعمال التي لا تتطلب مهارات معينة ، لأنها تكون من نصيب الأفريقي الذي يرضى بالأجر الضئيل . وقد استطاع الملونون في مدينة كيب تاون (تعدادها ١,١

سكان المناطق الحضرية الرئيسية بحسب
المجموعات العرقية في عام ١٩٩٣

المجموع	الآسيويون	الملونون	البيض	الأفارقة (السود)	المناطق الحضرية
١,٤٣٢,٦٤٣	٣٩,٣٤٨	٨٢,٦٣٩	٥٠١,٠٦١	٨٠٩,٥٩٥	جوهانسبرج
١,٠٩٦,٥٩٧	١١,٢٦٣	٥٩٨,٩٥٢	٣٧٨,٥٠٥	١٠٧,٨٧٧	كيب تاون
٨٩٥,٥٢٧	١١,٢٧٤	١٩,٢٤٣	٣٢٣,١٨٧	٥٤١,٨٢٣	إيست راند East Rand
٨٤٣,٣٢٧	٣١٧,٠٢٩	٤٣,٦٩٩	٢٥٧,٧٨٠	٢٢٤,٨١٩	ديربان
٥٦١,٧٠٣	١١,٠٤٧	١١,٣٤٣	٣٠٤,٦١٨	٢٣٤,٦٩٥	بريتوريا
٤٢١,٠١٨	١,٩٤٦	١١,٥٨٣	١٤٨,٣٥٠	٢٥٩,١٣٩	ويست راند ومحيطه West Rand
٣٠٤,٣٧١	٢,٢٠١	٢,٢٨٨	١١١,١٣٦	١٨٨,٧٤٦	ساسول بورج Sasolburg
٢٠٨,٨٩١	صفر	١,٥٢٢	٥٠,٠٩٨	١٥٧,٢٧١	حقول الذهب OFS Gold-Fields
١٨٠,١٧٩	١	١٠,١٥٢	٧٤,٥١٦	٩٥,٥١٠	بلوم فونتين Bloemfontein
١٥٨,٩٢١	٣٦,٤٠٠	٨,٧٥٦	٤٥,٥٠٣	٦٨,٢٦٢	بيترماريتزبورج Pietermaritzburg
١٢٣,٢٩٤	١,٩٩٤	١٣,٢٤٩	٥٦,٨٠٧	٥١,٢٤٤	إيست لندن East London
١٠٣,٧٨٩	٩٣٨	٢٤,٦٥٧	٢٩,٣٩٧	٤٨,٧٩٧	كيمبرلي Kimberly
٤٦٨,٥٧٧	٥,٢٨٠	١١٢,١٩٤	١٤٩,٥٦٩	٢٠١,٥٧٤	بورت إليزابيث

مليون نسمة) أن يثبتوا في عدد من الصناعات القليلة ، منها صناعة النسيج ،
والمباني ، وتصنيع الأغذية ، ثم في الأدوات الخاصة بعمليات الشحن والتفريغ .
ويقل عددهم في الصناعات الأولية ، وفي مجال الزراعة .

ونأتي للمجموعة العرقية الأخيرة ، وهي المجموعة الآسيوية ، أصغر
المجموعات . في عام ١٨٦٠ وفدت أول مجموعة من العمال الهنود ، جلبها الإنجليز
للعمل في مزارع قصب السكر التي بدأوا في إنشائها بمنطقة ناتال . ولقد استمرت
هذه السياسة زهاء نصف قرن من الزمن ، وسرعان ما تبينت حكومة جنوب أفريقيا
أن أعدادهم قد تضخمت ، فأوقفت عملية استيرادهم ابتداء من عام ١٩١٣ .
وكان عدد العمال الآسيويين قد وصل حينئذ إلى ١٥٥,٠٠٠ عامل . وقد رفض
العمال الهنود العودة إلى الهند بعد انتهاء عقود أعمالهم ، وأقاموا في جنوب أفريقيا ،
يعملون في فلاحه البساتين ، ومزارع الخضروات والفواكه لأسواق المدن ،
وبالتدريج دخلوا في دوامة العمل العام بالحضر .

وقد هاجر عدد من التجار الأثرياء الآسيويين في بداية هذا القرن ، وأنشأوا

مشاريع تجارية ناجحة ، تنافس مشروعات البيض ، خاصة في مدينة ديربان . ولا يخطئ الزائر لمدينة ديربان بصماتهم في هذا المجال ، وهي المدينة التي يمثل الآسيويون أكثر من ثلث سكانها .

ويكون الهنود الغالية العظمى من السكان الآسيويين في جنوب أفريقيا ، ويعتق نحو ٧٠٪ منهم الديانة الهندوكية . وهم يتكلمون مختلف اللغات الهندية ، رغم أن الإنجليزية هي لغة التخاطب بينهم . وهم يعيشون بمعزل عن أبناء جلدتهم من المسلمين ، الذين يمثلون ٢٠٪ من المجموع الكلي للهنود . وقد رحل عدد كبير من الهنود المسلمين إلى الترانسفال .

ويزداد تعداد الآسيويين منذ عام ١٩١٣ بمعدل يتراوح بين ٢٪ - ٣٪ كل عام . وفي عام ١٩٩٣ كانت نسبة المواليد ٣٢,٧ في الألف ، ونسبة الوفيات ٦,٨ في الألف ، وهي أدنى نسبة في كل المجموعات العرقية . ولقد كان كل الآسيويين الذين يعملون في المجال الاقتصادي موجهين للعمل الزراعي قبل بداية هذا القرن . ولقد تغيرت الأحوال في الآونة الأخيرة ، فقد أصبح نحو ثلثهم يعملون في مجالات الصناعة ، والتجارة ، والمال . ويعمل عدد كبير منهم ، خصوصا في مدينة ديربان ، في مصانع النسيج ، والأغذية ، والمتاجر ، وأعمال التشييد والبناء ، وأشغال النقل والمواصلات . وقد حظي البعض بتجميع ثروات كبيرة ، وبالتعليم الجامعي . وتقلد بعضهم مناصب هامة في الدولة .

ويعيش أكثر من ٨٣٪ من الآسيويين في إقليم ناتال . وتركزون في مدينة ديربان عاصمة المحافظة . ولا يُسمح لهم بالإقامة في « ولاية أورانج الحرة Orange Free State » ، كما أنهم محرومين من حرية التنقل بين المحافظات . وقد أجبر عشرات الألوف من الآسيويين على الانتقال من المراكز المدنية الوسيطة إلى الضواحي ، بقوة القانون ، عملا بسياسة التفرقة العنصرية ، وتخصيص مساحات معينة لكل مجموعة عرقية . فحرموا بذلك من فرص كثيرة للعمل ، وكان عليهم أن يجرؤوا تغيرات جوهرية في طراز معيشتهم .

فقد اجلي ، على سبيل المثال ، أكثر من ٢٣٠,٠٠٠ شخص من الآسيويين

من الأحياء الوسطى في مدينة ديربان ، وهُجروا إلى مدينة تشاتسوورث -Chatsworth ، وغيرها من المدن المنشأة حديثا ، والتي تبعد عن مدينة ديربان بمسافات تتراوح بين ١٦ - ٢٤ كيلومترا . وحدث هذا العدد أكبر من الملونين ، الذين اضطروا قسرا ، بقوة القانون العنصري ، إلى التزوج من كيب تاون (من الحي السادس) في الستينات من هذا القرن .

سياسة التفرقة العنصرية

إنها كانت سياسة حكومة البيض لجنوب أفريقيا، سياسة الفصل التدريجي بين المجموعات العرقية الرئيسية في الدولة . وهي السياسة المعروفة باسم أبارت هايد Apartheid ، وهي كلمة بلغة التافريقين Afrikaners ، ومعناها اللفظي الفصل أو العزل Apartness or Separateness . وتهدف حكومة الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا بهذه السياسة الفصل بين المجتمعات الأربعة الرئيسية فصلا سياسيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ، وإقليميا .

وأسباب انتهاج هذه السياسة متعددة . وأهمها سببان :

الأول والأهم ، المحافظة على بقاء « جنوب أفريقيا البيضاء » . ذلك أن الأقاليم التي يزيد تعداد البيض فيها عن ٤٠٪ قد أصبحت قليلة .

والثاني ، إعطاء الفرصة للبانثو كما تدعي الحكومة ، ولغيرهم من المجموعات العرقية غير الأوروبية إنماء مناطقهم التي خصّصت لهم بحرية أكبر وفرص تقدم أكثر من التي يجدونها الآن في المجتمع المختلط .

ولا شك أن الفصل التام مستحيل من الوجهة العملية ، ذلك لأن اقتصاد جنوب أفريقيا يعتمد اعتمادا أساسيا على العمالة غير البيضاء ، في الزراعة والصناعة على السواء .

وكانت سياسة «الفصل العرقي» مشكلاتها الرئيسية في المراكز الصناعية الكبرى خصوصا في مراكز منطقة ويت ووترز راند Witwatersrand الصناعية . فقد كان النمو الصناعي مستولا عن النمو الحضري لكلا المجموعتين الأوروبية

والأفريقية . وكان نتيجة لذلك ازدياد الاندماج الاقتصادي للمجموعتين الرئيسيتين ، وهي عملية مضادة تماما لسياسة الفصل العنصري .

وقد تقدمت لجنة توملينسون Tomlinson Commission في عام ١٩٥٥ بخطة لإنشاء مناطق معازل البانتو ، بما في ذلك المعازل الوطنية Native Reserves الحالية . وقد تضمنت المقترحات التي ناقشها التقرير النقاط التالية :

١ - ينبغي انتهاج أسلوب في استخدام الأرض في مناطق المواطنين الأفارقة ، أفضل وأكثر فاعلية من المتبع حاليا . ويجب الأخذ بيد المزارعين الأفارقة ، ومساعدتهم في تحسين نوعية أراضيهم ، وقطعان مواشيهم . وأشار التقرير إلى ضرورة التحكم في عمليات تدهور التربة وانجرافها .

٢ - يجب العناية بمشروعات الري حيثما أمكن ، وإدخال المحصولات النقدية .

٣ - يلزم إنشاء صناعات في داخل الأراضي المخصصة للبانتو . وقد رفضت الحكومة هذا الاقتراح ، واستعاضت عنه بإنشاء الصناعات على هوامش معازل البانتو ، لكن في داخل أراضي البيض .

٤ - إبعاد كل الأفارقة (السود) من قسم من محافظة الكيب ، حيث لا يُسمح بالإقامة لسوى الأوروبيين والملونين .

وعلى أساس هذه المقترحات وغيرها ، قَدَّرت لجنة توملينسون أن معازل البانتو يمكن أن تستوعب منهم ثمانية ملايين نسمة ، وقد كان عدد السكان في معازل البانتو آنذاك (عام ١٩٥٥) يصل إلى ٣,٦ مليون نسمة . ورغم أن رقم الثمانية ملايين مبالغ فيه ، فإنه لم يأخذ في الاعتبار الزيادة السكانية الطبيعية لجماعات البانتو . ولم تأخذ الحكومة إلا ببعض الاقتراحات ، وأهملت الحيوي منها كالاقتراح رقم ٣ الآنف الذكر ، والخاص بإنشاء صناعات في معازل البانتو .

المعازل الوطنية

ظهرت فكرة إنشاء مواطن دائمة لغالبية السكان الأفارقة (السود) فيما سُمي بقانون الأرض الوطني Native Land Act الذي صدر في عام ١٩١٣ . وبموجبه تم

تحديد عدد من المناطق ، معظمها في الشرق ، تبلغ مساحتها الإجمالية أقل من ١٣٪ من مساحة جمهورية جنوب أفريقيا . وهي في الواقع أفقر المناطق تربة ، وأقلها مطرا ، كما أنها تخلو من الثروة المعدنية . وكما أسلفنا ، فقد كان العزل جزئيا ، فهي مستودعات للأيدي العاملة الرخيصة ، التي تظل بحاجة ماسة للعمل لدى البيض ، بسبب فقر أراضي المعازل ، وعدم قدرتها على إعالة الأعداد البشرية المتزايدة .

وكان يُدعى أكبر معزل باسم ترانسكاي Transkei . وكان يحتل رقعة من الأرض توازي في مساحتها ربع ماخصص لكل المعازل . ويقع بين حدود ناتال ونهر جريت كاي Great Kei . وفي ٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٦ أعلنت حكومة جنوب أفريقيا قيام دولة ترانسكاي في حفل أقيم في مدينة أومتاتا Umtata العاصمة ، وبالتالي إعطاء هذا المعزل نوعا من الاستقلال الذاتي . وثاني أكبر معزل هو معزل الزولو Kwa Zulu ، ويقتطع من مساحة المعازل الكلية ١٤٪ . ومعازل أخرى ، في مناطق مختلفة في شمال شرق ترانسيفال من نصيبها نحو ١٥٪ (انظر قائمة المعازل أو الأوطان القومية) . وهنا وفي مناطق أخرى أصبح غط المعازل الصغيرة مرتبكا مضطربا ، ومفتتا . وذلك بسبب أنها قد رُتبت على أساس عرقي ، لا يسمح بتجميع جغرافي معقول ، بدون إضافة مساحات كبيرة من أراضي يملكها البيض .

وكان يبلغ عدد «المعازل القومية أو الوطنية Homlands» ، أو كما يُسمى أيضا . باسم « بانتوستان Bantustans » عشرة هي : - ترانسكاي Transkei ، سيسكاي Ciskei ، كوا زولو Kwa Zulu ، بوفوتا تسوانا Bophuthatswana ، ليوا Lebowa ، فيندا Venda ، جازانكولو Gazankulu ، باسوثر كواكوا Basotho ، سوث نديبلي South Ndebele ، سوازي Swazi . وهي تتباين فيما بينها تباينا كبيرا في المساحة (أنظر جدول المعازل القومية) ، وفي الموارد ، وفي عدد السكان ، وفي تخطيط الحدود . وقد سبقت الإشارة إلى التفتت الشديد ، الذي يبدو بصورة جلية في كوازولو ، معزل شعب الزولو .

هذا ولا يسكن المعازل القومية من الأفارقة (البانسو) في وقتنا الحاضر سوى

نحو ثلث عددهم الكلي البالغ حوالي عشرين مليوناً (أنظر جدول المعازل القومية) . وتبدو الكثافة السكانية في المعازل مرتفعة جداً ، بالقياس إلى الكثافة العامة في جمهورية جنوب أفريقيا . فهي في المعازل نحو ٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع ، أي أكثر من ضعف المتوسط العام للدولة ، البالغ نحو ٢١ شخص في الكيلومتر المربع .

وتجدر الإشارة إلى أن المساحة التي تبلغ نسبتها ٨٧٪ ، والمخصصة للبيض ، وهي أفضل بكثير من أراضي المعازل ، تتضمن أماكن عزل للمجموعات الأخرى الآسيوية والملونة .

المعازل القومية « بانتوستان » المساحة والسكان

المعزل القومي	المجموعة القومية	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد السكان
باسوثو كواكوا	ساوث سوٲو	٥١٥	٢٤,٠٠٠
بوفوٲا تسوانا	تسوانا	٣٢,٧٣٠	٨٨٤,٠٠٠
سيسكاي	إكسهوسا	٧,٨٠٠	٥٢٤,٠٠٠
جازانكولو	شانجان	٨,٨٢٧	٢٦٧,٠٠٠
كوازولو	زولو	٢١,٥٠٩	٢,٠٩٧,٠٠٠
ليوا	نورٲ سوٲو	١٧,٥٥٥	١,٠٨٣,٠٠٠
سوازي	سوازي	٣,٢١٠	١١٨,٠٠٠
ترانسكاي	إكسهوسا	٤٦,٨٠٠	١,٧٣٤,٠٠٠
فيندا	فيندا	٧,٩٦٠	٢٦٤,٠٠٠
ساوٲ نديبيلي	نديبيلي	١,٥٠٨	١٧٨,٠٠٠
		١٤٨,٤١٤	٧,١٧٣,٠٠٠

النمو الاقتصادي

بالتعاون المثمر لمختلف الطوائف العرقية

من بين أهم الاتجاهات التي تصاحب طريق جمهورية جنوب أفريقيا نحو الصدارة ، وتجعلها في مقدمة دول أفريقيا في المجال الاقتصادي ، نمو المراكز الحضرية ، وتعظيم القطاع الصناعي فيها . وقد كانت الثروة المعدنية واستخراج المعادن حافزاً ومشجعاً على إنشاء المدن وإثرائها . لكن إسهام التعدين في لدخل القومي قد تخاذل لصالح الصناعة ، بل ولصالح الزراعة أيضاً . ومع هذا فقد استمرت المدن في النمو . فمدينة جوهانيسبورج ، التي أنشئت أصلاً لأغراض التعدين ، أصبح ٦٠٪ من سكانها البيض العاملين ، يشتغلون في الوظائف العامة ، وفي الإدارة ، ومختلف الأنشطة التجارية .

ولقد كان التعدين السند الأساسي للاقتصاد القومي في جنوب أفريقيا في الفترة بين عامي ١٩٢٩ - ١٩٤٣ ، وذلك بعد مرحلة مبكرة وطويلة نوعاً كانت الزراعة أثناءها تسود الاقتصاد . ومنذ عام ١٩٤٣ ، انتقلت القيادة إلى الصناعة . وهي الآن تضيف للدخل القومي ثلاثة أمثال ما تسهم به الزراعة والتعدين مجتمعين . ولم تعتمد هذه الصناعة التحويلية الناجحة على الأسواق الخارجية وحدها ، بل إن نجاحها إنعكاس لقدرة السوق المحلية إلى حد كبير . ولقد أفادت كل الطوائف ، أفريقية ، وآسيوية ، وملونة من هذا التقدم الاقتصادي الصناعي ، كما استفاد البيض ، وإن كانت الاستفادة بنسب غير عادلة . . ومن هذا نرى أنه قد نشأت ونمت سوق متعددة العناصر السلالية ، يصاحب تقدمها قدرة شرائية متزايدة . ولا شك أن أي تدخل في مسار هذا الاتجاه سيحدث خللاً ونتائج سلبية لاقتصاد جنوب أفريقيا المتعش .

ولقد تقدم التحضر في جنوب أفريقيا أكثر منه في أي دولة أفريقية أخرى . وليس لكل من جوهانيسبورج ، وكيب تاون ، وديربان منافس مدني في شبه القارة ، فيما يخص الإنتاج الصناعي . ولقد استفادت المدن الواقعة في السواحل بالتقدم التعدين والصناعي فوق الهضبة . وتتنافس مدن بورت إليزابيث ، وإيست لندن ، وكيب تاون ، وديربان في الاستئثار بأكبر قسم من تجارة الداخل .

وفوق الفيلد المرتفع ، أصبحت منطقة ويت ووترزرااند Witwatersrand قلب الإقليم كله . فقد تم اكتشاف مناجم جديدة للذهب ، ونبتت مدن جديدة شرق وغرب جوهانيسبورج ، حتى لقد نما نطاق حضري طولي في ذلك الاتجاه . وإلى الشمال من جوهانيسبورج ، نجحت بريتوريا Pretoria في أن تكون عاصمة ومركزا لإدارة الدولة . وإلى الجنوب من جوهانيسبورج ، تقوم فيرين إجنج Vereeniging على نهر فال Vaal ، مستفيدة بمورد مائي وفير ، وبقرىها من مناجم الفحم .

من هذا نرى أن إقليم ترانسفال أصبح صرة جنوب أفريقيا ، بمحور صناعي تعديني يمتد من الشرق إلى الغرب ، ومحور للإدارة والمواصلات يمتد من الشمال إلى الجنوب . ويسكن جوهانيسبورج وحدها الآن ما يزيد على مليون ونصف مليون شخص . ويقطن محوري ترانسفال الأنفي الذكر أكثر من ربع سكان الجمهورية ، وينشأ هناك مجمع مدني ضخم Megalopolis .

ولقد اشترك العاملون من مختلف الطوائف العرقية معا بالجهد والعرق في إنماء الاقتصاد العام آمادا طويلة في مختلف المراكز الحضرية بجنوب أفريقيا ، خصوصا في نطاق ويت ووترز راند . وبرغم العزل في السكن والإسكان ، وتحديد مجالات العمل على أساس العرق والسلالة ، فإن أقدار البيض والسود في جنوب أفريقيا قد أصبحت ممتزجة متشابكة ، ومترابطة بشكل لا انفصام له ، ولا فكاك منه . فلقد جذبت المراكز المدنية ، من كيب تاون (المدينة الأولى) ، وكيمبرلي (أولى مدن التعدين) ، إلى جوهانيسبورج ، وديربان ، استثمارات مالية ضخمة ، ووظفت المهارات الأجنبية ، والعضلات الأفريقية .

ولقد وصل هؤلاء البيض والسود بالتعاون المثمر إلى التقدم الاقتصادي الكبير الذي تتمتع به جمهورية جنوب أفريقيا ، وهو التقدم الذي انعكس في الانتشار الحضري ، والانتعاش العظيم لقلب المدينة الذهبية . وقد أصبحت جوهانيسبورج العاصمة المالية للقارة ، فالمستثمرون الأجانب يثقون في المستقبل الاقتصادي لجنوب أفريقيا ، وكل قطاع من قطاعات الاقتصاد يزهر ويثمر . وفي

عام ١٩١٢ كان عدد المشتغلين بالصناعة أقل من مائة ألف ، وقد تصاعد هذا العدد ، وفاق المليون في عام ١٩٧٥ ونصف المليون عام ١٩٩٣ .

والمناطق الصناعية الأربع في جنوب أفريقيا هي : ويت ووترز راند Witwatersrand ، ديربان - باين تاون Durban-Pinetown area ، والمنطقة حول كيب تاون ، ثم المساحة المحيطة بميناء إليزابيث Port Elizabeth . ولقد شجعت أعمال التعدين واستخراج المعادن قيام هذه الصناعات على نطاق واسع . وأصبحت صناعة المفرقات صناعة رئيسية في إقليم ويت ووترز راند . ودعت الحاجة إلى أحذية لرجال التعدين إلى قيام صناعة نامية للأحذية في كل من بورت إليزابيث وديربان .

واشتدت الحاجة باستمرار إلى الفحم والكهرباء . ونشأت صناعة ناجحة للحديد والصلب في بريتوريا Pretoria ، كما أقيم مصنع للحديد والصلب أيضاً في مدينة فيرين إجنج Vereeniging ، واتخذت خطوة أخرى من أجل الاكتفاء الذاتي ، بإنشاء أكبر معمل في العالم لاستنباط البترول من الفحم في ساسول بوج Sasolburg في شمال ولاية أورانج الحرة Orange Free State .

وبينما كانت المراكز الصناعية آخذة في النمو ، كانت سوق المنتجات الزراعية تكبر معها . فلم يعد الرعي المعاشي بذي جدوى ، وأصبحت جمهورية جنوب أفريقيا تنتج أنواعاً عديدة من الفواكه والخضروات ، وقدرها عظيماً من الذرة ، والقمح ، وأنواعاً أخرى من الحبوب ، وقصب السكر . وترعرعت زراعة بساتين الفواكه والخضر بجوار المدن وحولها .

لكن ينبغي أن لا ننسى أن العمل كله ، سواء في داخل المدن أو حولها ، أو في داخل جنوب أفريقيا المترامي الأطراف ، كان يقوم به الأفارقة السود ، رجال البانتو ، بإشراف الملاك من البيض .

ولقد كان الأفريقي إذن ، لعقود طويلة ، يترك مسقط رأسه ويهجره إلى المدينة ، والمنجم ، والمزرعة . وكما هو الحال في نواحي أخرى من القارة ، كانت القبلية تتناقص . وفي المدن يمكن أن نجد سكاناً أفارقة دائمي

جمهورية جنوب أفريقيا : العاملون بمختلف قطاعات الاقتصاد في عام ١٩٨٥
بالآلاف

القطاع الاقتصادي	الأفارقة السود	البيض	الملونون	الآسيويون	المجموع
الزراعة، والخراج .	٢٠١٤	٩٩	١١٩	٧	٢٢٣٩
وصيد الأسماك	٦٠٥	٦٣	٧	١	٦٧٦
المناجم والمحاجر	٥١٢	٢٨٠	١٦٩	٦٣	١٠٢٤
الصناعة التحويلية	١	٣٢٥	١٦١	٢٣	١٥٧٤
الخدمات	٣٤٩	٤١٩	٨٥	٥٤	٩٠٧
التجارة والمائ	٢٦٥	٩٦	٧٧	١٠	٤٤٦
البناء	٣٢	١٤	٣	-	٥٠
الكهرباء ، والغاز ، والمياه	١٤٠	١٦٤	٢٨	٨	٣٣٩
النقل والمواصلات	٦٢٤	٣٨	٥٥	١٥	٧٣٢
عاطلون وغير مُصنّفين	٥٦٠٨	١٤٩٨	٧٠٤	١٨١	٧٩٨٧
مجموع العاملين	١٥٠٥٨	٣٧٥١	٢٠١٨	٦٢٠	٢١٤٤٨
مجموع السكان	٧٠,٢	١٨,٨	٨,٨	٢,٢	%١٠٠
النسبة المئوية للعاملين					

الاستقرار ، هم بالحقيقة حضريون مثل نظرائهم البيض ، وإن كانوا فقراء أو أقل غنى . ومع هذا فقد بقيت أجزاء من جنوب أفريقيا معترف بطبيعتها القبلية .

إن أراضي معزل زولاند Zuland ، في ناتال ، وترانسكاي Transkei في الكيب الشرقية ، رغم تأثرها بسيل المهاجرين المستديم ، لم تتغير إلا قليلاً ، بينما تقدم جنوب أفريقيا . فهي ، وغيرها من المعازل القومية ، تتصف بالزراعة المعاشية ، وبفقر التربة وسوء صيانتها ، والنّطعان المريضة . وكانت الهجرة الجماعية هي النتيجة الحتمية للظروف المحلية السيئة ، بينما كانت مدن البيض ومناجمهم جذابة مغرية .

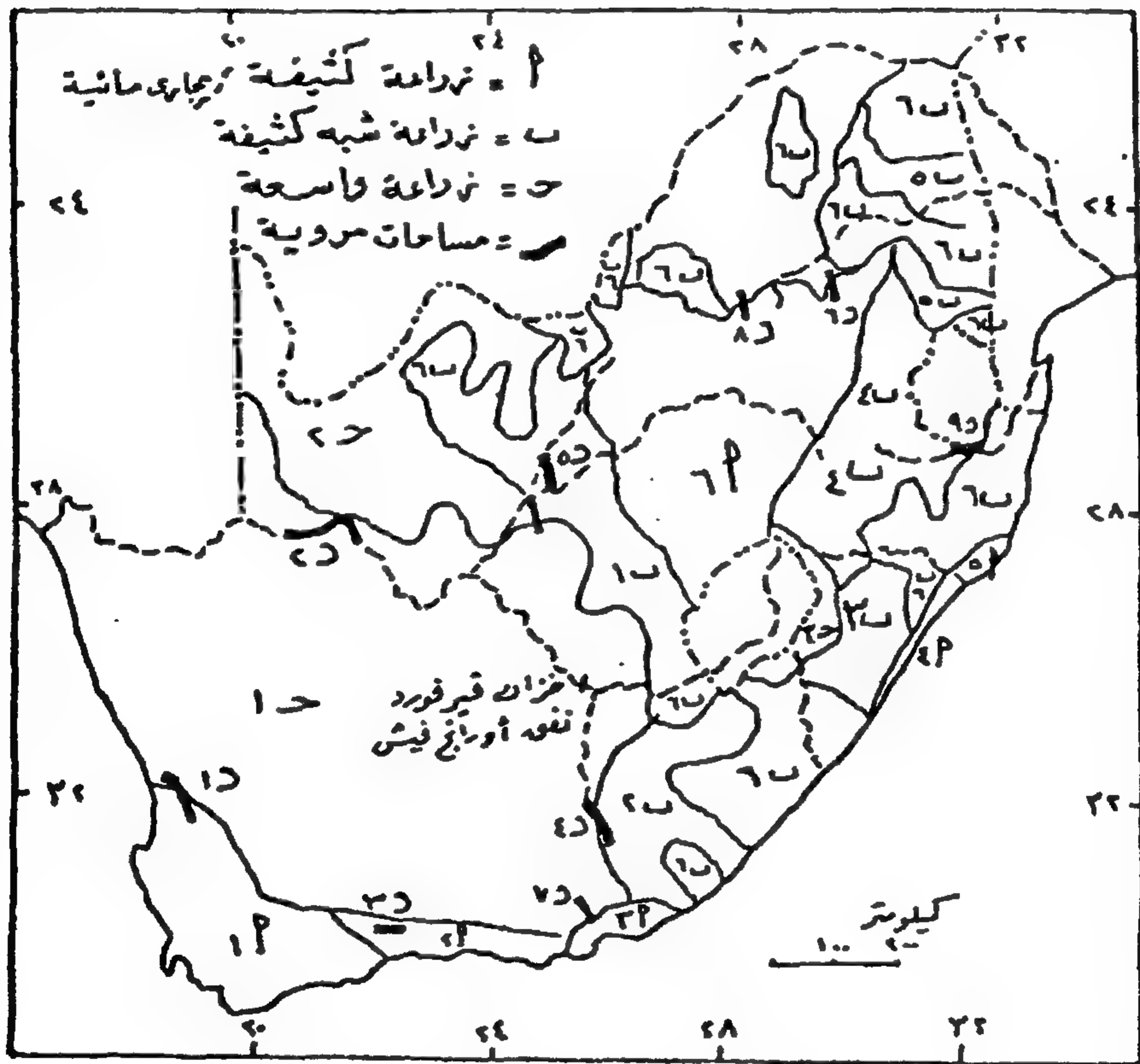
إن من يلقي نظرة على جدول « سكان المدن الرئيسية » ، وجدول « العاملون بمختلف قطاعات الاقتصاد » ، يتبين درجة اندماج مختلف السلالات مكانياً ، ومدى الاعتماد والارتباط المتبادل من الوجهة الاقتصادية . إن جميع المدن ، باستثناء بريتوريا ، تحوي سكاناً من غير البيض أكثر من السكان البيض . وفي معظم الأحوال يكون الأفارقة (السود) هم الغالبية .

ويتبين من تعداد عام ١٩٨٠ ، أن نحو ٤,٤ مليون أفريقي (من جملتهم البالغة نحو ١٥ مليون) يقطنون مناطق البيض المدنية ، بالإضافة إلى ٣,٧ مليون أفريقي يعيشون في مزارع البيض . معنى هذا أن نحو ٨,١ مليون أفريقي ، أو ٥٣,٥ ٪ من مجموع الأفارقة السود ، كانوا يعيشون في مناطق البيض ، حيث يتفوقون على البيض بنسبة إثنين إلى واحد . ويوضح جدول « العاملون بمختلف قطاعات الاقتصاد » أن الأفارقة العاملين في نفس السنة كانوا يمثلون ٧٠ ٪ من المجموع العام ، ولا يدخل في هذه النسبة العاملون منهم في قطاع الزراعة المعاشية في أوطانهم القومية .

الجغرافيا الاقتصادية

الزراعة

رغم أن الظروف البيئية الطبيعية في جنوب أفريقيا غير مواتية تماما ، وأن ١٥٪ فقط من المساحة الإجمالية تحت سلاح المحراث ، فإن بالدولة اقتصادا زراعيا ورعويا متعدد الأنواع ، وهناك تباين حاد في فنون الزراعة ، وأنماط الفلاحة ، والإنتاج ، نجده من مكان لآخر ، خاصة بين مناطق الأفارقة



شكل (٩٣) جنوب أفريقيا : أقاليم الزراعة

(أ) زراعة كثيفة :

١ - الكيب الجنوبية الغربية : فواكه نفضية وموالح ، كروم ، قمح ، حبوب أخرى ، تربية أغنام ، مستخرجات ألبان ، منتجات غالية (صنوبرية) .

٢ - سهول جنوب الكيب الساحلية : فواكه نفضية وموالح ، مستخرجات ألبان ، فصصة (ألفالفا) ، النعام ، منتجات غايية (صنوبرية) .
٣ - سهول شرقي الكيب الساحلية : موالح ، أناناس ، الذرة ، مستخرجات ألبان .

٤ - ساحل جنوب ناتال : يسوده قصب السكر ، فواكه شبه مدارية .
٥ - ساحل زولولاند : قصب السكر ، منتجات شجرية (الصمغ) .
٦ - شمال ولاية أورانج الحرة وجنوب ترانسفال : ذرة ، منتجات ألبان ، ماشية ، أغنام .

(ب) زراعة شبه كثيفة :

١ - حُرْب ولاية أورانج الحرة : ذرة ، قمح ، أغنام ، ماشية .
٢ - داخل الكيب الغربي : أغنام ، ماشية ، منتجات ألبان ، موالح .
٣ - وسط ناتال وشرق جريكوالاند Griqualand : منتجات غايية (صنوبر ، وتل) مستخرجات ألبان .

٤ - شمال ناتال ، شرق ولاية أورانج الحرة ، جنوب شرق ترانسفال : ذرة ، ماشية ، مستخرجات ألبان ، أغنام ، منتجات غايية « وتل Wattle » .
٥ - شرق ترانسفال : فواكه شبه مدارية ، موالح ، خضروات ، منتجات غايية . (وتل ، صمغ ، صنوبر) .

٦ - المعازل (باتوستان) : ماشية ، ذرة ، محاصيل معاشية .
(ح) زراعة واسعة :

١ - كارو : أغنام ، ماعز .
٢ - الكيب الشمالية : رعي الماشية .
٣ - تلال حضيض دراكنزبيرج : أغنام ، ماشية .
٤ - شمال ترانسفال : رعي الماشية .

(د) مساحات مروية :

١ - نهر أوليفانتس : ألفالفا ، حبوب شتوية ، موالح ، كروم .
٢ - أورانج الأوسط : قطن ، ألفالفا ، قمح .
٣ - كاماناسي Kamanassie : ألفالفا ، تبغ ، قمح ، كروم .
٤ - جريت فيش : ألفالفا ، موالح .
٥ - فال - هارتس Vaal- Harts : الفول السوداني ، قطن ، تبغ .
٦ - لوس كوب Loskob : قمح ، تبغ ، موالح .
٧ - نهر سن ديز Sundays River : موالح ، ألفالفا .

٨ - هارت ييست بورت Hartebeest poort : تبغ ، خضر ، موالح ، قمح ، محاصيل علف .

٩ - بونجولا Pongola : قصب سكر ، قطن .

السود ، ومناطق البيض . فينما تسود الزراعة المعاشية مزارع الأولى ، تشيع الفلاحة التجارية المتخصصة في مزارع البيض . وتنتج مزارع البيض أكثر من ٩٠٪ من الإنتاج الزراعي الكلي للدولة في القطاع المالي . ويتضمن الإنتاج القمح ، والسرغوم (نبات كالذرة) الذي يستهلك في المعازل المجاورة .

وتُربى قطعان الأبقار والأغنام ، وهي أكثر ربحا من المحاصيل الحقلية التقليدية ، في مزارع السود والبيض على نطاق واسع . والصوف هو أهم إنتاج رعوي في جنوب أفريقيا ، ويحتل المركز الثاني في قائمة الصادرات بعد الذهب . ويأتي معظمه من الكارو Karroo ، ومن ولاية أورانج الحرة Orange Free State . ونتاج المرعى هو المورد النقدي الرئيسي في معازل السود .

ويمكن تحديد عدد من الأقاليم الزراعية بجنوب أفريقيا . وتسود الزراعة الكثيفة في جنوب غرب الكيب حيث تشيع فلاحه الكروم ، والبساتين ، وأشجار الفواكه النفضية ، وحيث يقوم الملونون بمعظم العمل الزراعي . ويزرع قصب السكر في ضياع البيض المترامية الأطراف على امتداد سهول ناتال Natal الساحلية ، وفي قليل من أراضي الأفارقة السود المجاورة . وهناك نلمس الفروق الحادة في استخدام الأرض ، يزيد لها حدة ووضوحا طبيعة التفتت في معزل كوازولو Kwa Zulu .

وفي الفيلد المرتفع ، يصبح الذرة والقمح المحصولين الرئيسيين ، بينما الموالح ، والتبغ ، ومستخرجات الألبان ، وتربية الماشية ، كلها ذات أهمية محلية . ويقوم الأفارقة السود هنا بغالب العمل الزراعي ، أحيانا موسميا وبعقود .

وتتقدم الزراعة في الكارو ، كما تنمو الصناعة بالقرى المائية عن طريق توليد الكهرباء من مشروع نهر الأورانج الضخم Orange River Project

وبواسطة، تزداد قيمة الإنتاج الزراعي بمعدل يفوق ٢٥٠ مليون دولار سنوياً
ويزود خزان هيندريك فيرفورد Hendrik Verwoerd ، الذي افتتح عام
١٩٧٢ ، مدينتي بلوم فونتاین Bloemfontein وكمبرلي Kimberley بالمياه
والقوى المحركة اللازمة للصناعة ، وبمياه الري لنهر الأحد Sundays River ،
ولنهر جريت فيش Great Fish River عدد من الترع (القنوات) ، وعبر نفق
خلال جبال دراكنز Drakensberg يبلغ طوله ٨٢ كيلومترا (٥١ ميل) .
وتنتج محطات القوى المائية الكهربائية العشرين بالمشروع ٢٢٩ ميجاوات ،
وتروي السدود الخمسة عشر بترعها المختلفة أرضاً مساحتها الإجمالية
٧٦٠,٠٠٠ فدان (٣٠٠,٠٠٠ هكتار) . وتبلغ تكاليف المشروع كله ١,٣
مليار دولار . وتوجد مشروعات أخرى أصغر حجماً ، لكنها مهمة على أنهار
فال - هارتس Vaal Haarts ، وبونجولا Pongola ، وكروكودايل Crocodile .

إن المعازل الأفريقية ليست جزءاً من اقتصاد جنوب أفريقيا الزراعي العام
الناجح . فهي تكون الدماش المكتظ سكانياً ، الكاسد المطحون اقتصادياً ،
لاقتصاد جنوب أفريقيا الرطب . وتصبح معازل السود إلى الشرق من دراكنز
بيرج ، في الأغلب الأعم ، جبلية ، أو تلالية ممزقة ، ولا تحوي سوى مساحات
منبسطة صغيرة ، أو أرض مموجة حيث تمكن الزراعة . ففيها جميعاً ، تزيد
مساحة الجبال على الثلث ، وتبلغ رقعة التلال والأرض الممزقة ٢٠٪ ، والأرض
الهيئة التموج والمنبسطة نحو ٤٦٪ . وكثير من الأرض الممكن زراعتها ، والتي
تدخل في النسبة الأخيرة ، تقع في مناطق مطرها خفيف ، ومتغير لا يعتمد
عليه ، فضلاً عن ترباتها الرقيقة ، كما في معزل ليوا Lebowa وغيره .
ويستخدم ٧٩٪ من جملة مساحة المعازل للرعي ، ونحو ١٥٪ فقط للزراعة .

وقد قررت لجنة توملينسون Tomlinson ، إذا حدث وأمكن تخطيط
وتطوير المعازل القومية ، فإنها تستطيع إعالة مجتمع زراعي قوامه نحو ٢,١
مليون فرد ، ويستطيع نحو ٢٥٨,٠٠٠ شخص كسب معيشتهم عن طريق
التعدين والحراجة (أعمال الثروة الغابية) . والآن يقطن هذه المعازل نحو ثمانية
ملايين ، وقد يأتي إليها بضعة ملايين أخرى من مناطق البيض ويفتضي هد-

نوعا خاصا من التخطيط الريفي ، ومن إعادة الاستيطان ، كما نسلزم نموا عاما لم تشهد مثله دولة في العالم

ونقد تم تقسيم اراضي المعازل إلى وحدات رراعية اقتصادية ، تتباين في أحجامها حسب البيئة ، والممارسات والخبرات الزراعية السائدة . وأنشئت سدود لحزن المياه ، وترع (قنوات) للري . وقسمت الأرض إلى قطاعات للرعي ، ومساحات للزراعة ، ووحدات للسكن . ورغم هذه الإصلاحات ، والجهود ، فإن الرعي الجائر شائع ، وإنتاج الأرض ضعيف ومنخفض ، وتعربة التربة وانجرافها منتشر . ونبعا لذلك فإن دخل العاملين في الزراعة المعازل منخفض جدا . إذ تقل نسبة من يكسب أكثر من ٨٠ دولارا في السنة عن عشر العاملين في هذا الميدان ، وتبلغ نسبة من يجني أقل من ٣٠ دولارا في العام أكثر من ٤٠٪ .

وهناك دخول كبيرة نوعا ، لكنها قليلة العدد ، من مزارع المحاصيل النقدية ، خصوصا ما كان منها تحت إشراف مباشر من قبل البيض . فتجد حقولا صغيرة في الشمال تخصص في زراعة القطن والسيسال (Sisal نبات تصنع منه الحبال) ، والشاي ، وقصب السكر ، والفواكه شبه المدارية ، خصوصا في كوازولو ، وترانسكاي .

ولتخفيف وطأة الفقر وسوء التغذية للمتوطنين في المعازل القومية ، لا تكفي زيادة رقعة الأرض ، وتجميع شتات تفتتها ، وإدماجها وتوحيدها فحسب ، وإنما يجب ، إلى جوار إنجاز ذلك ، العمل على تغيير ممارسات الفلاحة التقليدية ، كما يلزم خلق أعمال ووظائف أخرى غير رراعية إن الإنتاج منخفض ، ويزداد تدنيا بنظم الملكية والفلاحة العتيقة ، وبالرعي الجائر ، وفنون الزراعة المتخلفة ، وبالاقتصاد الرائد على عمل المرأة ، والأطفال والطاعنين في السن . وبدلا من أن تتحسن الزراعة في المعازل لقربها ، ومتاخمة بعضها لمزارع البيض الناجحة ، إذ بها تبقى مقيمة على الفقر بسبب هذا القرب الذي يتيح للشباب تركها للنساء والأطفال والمسنين ، والذهاب للعمل في المزارع البيضاء

الثروة المعدنية

تقع الغالبية العظمى من موارد الثروة المعدنية المعروفة في جنوب أفريقيا في مناطق الييضم ، خاصة في الفيلد المرتفع High veld (انظر خريطة المعادن) . وما تزال مناجم الذهب في جوهانيسبورج منتجة ومربحة ، رغم طول استغلالها منذ أكثر من قرن من الزمان . لكن معظم إنتاج جنوب أفريقيا يأتي الآن من حقول ويسترن راند Western Rand ، ومن مناجم ويل كوم Welkom في ولاية أورانج الحرة . ويتم تعدين الماس ، أول معدن عذّن بكميات كبيرة نوعاً ، في كيمبرلي Kimberley ، وبريتوريا ، وفي منطقة جاجيرس فونتاين Jagersfontein في جنوبي ولاية أورانج الحرة .

وفي شرق وجنوب ويت ووترز راند Witwatersrand يوجد أعظم احتياطي للفحم في قارة أفريقيا كلها . وهو مصدر قوة ، وثمان بوجه خاص لجنوب أفريقيا التي لا تملك احتياطياً معروفاً من البترول ، والتي يستهلك اقتصادها قدراً عظيماً من الطاقة . ويوجد الماس ، والحديد ، والمنجنيز ، والكروميوم ، والتيتان ، وأنواع متعددة من المعادن في مناطق مختلفة (انظر خريطة المعادن) ، وكلها قد أضافت الكثير لاقتصاد الجمهورية .

والذهب هو أهم معدن تنتجه الدولة . وقد بلغت قيمة ما استخرج منه في عام ١٩٨٦ ، ستة مليارات دولار . ولا شك أن قيمة الإنتاج الحالي قد تضاعفت بعدما ارتفعت أسعار الذهب إرتفاعاً كبيراً .

ويسهم التعدين بنحو ثلثي صادرات الدولة . ولا تقتصر أهميته على ذلك ، بل تتعداها إلى الداخل ، فهو الذي يمول مشروعات النمو الصناعي ، وإنشاء الخطوط الحديدية للداخل ، وهجرة وانتقال العمالة الأفريقية إلى المدن ، وهو الذي يقدم القروض والمعونات لقطاع كبير من زراعة الدولة . وهو يوفر فرص عمل لنحو ثلاثة أرباع مليون عامل ، ٩٠٪ منهم من الأفارقة السود ، يجلبون من معازلهم ، ومن الدول المجاورة : بوتسوانا Botswana ، وليسوتو Lesotho ، وسوازي لاند ، وموزمبيق ، ومالاوي . ويعمل هؤلاء المهاجرون

ساعات طويلة مقابل أجور منخفضة متدنية ، ويعيشون بعيدا عن أسرهم في معسكرات التعدين طوال مدة العقود ، التي تدوم زهاء تسعة أشهر كل عام .

وتقع مناطق التعدين الهامة خلف تحوم المعازل الأفريقية مباشرة (انظر خريطة المعادن) . ولا يوجد بأرض المعازل رواسب معدنية كبيرة ، وتلك بالطبع نتيجة طبيعية لاستغلال البيض لمصادر الثروة . فلو أنها تحوي مناجم ذات بال ، لما تركوها للسود . فإذا ما أريد إلغاء اقتصاد المعازل ، والإسراع في تقدمه وتطوره ؛ وجب تزويد مناطق المعازل بنصيب أكبر من دخل هذه الثروة المعدنية . والواقع أن المعازل ، هي مناطق غير ذات أهمية ، من وجهة نظر البيض .



شكل (٩٤) جنوب أفريقيا ، المعادن

وتتمتع معازل لبوا Lebowa وبوفوتا تسوانا Bophuthatswana ، دون غيرها ، بقدر من المعادن : فكلاهما يحوي مناجم متجة للأسبيستوس والكروم ، ورواسب للمنجنيز ، والبلاطين ، وخام الحديد . وعلى النقيض من ذلك ، نجد معزلين كبيرين مثل ترانسكاي Transkei ، وكوازولو Kwa Zulu ليس بهما أي نشاط منجمي ، ولا يعرف بهما سوى عدد قليل من المعادن .

والغريب أن شعب تسوانا Tswana الذي يسكن معزل بوفوتا تسوانا لا يحب العمل في المناجم ، لهذا تستخدم مناجم المعزل مهاجرين من ترانسكاي ، وكوازولو ، وغيرهما من المعازل القليلة الحظ . وفي عام ١٩٩٠ حينما زادت قيمة الدخل من الثروة المعدنية بالدولة على عشرة مليارات دولار ، كانت قيمة العائد من أعمال التعدين في المعازل ١٥٠ مليون دولار فقط .

الصناعة والنمو الصناعي

إن النمو الصناعي في جنوب أفريقيا قد سار بمعدل يمكن وصفه بالظاهرة الشاذة . فحتى عام ١٩٣٠ ، كانت الدولة تعتمد أساسا على تصدير الذهب ، والماس ، والصوف ، والقمح ، وتستورد كل ما تحتاج من سلع مصنوعة . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ، تضافرت عدة عوامل لقيام الصناعة وإنمائها . فالاستيراد والتصدير أثناء الحرب كان محفوقا بالمخاطر ، ووجدت الجمهورية نفسها في عزلة ، فتحركت لإنشاء صناعات متعددة ، وعملت على حمايتها بتعريفات جمركية مناسبة . وشجع الصناعة واستمرار نموها ظهور سوق استهلاكية محلية كبيرة .

وكان إنشاء صناعة الحديد والصلب ، وتقدم الصناعات الهندسية ، والمعدنية ، بمثابة خلق هام لأخطر قطاع صناعي وأكبره في الدولة . وازداد عدد العاملين في هذا القطاع عن غيره من القطاعات الصناعية ، وتبعاً لذلك أصبح إنتاجه أعظم الجميع . وبلي ذلك في الأهمية قطاع الصناعات الغذائية ، ثم قطاع المنسوجات المتنوعة وصناعة الملابس الجاهزة ، فقطاع الصناعات الكيماوية . وفي البداية ، كانت هذه الصناعات تخصص أساسا لسد

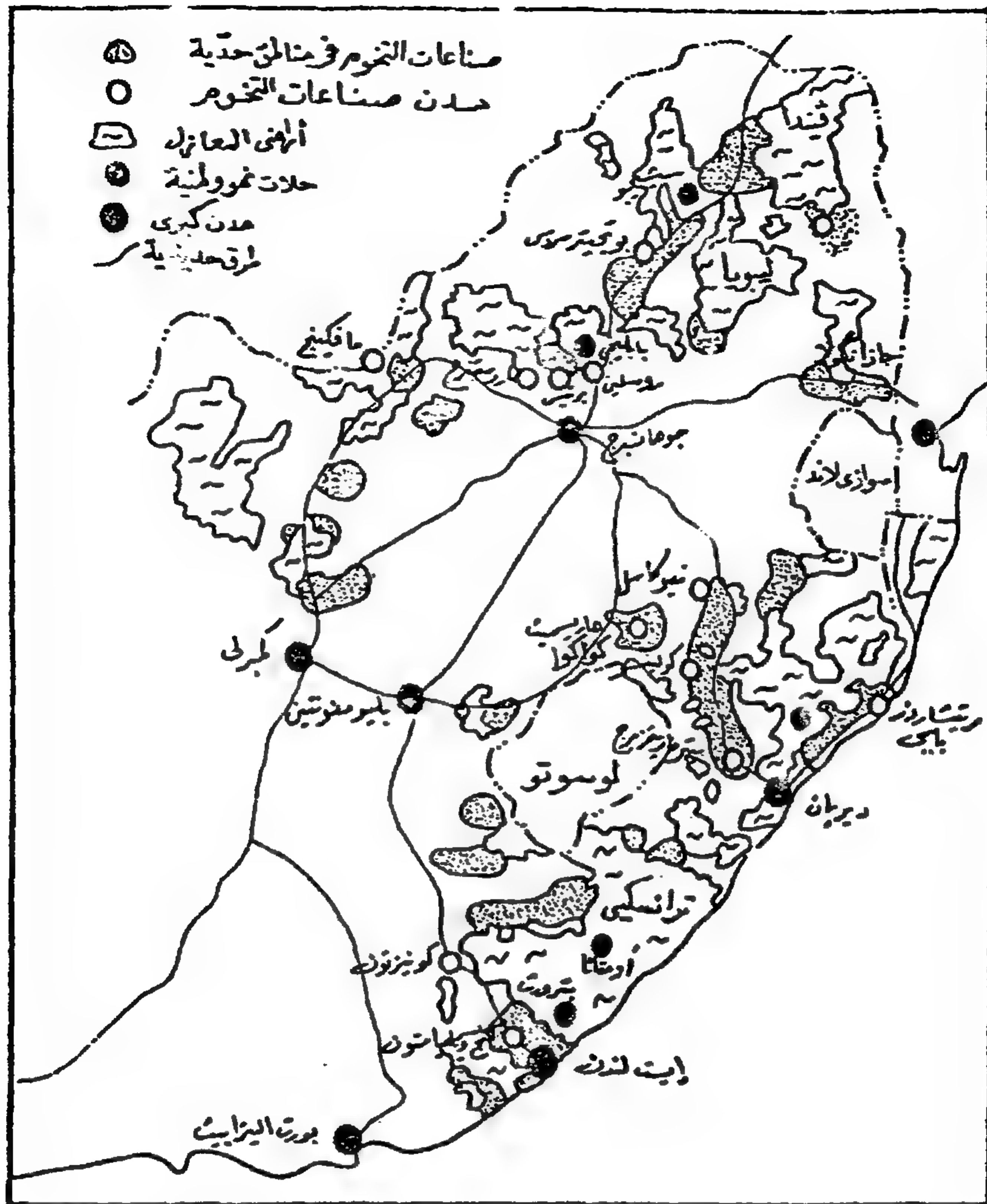
احتياجات السوق المحلية . وتعتمد الصناعة الكيميائية على مبيعاتها من المفرقات ، وهي مع الصناعات الهندسية ترتبطان ارتباطا وثيقا بصناعة التعدين .

وقد اعتمد التوطن الصناعي في جنوب أفريقيا على وجود المواد الخام ، وتوفر الأسواق ، وموارد القوى ، ومصادر المياه ، والأيدي العاملة . ولما كان القلب الاقتصادي لجنوب أفريقيا يتواجد في منطقة ويت ووترزrand Witwatersrand لمدة طويلة ، فلا عجب أن ينشأ وينمو فيها مركب صناعي عملاق ، ذو ارتباط وثيق بالمناجم . ويبدو أن الأسواق كانت بمثابة العامل الغالب ، ولهذا فإن مركب ويت ووترزrand الصناعي ، العظيم التنوع ، قد فاق غيره بكثير . حتى يبدو عملاقا ، وتظهر بجواره المجمعات الصناعية في ديربان ، وكيب تاون ، وبورت إليزابيث أفراما .

ويبعد القلب الصناعي للدولة كثيرا عن المعازل القومية البائسة . رغم حاجتها الماسة ، لكي تنهض اقتصاديا ، للمشاركة في النمو والتقدم الصناعي العام لجنوب أفريقيا .

ولكي تصحح الحكومة عدم التوازن المكاني لمختلف الأنشطة الصناعية في الدولة ، وتزود المعازل السود بوسائل النمو ، فإنها تبني برنامجا للتوزيع والإنتشار الصناعي . وقد خططت لذلك نمطين من المساحات التي ينبغي تشجيع إنشاء وإثراء الصناعات بهما وهما : المناطق التي تقع خارج المعازل القومية مباشرة « مناطق التخوم Border areas » . وفيها يمكن أن يجتمع رأس مال البيض ومهاراتهم ، مع الأيدي العاملة السوداء للقيام بمجهود اقتصادي ، يستفيد منه نظريا ، كلا الطرفين . أما النمط الثاني ، فيتمثل في قيام الصناعة في مساحات معلومة بداخل المعازل ، حيث تمس الحاجة لوجودها ، كي تخفف من ضغط السكان على الأرض .

وفي ظل برنامج صناعات التخوم (الحدود) ، تقدم الدولة لرجال الصناعة والمقاولين البيض حوافز كثيرة ، لنقل وإعادة توطين مشروعاتهم ، أو إنشاء



شكل (٩٥) جنوب أفريقيا ، صناعات التخموم ، ومراكز النمو الصناعي

مصانع جديدة في عدد معين من مدن البيض في مجال ٤٨ كيلومتر (٣٠ ميل) من أراضي معازل السود (أنظر خريطة صناعات التخموم) . ومن الوجهة النظرية فإن هذه الصناعات ، بما لها من قدرة على استيعاب عدد كبير من العمال ، ستوقف حركة الهجرة في تخوم المعازل ، وستعكس آثارها المفيدة على سكان المعازل أنفسهم أو هكذا يخطط ويرجى لها . وقد اختيرت معظم

صناعات التخوم بالقرب من بريتوريا ، وديربان ، وبيتر ماريتزبورج - Pieter-maritzburg ، ومدينة الملك وليامز King Williams Town ، بدلاً من توطينها بالقرب من المدن الصغيرة ، والمدن الهامشية ، حيث تشتد الحاجة إليها .

وقد ثبت أن الفوائد التي تعود على سكان المعازل هامشية ، نظراً لأن الأجور أقل قدرأً من الأجور التي تُعطى للعمال في المراكز الصناعية الرئيسية . وتنوعية العمل إجبارية . كما أن الأجور يتم إنفاقها في مناطق البيض . وعدد فرص العمل التي أتاحتها المشروعات الصناعية في مناطق الحدود هذه قليلة جداً ، بالنسبة لاحتياجات ومطالب السكان ، بالإضافة إلى العمالة المستجدة عن طريق الزيادة السكانية .

وقد بدأت المرحلة الثانية في برنامج التوزيع والانتشار الصناعي في عام ١٩٧٠ . ويشجع المشروع رجال الصناعة البيض ، والمستثمرين البيض من الخارج ، لتوطين مصانعهم في مراكز النمو الصناعي التي تحددها الحكومة مثل بوترويرث Butterworth في معزل ترانسكاي Transkei ، وإيسيثيبى Isethebe في كوازولو Kwa Zulu وبابيليجي Babelagi في بوفوثا تسوانا Bophuthatswana . وتقدم الحكومة خدمات مدعومة أو مجانية كالنقل والمواصلات ، ودفع أجور العطلات ، والإسكان ، مقابل تدريب العمالة المحلية لشغل وظائف فنية ماهرة ، ومراكز إدارية .

وينبغي أن يُباع إنتاج المشروعات الصناعية إما إلى الأفارقة مباشرة ، أو إلى مؤسسة البانتو للاستثمار Bantu Investment Corporation التي ستدير المشروعات ، لحين العثور على أسواق مناسبة .

ورغم الحوافز ، لم يتم إنشاء سوى نحو مائة مؤسسة صناعية صغيرة ، تستخدم نحو ٨٠٠٠ موظف وعامل ، وذلك حتى عام ١٩٩٠ . ولم يستطع مشروع التوزيع الصناعي أن يتغلب على الخصائص السلبية المتأصلة في المعازل ، ولم يتمكن من تحريك رأس المال الأفريقي إلا قليلاً ، ولم تجن المعازل سوى فوائد هامشية .

ويشذ عن هذه المشروعات ويخالفها ، مركز نمو جديد يتم إنشاؤه في مدينة ريتشاردز بي Richards Bay ، على بعد نحو ١٣٠ كيلو مترا (٨٠ ميل) شمالي ديربان Durban (أنظر خريطة صناعات الترخوم) . وقد خططت الحكومة هذا المشروع ، كي تخفف الاكتظاظ في موانئ : ديربان ، وكيب تاون ، ومابوتو Maputo . والمشروع فرع ، في قسم منه ، من مستلزمات التوسع الصناعي المستديم لإقليم ويت ووترز راند . ويهدف المشروع إلى إيجاد مخرج جديد للزيادة المتوقعة في صادرات الفحم من شمالي ناتال Natal ، وشرقي ترانسيفال . وسيعمل على إيجاد أماكن عمل جديدة ، وإتاحة فرص اقتصادية لمعزل كوازولو المجاور .

وفي عام ١٩٧٦ ، تم في ريتشاردز بي إنشاء مصنع لصهر الألومنيوم ، وعدد من مشروعات صغيرة نسبياً للصناعات البتروكيمياوية والغذائية ، وهي بدايات لما يمكن أن تصبح المدينة بها مجمعاً صناعياً ضخماً يماثل مجمع ديربان ، في غضون عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن .

ويخترق الخط الحديدي الذي تم إنجازه حديثاً ، ليربط ما بين مدينة ريتشاردز بي ومدينة فري هايد Vryheid ، قسماً من معزل كوازولو ، ويمر بالأرض المخصصة لتشييد العاصمة الجديدة لهذا المعزل ، والتي تسمى أولوندي Ulundi . ويطلب القائمون على معزل كوازولو ، بأن تكون مدينة ريتشاردز بي جزء من أرض المعزل ، ويصرون على عدم قبول مبدأ الاستقلال ما لم يُجاب إلى مطلبهم هذا . وستبقى ريتشاردز بي بالتأكيد « بيضاء » لا شية فيها ! .

جغرافية المدن

يقول الجغرافيون دائماً ، إن المدن والخواضر هي استجابة لحاجات الأقاليم . وينبغي أن نتوقع هنا نمواً حضرياً أسرع وأكبر من غيره في دول أفريقيا ، بسبب التقدم الكبير في مختلف مجالات النمو الاقتصادي بجنوب أفريقيا . وتقع كل المدن الصناعية الرئيسية ، والمراكز الحضرية ، في مناطق البيض . ولم تشيء المعازل سوى مدن المهاجع dormitory التي تؤوي العمال

المطلوبين عبر حدودها . مثال ذلك « مدن » كوازولو الكبيرة : أوملازي-limla zi (يسكنها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة) وكواماشو Kwa Mashu (تعدادها ٢٣٠,٠٠٠ شخص) ، ما هي إلا مدن سكن لمدينة ديربان الصناعية ، فهي لا تحوي صناعات تحويلية ، وإنما عدد قليلاً من صناعات الدرجة الثالثة ، نظراً لأنها لا تطبق المنافسة القوية جداً في مدينة ديربان .

وتتشبىء حكومة جنوب أفريقيا ، اصطناعياً ، مدناً جديدة في مختلف أنحاء المعازل الأفريقية ، لرغبتها في خلخلة وإنقاص عدد السكان السود في مدن البيض ، ولشعورها بالحاجة إلى تخفيف حدة الضغط السكاني على الأرض السوداء . ويجري إنشاء عشرات من تلك « المدن » ، بعضها من أجل مشاريع إنمائية بالمنطقة ، وهذه لديها فرص نمو في المستقبل ، وبعضها الآخر عشوائي النشأة ، لا يملك فرصاً معقولة لاستمرار الوجود والنمو .

وتلك واحدة من البنود الفريدة في مخطط لجنة توملينسون Tomlinson ، الذي أشرنا إليه في أكثر من موضع . إنها تجربة فريدة في التحضر الإجباري ، لا مثيل لها في العالم قديماً وحديثاً . إن الأفارقة السود ، الذين يُعتبرون سكاناً زائدين في مناطق البيض ، يُجبرون على الرحيل من المدن « البيضاء » ، ويُرسَلون إلى « مدن استيطان جديدة » في داخل المعازل . ومعظم هؤلاء المستوطنين السود الجدد ، من المتقدمين في العمر ، والأحداث الصغار ، والأرامل ممن فقدوا الحق في السكن في منازل عاشوا فيها لسنين . وتفتقر معظم هذه الحلات السكنية ، لمنازل كافية ، وللمرافق العامة ، كما تنقصها المدارس والمستشفيات ، وتختلف الخدمات الاجتماعية . وقليل منها ما يملك صناعات خاصة ، وقليل منها أيضاً ما يقع في متناول مراكز الأسواق ، والخدمات ، وفرص العمل .

وتخطط حكومة جنوب أفريقيا لبناء عاصمة في كل من المعازل العشرة ، كي تحل محل المراكز الإدارية الحالية في جنوب أفريقيا الأبيض . وفي اختيار مواقع ومواضع المدن العواصم ، بالاشتراك مع قادة المعازل ، بحثت حكومة بريتوريا عن مراكز خالية في داخل المعازل ، وأماكن ليست لها شخصية أو

« هوية » تاريخية قوية . وتبنى معظم المدن العواصم في قطاعات غمر قائمة بالفعل ، أو بها إمكانيات غمر مستقبلية . ومع هذا ، فإن مواقعها في إطار الاقتصاد الرحب المهيمن لجنوب أفريقيا غير مؤاتية ، لهذا فإننا لا نتوقع سوى غمر صناعي صغير محدود ، وستبقى تلك الحواضر أساسا مجرد مراكز إدارية صغيرة .

إن مدن « البيض » في جنوب أفريقيا تتميز ، على غير الحال في مدن « السود » ، بفاعلية مستمرة ، وقابلية دائمة للحياة ، وهي مراتع لكل حديث جديد ، وللتغير الاجتماعي الدائب . ففيها تتواجد الصناعات الرئيسية في الدولة ، والمؤسسات المالية ، والجامعات ، والقدرة التكنولوجية . وصفية القول في هذه المدن ، أنها تمثل ثراء جنوب أفريقيا ونجاحه .

وبالطبع ، لم يتم إنجاز كل ذلك بواسطة البيض وحدهم ، لقد اعتمد بالفعل ، وإلى حد كبير ، على الأيدي العاملة من كل الأجناس ، وخاصة من الجنس الأسود . لقد جذبت المدن « البيضاء » مئات الألوف من الأفارقة السود ، وأصبح هؤلاء السكان الأفارقة الذين تحضروا ، مشكلة للمدن وللسلطات الحكومية ، تزداد تفاقماً وحدة عاماً بعد عام .

لقد جذبت أعمال التعدين والصناعات التحويلية العمال السود ، وسحبهم إلى المدن ، حيث أصبحوا يكوّنون قطاعاً سكانياً دائماً ، وهو وضع لم تكن ترضيه حكومة بريتوريا البيضاء ، وتعتبره أمراً غير مرغوب فيه ، ذلك لأنه يعوق فاعلية السلطة ، ويؤدي إلى الاكتظاظ في الأحياء السوداء . فضلاً عن ذلك كله ، أنه بسبب الامتزاج العرقي (السلافي العنصري) ، وفقدان الهوية (الشخصية) القومية .

وتحوي مدن جنوب أفريقيا الكبرى ، مثل جوهانيسبورج ، وكيمبرلي ، وديربان ، أعداداً سكانية كبيرة من أحفاد السود المتحضرين يمثلون الجيل الخامس والسادس . وكثير جداً من سكان المدن السود لم يروا معازلهم ، رغم ما يفترض من صلة ، أو فضل رابطة بينها وبينهم .

إن نتائج مسح استثنائي أُجري في مدينة سويتو Soweto (تعداها ٨٠٠,٠٠٠ شخص) ، وهي أكبر مدينة أفريقية سوداء في جنوب أفريقيا ، تقع

على بعد ٢٤ كيلومترا (١٥ ميل) إلى الجنوب الغربي من جوهانيسبورج ، يوضح تمام الوضوح ، موقف الأفيقي (الأسود) الحضري ، ويؤكد مخاطر ومعضلات سياسة العزل العنصري . فلقد تبين أن ٧٠٪ ممن أجابوا من السود ، يُفضلون العيش في جنوب أفريقيا في ظل حكومة متعددة العناصر multiracial ، ولا يرغبون الحياة تحت سلطة حكومة بيضاء ، ولا تحت إمرة حكومة قبلية في المعازل الأفريقية القومية السوداء . وليس هذا فحسب ، بل إن ٦١٪ من السود أجابوا بأنهم يرفضون قبول عمل طيب ، أو وظيفة جيدة في المعازل ، لو عُرضت عليهم . وقد فضل ٨٨٪ أن ينشئ الأفرقة السود أمة واحدة ، بدون اعتبار للأصول القبلية . ولم يكن سوى الأسود الحضري ، الذي يمثل التحدي الأكبر للحكومة العنصرية في محاولاتها لخلق نمو متعدد القوميات ، لأنه هو الذي يعاني من الاضطهاد السياسي ، والظلم الاجتماعي ، والجور الاقتصادي في جنوب أفريقيا أكثر من زميله الريفي الأسود .

ومدينة جوهانيسبورج هي أكبر مدن جنوب أفريقيا ، ومشكلاتها تُعتبر ممثلة تماما لمشكلات مراكز الحضر المتعددة السلالات (أنظر جدول سكان المدن الرئيسية في مناطق البيض الحضرية) . فسكانها من الأفرقة السود (مثل سكان بريتوريا ، وجيرميستون Germiston وغيرها) كانوا يزدادون باستمرار بسرعة تزيد كثيراً على معدلات بناء المساكن اللازمة ، وتبعاً لذلك أصبحت الأحوال في « مدن الأكواخ Shantytowns » بمدينة جوهانيسبورج وغيرها ، من بين أسوأ أشكال الحضر في العالم . وليس من شك ، في أن المدن تحوي قسماً من الأحياء البيضاء المتدنية ، لكن ، مع هذا ، ترى حكومة بريتوريا أن الحل الرئيسي لمشكلات المدن يكمن في إقصاء وإزالة الأفرقة السود . ولهذا السبب كان بناء المدن الشبه حضرية مثل سويتو Soweto (٨٠٠,٠٠٠ نسمة) وتيمبيسا (١٠٠,٠٠٠ شخص) ، ومشروعات التهجير والعزل العنصري .

وتمثل مدينة جوهانيسبورج خصائص أخرى عديدة للمدن في جنوب أفريقيا . فهي تمتد فوق رقعة من الأرض فسيحة مترامية الأطراف ، تبلغ مساحتها ، ربما أربعة أمثال مساحة مدينة أوريي في نفس حجمها . ويزدحم قلبها وحيها التجاري ، ويظهران صغيري الرقعة ، بالنسبة للمساحة الإجمالية للمنطقة المدنية . والنمو الرأسي في المدينة كبير ، يمكن مقارنته بنظيره في أية

مدينة أمريكية من نفس الحجم . وقد تداخلت التطاقات الوظيفية في المدينة ، نتيجة لاضمحلال التعدين ، ونمو الصناعة ، رغم أن المساحات السكنية منفصلة تماما بحسب السلالة .

وعلى غير الحال في مدن المستعمرات الفرنسية والبرتغالية السابقة في أفريقيا ، نجد العمائر الخاصة بإدارة المدينة موزعة في وسطها . وهذا وجه من أوجه الخلاف بين المراكز المدنية في أفريقيا ذات المؤثرات البريطانية ، وغيرها من مراكز الاستعمار الأوربي الأخرى في القارة .

إن مدينة جوهانيسبورج مدينة فريدة في نواحي متعددة . فهي أكبر مدينة في جنوب أفريقيا ، وهي قلب الدولة الصناعي ، والعاصمة المالية . وإلى الغرب والشرق من جوهانيسبورج ، وعلى امتداد مكاشف العروق الحاملة للذهب في ويت ووترزrand Witwatersrand ، نشأ شريط مديد من مدن التعدين ، يشكل مجعاً مدنياً ضخماً في جنوب أفريقيا .

والفصل العنصري معمول به بكل دقة وحزم . فالنطاقات الحدية Buffer Zones تفصل بين المساحات السكنية الخاصة بمختلف المجموعات العرقية . وتمثل تلك النطاقات الحدية في الطرق السريعة ، والسكك الحديدية ، والمدافن ، وحقول التعدين ، والمناطق الصناعية .

ويقع الحد الشمالي لمدينة جوهانيسبورج في مجال النظر من امتداد مدينة بريتوريا ، العاصمة الإدارية لجنوب أفريقيا ، وأكثر مدنها سرعة في النمو . وإلى الجنوب يقع شريان الحياة بالنسبة لمصانع جنوبي ترانسيفال ، متمثلاً في نهر فال Vaal River ، وموارد مياه خزان فال .

وهناك تقع أيضاً مدينة فيرين إجنج Vereeniging حيث مصانع الحديد والصلب الجديدة . وفي ولاية أورانج الحرة ، تكبر وتنمو حقول التعدين الحديثة ، وعدة صناعات تحويلية . ولهذا فإن منطقة جوهانيسبورج ، كانت وما تزال المركز الرئيسي للتعدين ، والصناعة ، والمواصلات ، والتجارة ، والمال ، والإدارة في جنوب أفريقيا . ولقد تلقت المدينة على الدوام من الحوافز ما جعلها تبقى محطّة لمركز الصدارة في سرعة النمو الحضري لجنوب أفريقيا

المراجع

- جودة حسنين جودة (١٩٩٤ ، طبعة خامسة) الجغرافيا الطبيعية والخرائط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٩٤ ، طبعة ثالثة) جغرافية العالم الإسلامى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٩٤ ، طبعة عاشرة) جغرافية البحار والمحيطات ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٩٤ ، طبعة سابعة) الجيومورفولوجيا ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٩٤ ، طبعة سابعة) جغرافية الزمن الرابع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٩٤ ، طبعة سادسة) الجغرافيا المناخية والنباتية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٩٥) الأراضي الجافة وشبه الجافة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٧٢) أبحاث فى جيومورفولوجية الأراضي الليبية. الجزء الأول. منشورات الجامعة الليبية ، بنغازى.
- جودة حسنين جودة (١٩٧٥) أبحاث فى جيومورفولوجية الأراضي الليبية. الجزء الثانى. منشورات الجامعة الليبية ، بنغازى.
- جودة حسنين جودة (١٩٨٠) دراسات فى الجغرافيا الطبيعية للمصحارى العربية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية.
- جودة حسنين جودة (١٩٨٠) العصر الجليدى وعصور المطر فى صحارى العالم الإسلامى ، دار النهضة العربية ، بيروت
- جودة حسنين جودة (١٩٨٠) معالم سطح الأرض ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.

محمد السيد غلاب : (١٩٧٩) جغرافية العالم الإسلامي . الرياض (بمناسبة
انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول برعاية جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية في يناير ١٩٧٩) .
محمد رياض وكوثر عبد الرسول : (١٩٦٣) الإقتصاد الأفريقي . القاهرة .
محمد رياض وكوثر عبد الرسول : (١٩٧٣) أفريقيا ، دراسة لمقومات الثروة .
دار النهضة العربية . بيروت .
محمد عوض محمد : (١٩٥١) السودان الشمالي ، سبكنه وقبائله . القاهرة .
محمد عوض محمد : (١٩٥٢) نهر النيل . الطبعة الرابعة . القاهرة .
محمد محمود الصياد ، ومحمد عبد الغني سعودي : (١٩٦٦) السودان ، دراسة
في الوضع الطبيعي ، والكيان البشري ، والبناء
الاقتصادي . القاهرة .

- Abul-Haggag, Y.:** (1960), *Physiographical Aspects of Northern Ethiopia*. London.
- Allan, W.:** (1965) *The African Husbandman*. Edenburg.
- Andrews, H. T. et al.:** (1962) *South Africa in the Sixties*. Johannesburg.
- Annaheim, H.:** (1975) *Die Afrikanische Landschaften*. Bern.
- Banton, M.:** (1977) *Race Relations*. London.
- Barber, W.J.:** (1971) *The Economy of «British» Central Africa*. London.
- Barbour, K. M.:** (1973) *Population in Africa*. Ibadan. Ibadan University Press.
- Baver, P.T.:** (1964) *West African Track*. Cambridge.
- Beaumont, J. et al:** (1975) *The Middle East. A Geographical Study*. London, John Willey.
- Bernard, H.:** (1937) *Afrique Septentrionale et Occidentale*. Tome XI, *Geographie Universelle* Paris.
- Berry, L. and Whiteman, A., J.:** (1978) *The Nile in the Sudan*. *Geographical Journal*, Vol. 134
- Best, Alan, C.G.:** (1975) *The Republic of South Africa: White Supremacy*. *Focus*, Vol. 25, No.6 (March- April) PP.1- 13.
- Best, Alan, C. G., and de Blij, H.J.:** (1977) *African Survey*. London, John Willey.
- Biebuyck, P. (Ed.)** (1973): *African Agrarian Systems*, London.
- Bluethgen, J.:** (1976) *Allgemeine Klimatologie*. Berlin.
- Bohannan, P.J. and Dalton, G. (Eds)** (1972) *Markets in Africa* Evanston: Northwestern University Press.
- Carter, G.M. (Ed.):** (1972) *African One- Party States*. Ithaca.
- Chisholm, M.** (1972): *Rural Settlement and Landuse* London.
- Church, R.J.H.:** (1976) *West Africa*. London.
- Church, R.J.H. and Others:** (1973) *Africa and the Islands*. London.

- Church, R.J.H. and Obeli, H.O.N. (1965) An Outline Geography of West Africa. London.**
- Cobley, L.J.,: (1973) An Introduction to the Botany of Tropical Crops. London.**
- Cole, Monica, M.: (1976) South Africa. London Methuen.**
- Coleman, J.S.: (1968) Nigeria: Back ground to nationalism. Berkeley.**
- Davidson, B.: (1969) Old Africa Rediscovered. London.**
- Day, J.R.: (1973) Railways of Southern Africa. London.**
- de Blij, H.J.: (1975) A Geography of Sub-Saharan Africa. Chicago.**
- de Blij, H.J.: (1973) Systematic Political Geography. Second Edition. New York John Willey.**
- D'Hoore, J.L.: (1965) Soil's Map of Africa. Lagos. Commission of Technical Cooperation in Africa.**
- Dixy, F.: (1956) Erosion Surfaces in Africa: Some Considerations of Age and Origin. Trans. Geol. Soc. South Africa, 59. PP.1- 16.**
- Dumont, R.: (1962) L'Afrique noire et mal partie. Paris.**
- Dumont, R.: (1966) False Start in Africa. New York. Praeger.**
- Ewing, A.F.: Prospects for Economic Integration in Africa. Journal of Modern African Studies 5, PP.53- 67.**
- Fitzgerald, W.: (1973) Africa: A Social, Economic and political Geography of its Major Regions. London.**
- Floyd, B.: (1977) Nigeria. London.**
- Floster, P.J.: (1965) Education and Social Change in Ghana. London.**
- Furon, R.: (1962) Geologie de l'Afrique. Paris.**
- Furon, R.: (1960) Carte Géologique Internationale de l'Afrique. Compiled under the auspices of the International Geological Congress (with an accompanying Pamphlet).**
- Gann, L.H. and Duignan, P.: (1969) Colonization in Africa 1870-1960. London 1969.**
- Greenberg, J.H.: (1963) The Languages of Africa. Den Hague.**
- Griffiths, J.F. (Ed.): (1972) Climates of Africa. New York.**
- Gulliver, P.H. (Ed.): (1969) Tradition and Transition in East Africa. London.**
- Hall, R.: (1975) Zambia. London.**

- Hance, W.A.: (1967) *African Economic Development*. Second Edition. New York Praeger.
- Hance, W.A.: (1970) *Population, Migration, and Urbanization in Africa*. New York University Press.
- Hance, W.A.: (1975) *The Geography of Modern Africa*. Second Edition. New York.
- Harris, P.B.: (1970) *Studies in African Politics*. London.
- Herschberg, W.: (1962) *Meyers Handbuch Ueber Afrika*. Mannheim.
- Hickman and Dickens: (1972) *Lands and Peoples of East Africa*.
- Hodden, B. W., and Harris, D.R. (Eds.): (1967) *Africa in Transition*. London.
- Holleman, J. F.: (1964) *Experiment in Swaziland*. London.
- Holmes, A.: (1965) *Principles of Physical Geology*. London.
- Hopkins, B.: (1975) *Forest and Savanna*. London.
- Hunter, G.: (1962) *The New Societies of Tropical Africa*. London.
- Iloeja, N.P.: (1972) *A New Geography of West Africa*. London.
- Jarret, H.R.: (1972) *Africa*. London.
- Jarret, H.R.: (1976) *A Geography of West Africa*. London.
- Kamark, A.M.: (1967) *The Economics of African Development*. Second Edition. New York.
- Keay, R.W.J.: (1969) *Vegetation Map of Africa*. London. Oxford University Press.
- Kindrew, W.G.: (1961) *The Climates of the Continents*. New York.
- Kimble, G.H.T.: (1960) *Tropical Africa*. New York: Twentieth Century Fund. (2 vols).
- King, L.C.: (1967) *Morphology of the Earth*. New York.
- Klein, M.A., and Johnson, G.W. (Eds.): (1972) *Perspectives on The African Past*. Boston.
- Koeppen, W. and Geiger, R.: (1932) *Die Klimate der Erde*. Berlin.
- Koper, L.: (1928) *Der Bau der Erde*. Berlin.
- Kuper, H.E. (Ed.): (1965) *Urbanization and Migration in West Africa*. Berkeley.
- Legum, C.: (1979) *Africa Handbook*. London.
- Machatscheck, F.: (1974- 1975) *Das Relief der Erde*. Zweite Auflage. Berlin.
- Miller, A.A.: (1963) *Climatology*. London.
- Moss, R.P.: (1978) *The Soil Resources of Tropical Africa*. Cambridge.

- Mountjoy, A.B. and Clifford, E.: (1965) *Africa: A Geographical Study*. London.
- Morgan, W.T.W.: (1977) *An advanced Geography of East Africa*. London. Longman.
- Mphahlele, E.: (1972) *The African Image*. New York.
- Murdock, G.P.: (1975) *Africa: Its Peoples and their Culture History*. New York.
- Mutharika, B.W.T.: (1974) *Toward Multinational- Economic Cooperation in Africa*. New York.
- Nash, T.A.M.: (1958) *Tsetse Flies in British West Africa*. London.
- O'Connor, A.M.: (1976) *An Economic Geography of East Africa*. London.
- O'Connor, A.M.: (1978) *The Geography of Tropical Africa*. Oxford Pergamon Press.
- Oliver, R. and Fage, J.D.: (1970) *A Short History of Africa*. Baltimore: Penguin Books.
- Ominde, S. H. and Ejiogu, C.N. (Eds.): (1978) *Population Growth and Economic Development in Africa*. London.
- Paden, J.N. and Soja, E.W. (Eds.): (1978) *The African Experience*. Evanston: Northwestern University Press.
- Phillips, J.: (1976) *The Development of Agriculture and Forestry in the Tropics*. London.
- Pollock, N.C.: (1977) *Africa*. London: University of London Press.
- Pollock, N.C.: (1974) *Studies in Emerging Africa*. London. Butterworths.
- Pritchard, J.M.: (1975) *A Geography of East Africa*. London, Longman.
- Pritchard, J.M.: (1976) *Africa*. London, Longman.
- Prothero, R.M. (Ed.): (1979) *A Geography of Africa*. London.
- Prothero, R.M. (Ed.): (1978) *People and Land in Africa South of the Sahara*. New York.
- Richmond, A.: (1965) *The Colour Problem*.
- Robinson, E.A.G.: (1974) *Economic Development of Africa South of the Sahara*. London.
- Rodney, W. (1974) *How Europe Underdeveloped Africa*. Washington, D.C : Howard University Press.

- Rotberg, R.I.:** (1965) *A Political History of Tropical Africa*. New York.
- Schmithuesen, J.:** (1978) *Allgemeine Vegetationsgeographie*. Berlin.
- Schokalskaja, S.J.:** (1973) *Die Boeden Africas*. Berlin.
- Sillery, A.:** (1971) *Africa. A Social Geography*. London. Gerald Duckworth and Co.
- Skinner, E.P. (Ed.):** (1973) *Peoples and Cultures of Africa*. New York.
- Southall, A. (Ed.):** (1971) *Social Change in Modern Africa*. London.
- Stamp, L.D.:** (1972) *Africa. A Study in Tropical Development*. New York. Longman.
- Sulliran, W.:** (1974) *Continents in Motion*. New York. McGraw-Hill.
- Thomas, M.F., and Whittington, G.W.:** (1972) *Environment and Land Use in Africa*. London, Methuen and Co.
- Thompson, B.W.:** (1975) *The Climate of Africa*, Nairobi: Oxford University Press.
- Ullendorf, E.:** (1975) *The Ethiopians*. London.
- Wattenberg, B. and Smith, R.L.:** (1973) *The New Nations of Africa*. New York.
- Wellington, J.:** (1977) *South West Africa and its Human Issues*. Oxford.
- Wells, F.A., and Warmington, W.A.:** (1973) *Studies in Industrialisation in Nigeria and the Cameroons*. London.
- Wills, J.H. (Ed.):** (1972) *Agriculture and Land Use in Ghana*.
- Willson, F.:** (1972) *Migrant Labour in South Africa*. Johannesburg.

UNITED NATIONS DOCUMENTS:

- Economic Commission for Africa:**
Bibliography: *Economic and Social Development. Plans of African Countries*.
- Economic Commission for Africa:**
Economic Bulletin for Africa. *Semianual*.
- Economic Commission for Africa:**
Survey of Economic Conditions for Africa.
- Statistical Office.** *Demographic Yearbook.* *Annual*.

Statistical Office. Production Yearbook. Annual.
Statistical Office. Statistical Yearbook. Annual.
Statistical Office. Yearbook of International Trade Statistics.
Annual.

Atlases:

Bartholomew's Advanced Atlas of Modern Geography. Edinburgh.
1979.
Dierke Welt Atlas. Georg Westermann. Braunschweig 1977.
Oxford University Atlas, London. 1971.
Oxford Regional Economic Atlas of Africa, Oxford 1975.
Philip's Universal Atlas, George Philip and Son Limited. London.
1976.
The University Atlas. (Eds.) Fullard and Darby. Philip. London 1972.
Westermanns Hausatlas, Georg Westermann Verlag. Braunschweig.
1978.

محتويات الكتاب

صفحة	
٧	إهداء
٩	المقدمة
١٣	القسم الأول : الدراسة العامة لأفريقيا
١٧	الفصل الأول : أفريقيا في التاريخ
٣٥	الفصل الثاني : البناء الجيولوجي ومظاهر السطح
٦٩	الفصل الثالث : المناخ والأقاليم المناخية
٨٧	الفصل الرابع : النبات والأقاليم النباتية
٩٥	الفصل الخامس : التربة
١٠٧	الفصل السادس : السلاسل الأفريقية
١١٧	الفصل السابع : سكان أفريقيا
١٣١	الفصل الثامن : الحرف والنشاط الإقتصادي
١٤٩	القسم الثاني : الدراسة الإقليمية لأفريقيا
١٥٥	الفصل التاسع : جمهورية السودان
٢٠٣	الفصل العاشر : إثيوبيا
٢٣١	الفصل الحادي عشر : جمهورية الصومال
٢٤٩	الفصل الثاني عشر : المملكة المغربية
٢٧٩	الفصل الثالث عشر : ليبيا
٣١٩	الفصل الرابع عشر : نيجيريا
٣٣٧	الفصل الخامس عشر : جمهورية غانا
٣٥١	الفصل السادس عشر : جمهورية غينيا
٣٦٣	الفصل السابع عشر : جمهورية زائير
٤١١	الفصل الثامن عشر : جمهورية جنوب أفريقيا
٤٦٩	المراجع



792 / 22